



من فكر السجون وأدبه

الإصدار الثاني عشر

# رواية قيود الرياحين



أسامة محمد الحروب

سجن النقب



**رواية**  
**قيود الرياضيين**



الكتاب: سلسلة فكر وأدب السجون (12)

رواية، قيود الرياحين

المؤلف: الأسير المجاهد/ أسامة محمد الحروب

الناشر: مؤسسة مهجة القدس

غزة - فلسطين

الطبعة: الأولى

سنة النشر: ذو القعدة 1441هـ

يونيو - حزيران 2020م

رقم الإيداع: 1373 / 2020

الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة  
عن وجهة نظر مؤسسة مهجة القدس

حقوق الطبع والنشر محفوظة

## إهداء

• إلى من كُتبت هذه الرواية بمعاناتهن قبل  
أن أكتبها بقلمني.

• إلى الأسيرات الفلسطينيات كافة.

• إلى امرأة فلسطين الأولى لعام 2015م

عميدة الأسيرات الفلسطينيات

الأسيرة المجاهدة/ لينا الجربوني.

أهدي هذا العمل.



## شكر وتقدير

إلى

- الحاجة أم محمود، روضة حبيب.
- لينا الطويل ودعاء مصلح من إذاعة صوت الأسرى.
- كاميليا نعيم من إذاعة صوت القدس.
- مع شكري مقدماً لكل من ساهم بإنجاز هذا العمل.





# 1

أمل وحياة فتاتان فلسطينيتان، طالبتان في كلية الحقوق بجامعة النجاح الوطنية، في السنة الثانية من الدراسة.

جامعة النجاح الوطنية، القلب النابض للمشاعر الوطنية الثورية وللفكر الوطني، وللعمل والفعل الوطني، ملتقى يومي لأكثر من عشرة آلاف طالب وطالبة من أقصى جنوب الضفة الغربية إلى أقصى شمالها، ومن طرفي الخط الأخضر الوهمي، من كافة شرائح وطبقات المجتمع الفلسطيني، في رحاب جامعة النجاح كلهم اجتمعوا.

جو مفعم بالمشاعر الوطنية الجياشة، شباب متفجر بالحوية والنشاط، قضية إنسانية عادلة، قضية وطنية جامعة تملك لب الشباب





الفلسطيني وتشغل باله على مدار الساعة، تدفعه دفعًا عنيفًا عن حب وقناعة إلى التفاعل مع كل حدث يومي، ومع كل مسألة تهم القضية الأم والمركزية الكبرى (القضية الفلسطينية المقدسة)، تدفعه إلى ساحات الفعل والعمل ودفع الأثمان المترتبة على ذلك الحب المقدس، والتضحية بكل غالٍ ونفيس.

الساعة تقترب بسرعة من الثالثة بعد الظهر، وقد خلت الجامعة إلا من بعض الطلبة والإداريين العاملين فيها وموظفي الأمن التابعين للجامعة الذين بالعادة يتركزون عند بوابة الجامعة الرئيسية، خصوصًا أن ذلك اليوم هو يوم الأربعاء، وهو اليوم الأخير في الدوام الأسبوعي في معظم الجامعات الفلسطينية.

غادرت أمل ورفيقة عمرها ودراستها حياة مسرعتين قاعات كلية الحقوق في المبنى الجديد للجامعة في منطقة جنيد إلى الغرب من مدينة نابلس، وخرجتا من البوابة الرئيسية، وانتظرتا لدقائق معدودة في محطة الانتظار مقابل بوابة الجامعة الرئيسية بانتظار وصول سيارة الأجرة العاملة على خط الجامعة، من الكراج الرئيسي إلى الجامعة والعكس.

- صديقتي أمل: تعرفي هذه أول مرة أرى جامعتنا بهذا الجمال، واليوم عندي شعور غريب غير قادرة على التعبير عنه.

- ما هو هذا الشعور الذي لا تستطيع المحامية حياة التعبير عنه؟  
عادي جامعة مثل أي جامعة! اليوم آخر يوم دوام، وصباح الأحد راجعين لها، وعلى المنوال آخر سنتين ونتخرج والسلام ختام.



- كلامك صحيح، لكن في داخلي شيء يقلقني.

- ربك يستر، يلا سيارة الأجرة وصلت.

عشر دقائق هي مسافة المسير بالسيارة من منطقة الجنيد حتى الكراج الرئيسي وسط مدينة نابلس، أبنية جديدة، عمارات عالية، شوارع واسعة، أبنية قديمة، شوارع ضيقة، منظر متناقض في ظاهره، لكنه منسجم في داخله، انسجام الجينة البلدية مع مكونات الكنافة النابلسية، هكذا هي مدينة نابلس، الماضي ينسجم مع الحاضر، الأصالة متمزجة بالحدثة.

9 الكراج الرئيسي وسط مدينة نابلس حيث ملتقى المسافرين القادمين من مدن جنين وطولكرم وقلقيلية وسلفيت وطوباس وأريحا، إلى عاصمة الشمال الفلسطيني، نابلس جبل النار، تتعدد وسائل النقل على الشارع الفلسطيني من الباص والتاكسي إلى سيارات الصالون، لكن يبقى الباص هو الخيار المفضل لغالبية الطلبة الفلسطينيين لأسباب عديدة؛ انخفاض تكلفة الأجرة واجتماع عدد كبير من المسافرين على متن هذا الباص فيه إمكانية لخصوصية المسافر حيث يستطيع الراكب اختلاس بعض من الدقائق نومًا على كرسيه طوال مدة سفره في رحلة الإياب إلى البيت بعد رحلة متعبة قد تكون إلى جامعة، أو للتسوق، أو للعلاج في هذه المدينة العامرة التي لا تفتقد لشيء سوى الحرية والتحرر من الاحتلال الذي يخنقها من خارج حدودها، صعدت أمل ورفيقة دربها في الحياة والدراسة إلى الباص، ودفعت الأجرة إلى السائق الخمسيني أبو أحمد الذي بدوره سلمها التذاكر.



- يعطيك العافية عمي أبو أحمد.

- يعطيك ألف عافية عمي أمل، أهلاً وسهلاً بك، كيف نهارك إن شاء الله بخير؟

- نحمد الله ونشكره عمي أبو أحمد، تمام.

تسللتا بلطف تسلل القطط إلى وسط الباص بحثاً عن كرسيين خاليين ومتجاورين، جالتا بعيونهما يميناً ويساراً فوجدتا مقعديهما في الصف الأخير من الباص، وألقتا جسديهما المتعبين والمنهكين على الكرسي وأسلمتا نفسيهما إلى غفوة كان مخطط لها أن تنتهي في الكراج الرئيسي للسيارات وسط مدينة جنين - أي غفوة واستراحة طالت لمدة نصف ساعة - المسافة الفاصلة بين مدينتي نابلس و جنين، ولكن هذه الاختلاسة من النوم تزيد وتنقص حسب ظروف الحواجز العسكرية وتبعاً لمزاج الجنود الصهائنة الذين ينغصون حياة المواطن الفلسطيني.

السائق الماهر والأمين أبو أحمد الذي أمضى أكثر من عشرين عاماً كسائق - شوفير بالعامية الفلسطينية - على الباص أبو الخمسين راكباً والتابع لشركة باصات الطيب حتى أصبح المقود (ستيرنج) صديقه العزيز وأحد أفراد أسرته، ولا يمكنه العيش بدونه. أبو أحمد وجه معروف وشخص مألوف لمعظم المسافرين على متن باصه وإلى مدينة نابلس.

لم تمض أكثر من عشر دقائق على انطلاق الباص في سفره من الكراج الرئيسي وسط مدينة نابلس باتجاه الغرب حتى خفف السائق



أبو أحمد من سرعة باصه إلى أبطأ ما يكون عندما اقترب من الحاجز العسكري المسمى «حاجز بيت إيبا» نسبة إلى قرية بيت إيبا الفلسطينية، هذا الحاجز من أشد الحواجز الصهيونية فظاعة، فهو حاجز عسكري ثابت على مدار الساعة ويتحكم بحركة المواطنين الداخلين والخارجين من وإلى مدينة نابلس، محوّلًا حياتهم إلى جحيم لا يطاق، كما أنه يفصل ثلاث مدن في شمال الضفة الغربية (جنين، طولكرم، نابلس) هذا المثلث الجغرافي والسكاني المنسجم تمام الانسجام كانسجام مثلث متساوي الأضلاع.

يا إخواني الكرام، أخواتي الكريّمات، رجاء الكل يحضر بطاقة الهوية، رجاء الكل يكون جاهز، بدنّاش ننجر وراء استفزازاتهم، خلي هاليوم يمضي على خير، ونروح على بيوتنا، الله يريحنا منهم، ويلعن أبو اللي جابهم وللمهم من مزابل أوروبا.

11

وراح أبو أحمد يردد بصوت خافت الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:9]، بفضل خبرته الطويلة في مقارعة الحواجز العسكرية، وفصول التفتيش، ومزاجات الجنود السادية بات أبو أحمد يعرف كل حركاتهم، وفصولهم في استفزاز المواطنين الفلسطينيين والمس بمشاعرهم وكراماتهم.

في العادة وكما قطاع الطرق يقوم الجنود بتوقيف الباص لدقائق معدودة طالبين من السائق إطفاء المحرك، ومن ثم يصعد جندي أو أكثر على الباص مع بقاء أكثر من جندي أمام الباص وعلى مقربة من السائق مسلطين فوهات بنادقهم باتجاهه.



الجندي داخل الباص يلقي نظرة على ركاب الباص، أحياناً يقوم بجمع بطاقات الهوية من الركاب، خصوصاً جيل الشباب ويذهب بها إلى الفحص في الكرفانات بجوار الحاجز العسكري، وأحياناً يكتفي بالقاء نظرة على الهويات بدون فحصها، وأحياناً لا يجمع أي هوية، يعني حسب مزاجه، المهم أن يتم تنغيص حياة المواطن الفلسطيني، ولو بمجرد إيقافه وتأخير وصوله إلى وجهة سفره، وبعد كل هذه المزاجية يعطي إشارة للسائق ساعماً له بالاستمرار بالمسير وإكمال رحلته بعد أن يشبع نفسه بإهانة المواطن الفلسطيني.

في هذه المرة من سفريات أبو أحمد على متن باصه إياباً إلى مدينة جنين، الوضع جداً مختلف، فمن الناحية المقابلة لوجهة سفر أبو أحمد، أي حركة الداخلين إلى مدينة نابلس متوقفة كلياً وجانبها في الشارع مغلق تماماً على بعد ثلاثمائة متر من الحاجز ولا يسمح لأي مركبة أو شخص مترجل بالاقتراب من الحاجز العسكري أمام حركة المغادرين من مدينة نابلس، فمسلكهم يسير على ما يرام وبكل أريحية دون تأخير رغم الانتشار الكثيف لجنود الاحتلال في محيط الحاجز العسكري وكأن الأمر مخطط له أن يكون هكذا كي تنجح عملية نصب الكمين للهدف المرتقب وصوله.

في اللحظة التي اقترب فيها الباص من الحاجز العسكري والذي يقل على متنه الطالبتين الجامعتين أمل وحياء، تم إغلاق الحاجز كلياً في كلا الاتجاهين وأمر سائق الباص بأن يتوقف كلياً، ويركن باصه إلى أقصى يمين الشارع، ويطفئ المحرك، وينزل من الباص.



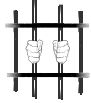
في هذه اللحظات وكلتاهما معتادتان أمل وحياة تستسلمان لغفوة  
ضرورية بعد يوم شاق من الدراسة الجامعية، لكن طبيعة المشهد، انتشار  
كثيف للجنود المدرعين، بنادق مسلطة تجاه الباص، مكبرات صوت تصرخ  
وتنادي على سائق الباص من على اليمين أطفئ المحرك، انزل بسرعة، هيا،  
هيا، أطارت النعاس من عيون أمل وحياة مثلما أطارت أسراب العصافير  
من أغصان الأشجار بضجيجها وزعاقها، وصراخها.

كما أن أبو أحمد نفذ بدقة، ركن باصه على أقصى اليمين، أطفأ  
المحرك، نزل من الباص، وبيده بطاقة هويته متعمداً رفع يديه إلى مستوى  
صدره؛ لأنه خبر هوس الجنود وخوفهم المبالغ فيه، فكم من مواطن بريء  
أزهقت روحه لمجرد أن يده تحركت حركة بسيطة عفوية وغير مقصودة!  
فسرعة ضغط الجندي الصهيوني على الزناد أسرع من الضوء، المبرر دوماً  
موجود، مخرب حاول الاعتداء على جندي من جنود جيش الدفاع فدافع  
الجندي عن نفسه، وما أن ابتعد أبو أحمد عن باصه أقل من ثلاثة أمتار  
حتى أحاط الجنود بالباص من كل الجهات مصوبين بنادقهم بكل دقة  
إلى شبابيك الباص، وإلى أبو أحمد نفسه الذي تفاجأ بهذا الاستنفار غير  
المعهود في مقابل مديين عَزَل لا يملكون أي قطعة سلاح.

- أمل، شوفي؟ لماذا كل هذا الاستنفار؟!

- الله أعلم مثلي مثلك يا حياة، لكن الظاهر إنها علقتنا سودة  
وسخنة، ربنا يستر، معك أوراق أو أي شيء ممنوع؟

- لا ولا أي ورقة، فقط أرقام التليفونات على هاتفي.



- يا هبلة تخلصي من الهاتف بأي وسيلة، فش وقت لمسح أي رقم.

- ماشي، أمل تقلقيش رح أتخلص من الهاتف.

أمر ضابط صهيوني سائق الباص بالتحرك بعيداً إلى يمين الباص ما يقارب العشرين متراً وأن يجثو على ركبتيه ويضع يديه فوق رأسه.

- أنا سائق الباص، أكثر من عشرين سنة وأنا يوم يوم بمر من هنا، أنا بعرفكم جندي جندي، ضابط ضابط، أنت مش عارف مين أنا، تعاملني كأني جندي أسير، أسرته في ساحة معركة؟

- اركع، ارفع ايديك، ايش هالشغل؟

- لا حول ولا قوة إلا بالله، حكم الظالم على المظلومين.

- اسكت اسكت، قالها الضابط باللغة العربية.

لم يجد أبو أحمد مفراً من الانصياع لأوامر الضابط الصهيوني وتنفيذ ما أمر به، تقديراً للحالة الأمنية التي يراها أمام عينيه وحالة الذعر والهيجان الأمني والعريضة التي يقوم بها جنود الحاجز العسكري.

صعد ثلاثة جنود إلى الباص وطلبوا من جميع الركاب إبراز بطاقات الهوية، وقام أحد الجنود بجمعها ويدها ترجفان، وما إن أكملوا عملية الجمع، وعلى جناح السرعة نزلوا مسرعين باتجاه أحد كرفانات الحاجز كأنهم حازوا على صيد ثمين، وضع المجند الهويات على طاولة أمام الضابط، والذي بدوره قام أولاً بفرز الهويات العائدة للذكور على جهة



والهويات العائدة للإناث على جهة، وراح يقارن كل بطاقة هوية عائدة لسيدة بقائمة مكتوبة على شاشة الكمبيوتر، وأخيراً وجد ما يريد، فحجز بطاقتي هوية وأمر أحد الجنود بأخذ بقية البطاقات وإعادتها لأصحابها في الباص.

تناول الضابط بطاقتي الهوية وراح يضغط على أزرار لوحة المفاتيح لجهاز الكمبيوتر ويطالع سيل المعلومات المتدفقة عبر شاشة الكمبيوتر، وأخيراً عبر جهاز متصل بالكمبيوتر، تناول ورقتين ووضع كل ورقة داخل الهوية وسلمها للجندي، الذي قام بدوره بتسليم الهويات لضابط آخر يقف قريباً من الباص، دقق الضابط بالهويتين والورقة الموجودة داخلهما، ثم توجه إلى داخل الباص، أين أمل صالح؟ أين حياة بشير؟ ارتبكت أمل وحياة، وبدت عليهما ملامح القلق والخوف والاضطراب التي تصيب كل إنسان كشعور بشري عادي حين يتعرض لموقف عدائي إرهابي مخيف مثل الذي تعرض له ركاب الباص، وبعد تردد:

- أنا أمل صالح.

- أنا حياة بشير.

- انزلوا من الباص، جيئوا كل أغراضكم، خصوصاً الهواتف، قالها الضابط الصهيوني، وهو يتراجع هو وجنوده إلى الخلف، والرعب والخوف يملأ عيونهم وكأنهم يأسرون مقاتلاً من خندق مواجهة أو من ساحة معركة.





رويِّدًا وبلا ضجيج أَلقت حياة هاتفها النقال أمام قدمها على أرضية الباص وبحركة خفيفة دفسته إلى الأمام ليسبح بكل حرية إلى المقعد الثالث أمامها، وهمست بصوت خفيف لشاب يجلس على المقعد الأمامي المجاور لها، هاتفني على الأرض الله يستر على خواتك رقم أهلي أول رقم اتصل عليهم وخبرهم.

- توكلني على الله أختي، محلك أمان، إن شاء الله سؤال عالماشي وبترجعي، تقلقيش.

بطريقة ذكية أَلقت أمل هاتفها النقال في حجر امرأة كبيرة في السن بعدما تظاهرت بأنها قد تزحلقتم ومالت جهة العجوز وهمست بأذنها.

- ستي الحاجة رقم أهلي أول رقم، خلي حدا من الموجودين يتصل بأهلي وخبرهم بأني معتقلة عند اليهود وحطمي التليفون بعدها، بدي أركن عليك.

- ربي يحميك يا بنتي، الله عليهم الظالمين أولاد الحرام، سوس الخشب منه فيه، والله الواحد ما يزعل من اليهود الغدارين، الواحد يزعل من ولاد جلدتنا اللي باعوا حالهم لليهود، وخانوا أهلهم، مش حرام بنتين مثل الوردات يعتقلوهن اليهود، إيش عرّفوا الضابط باسمهن؟ أولاد الحرام، العملاء الجواسيس حسبي الله عليهم.

نزلت أمل وحياة، وقد أحضرتنا أغراضهما الخاصة، حقيبة وما فيها من كتب ودفاتر، أقلام، أغراض طالبات الجامعة، وما إن حطت قدم أمل



على الأرض حتى صرخ الضابط بأعلى صوته موجهاً بندقيته نحوها، وهو يتراجع، لا، لا، توقيفي، توقيفي.

لم تفهم بالضبط ماذا يريد الضابط الصهيوني، ومع ذلك توقفت بشكل فجائي حتى كادت حياة تسقط فوقها لتوقفها المفاجئ، الضابط يصرخ، يصرخ، وأمل وحياة لا تفهمان شيئاً، طرشان، عصيبة الضابط في تصاعد وغليان، وأمل وحياة في حالة ذهول وانتظار الموت، لحظات سيتلقى جسدهما صليات من الرصاص والاحتلال ليس بحاجة لمبرر، «مخرّبة لم تنصع لأوامر الجنود، فرد جنود الحاجز بإطلاق الرصاص على المخرّبة فقتلت على الفور»، هذه هي الدعاية الصهيونية، لتبرير قتل المواطن الفلسطيني على الحواجز العسكرية.

أيقن الضابط الصهيوني أن الشابتين الفلسطينيتين لا تفهمان أي كلمة عبري، فطلب من أحد الجنود إحضار سائق الباص المكبل اليدين وملقى على الأرض بعيداً عن باصه وركابه بمسافة تزيد عن الثلاثين متراً ولا يعرف ما يجري داخل باصه ولا ما يجري مع ركابه، ثلاثة جنود بكل جلف وعنجهية وبلا مقدمات يرفعون أبو أحمد من كلتا ذراعيه المقيدين إلى الخلف ويسIRON به نحو الضابط وطوال مسافة الثلاثين متراً يحاول أبو أحمد عبثاً معرفة ما يجري ولماذا يتعاملون معه بهذه الطريقة، وهو يتكلم بعبريته المكسرة وهم يردون، شِكِت، شِكِت، اسكت، اسكت، أمام الضابط المستفز توقفت شحطة المسكين أبو أحمد، جن جنونه وهو يرى أمل وحياة والخوف والرعب يحدق بهما، وعشرات الجنود يصوبون بنادقهم نحوهما.



- كشين، كشين، ما يحدث؟
- اسكت، افهم، وقل للبتين تلقيان أغراضهما من حقيتيهما على الأرض، ومن ثم تلقياهما بعيداً.
- حاضر، حاضر، فك قيدي أولاً، أعطى الضابط الأمر لأحد الجنود بفك قيده البلاستيكي.
- عمي أمل، تخافيش أنا معك، الضابط يريد أن تفرغا حقيتيكما من الأغراض على الأرض، ثم تلقياهما بعيداً.
- ماشي عمي أبو أحمد، ماشي ما في مشكلة كما أمر الضابط تم.
- أبو أحمد، واحدة، واحدة، تنزل من الباص، هناك بعيداً ترفعان أيديهما فوق رأسيهما، ووجهن إلى الجهة المقابلة.
- ماشي، ماشي كما تريد كشين، يلعن أبوك بكندرة عتيقة \_ بصوت خافت\_.

لحظات قليلة قدمت عدة جيئات عسكرية وفي وسطها سيارة جيب أبيض اللون، نزل منها شخصان بلباس مدني وخوذة عسكرية ودرع واقٍ، ويحمل كل منهما قطعة سلاح مميزة عن تلك التي يحملها بقية الجنود وضباط الجيش، بندقية (M16) قصيرة مع إضافات أخرى.

استقبلها ضابط الجيش وسلموهما بطاقتي الهوية، قارنا بين بطاقتي الهوية والورقة الموجودة بداخلها مع ملف يحمله أحد الضباط ثم توجهنا



نحو تواجد أبو أحمد وأمل وحياة حيث كانوا مقيدين الأيدي إلى الخلف وجالسين على الأرض وعيونهم معصوبة بقطعة قماش، طلب ضابط المخابرات من ضابط الجيش أن يقوموا بقك القيود من أيدي المعتقلين ويرفعوا العصابات عن العيون حتى يتسنى لهم معاينتهم بدقة.

اقترب ضابط المخابرات ويده بطاقات الهوية وصور وأوراق بيضاء وكأنها قوائم أسماء المطلوبين، معلومات وما شابه، أنت أبو أحمد سائق الباص، قالها ضابط المخابرات بطريقة تمثيلية استكبارية توحى بأنه يعرف كل شيء ولا تخفى عليه خافية - أستغفر الله العظيم -.

- نعم أنا أبو أحمد من عشرين سنة وأنا شغال على هذا الخط، يوم، يوم، أمر من هنا، الباص قد البلد، كل الناس يعرفون لمن هذا الباص ويعرفون من هو سائقه، مجبتش إشي جديد يا حضرة الضابط، قالها أبو أحمد بطريقة تهكمية ردًا على الضابط وطريقته بالحديث مع أبو أحمد.

نظر الضابط نظرة ظاهرها تهكم واستهزاء لأبو أحمد، ولكنها تخفي غليانًا وغضبًا داخل الضابط الذي حاول جاهدًا كتمها بضحكة صفراء، وصمت، أنت أمل صالح؟

- نعم أنا أمل صالح.

- شو أخبار القانون والمحاماة، نحن منذ الصباح بانتظارك، هذا هو القانون الذي تدرسونه في الجامعة! إرهاب، تخريب. ثم انحرف نحو حياة بنظرته، أنت حياة بشير؟ أنا بعرف عمك في السجن، أنا الذي اعتقلته من



بيته قبل سنتين، عشر دقائق كان معترفاً عندي، عمك هو الذي علمك التخريب والإرهاب، أنا سأبعثك عنده، ومثل ما حكمناه مؤبد وسيموت داخل السجن سيكون حكمك ومصيرك، وهذا مصير كل من يعادي دولة «إسرائيل».

- نحن طالبات في الجامعة، طالبات قانون فقط، ولسنا مخربات ولا إرهابيات كما تعتقد أنت وجنودك الواقفون على الحواجز مثل قطاع الطرق، أنتم الإرهابيون والمخربون، ترهبون الناس العزل من أي سلاح، وتخربون حياتهم.

- أمل، بعرف أنك طالبة قانون، وطويلة لسان، ولسانك هذا لن ينفعك؛ لأنك لن تحتاجي له بعد المؤبد، صدقيني لن تحتاجي له، وأنتم المحامون بس شاطرين بالحكي وطول اللسان، طالبة جامعة ومخربة كمان، كل جامعة النجاح مخربة، أصلاً غير الإرهاب ما بتدرسوا فيها، السجن سيعلمك ما هو مصير كل من يحاول المس بأمن دولة «إسرائيل».

غادر ضابطا المخابرات المكان وأبقيا أبو أحمد وأمل وحياتهما في مكانهم تحت حراسة الجنود وغابا لمدة ساعة.

- من هؤلاء عمي أبو أحمد؟؟

- هؤلاء ضباط مخابرات، تخافوش عمي أنا معكم ومش راح أترككم لهم هالكلاب، وإن شاء الله كلها ساعة زمان يعطونا الهويات ويتكونا نعود لبيوتنا.



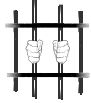
إن شاء الله، الله يسمع منك عمي أبو أحمد، بس المكتوب يقرأ من عنوانه، ما بعتمد كل هالاستنفار والجيش الي حولنا سيتهي بإطلاق سراحنا.

ساعة من الزمن كأنها ألف عام تحت أشعة الشمس الحارقة مرت على أبو أحمد وأمل وحياة محتجزين على حاجز بيت إيبا وقد تعطل العقل من التفكير من كثرة الاحتمالات والمراهنة تارة على أخفها سوءاً، وتارة بالاستسلام للخيار الأسوأ.

قذف ضابط الجيش بطاقة الهوية باتجاه أبو أحمد، يلا، خود الباص وروح عالييت، ونادى باللغة العبرية على مجندات حتى يقمن بتعصيب عيون الفتاتين وتقييد أيديهما بالقيود البلاستيكية.

- يا خواجا، يا خواجا، صاح أبو أحمد، أنا ما بتحرك من هون إلا والبنات معي، هؤلاء طالبات الجامعة، من سنتين وأنا بجيهن وأنا بروهن من الجامعة، ما عملوا شي غلط، ليش بدك تعتقلهن؟ مش عيب عليك ضابط بالرتب العالية والدوالي والنياشين تعتقل نسوان، «أنا مش رح اتزح من هنا، مش هأسمح لأي جندي أو مجندة يمسوا شعرة منهن، هؤلاء ركابي ومسافرين على باصي وأنا مسؤول عنهن».

- أبو أحمد، صاح ضابط الجيش، أنت مجنون، ماذا تعمل؟ ماذا تفعل؟ تريد أن تموت؟ تريد أن أعتقلك؟ هؤلاء لسن طالبات جامعة، هؤلاء مخربات، أنت بترفض أوامر جيش الدفاع «الإسرائيلي» وتعرقل على قوات الأمن يلا خود الهوية، وعلى باصك يلا بلا مشاكل؟



- عمي أبو أحمد، الله يخليك لأهلك مش ناقصك، خذ الهوية وتوكل على الله، قدر ربنا واقع لا محال، في ناس بالباص، حرام علينا نبقى صالبيهم معنا، ما لهم ذنب معنا، رجاء عمي أبو أحمد، نحن بحكم المعتقلات.

- مش مشكلة الناس اللي في الباص قاعدين ومرتاحين، أنا لن أتخلي عنكم، سأظل أحاول عسى الله يفرجها، المهم أنتن تبقين صابرات وقويات هنا، في التحقيق، في السجن، في أي مكان.

- كتسين لن أترشح من هنا، قلت لك يا كتسين الزفت تريد قتلي اقتلني، تريد أن تطلق علي رصاص أطلق، أنا لست أحسن من كل الذين أطلقت عليهم النار ظلمًا وتعديًا، أنا لن أتحرك من هنا، لن أمشي إلا والبنات معي، بلط البحر واللي بيطلع بيدك اعمله وقذف بطاقة الهوية برجله تجاه الضابط الذي لم يصدق ما يجري أمامه من موقف رجولي لإنسان أعزل في مواجهة جيش مدجج بالسلاح، فالاحتلال يريد أن ينزع الأنفة والعنفوان من نفوس أبناء الشعب الفلسطيني ويجوله لقطع من النعاج لا تجيد إلا الهرب أمام الذئاب والنجاة بسلامة فروة الرأس، ويخرب بيت البقية.

استنفر الجنود واستشاط الضابط الصهيوني غضبًا من حمية وشجاعة أبو أحمد، وموقفه الشجاع وفي استبساله بالدفاع عن الطالبتين أمل وحياة اللتين يعتبرهما مثل بناته، صوب الجنود بنادقهم نحو أبو أحمد والطالبتين وعلاصر اخهم باللغة العبرية، وازداد الموقف حرجًا وتعقيدًا، ولكن ما عسى أن يفعل رجل في سن الخمسين من عمره أمام عشرات الجنود المدججين



بالسلاح فقد غدا كالطريدة الحاضرة وسط الوحوش الضاربة الجائعة.

غافلت مجموعة من الجنود الصهانية أبو أحمد وسحبوه أرضاً بعيداً عن البنات وقد أوسعوه ضرباً بالأيدي وركلاً بالأرجل دون أدنى حرج أو مشاعر إنسانية لعزلته عن أي سلاح، ودون أدنى درجة احترام لسنّه أو لشيب رأسه، فسحبوه على الأرض حتى درجات الباص.

- أبو أحمد يلا من هون مش فاضينك وحياة أمي بعثقلك مثلهن، صرخ به ضابط صهيوني بعجرفة واستكبار.

الخدمة في الجيش الصهيوني إلزامية وإجبارية لكل المستوطنين الصهانية ذكوراً وإناثاً، والمرأة في الجيش الصهيوني تخدم كما يخدم الرجل في أغلب القطاعات، ومن القطاعات المهمة التي تخدم فيها المجندات بكثرة الحواجز العسكرية، فلا يوجد حاجز عسكري صهيوني في الضفة الغربية إلا ويوجد به مجندات صهيونيات وهن لا ينقصن عن الجنود الذكور حقاً وكرامية للمواطنين الفلسطينيين وفي نفس المستوى من السادية.

اقتادت المجندات الصهيونيات الأسيرتين أمل صالح وحياة بشير بعد أن وضعن القيود في معاصم الريحانتين، وعصّبن العيون بقطعة القماش البيضاء المخططة عمودياً بألوان بنية إلى سيارة جيش عسكرية مصفحة، لتبدأ رحلة الاعتقال والأسر للطالبتين الجامعتين المفعمتين بالحوية والنشاط، ولتعرفا حقيقة القانون الذي يسير عليه الاحتلال عن قرب بعد أن درستاه نظرياً على مقاعد الدراسة في الجامعة.





الساعة الخامسة مساءً وليس بالعادة أن تتأخر أمل و حياة لهذا الوقت بالجامعة، بدأ القلق يسود العائلتين اللتين تبادلتا الاتصالات بعد فشل الاتصالات على الهواتف الخاصة لأمل و حياة حيث قام الشاب خالد بأخذ الهاتفين، هاتف حياة من على أرضية الباص، و هاتف أمل الذي كان بحوزة الحاجة الطاعنة بالسن و قام بإطفائها و اخفائها في مكان في الباص حتى لا ترجع قوات الاحتلال للبحث عنها.

بعد أن الملم أبو أحمد جراحاته و أيقن بأم عينه أن موج البحر بات أعلى من قدرته و قوته؛ سلم الأمر لله و صعد إلى باصه و هو يتمم بكلمات لا يفهمها سواه، و بانتظار السماح له بالسير من قبل الجنود المتواجدين على الحاجز، تمسمر خلف مقود باصه و الغضب يغلي في أحشائه و يكاد الشر يتطاير من عينه، و لم يجب على أي سؤال من أسئلة الركاب، و أخيراً و بعد أن ابتلعت سيارة الجيش الأسيرتين أمل و حياة، و انتهت حالة الاستنفار و نجاح عملية القرصنة باختطاف الأسيرتين، عادت الحياة لطبيعتها على حاجز بيت إيبا العسكري في كلا الاتجاهين بعد توقف استمر لأكثر من ساعتين.

سمح لأبو أحمد بالسفر على متن باصه، تجاوز الباص مثلث عرابة باتجاه مدينة جنين، و لم تعد مصادفة أي حاجز عسكري طيار قائمة، يعني أن هذه المسافة حتى مدينة جنين آمنة من وجود أي قوة صهيونية، تناول خالد الهاتفين من مخبئهما، و أمام الجميع و على مسمع الجميع، سجل رقم هاتف أهل أمل و رقم أهل حياة، و من هاتفه الخاص أجرى اتصالاً.

- ألو، السلام عليكم.

- و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته، مين بحكي؟! -



- هذا بيت أهل حياة؟

- نعم، مين حضرتك؟ ليش بتسأل عنها؟ أنت من وين بتعرفها؟

- عمي الحج اطمئن حياة بخير، هذا الهاتف أنا لقيته بالشارع وما فتحته عرفت أنه لامرأة أخذت الرقم الأول وأطفأت الجهاز، ولحسن حظي أنه رقم أهل صاحبة الهاتف، أعطيني عمي عنوانك أنا جاي أعطيك الهاتف.

نصف ساعة كان خالد في بيت الحاج أبو سائد والد الأسيرة حياة وأخبرهم بالقصة كاملة، صعقت العائلة بخبر الاعتقال وانقلبت أحوالها، وكساها الحزن والأسى، وراح خالد يشد من معنوياتهم، ويصبرهم، ويتحدث عن تجربة أخته التي اعتقلت في سجون الاحتلال لمدة ثلاث سنوات، ولكن بحثاً عن كل كلمات أمام صدمة الخبر على عائلة أبو سائد التي لم تتوقع في أي لحظة أن يتم اعتقال ابنتها، ومع ذلك استمر بالحديث للعائلة مستذكراً نفس الظروف التي مرت بها العائلة عند اعتقال شقيقته قبل خمس سنوات.

- أنت شاب طيب، وابن أصل عمي خالد.

- تربية إيدك عمي أبو سائد، وإن شاء الله أيام بسيطة وتعود لكم حياة وتنقشع هالغمة، ونزورك في ظروف أفضل، وهذا الاحتلال ما يرحم ولا يفرق بين شاب وشابة ولا رجل وامرأة، الكل معرض لظلم الاحتلال، وشرف كبير لنا أن نكون مع شعبنا.

- والله صح كلامك موزون عمي خالد.





## 2

انطلقت قافلة الجييات العسكرية الصهيونية حاملة بغياهاها  
الأسيرتين الفلسطينيتين (أمل صالح وحياة بشير) من حاجز إيبا غرب  
نابلس حيث جرى اختطافهما أثناء رحلة العودة إلى البيت. انطلقت  
القافلة تجاه معسكر حواراة الواقع جنوب مدينة نابلس، وهذا المعسكر  
يضم قاعدة عسكرية برّية كبيرة تنطلق منها قوات الاحتلال للبطش  
بالسكان الفلسطينيين في ثاني أكبر مدينة فلسطينية في الضفة الغربية  
(مدينة نابلس وقراها المحيطة بها)، بالإضافة للقاعدة العسكرية يضم  
كذلك مركز مخابرات صغيرًا (مركز احتجاز وتوقيف يتسع لأكثر من  
خمسين أسيرًا فلسطينيًا).



في هذا المركز \_مركز توقيف حوارة\_ يتم احتجاز الأسرى الفلسطينيين الأقل خطورة حسب التصنيفات الصهيونية بعد اعتقالهم واختطافهم من بيوتهم أو من الحواجز العسكرية إلى حين ترحيلهم إما إلى مراكز التحقيق (بيتح تكفا، عسقلان، المسكوبية) أو إلى السجون والمعتقلات الصهيونية داخل فلسطين المحتلة مثل (مجدو، عوفر) الواقع على حدود فلسطين المحتلة 1967م.

كما يشرف معسكر حوارة على حاجز حوارة العسكري وهو حاجز مركزي كبير جداً في حجمه، وكبير جداً بسمعته السيئة على حياة المواطنين الفلسطينيين، كبير جداً في أذهان المواطنين الفلسطينيين لما يلاقونه من صنوف الإهانة والإذلال اليومي في رحلة العبور الإجبارية ذهاباً وإياباً من هذا الحاجز الملعون على لسان كل فلسطيني يمر من هذا المكان.

حاجز حوارة العسكري، وقد سُمي بهذا الاسم نسبة إلى قرية حوارة الواقعة على مقربة منه حيث يشوه هذا الحاجز جمال قرية حوارة الفاتنة الجمال كما تشوه البثور وجه الإنسان وينغص عيش أهلها البسطاء، بل ينغص عيش أهل الضفة الغربية كلهم.

فهذا الحاجز يفصل شمال الضفة الغربية والذي يضم مدن نابلس، جنين، طولكرم عن وسط الضفة الغربية محولاً حياة أهل الضفة الغربية إلى جحيم من المعاناة والإذلال.

المواطن الفلسطيني له مكانة خاصة وعلامة مميزة مع الحواجز الصهيونية المنتشرة على طول وعرض الضفة الغربية، فالأماكن والجهات



تحدد بناءً على البعد والقرب والهم والتعب قبل الحاجز الملعون، الراحة المؤقتة والفرحة تكون بعد الخلاص منه والمرور عليه والانتهاء من طقوس التفتيش المهين وفصول الإذلال المبرمج الهادف لكسر أنف الإنسان الفلسطيني ليخضع ويركع ويرفع الراية البيضاء إيداناً باستسلامه للاحتلال.

الحاجز العسكري مصدر كل إزعاج وتنغيص لحياة المواطن الفلسطيني، فكل تفاصيل الحياة الفلسطينية تقاس وتفصل بناء على الحاجز الصهيوني (عبوره، الوقوف عليه، الحاجز مغلق، الحاجز مفتوح) إلى آخر الاحتمالات العشوائية التي من شأنها تعكير صفاء حياة المواطن الفلسطيني المعكر أصلاً والمشوه بسبب الاحتلال وإجراءاته المذلة للأرض والإنسان الفلسطيني.

الحواجز الصهيونية ثمرة مُرة المذاق، وسيئة الشكل والمنظر من ثمرات وإفرازات اتفاق أو سلو الأسود، يوم ذهب المفاوض الفلسطيني يلوح بيديه الفارغتين «ومش داري وين ربنا حاطه»، وهم الوحيد أن ينجز أي اتفاق ويعود من بيروت وتونس إلى غزة أو الضفة؛ لأن أيامه هناك قد شارفت على الانتهاء ولا بد من البحث عن البديل، والبديل اتفاق هزيل مع الاحتلال يسمح لهم بالعودة وبناء سلطة شكلية لا تمتلك من السلطة إلا الاسم والشكل، عادوا لنا بعد جولات من المفاوضات باتفاق يحيط قرانا ومدننا بالحواجز الصهيونية تحت عذر أقبح من ذنب، وهو الحماية الأمنية للكيان الصهيوني.



مدينة نابلس شأنها شأن كل المدن الفلسطينية في الضفة الغربية الراححة تحت وطأة حصار الحواجز الصهيونية ببركات اتفاق أوسلو المظفرة، فكل مدينة من مدن الضفة الغربية محاطة من كل مداخلها ومخارجها بالحواجز الصهيونية الثابتة على شوارعها الرئيسية أمام الطرق الفرعية، فالدوريات والحواجز الطيارة التي تنصب بشكل فجائي لا تكاد تفارقها للانقضاض على المواطن الفلسطيني، توقيفًا، تفتيشًا، صلبًا، اعتقاليًا، اغتيايًا، تنغيصًا للحياة المنغصة أصلًا بوجود الاحتلال، وازداد نكدًا بإملاءات وفروض فرضها الاحتلال على الطرف المفاوض الضعيف سميت زورًا وهتائنًا باتفاقيات.

المواطن الفلسطيني حيًا أم ميتًا مجبر على المرور على هذه الحواجز الصهيونية المتركة على الشوارع الرئيسية والمفرقات الحيوية، والمنتشرة كالسرطان الفاعل في جسد الضفة الغربية، فكل حاجز صهيوني هو بمثابة ثكنة عسكرية ومركز مخابرات يتحكم بأنفاس المواطنين الفلسطينيين، فالحاجز المفتوح يعني الاستمرار بالرحلة بموعدها المحدد ولمقصدها المحدد مسبقًا، أما الحاجز المغلق - وما أكثر إغلاق الحواجز - فيعني تعطل الرحلة، وقد يؤدي إلى إلغائها وتأجيلها إلى أن يفتح الحاجز وتستمر الحركة.

الحاجز المغلق يعني عودة عقارب الزمن إلى الوراء وضياع الأرزاق والمصالح، مما يدفع المواطن الفلسطيني للالتفاف والدوران حول رأس الرجاء الصالح، والبحث عن درب التبانة على سطح الكرة الأرضية للوصول للجهة المنشودة من السفر لاستمرار المرور، الحاجز المغلق



أضعاف مع مضاعفة الوقت الضائع هدرًا إلى أضعاف مضاعفة، وتراكم الخسائر المادية، فكل حاجز صهيوني يفاقم المعاناة أشد من الحاجز الذي سبقه، وكلما دخلت الحاجز الأول لقيت الحاجز الذي يليه والذي سيأتي بعده.

بعد مسيرة لمدة نصف ساعة عبر شبكة الطرق الالتفافية العنكبوتية الملتفة حول مدينة نابلس وصلت قافلة الجييات العسكرية الصهيونية إلى معسكر حوارة جنوب المدينة، وهو معسكر قديم بناه الجيش العربي الأردني في أوائل الخمسينات أثناء فترة خضوع الضفة الغربية للحكم الملكي الأردني، وقد فرّ الجيش الأردني منه مع الساعات الأولى لحرب الأيام الستة تاركًا الدار بتارنجها لملاكها الجدد دون أدنى مقاومة، ولم يهدم حجرًا واحدًا من المعسكر؛ لأن أبوابه كانت مشرعة بدون الإعداد، وأبراجه وخنادقه مخلاة ممن يدافع عنه، فسقط المعسكر بلا طلقة واحدة كما سقط الأقصى قبله بساعات دون أدنى مقاومة.

حطت قافلة الجييات العسكرية بطريقة استعراضية أمام المبنى الأردني العسكري القديم القائم وسط المعسكر والمكون من ثلاثة طوابق بجدرانها السمكية التي جبلت بعرق ودماء الجنود الأردنيين ليكون هذا المعسكر قلعة حصينة للدفاع عن مدينة نابلس، ولكن إعدام الجنود في الخنادق لا يهم الملوك والأمراء في القصور والفنادق، فالجندي يدفع عمره وشبابه وحياته فداءً لأرضه وشعبه، وإبرارًا لقسم العسكرية المقدس، أما الملك فيقايض كل شيء حفاظًا على كرسيه وعرشه بحركة زهو واستكبار.





حطت الجيئات العسكرية أمام المبنى، الحركة تعكس الروح والتربية الاستكبارية التي يتمتع بها الجندي الصهيوني؛ وارثاً هذه الروح من أجداده وأسلافه، ومن جهة ثانية يعكس روح التقليد الأعمى وروح الفردية السادية، فكما الأفلام الأمريكية والحركات البهلوانية يحاول الجنود الصهاينة تقليد نجوم هوليوود.

- أمل، أمل، أنت هنا؟

- نعم، حياة أنا هنا.

- شِكِت، شِكِت «اسكتي، اسكتي» صاح الجندي الصهيوني على مصدر الصوت داخل الجيب المصفح، التزمت حياة الصمت بعد أن تأكدت أن أمل لا زالت برفتها داخل السيارة.

نزل الجنود الصهاينة من الجيئات المصفحة في ساحة المبنى الأردني القديم، وبدأوا بخلع السترات الواقية من الرصاص والتحلل من العتاد الغريب المحمول على الظهر وخلع الخوذ، واصطفوا خلف الجيئات المصفحة وظهورهم تجاه المبنى وأخذوا بتمشيط البنادق من الذخيرة وكأنهم عائدون من ساحة معركة حقيقية أمام جيوش توازيهم قوة وعتاداً، ولكن لا أحد يصدق أن كل هذا الاستنفار الشديد في صفوف الجيش الذي يدعي أنه لا يقهر، والمخابرات التي تروج لنفسها زيفاً وكذباً أنه لا يعيب عن عيونها ديبب النملة، لا أحد يصدق أن كل هذا الاستنفار هو فقط لاعتقال فتاتين فلسطينيتين جرى اختطافهما من باص الجامعة على حاجز عسكري، يستطيع الاحتلال عبر هذا الحاجز اعتقال مئات المواطنين الفلسطينيين



المسلمين بساعة واحدة فقط أو أقل؛ لأنهم مجبرون على المرور على هذه الحواجز الصهيونية المحيطة بالمدن الفلسطينية إحاطة السوار بالمعصم.

كجزء من العقاب وسياسة الانتقام والإذلال لحياة المواطن الفلسطيني بشكل عام والأسير الفلسطيني بشكل خاص رجلاً كان أو امرأة؛ فقد أبقى ضابط المخابرات الصهيونية الأسيرتين الفلسطينيتين أمل وحياة داخل سيارة الجيمس المصفحة، معصوبتي العينين ومقيدتي اليدين خلف الظهر ملقأتين أرضية السيارة، وقد أطفأوا محرك المصفحة وبالتالي وقف جهاز التبريد «المزكان» الذي يضخ الهواء على داخل المصفحة، وكل ذلك تحت أشعة الشمس الحارقة رغم أن الساعة قد اقتربت من الرابعة عصرًا، وبالعادة تميل درجات الحرارة للاعتدال والبرودة في مثل هذا الوقت من طقس فلسطين إلا أن المصفحة الصهيونية وبفعل إبقائها تحت أشعة الشمس الحارقة لأكثر من ثلاث ساعات وإطفاء جهاز التبريد تحولت إلى فرن ناري كفيل بصهر كل ما بداخله.

- حياة: أمل، أمل، أنت هنا؟

- أمل: نعم حياة أنا هنا، وين بدي أروح؟

- حياة: أنت مثلي يديك مقيدات وعيونك معصوبات؟

- أمل: لا أنالي امتيازات أخرى، على رأسي في ريشة، يدي غير مربوطة وعيوني عليها نظارات شمسية، طبعًا مثلك إحنا بالهوى سوا.

- حياة: على ما يبدو ما في حدا هنا؟



- أمل: الظاهر ما في حدا، تعالي ن فك العصبات عن عيوننا خرينا نشوف وين نحن الآن.

- أمل: وإذا جاء اليهود ورأوا العصبات نازلة عن عيوننا شو بدو يصير؟

- يصير اللي بدو يصير، أكثر من هالقرء ما مسخ الله.

وقفت أمل وبيدها المقيدة خلف ظهرها رفعت العصبية عن عيون حياة بعد معاناة تحديد وجود حياة وتحديد وجود رأسها، فالمصفحة مغلقة ومعتمة وحارة، كل ظروف الطقس السيء قد اجتمعت في هذه العلبة الحديدية، ومرات عديدة سقطت أمل على حياة وهي تحاول الوصول إليها وأخيراً نجحت مهمتها بعد أن كبدت حياة خسائر فادحة تارة بالسقوط عليها وتارة بالدعس على قدميها، فقد انجلت ظلمة من ظلمات بطن المصفحة، وأصبحت مهمة حياة رفع عصابة عيون أمل سهلة جداً.

- أمل: تتوقعي أين نحن الآن؟

- ليس مهمًا أين نحن الآن، المهم ماذا سيحصل مستقبلاً، اسمعي حياة، الجامعة وحياة الجامعة، وأهلك والعالم كله تنسيه من هذه اللحظة، نحن الآن أسيرات معتقلات، ومن المحتمل أن يتم نقلنا إلى مراكز التحقيق، أبوك اللي خلفك إذا لقيته بالتحقيق لا تأمنيله، واحفظي هذه القاعدة (الاعتراف خيانة ولو على نفسك)، لسنا أول نساء يتم اعتقالهن ولا آخر نساء سيتم اعتقالهن، ديرري بالك على حالك، ماشي!



- إن شاء الله ماشي، بس والله إني ميتة من الخوف.

- يا هبله أنا مثلك ميتة من الخوف ألف مرة، ولكن لا مجال أمامنا إلا التسلح بالصبر، والتظاهر بعدم الخوف، وتوكلي على الله.

- ربنا يكتب لنا الخير، حسبنا الله ونعم الوكيل.

- حبيبي أمل ذاكرة الظهر عندما قلت لك عندي شعور غريب.

- ذاكرة، الغريب أصبح رفيق لنا.

الفصل الأول من معاناة الأسر وما أكثر فصول المعاناة، بل أن الأسر كلة معاناة، الخطوة الأولى من محاولات الاحتلال الفاشلة، لكسر إرادة الأسير الفلسطيني عبر إرهابه وترويعه، فالاعتقال بهذه المظاهر العسكرية والاستنفار بعشرات الجنود وعشرات الآليات وما يصاحبها بتحليق لطائرات اسكاف أو مروحية، الهدف منه زرع الخوف في قلب الفلسطيني لصدمة وترويعه حتى تخور قواه الداخلية، ولكن الاحتلال الذي لا يزال يجهل أن معدن الذهب يزداد بريقاً وشفاءً وتلألؤاً كلما انشوى تحت لهيب النار، وكذلك هو الأسير الفلسطيني رجلاً كان أو امرأة، تصقله فصول الألم والمعاناة وتزيده فصول الاعتقال قوة وصلابة وإصراراً على التمسك بحقه ووطنه وتثبته على الاستعداد الدائم للتضحية بنفسه وماله.

مرّت ساعات على مكوث سيارة الجيب المصفحة تحت أشعة الشمس الحارقة في ساحة مركز حوارة الأمني، جاء أخيراً أحد الجنود الصهانية برفقة مجندين وفتح باب الجيب وتمتم بكلمات عبرية مكسرة على



عربي وكأنه يعبر عن غضبه وسخطه، نفث نفساً خبيثاً من سيجارته القذرة داخل المصفحة، ثم ألقى بقنينة ماء مثلج وأراد أن يغلق الباب، صرخت عليه أمل وهي تدرك أنها لن تفهم عليه ولن يفهم عليها، ولكنها المحاولة فالساكت يضيع حقه لمجرد سكوته.

- جندي، كيف سنشرب وأيدينا مقيدة؟

وقف الجندي مطولاً لا يفهم ما تقول الأسيرة أمل، ولا هي تفهم ما يقول، ثم أغلق باب المصفحة بعنف في خطوة استفزازية بيّنت مدى حقد الجندي الصهيوني تجاه المواطن الفلسطيني، وتعكس الروح العنصرية والعدوانية التي يتمتع بها الصهيوني عسكرياً أو مدنياً تجاه الآخر من بني البشر، فما رأيك عندما يتعلق الأمر بالمواطن الفلسطيني؟

- يلعن أبوك، على أبو اللي جابوك على هذه البلاد، كيف نشرب وأيدينا مربوطة، يارب الفرج من عندك، ما إلنا غيرك يارب.

- نشيد:

ماني نايم.. ماني نايم، بالخيمة وتحت المطر

وغطايا آه ياعالم، غيمة وأوراق الشجر

لو سمّوا الميّه، ما يخالف

لو هدّوا البيت، مش خايف

لو كسروا عظامي ماني زاحف



## رح ألم عظامي يا بلد وأصنع مقلاع وحجر

مش وقت هبلك حياة، لا الأغنية حافظة كلماتها مليح ولا الوقت  
وقت أغاني، يعمر بيت أبوك.

والله العظيم بغني من قهري، أيدينا خلف الظهر، والله أعلم كم  
الساعة وميتة من العطش، ومحدث سائل عنا، على ما يبدو إنهم نسيونا.

كيف لا تظفو العدوانية الصهيونية على السطح، على مسمع ومرأى  
العالم كله، وكل شيء بهذا المجتمع، هذه الدولة المسماة «إسرائيل» تفوح  
منه رائحة العدوانية الكراهية (توراتهم المزيفة وأسفارهم المحرفة)؟ كتبهم  
المقدسة تحث في كل تعليمة من تعاليمها على العنف والكراهية والعدوانية  
على كل ما هو غير يهودي، وقدر اليهودي على أنه مخلوق الله المختار،  
والشعب اليهودي، شعب الله المختار، وبقية الشعوب والأجناس إنما  
خلقوا عبيدًا وخدمًا لراحة ورفاهية العنصر اليهودي، فعلى هذه التربية  
العنصرية المستمدة من الدين المكتوب والتاريخ الموهوم كان من الطبيعي  
أن يتعرف هذا الجندي بهذه الطريقة الاستكبارية على من؟ على أسيرتين  
مكبلتي الأيدي والأرجل ومعصوبتي العيون، وهو نفسه الذي كان قبل  
ساعات يرتجف خوفًا ورعبًا ويده على الزناد في مواجهة سائق الباص أبو  
أحمد الأعزل من أي سلاح سوى سلاح القيم والإنسانية، أمّا الآن وفي  
عمق معسكر حوارة، وسط مئات الجنود وغابة السلاح وأمام سيدتين  
مقيدتي الأيدي والأرجل، معصوبتي العينين فإن هذا الأرنب يستأسد كما  
استأسد من قبله الحجاج على المرأة الخوارجية (غزالة) بعد هزيمته أمام



الخوارج في إحدى معاركه معهم، قالت له قولها المشهور: (أسدٌ علي وفي الحروب نعامة).

في اللحظات الأولى للأسر والاعتقال يتوقف الزمن وتتجمد عقارب الساعة عند نقطة الصفر، فلا يدري الأسير وهو يترنح بالقيود والأغلال، وعيونه مغلقة قسراً وقهراً، سواء أكان ملقى على جانب طريق أو مشبوحاً على جدار أو ملقى على أرضية عربة عسكرية بكرلات بساطير الجنود والدغدغة بأعقاب البنادق، لا تدري كم الساعة ولا تدري كم مرّة من الوقت وأنت مشبوح أو مصلوب أو ملقى في بطن الزنزانة، إن سألت أو تجرأت أن تسأل كم الساعة ستقوم عليك الساعة ويأتيك الردّ زخات من الشتائم والصراخ من الجنود المحيطين بك في أحسن الظروف، أما إن حالفك الحظ السيء فستحصل على وجبة دسمة من الركلات والرشقات بكل ما تيسر بأيدي الجنود من خوذ، أعقاب بنادق، مقدمات بساطير، وكل شيء يمكن حمله داخل المصفحة ويستطيع الجندي الضرب به.

ليس الضائع وحده معرفة كم الساعة، بل إن عدد الساعات التي أمضيتها في كل فصل من فصول الاعتقال الأولى هي أيضاً في أدراج الضياع، فلا تدري كم ساعة أمضيت داخل السيارة العسكرية، ولا كم ساعة قضيتها في مركز التوقيف، ولا كم ساعة قضيت في زنزانة التحقيق، ولا كم ساعة قضيت على كرسي الاستجواب، وتبقى معرفة الوقت والزمن اجتهاداً نسبة الخطأ فيه 100 %، وللمجتهد داخل الأسر ثلاثة أجور، أجر أسرته، أجر اجتهاده، وأجر خطئه المحتوم.



ليس عبثاً أن تعتمد المخابرات إلى تجريد الأسير والأسيرة من كل معرفة للوقت، الساعة يتم مصادرتها، الإجابة عن سؤال الوقت محرمة تحريماً مغلظاً، وذنوب يستحق الأسير عليه أشد العقاب، بل إن الأسير يتم عزله عن العالم كله حتى لا يتصل مع أحد، فقط الأسير في مواجهة السجنان، واللغة المشتركة ما بينهما هي لغة الرفض، الأسير يرفض الخضوع لإملاءات وأسئلة السجنان، والسجان يرفض أي طلب للأسير، إنها حرب الإيرادات وكسر المواقف.

اقتربت الساعة من السادسة مساءً وقد غشي النعاس -نعمة من الله- الأسيرتين، أمل وحياة، داخل سيارة الجيب المصفحة رغم الحرّ والعطش والأيدي المقيدة ولم تستيقظا إلا على أصوات مجنذات صهيونيات وقد فتحن أبواب المصفحة بأمر من ضابط عسكري كان برفقة ضباط مخابرات بلباسهم المدني، وقد وقفوا على بعد أمتار من السيارة المصفحة.

- هلو، هلو «مخبيلت» نادى إحدى المجنذات باللغة العربية على الأسيرتين أمل وحياة وقد غرقن بنومة عميقة تحت ضغط التعب الشديد، وكلمة «مخبيلت» تعني مخربة وهو الوصف الذي يصف به جيش الاحتلال وقادته المقاومين الفلسطينيين.

- يلا قومي، وقد فتحت إحدى المجنذات باب المصفحة الثقيل وبقيت ممسكة به، مجنذة أخرى قامت بفك قيود الأرجل وظلت واقفة بجانب سلم المصفحة وقد أمسكت أمل من كتفها وهي تنزل رويداً، وكذلك مع حياة.





على يمين المصفحة أشارت المجنّدة لأمل وحياة بالوقوف وقد أعادت القيود إلى الأرجل، والعصبات إلى العيون، وبعد عشر دقائق:

- يلا، بنوت، مقابلة، مخبرات، قالتها مجنّدة صهيونية بلغة عربية ثقيلة ومكسرة، ومع ثقلها وتكسرهما فهمت أمل وحياة أنه سيتم نقلهما للتحقيق.

- مش شايفين، حلّو العصبات، بدنا نشرب ماء، من أربع ساعات لم نشرب نقطة ماء، متنا من العطش، فكّوا القيود مش عارفين نتحرك، مش رح نمشي ولا نتحرك إلا بعد حل القيود.

أوعز ضابط المخبرات إلى إحدى المجنّدات بالاستجابة لبعض مطالب الأسيرتين بفك قيود اليدين، ورفع العصبات وإعطاء الأسيرتين الماء، لا إنسانية منه، ولا بدافع رحمة أو شفقة على وضعهن المزري داخل الفرن الناري منذ ما يزيد عن أربع ساعات، ولكن ليتمكن من التحرك والسير إلى مكتبه ليباشر عمله في تعبئة أوراق كانت بحوزته.

أقربت إحدى المجنّدات من الأسيرتين ويدها قطاعة أسلاك ألمانية الصنع وقامت بقطع الكلبشات (المرباط) من حول أيدي الأسيرتين، ونزعت العصبات من حول العيون ثم تراجعت إلى الخلف وتناولت عبوتي ماء مثلج وأعطتهما للأسيرتين.

- تناولت أمل عبوة الماء من المجنّدة الصهيونية، شكرًا، قالتها أمل باللغة الانجليزية، تفاجأت المجنّدة من ردة فعل أمل، فالتعبئة العنصرية



التي يتلقاها المجند الصهيوني منذ اللحظات الأولى للالتحاق بالجيش، تقوم على خرافات وأساطير أقلها أن الفلسطيني كائن بشري دموي عنيف، متعطش لسفك الدماء، غليظ، لا يتحلى بأي صفات إنسانية، لذلك على المجند الصهيوني أن يعامله بالمثل فالسن بالسن، والعين بالعين، هكذا قال الأجداد منذ أن تاهوا في صحراء سيناء، وهكذا يجب أن يكون الأحفاد بعد أن عادوا إلى الأرض (أرض الميعاد)، وبنوا البيت اليهودي من جديد.

صعقت المجندة الصهيونية من فعل الأسيرة أمل، ولم تجد بديلاً عن السكوت إلا التصرف مع الأسيرتين بالعدوانية المطلقة، اقتادت المجندة الصهيونية بأمر من ضابط المخابرات الأسيرتين بعد إعادة التقييد من أيديهن إلى الأمام وليس خلف الظهر وعصب العيون؛ إلى غرفة صغيرة في الطابق الأول في بناء جديد ملصق بالأردني القديم، غرفة صغيرة لا يوجد فيها سوى مقعد أرضي من الباطون المسلح ممتد على طول جدران الغرفة من الداخل، مرتفع عن الأرض قرابة 40 سم مع شباك في أعلى الحائط مغطى بعدة طبقات من الشبك الحديدي الغليظ بالكاد تتسلل أشعة الشمس من خلاله مع القليل من الأوكسجين، أما باب الغرفة فسميك مصفح أشبه ما يكون بأبواب السيارات العسكرية المخصصة لاجتياح المدن والبلدات الفلسطينية.

تم إدخال أمل إلى هذه الغرفة الصغيرة وهي أشبه ما تكون نظارة<sup>(1)</sup> توقيف وليست زنازنة بالمعنى الحقيقي، فيما اقتيدت حياة إلى مكتب المخابرات في الطابق الثاني من المبنى الأردني العسكري القديم في معسكر

(1) النظارة: مكان احتجاز الموقوفين.



حوارة، غرفة مساحتها (4×4) مبلطة بالبلاط البلدي ودهان أبيض دون أي ديكورات أو صور سوى علم دولة الكيان الصهيوني، وطاولة مكتب عليها جهاز كمبيوتر وجهاز هاتف أرضي وكروسي خلف الطاولة أسود اللون، وإلى يسار الطاولة كروسي حديدي مثبت بالأرض، ولهذا الكروسي مسند ظهر ومقعد من الخشب مخصص لجلوس الأسير أو الأسيرة عليه.

قبل الدخول إلى الدرج الذي يؤدي إلى مكتب المخابرات في الطابق الثاني قامت إحدى المجندات بفك القيود البلاستيكية واستبدالها بالقيود الحديدية (الكلبشات)، ونزعت العصبة القماشية عن العيون واستبدلتها بنظارات التزلج على الجليد، وتقوم المخابرات عادة بتغطية هذه النظارات بالبلاستيك الأسود حتى لا يرى الأسير أمامه شيئاً، هذا الإجراء إجراء روتيني متبع في مراكز التحقيق الصهيوني ومكان المخابرات حيث يتم إلباس الأسير أو الأسيرة الفلسطيني نظارة التزلج على الجليد من باب الزنانة حتى مكتب ضابط المخابرات حتى لا يرى شيئاً في ذهابه وإيابه من وإلى مكتب التحقيق.

مجندة صهيونية قامت باقتياد حياة من يديها المقيدتين بقيود الحديد من الباب الأول بالطابق الأول حتى أجلستها على الكروسي المثبت من إحدى أرجله بالأرض في مكتب المخابرات في الطابق الثاني، ثم قامت بتقييد يديها خلف ظهرها بقيود حديدية مختلفة عن القيود القديمة، يوجد سلسلة حديدية طويلة ما بين حلقتي القيد حول اليدين وهذه القيود مخصصة لتقييد الأسير أو الأسيرة على كروسي التحقيق، وأحياناً يتم تقييد الرجلين بأرجل الكروسي إلى الخلف في سياسة متبعة وخطة عملية جاءت



كأسلوب من أساليب المخابرات لنزع الاعترافات من الأسير الفلسطيني. هناك هدف آخر لتقييد الأسير بيديه ورجليه بالإضافة لإرهاقه وإجباره على الإدلاء بالاعترافات، يأتي هذا الأسلوب لشل حركة الأسير في أسره على استفزازات التحقيق التي تأبى النفس الفلسطينية القبول بها، ولا يكفي الرد بالكلام على تفاهات ذاك المحقق الذي يتعمد إهانة الأسير والمس بمشاعره لجعله يثور ويغضب، وحتى يضمن المحقق السلامة لوجهه كي لا تتغير معاملة ولا تتخربط خارطة وجهه بالكذب، يتم تكبيل الأسير والأسيرة بهذه الطريقة.

برهة من الزمن لا تتعدى دقائق بعد تكبيل حياة على كرسي التحقيق، دخل ضابط المخابرات بلباسه المدني ولا يحمل أي نوع سلاح ويحمل بكلتا يديه ملفًا كبيرًا يصلح أن يكون ملف تحقيق لأحد قادة مجرمي الحروب، وليس ملف تحقيق لطالبة جامعية قمت ما ستقوم به من أعمال ضد الاحتلال نشاط طلابي سياسي على أبعد حد، ولكنه أحد أساليب المخابرات لزرع الخوف في قلب الأسير والأسيرة بملفات القضية المعتقل على ذمتها والتي سيجري التحقيق بها، عرّف الضابط على نفسه باسم أبو سالم وأنه مسئول ملف جامعة النجاح في المخابرات الصهيونية، وبدأ باستعراض قواه وعضلاته على مسمع ومرأى حياة بعد أن طلب من المجندة أن تقوم بنزع نظارة التزلج على الجليد.

- أنا بعرف كل شي عن جامعة النجاح، كل غرفة، كل بناية، كل أستاذ، كل طالب، كل طالبة، أنا بعرفهم، كل ما يجري في الجامعة أنا بعرفه،



جماعتي في الجامعة ما بينعدوا ولا يمكن إحصاؤهم، كل ثلاثة طلاب اثنين منهم يشتغلوا مع المخابرات «الإسرائيلية»، كل صغيرة، كل كبيرة، أول بأول بتصلني وأنا على مكثبي، أنا اسمي الكابتن أبو سالم، زلمي في نابلس أكثر من زلم رئيس البلدية، على كل حال نحن هنا لسنا في تحقيق، التحقيق معك سيكون في مركز بيتح تكفا، أنا ليس لي مسؤولية ولا علاقة بالتحقيق، أنا فقط مطلوب مني معلومات عامة، شايقة هذا الملف، وأشار بيده إلى الملف الموضوع أمامه على الطاولة، هذا ملفك الأول انظري إليه جيداً أنا أتوقع خمسة وعشرين أو ثلاثين سنة لا تكفي حكم لما هو موجود في هذا الملف، ومثل ما قلت لك أنا لا علاقة لي بالتحقيق وكم ان لا علاقة لي بالحكم والمحاكم ولكن أتوقع لك من 25 - 30 سنة حكم، ولكن إذا ما أردت مني أن أساعدك أنا جاهز للمساعدة، ساعديني، بساعدك.

- كيف أساعدك حج أبو سالم؟

- غضب الضابط، وصرخ بأعلى صوته، اخرسني أنا مش حج أنا اسمي الكابتن أبو سالم.

- الكابتن أبو زفت يلعن أبوك، قالتها بصوت منخفض.

- شو بتقولي؟

- لم أقل شيئاً، فقط ذكرت ربي.

- لكن أنا سمعتك وكأنك شتمتيني.



- لا ليس صحيحًا، أنا لم أشتمك.

- ما علينا ست حياة (وقد تظاهر بالهدوء) تتبعت في كل شيء عندنا هنا، وأنا أتحدث مع القيادة في المخابرات كي لا ينقلوك إلى مركز بيتح تكفا، هناك شبخ، صلب، ضرب، زنازين، حتى لو اعترفت هناك لن يرحموك في مركز بيتح تكفا لا يكتفون بالاعتراف، ناس ما يخافوا الله، عنيفين جدًا، وأنت امرأة شابة، وهم هناك لا يعرفون كيف يتعاملون مع المرأة العربية، إذا تريدي أنا أساعدك ليس عندي مشكلة، هذه أوراق وهذا قلم، بدك تكتبي اعترافاتك عندي على هذه الطاولة ليس عندي مانع، بدك تكتبي الاعترافات في الزنانة تحت بصير، وين بدك تكتبي اعترافك ليس عندي مانع.

- بصير أكتب اعترافي في دار أبوي حج أبو سالم؟

- يلعن أبوك، دار أبوك بدي أهدمها، أنت تستهزي بي وتتمسخي علي؟ سأرسلك إلى بيتح تكفا، وتتمني لو أنك اعترفتني عندي.

- ليش عصبت، مش أنت قلت لي اكتب اعترافي في أي مكان أنا أختاره؟ وأنا اخترت دار أبوي، روّحنا أنا وأمل إلى منازلنا وهناك نكتب لك اعترافاتنا، هذا الكلام ما في شيء بزعل.

- ما في فائدة معك، المعروف معك حرام، ومش عارفة وين مصلحتك، أنا بدي أساعدك وأنت تحكي كلام فارغ، في حد بيكتب اعترافه بدار أبوه مجنونة أنت.

- أبو سالم بدي أريحك ما في عندي شيء حتى أعترف به، أنا مش



عاملة شيء حتى أعترف به، هل اعتقلتنني من ساحة معركة، أنا طالبة جامعة، طالبة جامعية فقط من جامعتي لدارنا، ومن دارنا لجامعتي.

- كذابة، حياة أنت وحدة كذابة، أنا الكابتن أبو سالم اكذبي مثل ما بدك، حظك الحلو إني مش محقق، مع ذلك سأرسلك لمن يعصروك مثل حبة الليمون، يا مجنونة أنت تتحدي مخبرات دولة «إسرائيل»، جيوش دول تحدث «إسرائيل» مسحناها عن الأرض، مين أنت حتى تتحدي دولة «إسرائيل»، وقد بدأت نبرة صوته تعلو تدريجياً، مش صحيح (وضرب ضابط المخبرات أبو سالم بيده على الطاولة)، حياة مش صحيح أنك طالبة جامعية وبس، أنت مخربة، أنت نشيطة بالحركة الطلابية، كل مسيرة، كل مظاهرة، كل حالة شغب لك يد فيها.

46

قاطعته ثانية: أنا طالبة جامعية وبس وغير هالكلام ما في عندي.

- طيب، طيب، قالها بنبرة هادئة مصطنعة، وهو يلوح بمجموعة أوراق تناولها من الملف، رح نشوف يا ست حياة، مركز بيتح تكفا ماذا سيقول؟ أحسن لك خليني أساعدك هنا، ونخلص هالقضية، صدقيني، أنا بدني مصلحتك.

- أه، ابن عمي أنت، أم خالي، بدك مصلحتي.

- بيتح تكفا، رح يكشف المستور، يلاً أعطيني اسمك الرباعي، تاريخ الميلاد، اسم أبوك، أمك، أسماء خواتك بالترتيب، أسماء خواتك بالترتيب من الكبير حتى الصغير.



- هذه المعلومات عندك كابتن أبو سالم، لماذا تسألني؟

- نحن المخابرات «الإسرائيلية» بنعرف كل شيء، كل شيء عندي صحيح، كل نفس، كل حركة، كل صغيرة، كل كبيرة عندنا هنا، وأشار بإصبعه إلى الملف وهو ينقره نقرًا، ويده الثانية على خده، ولكن أحب أن أتأكد من صحة كل معلومة، ودقتها من صاحبها، نحن المخابرات «الإسرائيلية» نحب أن نتأكد من المعلومة من أفواه أصحابها، وهذا سر نجاحنا، نحن مش مثل العرب.

تظاهر الكابتن أبو سالم ضابط المخابرات برباطة الجأش وقوة تحكمه بأعصابه في مواجهة المرأة الفلسطينية الشابة وهو لا يعرف أن علامات التوتر والاضطراب بادية على وجهه القبيح وقد احمرت عيناه من الغضب؛ لأنه كان يتوقع أن يجد أمامه امرأة خائفة، مضطربة، شاكية، باكية، فصدم وفوجئ، صعق من جرأة الشابة الفلسطينية حياة، وأدرك أنه أمام فلسطينية عنيدة تقف بوجهه نداءً لند، كوقوف الصخر بوجه أمواج البحر العاتية تنكسر الأمواج ويبقى الصخر حجرًا، توقع ضابط المخابرات أن تستمر مسرحية الاعتقال على حاجز بيت إيبا وما رافق هذه العملية من مظاهر عسكرية، ومخابراتية استعراضية ومن ثم السفر عبر الشبكة العنكبوتية للطرق الالتفافية حول مدينة نابلس وإبقاء الأسيرتين داخل الفرن الناري لأكثر من أربع ساعات، توقع أن يجد أمامه امرأة منهكة جسديًا فارغة المعنويات، يملي عليها ما يريد، فتلوذ بدموعها رجاءً أن يرحمها، ويتقبل اعترافها، ولو على شيء لم تفعله لكن فوجئ بعنقاء فلسطينية أفقدته صوابه وأفسدت عليه خططه وزعزعت أفكاره، صرخ الكابتن أبو سالم بأعلى





صوته على المجندات الواقفات خلف الباب خارج المكتب طالبًا بعصية إرجاع حياة إلى غرفة الانتظار وإحضار الأسيرة الثانية أمل ليستكمل دوره في مسرحية الاعتقال والاستجواب، ولملم أوراقه وحمل الملف وخرج مسرعًا بعد أن تحدث للمجندات الصهيونيات باللغة العبرية وكأنه يبدي لهن اعتذاره عن الصوت المرتفع وهو ينادي عليهن على عجل، لبّت مجنتان صهيونيتان نداء الضابط الغاضب الكابتن أبو سالم، قامت إحدهن بوضع نظارة التزلج على الجليد على عيني الأسيرة حياة، في حين قامت المجندة الثانية بفك القيود الحديدية بيد مرتعشة من يدي حياة واستبدال قيود التحقيق ذات السلسلة الحديدية الطويلة بقيود أخرى تخلو من السلسلة الحديدية، واقتادتهما إلى غرفة الانتظار وأحضرتا الأسيرة أمل بنفس الطريقة.

- أهلاً وسهلاً ست أمل.

- أهلاً فيك.

- أنا الكابتن أبو سالم مسئول ملف جامعة النجاح في الشباك، أتمنى أن تكوني عقلانية ولطيفة معي وتسمعي الكلام مثل حياة وتعرفي وين مصلحتك، وأن تعترفي بكل شيء، حياة سمعت الكلام وريحت نفسها وخلصت ما عليها، واعترفت بكل شيء، وكتبت بخط يدها، بدون أي غلبة، وبدون أي ضغط مني؛ لأنها طالبة جامعية ذكية، وتعرف القانون جيداً، وكما تعرفين أنت القانون جيداً، فإخفاء المعلومات عن جهاز الأمن عرقلة للعدالة وجريمة يعاقب عليها القانون، فأتمنى أن تكوني مثلها ذكية،



وتعزفي مصلحتك ولا تعرضي نفسك لعقوبة مضاعفة؛ لأننا نعرف كل شيء وكل شيء واضح أمامنا ولا داعي للإنكار، يلا صيري شاطرة مثلها، وخلينا نخلص هالقضية، نحن بالمخابرات «الإسرائيلية» نعرف كل شيء، كل شيء، داخل أسوار الجامعة، وخارج أسوارها كله عندي هنا في هذا الملف، وأشار بيده إلى ملف أصفر اللون في هذا الملف فأحسن لك حظي كل شيء عندك وحدثيني بالقصة كاملة، أنا بدي مصلحتك، وأنا بعمل هنا أكثر من عشرين سنة، بعرف العادات والتقاليد ومثل ما أنت شايقة، أنا ضربتك؟ أنا صرخت عليك؟ أنا لا سمح الله سببت أو شتمت؟ أنا هكذا أتعامل بكل احترام مع كل أسير سواء كان رجلاً أو امرأة، أما بمركز بيتح تكفا الوضع مختلف هناك ناس مش ناس، حيوانات، وحوش، ما بخافوا الله، ولا بعرفوا العادات والتقاليد، ولا بحترموا المرأة العربية مثل احترامي لها، لذلك خليني أساعدك وأنت ساعدي نفسك، حياة فهمت المعادلة واختارت الطريق الأسلم والأقصر، بتمنى تكوني زيها.

صممت أمل برهة من الزمن، ليس اقتناعاً بأكاذيب الكابتن أبو سالم، ولا محاولة مناقشة تزييناته بالاعتراف، فالمحتل واحد سواء كان جندياً على حاجز عسكري أم محققاً في حوارة أو محققاً في بيتح تكفا، أو عضواً في الكنيسة، فكلهم صهاينة وكلهم محتلون يعيشون ويتحركون بنفس العقلية الصهيونية الاستعمارية ولكن هذا الصمت ما هو إلا عملية اختيار الرد المناسب على أكاذيب أبو سالم.

- مش عيب عليك أبو سالم زلّة كبير وشايب وعمرك فوق الستين

وبتكذب؟



جن جنون ضابط الاحتلال وطار عقله وفقد صوابه وهو يتلقى رد  
أمل بعد أن ظن أن بداية اقتناعها بما تكلم لها من ترهات وسفاسف وأنها  
في بداية طريق الانهيار والاعتراف.

- أنا، أنا شايب، أنا عمري فوق الستين، وكمان كذاب، وهو يدق  
بيده بعنف على صدره، وردد العبارة أكثر من مرة، أنا الكابتن أبو سالم،  
وقد ارتفع صوته، أنا عمري أربعين سنة وتقولين عمري سبعين سنة،  
أنا كذاب؟ أنا ما بكذب أنت هنا في التحقيق والتحقيق يعني الوصول  
للحقيقة، للصدق، وليس للكذب، أنا ما بكذب، أنت اللي بتكذبي.

- أنا ما بكذب، روح وشوف حالك بالمرأة، من عمر جدي بتقولي  
حياة اعترفت؟ أنا ما بخصني بحياة اعترفت أم لم تعترف، هي زميلتي  
بالجامعة وهذه علاقتي بها، على إيش اعترفت؟ على أنها طالبة جامعية؟  
كل الدنيا تعرف أننا طالبات جامعيات، ولا بنظرك ونظر مخابراتك  
أصبحت الجامعة والدراسة بالجامعة محظورة وتهمه يعاقب عليها قانونكم  
الصهيوني الظالم؟

- نحن لسنا احتلالاً، هذه أرضنا، ونحن عدنا إليها، أنتم  
المحتلون، قبلكم بما يزيد عن ألفي عام كنا هنا، وكان لنا دولة، هذه  
أرض «إسرائيل» غبنا عنها وعدنا اليوم، أنتم من أجبرتمونا أن نتصرف  
كاحتلال، هذه أرضنا، أخرجوا منها، عندكم أكثر من عشرين دولة  
عربية، اتركوا لنا هذه الأرض وهاجروا إلى مصر، الأردن، سوريا، وتنتهي  
القضية بيننا وبينكم ولحظتها لا سجون ولا تحقيق.



- كابتن أبو سالم خلال غيابكم لأكثر من ألفي سنة فلسطين لم تبق فارغة منذ سكنتها الشعوب والأمم وبنيت فيها شعوب وحضارات، لماذا لا تطالب هذه الشعوب والأمم بفلسطين وطنًا قومياً مثلكم؟ هذا إذا سلمنا جدلاً أنكم أصحاب فلسطين الشرعيون قبل ألفي سنة رغم أننا نحن الشعب الفلسطيني وأجدادنا الكنعانيين كنا قبلكم بثلاثة آلاف سنة، كنا وما زلنا وسنبقى، وتوراتكم تذكر الكنعانيين عند دخولكم لفلسطين، أنتم عابرون لفلسطين، اسمكم يدل عليكم، توراتكم تدل على وجودنا، التاريخ يدل علينا وكل شيء يدل على أنكم غرباء.

- هذا الكلام مش صحيح، هذه الأرض لنا، الله أعطانا إياها، ما يهمننا من سكن من قبل ومن سكن من بعد، حتى بالقرآن هذا الحق المذكور، هل تنكرين أن القرآن لم يذكر هذا الحق؟ من ينكر حرفاً من القرآن فهو كافر.

- أنا شايقة أنك أصبحت مفتياً أبو سالم، أتمنى أن تقرّ التاريخ جيداً حتى تعرف الحقيقة.

- ليس مهمّاً أن أقرأ التاريخ أو لا أقرأ، المهم ما أنا مقتنع به، هذا أرضنا ولن نسمح لأحد بأن يسلبها منا، وبالقوة سنحمي هذا الحق ولن نسمح لأحد أن يبعدنا عن أرضنا ليوم واحد، لذلك أنت هنا، أنت وأمثالك مخربون، أنا أدافع عن شعبي وأرضي «إسرائيل»، أنت طالبة جامعية ومخرّبة كمان، لو نريد أن نعتقل كل طالبة جامعية لاعتقلنا ألوفاً، لكن لأنك أنت مخربة فأنت هنا، شايقة هذا الملف، وأشار إلى ملف ضخم أصفر اللون



أمامه على الطاولة، هذا الملف هو ملفك وحدك، رح يخرب بيت أبوك من وراء هالملف، أنت لا تريدي أن تسمعي الكلام، ولا ينفع معك المعروف، ولا تثمر معك النصيحة، يلا خلي بيتح تكفا تعرفك بالضبط مين أنت، يلا مش فاضيلك، عندي شغل، أعطيني اسمك الرباعي، اسم أمك، أسماء خواتك، أسماء خوانك، بالترتيب من الكبير إلى الصغير، كم سنة إلك في الجامعة؟ ما هو تخصصك؟ أمل تعدد وهو يضغط على أزرار لوحة مفاتيح الكمبيوتر ويراقب المعلومات المسجلة على الشاشة ويقارنها بما يسمع وبما هو موجود في ورقة سحبها من الملف.

سلطة الاحتلال تمتلك السجل السكاني لأهل الضفة الغربية وقطاع غزة، أولاً لاستيلائهم على السجل السكاني الأردني وثانياً بفضل أكثر من سبعة وعشرين عاماً من الحكم الصهيوني الحياتي ووجود الحاكمية العسكرية والإدارة المدنية، وتحكم هذه الجهات بإصدار كل الأوراق الثبوتية للمواطن من الهوية، جواز السفر، شهادة الميلاد، رخص القيادة، رخص المهنة، لم شمل، وثالماً بالتنسيق الأمني واتفاقيات التطبيع والتتبع المذلة التي فرضها الكيان الصهيوني على منظمة التحرير الفلسطينية في اتفاق أوسلو الأسود، فقد أصبح الجانب الفلسطيني مرغماً ومجبراً على إعطاء العدو الصهيوني كل المعلومات المتعلقة بالمواطن الفلسطيني وتفاصيل حياته اليومية حتى أصبحنا كتاباً مفتوحاً للمخابرات الصهيونية، يقوم ضابط المخابرات الصهيونية باستغلال هذه النقطة في استجواب الأسرى الفلسطينيين، فيطلعون على السجل السكاني وخصوصاً الشبكة العائلية المحيطة بالأسير ليصدم الأسير الفلسطيني بدقة هذه المعلومات من أول



جلسة تحقيق، فعندما يقوم ضابط التحقيق بسؤال الأسير عن عائلته هو يقوم بعمل طبيعي وإجراء روتيني كي يتأكد من صحة المعلومات التي بحوزته ومن جهة ثانية يحاول ضرب معنويات هذا الأسير وزرع الشك في نفسه وزرع معلومات خاطئة أن المخابرات الصهيونية تعرف عن الأسير الفلسطيني كل شيء حتى أسرار العائلة، والحقيقة أن هذه المعلومات لا علاقة لها بالأسرار ولا بتحقيق السبق الصحفي.

أنهى الكابتن أبو سالم كما يسمي نفسه فصله في مسرحية الاستجواب في مركز حوارة، وطلع أوراقه وخرج من الغرفة وطلب من المجنندات الجالسات على باب المكتب إعادة الأسيرة أمل إلى غرفة الانتظار لحين حضور السيارة الخاصة بنقل الأسرى الفلسطينيين من وإلى السجون المسماة (الوسطة).

اقتادت المجنندات أمل إلى غرفة الانتظار ولاحظت مجندة تتكلم اللغة العربية بطريقة مقبولة.

- هل أنت عربية؟

- لا، أنا لست عربية ولكن أُمي تتكلم العربية بطلاقة؛ لأن جدتي مغربية هي التي علمت أُمي وعلمتني أنا أيضًا وجيراننا عرب.

- أين تسكنين؟

- أنا أسكن في مدينة عكا القديمة، جيراننا عرب تعلمت أيضًا

منهم.



أنهت أمل الحديث مع المجنونة الصهيونية شاكرة أنها جزء من المخابرات أرسلها كي تستجوبها وتعرف أسرارها، فتحت المجنونة باب غرفة الانتظار ورجعت للخلف ساحبة معها الباب، أقلت أمل نظرة سريعة داخل الغرفة فلم تجدها؛ لأنها كانت تجلس في زاوية الغرفة إلى يمين الباب، ولصغر حجمها فقد كادت تتلاشى في تلك الزاوية، تسلل الخوف إلى قلب أمل عندما لم تر حياة، واعتقدت أنه قد تم التفريق بينها وبين صديقة عمرها. دخلت الغرفة وقد سيطر عليها التعب والاضطراب وغرقت بالأفكار السوداء، أين هي؟ أين ذهبوا بها؟ هل سأراها ثانية؟ هل كلام الكلب أبو سالم صحيح أنها اعترفت وخلصت ملفها كما يقول هالمعون؟ لا مش معقول، حسبي الله ونعم الوكيل، تسمرت أمل عند الباب ومن خلف فتحة المفتاح راحت تحتلس نظرات إلى المحيط لعلها ترى شيئاً يخبرها عن أحوال حياة، لعلها تلمح طيفها، لعلها تراها إن كانت بالجوار «الغريق بيتعلق بقشة».

مرت دقائق وأمل كامنة خلف فتحة المفتاح ولم تر إلا جنوداً صاعدين، وآخرين نازلين، وحياة تغط في نوم عميق في زاوية الغرفة وأمل لم تنتبه لوجودها بعد بأسها من رؤية شيء يخص حياة، التفتت إلى داخل الغرفة يساراً ويميناً دهشت لوجود حياة تغط في نوم عميق في زاوية الغرفة، لا إرادياً صرخت من أعماق قلبها حياة، حياة، أنت هنا يا مجنونة؟ انتفضت حياة من نومتها الإجبارية التي أملتتها عليها ظروف الاعتقال والتحقيق وما أصابها من الإرهاق الشديد، انتفضت مذعورة، أين هي، أين هي؟ وانتفضت على قدميها لا إرادياً فرأت أمل ماثلة أمامها، وتلقائياً



ألقت نفسها في حوض أمل وسط الدموع والزفرات الحارة بنفس السن من العمر إلا أن حياة دومًا تنظر إلى أمل كمعلمة لها وقائدة ومرجعية لها بكل صغيرة وكبيرة وفي لحظات الأزمة والشدة تعاملها معاملة الأم الحنون.

- وين أنت يا بنت الحلال؟ صار لي ساعة واقفة على الباب، والله العظيم ما شفتك، وين مختفية؟ الله لا يوريكي، انهد حيلي لما دخلت عالغرفة وما شفتك فيها، والله إلك وحشة يا مقطومة.

- الله يحييكي يا حبيبتني يا أمل، والله وحشتك بقلبي أكبر، رميت حالي في الزاوية ورحت بسابع نومة، ومن التعب والله ما صحيت عليك لما رجعت ولا لما فتح الباب، تعالي نقعد ونتخرف ونشوف.

- أين ذهبوا بك لما أخذوك إلى التحقيق؟

- إلى مكتب في الطابق الثاني حسب تقديري لعدد شواحيط الدرج، وأنت نفس المكتب؟

- لا أعرف نفس المكتب ولا مكتب ثاني لكن نفس تقديري الطابق الثاني.

- من هو المحقق الذي حقق معك؟

- واحد كلب واطي مسمي حاله أبو سالم، الله لا يسلم منه رأس إبرة، عامل حاله أمامي سوبرمان، أنا مسئول جامعة النجاح في جهاز الشباك، أنا بعرف كل شيء، أنا بعرف كل صغيرة وكل كبيرة، وبدك





تعترفي، إذا أنت بتعرف كل شيء ليش بتحقق معي.

- نفس المحقق الذي حقق معي، أبو سالم الله لا يسلمه لا في الدنيا ولا في الآخرة، كذاب، دجال، حياة اعترفت، حياة كتبت بخط أيديها، حياة عاقلة، وأنا بدي مصلحتك، ما بقي عليه إلا يقول أنا من عيلتكم بس بحكي عبري.

- أختي أمل شورح يصير معنا؟

- شوراح يصير علمي علمك، الله أعلم، لكن نحن لازلنا في بداية الطريق وما حصل معنا من تحقيق اليوم هو مسخرة وليس تحقيقاً وأتوقع سيتم ترحيلنا من هذا المكان؛ لأن هذه الغرفة ليست مخصصة للاعتقال والاحتجاز.

- أمل تتوقعي كيف أهالينا بهذه اللحظات؟ كيف أوضاعهم؟ شو عاملين؟

- والله ما هممني إلا أمني المسكينة الله يكون بعونها.

- مهما كانت أحوالهم وظروفهم، بالذات بهذا الوقت مش لازم نفكر بحد، أهلنا ليسوا أول ناس تعتقل بناتهم ولا آخر ناس، مثلهم مثل باقي الناس، المهم إحنا نتنبه لأنفسنا، أهلنا بخير ولن يجري لهم مكروه، حالياً فكري بنفسك فقط، إنسي العالم اللي برّة، هذه نقطة مهمة قد يستعملها المحققون للضغط علينا، اللي برّة برّة واللي جوة جوة، بكرة ينتهي التحقيق وينتهي السجن وبنروح لدورنا وأهالينا.



اقتربت الساعة من التاسعة ليلاً وأمل وحياة في غرفة الانتظار الفارغة من أي فراش أو أغطية أو أي شكل حياتي سوى الجدران والأبواب السمكية، مجرد مقعد من الباطون صنع لقهر الأسير الفلسطيني فلا هو بالمرتفع المريح للجلوس ولا هو بالواسع الذي يكفي للجالس أن يعتدل للجلوس عليه، كل شيء في السجن وضع لقهر الأسير وكأن باقي السجن شيطان على هيئة إنسان.

صوت باب غرفة الانتظار يفتح، جلبة لصوت الجنود والمجنندات يليه، بنوت، تعالوا، وفتحت المجندة شناف<sup>(1)</sup> الباب، أعطيني يدك، وقامت المجندة بوضع الأصفاد، يلا تعالوا.

- إلى أين؟

- منقولات إلى غرفة حين نقلكن إلى السجن.

- ومتى سيتم نقلنا إلى السجن؟

- لا أعلم يوم، يومين، أسبوع، أكثر، أقل، لا أعرف، المهم لا أريد سماع ضجعة، لا أريد إزعاج.

- جندي كم الساعة؟

- أنا لست جندياً، نادي كتسين، الساعة التاسعة.

- اسمك كتسين؟

(1) شناف: فتحة في الباب لإدخال الطعام أو تصفيد المعتقلين.



- لا ليس اسمي كتسين، هذه رتبتي معناها بالعربي ضابط.

- آه، الآن فهمت، نحن من الظهر لم نأكل شيئاً نريد الطعام، نريد أن نشرب.

- ماشي، المجدنات سيعطونكم الطعام، المهم لا أريد مشاكل.

غرفة ضيقة مساحة (3×3) في آخر المبنى الجديد في الجهة الشرقية في الطابق الأول حيث يتم الدخول إليها من داخل هذا المبنى، فيها أربعة أبراش، ودورة مياه وماسورة مياه متدلية من السقف، يعني دورة مياه وحمام بنفس المكان، وعلى ما يبدو أن هذه الغرفة بطبيعة الأبواب والشبابيك وكل شيء فيها يوحي بأنها ليست مخصصة للاعتقال والاحتجاز، منظرها وتكوينها الداخلي يوحي أنها غرفة استراحة لحراس أو ما شابه ذلك، ولكن نتيجة لظروف القاهرة حالت دون نقل حياة وأمل إلى مركز التحقيق فقد تم احتجازهن بشكل مؤقت في هذه الغرفة، أسبوع كامل مضى على وجود حياة وأمل في غرفة الاحتجاز المؤقتة داخل المبنى الجديد من مركز حواراة العسكري، يوم الأحد الساعة التاسعة صباحاً قافلة عسكرية مكونة من عدة جيبات في وسطها سيارة جيمس بيضاء اللون مسوّدة (مظللة) النوافذ، مكتوب على وسطها باللون الأزرق باللغة العبرية وحدات مصلحة السجون وقد توقفت هذه القافلة في الساحة الرئيسية للمبنى الأردني العسكري القديم، ونزل الجنود من الجيبات وظلوا واقفين كلٌ بجانب سيارته العسكرية، أربعة أشخاص نزلوا من سيارة الجيمس البيضاء بلباسهم الكاكي والموحي بأنهم ليسوا من ضباط المخابرات ولا



عناصر الجيش، بل هو وحدة خاصة مميزة عما سبق، وبالفعل فهؤلاء لباسهم الكاكي وبنيتهم الجسدية المميزة ونوعية تسليحهم ونوعية السيارات التي يستقلونها مكتوب عليها (وحدات مصلحة السجون) هم أعضاء في وحدة خاصة تسمى وحدة النخشون وكلمة النخشون تعني الأفعى القوية السامة المخيفة.

هذه من الوحدة الخاصة (النخشون) هي لشركة أمنية خاصة مهمتها نقل الأسرى الفلسطينيين من مراكز التوقيف إلى مركز التحقيق أو إلى السجون، وكذلك نقل الأسرى ما بين السجون والمحاكم والمستشفيات، بمختصر أكثر دقة وحدة النخشون مسئولة عن نقل الأسرى الفلسطينيين من وإلى السجون، كما تؤدي هذه الوحدة خدمات أخرى مثل قمع واقتحام السجون في الكثير من الأحيان ويبرز عملها أثناء الإضرابات التي يخوضها الأسرى الفلسطينيون.

نزل الكابتن أبو سالم بلباسه المدني برفقة مجموعة من الضباط العسكريين (ضباط الجيش) حاملاً ملفين أحدهما أزرق والآخر أصفر بالكاد يضم كل ملف بضعة أوراق.

- أمل، هذا هو الكلب أبو سالم، وهذه ملفاتنا، بس أنا شايفة الملفات عاملة رجييم، على الطاولة كان الملف سميتاً أنصح من كرسي عمي عطية.

- مسكين، طول الأسبوع الماضي كان الملف مضرّباً عن الطعام.



أبو سالم وضباط الجيش وضباط من وحدة النخشون أيضًا كان بحوزتهم ملفات بدأوا يتبادلون ملفات ويوقعون أوراقًا، وعلى ما يبدو أن حملة تبادل الملفات كانت تدار على مدخل المبنى الأردني القديم ما بين جهات الاختصاص لإذلال المواطن الفلسطيني، المخابرات، الجيش، وحدات القمع (النخشون)، على عجل تم تبادل الملفات، وتبادل التوقيع ما بين الأطراف الثلاثة، وأثناء هذه العملية (عملية التوقيع) كان يتم تكييف أيدي وأرجل الأسيرتين، بعد أن تم إحصارهما من غرفة الاحتجاز المؤقتة لم يتم تعصيب العيون؛ لأن السيارة المخصصة لنقل الأسرى مصفحة من الداخل، وشبايكها مغلقة بالبلاستيك الأسود ولا يستطيع الأسير الفلسطيني رؤية شيء ولا في أي جهة هو.

رافقت الجنديات الصهيونيات الأسيرتين أمل وحياة إلى داخل السيارة وكل ذلك تحت نظر ومراقبة ضباط مخابرات وضباط جيش وضباط وحدة النخشون، وطارت القافلة بسرعة بالأسيرتين إلى مركز التحقيق في بيتح تكفا لبدأ فصل جديد من فصول الألم والمعاناة بحق الطالبتين الجامعيتين أمل وحياة، فصل عنفوان المرأة الفلسطينية في مواجهة رجال المخابرات الصهيونية في مراكز التحقيق الصهيونية.

- تتوقعي أمل إلى أين نحن منقولات؟

- خيارين لا ثالث لهما، إما التحقيق، مثل الذي كان يهددنا الواطي أبو سالم، أو السجن مباشرة، ومهما يكون الخيار المفروض علينا مثل ما اتفقنا حبيبتي حياة أبوك لو تلقينه بالسجن أوعى تأمينه، لسانك حصانك،



إن صنتيه صانك وإن هنتيه هانك، خليكى قوية مثل ما بعرفك، وجودنا في مركز حوارة نعمة من رب العالمين، كنت جدًّا مرعوبة فقط لمجرد ذكر شيء اسمه مخابرات ولا محقق، لكن بعد ما تعرفنا على الواطي أبو سالم عرفت حقيقة هالبعبع الي اسمه مخابرات «إسرائيلية»، ما في أي رهبة ولا خوف، لا من مخابرات ولا تحقيق ولا من سجن، بس هيئي نفسك دائماً لشيء أصعب، التحقيق في حوارة لعب، ومسخرة، وهو بالأصل ليس تحقيق، استجواب بسيط، علشان ما ننصدم بالواقع، دائماً توقعي الأسوأ.

أوغلت سيارة الجيمس في سفرها بأرضنا المحتلة عام 1948م حتى حطت رحالها على أبواب سجن بيتح تكفا ليبدأ فصل جديد من المعاناة والصمود سطرّتها المرأة الفلسطينية جنبًا إلى جنب مع الرجل، كما كانت ولا زالت تخوض النضال خارج جدران زنزانة التحقيق.





### 3

بيتح تكفا مدينة صهيونية شمال مدينة تل أبيب عاصمة الكيان الصهيوني، بدأت كمستوطنة يهودية تأسست عام 1878 م على أنقاض بلدة ملبس شرق تل أبيب- يافا، وهي من أوائل المستوطنات اليهودية التي بنيت في فلسطين في فترة ما قبل المشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين، وقد سبقها مستوطنات (زخرون يعقوب، ريشون ليتسيون، نهال، بيت ليحم هجليليت) وهذه الأخيرة بنيت زمن الدولة العثمانية كحالة إنسانية لإيواء اليهود اللاجئيين من بطش الروس القياصرة أواخر القرن التاسع عشر، بعد فشل محاولة اغتيال القيصر الثاني، حين اشتركت قبائل يهودية تدعى لاثرين بالمحاولة الفاشلة، فتم اتهام اليهود بشكل عام بتدبير محاولة





الاغتيال فعلى إثر هذه الحادثة خرجت من روسيا موجات من المهجرات اليهودية استقر بعضها في فلسطين بترخيص السلطة الحاكمة (الدولة العثمانية) كموقف إنساني تجاه اللاجئين، ولم يكن في ذلك أي حديث عن المشروع الصهيوني.

بيتح تكفا كلمة عبرية تعني (فتحة الأمل)، اتخذ المهاجرون اليهود الأوائل هذا الاسم كشعار لهم لتشجيع المهجرات اليهودية للقدوم إلى فلسطين، وفي ظل الحكم البريطاني لفلسطين وبروز المشروع الصهيوني اتخذها الصهاينة كمنطلق لهم؛ لتشجيع هجرة اليهود من كل بقاع الدنيا لتأسيس دولة يهودية على أنقاض المجتمع الفلسطيني.

تحتوي مدينة بيتح تكفا من ضمن ما تحتويه من المؤسسات العسكرية والأمنية مركزاً كبيراً للشرطة وإلى جانبه مركز للتحقيق تابع لجهاز المخابرات (الشباك)، يتم التحقيق فيه مع الأسرى الفلسطينيين من مدن رام الله وأريحا ونابلس.

حطت سيارة الجيمس البيضاء التابعة لوحدة النخشون الصهيونية حاملة في داخلها الأسيرتين الفلسطينيتين أمل وحياة على بوابة مركز تحقيق بيتح تكفا، وبعد انتظار لدقائق معدودة فتحت البوابة الرئيسية الخارجية كهربائياً من قبل مركز التحكم داخل أسوار المراكز، فتحركت السيارة بضعة أمتار لتقف ثانية أمام بوابة ثانية وتغلق البوابة الأولى في عملية تبادلية كإجراء وفحص روتيني أمني لكل سيارة تدخل وتخرج من أي سجن أو مركز تحقيق صهيوني.



كل مدخل رئيسي لكل سجن صهيوني يتكون من بناء إما من الباطون المسلح أو من الحديد، ويكون على شكل مستطيل بطول 15 متراً وبعرض لا يقل عن 7 أمتار تقريباً، هذا المدخل له بوابتان حديديتان كبيرتان يتم التحكم بهما كهربائياً فتحاً وإغلاقاً، وفي وسط المسافة ما بين البوابة الأولى والبوابة الثانية توجد حفرة في الأرضية بعمق مترين وطول أربعة أمتار و عرض متر واحد، وهذه الحفرة شبيهة بالحفرة التي يستعملها الميكانيكيون أمام محلاتهم وكراجاتهم لإصلاح السيارات، أما في حالة السجون الصهيونية فهذه الحفرة تستعمل لفحص السيارات من أسفلها فحصاً أمنياً، عند دخول أو خروج أي سيارة من وإلى سجن أو مركز تحقيق صهيوني يتم إيقاف هذه السيارة على الحفرة ما بين البوابتين ليتم فحص أسفلها خوفاً من هروب سجين بواسطة الالتصاق أسفل السيارة أو تهريب مواد ممنوعة أسفل السيارة، يتم إطفاء السيارة (المحرك) وفحص السيارة من كافة الجهات إلكترونياً بواسطة الكاميرات ويدوياً وبالعين المجردة بواسطة مرايا خاصة منها المثبت على الجدران ومنها المثبت بالأرضيات ومنها ما هو متحرك مع حراس السجن.

قد تطول عملية الفحص وقد تقصر، وكل ذلك عائد لحالة الهوس الأمني التي يعيشها الاحتلال ويدفع ثمن هذه الحالة الأسير الفلسطيني رجلاً كان أو امرأة، وأحياناً يتم ترك البوسطة وبداخلها الأسرى لعدة ساعات في هذا المكان في ظل ظروف الحر الشديد أو البرد الشديد في خطوة انتقامية من الأسرى الفلسطينيين من قبل السجناء و وحدات النخشون.

يقوم أفراد وحدة النخشون الصهيونية بتسليم أسلحتهم ما بين البوابتين لحراس السجن عبر شبك صغير يطل على المنطقة الفاصلة ما



بين البوابتين، وعند خروجهم يعودون لاستلامها ثانية من نفس الشباك في إجراء روتيني ينطبق على كل داخل وخارج من السجن من العاملين في السجن أو المركز، سواءً أكانوا شرطة أو سجانين أو أفراد جهاز مخبرات أو وحدات النخشون.

انتهت العملية الروتينية في فحص سيارة الجيمس، ودخلت إلى ساحة مركز التحقيق وقامت بحركة عطف دائرية وسط الساحة الرئيسية من أجل الرجوع بالسيارة إلى الخلف حيث المدخل الرئيسي للمبنى الرئيسي لمركز التحقيق المكوّن من أربعة طوابق، طابق أرضي أو تحت أرضي يحتوي على زنازين انفرادية وطابق أول يحتوي مكاتب إدارية وعيادة طبية لا تحمل من الطب إلا العنوان ومظهر الشرطي العامل فيها بلباسه الأبيض فوق لباسه الشرطي ومكتب شرطة، وطابق ثانٍ يحتوي مكاتب التحقيق الرئيسية وطابق ثالث يحتوي مكاتب وغرفاً خاصة لجهاز الشاباك.

تم إنزال الأسيرتين الفلسطينيتين أمل وحياة مقيدتي اليدين والرجلين من سيارة الجيمس حيث كان بانتظارهما على المدخل الرئيسي مجموعة من الشرطيات والسجانات وامرأة بلباس مدني عرفت على نفسها باسم الكابتن ميخال، وأنها متخصصة بالتحقيق مع النساء الفلسطينيات المعتقلات.

- أهلاً وسهلاً ست أمل.

- أهلاً وسهلاً ست حياة.



ومدت يدها للتسليم عليهما ومصافحتهما بحرارة رغم القيود التي تكبل أيديهن، كيف كانت الرحلة؟ إن شاء الله ما في تعب؟ الشرطة كانوا معكم ملاح؟ ما في مشاكل؟ ولم تنتظر منهما جواباً؛ لأن هذا الحديث حديث روتيني مع كل أسير وأسيرة، وطلبت من الشرطيات أخذ الأسيرتين إلى المكاتب الإدارية والعيادة لإجراء أمور روتينية مع كل أسير، مثل الفحص الطبي وفتح ملف لدى الشرطة، الفحص الطبي في عيادة مراكز التحقيق هو المسخرة بحد ذاتها، وأكثر ما يثير السخرية والاشمئزاز في هذا الفحص هي طبيعة الطريقة التي يتم فيها الفحص وهو بالأصل لا يحمل من الفحص الطبي سوى الاسم أو أدنى من ذلك، فمن خلف الزجاج يقف شرطي أو سجان صهيوني يرتدي لباس الطب الأبيض، ويقوم بسؤال الأسير الفلسطيني سيلاً من الأسئلة، هل عندك مرض؟ هل تتناول أدوية؟ ما هو نوع الدواء الذي تتناوله؟ هل عندك حساسية من الدواء؟ هل تدخن؟ هل تتعاطى المسكرات؟ هل تتعاطى المخدرات؟ هل، هل، هل أنت حامل؟

- لا كيف أكون حاملاً وأنا غير متزوجة؟

- عادي ليس الحمل حتماً يكون من الزواج، من صديق؟

- أنت حقير وسافل، وطبيب قدر تظن الناس مثلك، إنسان ساقط.

- أنا طبيب محترم، أنا مش ساقط، أنا بقوم بعملتي؟

- لو كنت يهودياً لقلت عادي يهودي لا يعرف عاداتنا وتقاليدينا،



ولكن من لغتك العربية إما إنك بدوي أو درزي يعني إنسان من جلدتنا، تفهم لغتنا وعاداتنا ولكنك متصهين أكثر من الصهاينة، لم تكتف بأنك خائن لشعبك، تظن أنك أصبحت يهودياً، أنت مجرد خائن عربي تعيش ذليلاً وتموت ذليلاً.

- احفظي لسانك، أنا ما بسمح بإهانتني، أنا طيب محترم وبأقوم بعملتي.

- الطيب المحترم ييحترم مشاعر الناس ولا يتعمد إهانة بنات الناس، يلا خلصت شغلك ولا بعدك؟

وعاد الطيب الدرزي إلى أسئلته السخيفة هو يسأل، ويسجل بناءً على جواب الأسيرة بدون أن ينظر إليها مجرد نظر، ولم يقيم بفحصهما ولا مجرد الاقتراب منها، وهكذا يتم التعامل مع كل أسير وأسيرة وهكذا يتم عمل الملف الطبي للأسير والأسيرة، ملف طبي بدون الحد الأدنى من الإعانة الطبية في فحص المريض.

على عجل تم الانتهاء من إجراءات الفحص الطبي ليتم الانتقال إلى مكتب شرطة صغير في نفس المبنى ومجاور للعيادة وبنفس السرعة ونفس الطريقة يتم فتح سجل عند الشرطة، شرطي يجلس خلف الطاولة، وعلى هذه الطاولة جهاز كمبيوتر وكاميرا مثبتة على طرف الطاولة متصلة بجهاز الكمبيوتر، الشرطي مشغول بإدخال بيانات إلى جهاز الكمبيوتر من ملف أخضر اللون. أشار الشرطي إلى أمل بالجلوس على الكرسي مقابل الكاميرا ليقوم بتصويرها وإدخال هذه الصورة إلى الجهاز مباشرة. أنهى الشرطي عملية التصوير وعاد إلى عمله بالضغط على أزرار الكمبيوتر.



على يمين الطاولة تقف شرطية وفي رقبته كاميرا تصوير فورية، طلبت من أمل الوقوف إلى جانب الجدار لأخذ مجموعة من الصور وهي تحمل رقمًا سيكون رقمها في السجن، صورة تارة للوجه، تارة للجسم كله، تارة لليمين، تارة لليسر، صورة قريبة، صورة بعيدة.

- شكرًا، انتهت عملية التصوير بإمكانك الذهاب، وأشارت للشرطية الواقفة على جانب الباب بأن تدخل حياة وتخرج أمل، وبنفس الإجراءات تم فتح الملف عند الشرطة لأمل وحياة.

الشرطيات اللواتي لم تتوقف أجهزة الاتصال التي بحوزتهن عن الرنين والإرسال والاستقبال في حركة تظاهرية توحى بمدى استعجال المحققين لإنهاء الإجراءات الروتينية في مكتب الشرطة والقيادة، ونقل الأسيرتين إلى كرسي التحقيق.

الشرطيات كنّ في حيرة من أمرهن وفي تحبط واضح، فمع كل اتصال على أجهزة الاتصال المحمول بأيديهن تتبدل وتتغير وجهة نقل الأسيرتين، فمرة إلى الزنازين الانفرادية، ومرة إلى غرف التحقيق، ومرة فصل الأسيرتين عن بعضهما البعض، ومرة بإرجاعهما إلى مكتب الشرطة، ومرة بإخراجهما من مكتب الشرطة وإبقائهما في الممر المؤدي إلى الطابق الأرضي.

أخيرًا استقر الأمر بعد تحبط الشرطيات، حالة من الحيص والبيص واختلاط الحابل بالنابل على نقل الأسيرة أمل إلى الطابق الثاني حيث مكتب التحقيق، ونقل الأسيرة حياة إلى الزنازين الانفرادية في الطابق الأرضي، في نهاية الممر الواصل ما بين العيادة ومكتب الشرطة وبين الدرج



المؤدي إلى الأسفل نحو الطابق الأرضي ونحو الأعلى نحو الطوابق العليا، وقف شرطي ضخمة الجثة منتفخ انتفاخاً مقززاً وقد ناهز الخمسين من عمره أو أكثر ويده نظارتا التزلج على الجليد مثل النظارات الموجودة في مركز حوارة، وبالكاد يستطيع هذا الشرطي التحرك لكرشته المتخمة، وبشق الأنفس يخرج منه الصوت مختلطاً مع الزفير فلا يكاد يفهم منه شيء لذلك ترى هذا الشرطي بلا عتاد؛ لأن وسطه (خصره) قد جلب له الإعفاء من حمل العتاد مما يحمله باقي أفراد الشرطة والسجانين من أجهزة اتصال، فهو أيضاً معفى من حملها واستعمالها؛ لأنه فاقد للصوت البشري الضروري لاستعمالها.

أمرت إحدى ضابطات الشرطة إحدى الشرطيات بفك قيود الرجلين من الأسيرتين والإبقاء على قيود اليدين، وهي بنفسها أخذت نظارات التزلج على الجليد من الشرطي السمين وألبستها للأسيرة أمل، وأمرت إحدى الشرطيات بنقل الأسيرة حياة بعد فك قيود رجلها إلى الزنازين الانفرادية.

- ما هو اسمك؟

- أمل صالح.

- انتظري لحظة بصعوبة تكاد تفهم قالها الشرطي السمين، يعقوف، بيكشا تكييل، نادى الشرطي السمين بالعبرية على الشرطي الثاني الواقف على بسطة الدرج المقابل له، من فضلك استلم.

في مراكز التحقيق الصهيونية من باب الزناينة الانفرادية حتى



باب غرفة التحقيق وعلى كل شاحط درج، وعلى كل بسطة يقف شرطي أو سجان صهيوني، وعند إرسال الأسير أو الأسيرة إلى التحقيق يقوم كل شرطي بتسليم الأسير للشرطي الذي يليه.

الأول: هل استلمت؟ الثاني: نعم، استلمت، وكل شرطي يصيح بأعلى صوته، على الشرطي الذي يليه حتى يتم إجلال الأسير على كرسي التحقيق، من شرطي إلى شرطي تم تسليم الأسيرة أمل حتى وصلت باب غرفة التحقيق، انتظرت الشرطة الواقفة على باب الغرفة لحظات وكأنها تنتظر صدور أوامر تسمح لها بالدخول إلى الغرفة وإدخال الأسيرة أمل، فكل شيء بالتحقيق مرسوم بعناية ومخطط له مسبقاً بدقة، وبطريقة تؤدي إلى إيذاء نفسية الأسير لدفعه للانهار والاعتراف، لا شيء في التحقيق متروك للصدفة.

رنَّ جهاز الاتصال المثبت على كتف الشرطة سائحاً على ما يبدو بإدخال الأسيرة أمل إلى الغرفة، فتح المحقق الباب الخشبي وأمر الشرطيات بالدخول مصطحبات معهن الأسيرة أمل، فأجلسها على كرسي حديدي بمقعد وظهر خشبي، هذا الكرسي مثبت بالأرض بواسطة قفل حديدي وكالعادة مع أسير وأسيرة يتم تقييد الأرجل مع إحدى أرجل الكرسي ونزع النظارات من على العيون، أحياناً يتم نزع النظارات حال دخول الغرفة وأحياناً بعد الجلوس على كرسي التحقيق والانهاء من عملية تقييد الأرجل والأيدي.

غرفة التحقيق كأى غرفة فى أى بيت أو شقة سكنية تتكون من





مساحة (4×4)، مبلطة بالبلاط البلدي أو الكراميك، وجدرانها والسقف مطلية بالدهان الأبيض، وتخلو من أي أثاث باستثناء طاولة مكتب وكرسي مكتب خلف الطاولة على عجلات متحركة مخصص لجلوس المحقق عليه، وكرسي حديدي مثبت بالأرض إلى جدران الطاولة وكرسي آخر غير مثبت بالأرض أمام الطاولة، على ظهر الطاولة جهاز كمبيوتر وجهاز هاتف وأوراق وبضعة أقلام ولوح خشبي أبيض مساحة (120×120) سم على الحائط، يستعمل من قبل ضابط التحقيق لشروحات معينة، الهدف منها إقناع الأسير بالاعتراف أو محاولة التأثير على معنوياته لجعله يعترف ويخون رفاق الدرب.

مكثت أمل حوالي ساعة وحيدة في الغرفة على كرسي التحقيق، حتى دخل رجل سمين، أصلع الرأس يلبس نظارات طبية سميكة ويحمل ملفاً أصفر اللون وبرفته المحققة ميخال التي استقبلت الأسيرتين أمل وحياة عند المدخل الرئيسي للمبنى الرئيسي لمركز التحقيق في بيتح تكفا.

ألقى الرجل السمين الملف على الطاولة بطريقة عنجهية محدثاً ضجة، وسحب الكرسي المتحرك خاصته إلى الخلف، وألقى بجسده عليه، ثم ألقى نظرة تكبر غاضبة بنفس الوقت على الأسيرة أمل، ثم استل ورقة من الملف وقدمها إلى حافة الطاولة وألقى عليها قلم أسود بعنف بكف يده، ثم انسحب بكرسيه إلى الخلف قليلاً وشغل الجهاز وبدأ يكبس على أزراره بحركات بهلوانية، تارة يلقي نظرة على الورقة وتارة يثبت ناظره على شاشة الجهاز، واستمر بهذه المسرحية السخيفة لمدة ربع ساعة.



زحزح المحقق كرسيه تجاه الأسيرة أمل وأعاد تقديم الورقة واضعاً عليها قلماً أحمر اللون بدلاً من الأسود وطلب من أمل قراءتها والتوقيع عليها.

- كيف تريد أن أقرأ الورقة وهي بعيدة عني؟ وكيف تريد مني التوقيع على الورقة ويدي مقيدتان؟ ثم لماذا استبدلت القلم الأسود بالقلم الأحمر؟

- سوهيرت<sup>(1)</sup>، سوهيرت، من فضلك فكي اليد اليمنى للأسيرة أمل إذا سمحت، قالها المحقق وعاد إلى جهاز الكمبيوتر يبخلق بالشاشة واضعاً يده على فكه الأسفل وكأنه يتابع أمراً ما.

تناولت أمل الورقة وقرأتها وهي باللغة العربية وتمعنت بها جيداً، ثم أعادتها بلطف إلى الطاولة.

- متأسفة لا أستطيع أن أوقع هكذا أوراقاً ولا حتى غيرها.

- هذه ليست ورقة اعتراف، أنتِ ما بتعرفي تقرئي عربي؟ الورقة مكتوبة بالعربي، اقرأيها مليح.

- أنا طالبة جامعية، وأقرأ باللغة العربية والانجليزية والفرنسية، مثل هكذا أوراق احتفظ بها لنفسك، تريد مني أن أتعاون معك بالتحقيق وإلا سيعاقبني القانون، أي قانون؟ قانون الاحتلال، أنا لا أعترف بقانون لا يعترف بوجودي ولا يعترف بحقوقتي، ولا أعترف بكل قوانينكم الصهيونية.

(1) سوهيرت: سجّانة.



سحب المحقق الأصلع الورقة، ووقعها بنفسه، وتوجه على أمل  
بكرسيه ملوحًا بالورقة:

- هذه الورقة يا ست أمل، ورقة عادية لا تقدم ولا تؤخر بالتحقيق،  
كل أسير فلسطيني لازم يقرأها، وليس شرطاً أن يوقعها وأنه ليس لازماً  
توقيعك، فش حاجة لتوقيعك.

تراجع المحقق بكرسيه إلى ما وراء جهاز الكمبيوتر ومارس عملية  
التكبيس على الأزرار لعدة دقائق، ثم أطفأ الجهاز وتوجه بنظره نحو  
الأسيرة أمل.

أنا متأسف ست أمل كان الأول أن نتعارف قبل الدخول في العمل  
الرئيسي، أنا الميجر أبو جمال مسئول التحقيق في كل السجون، أنا لا أعمل  
هنا في سجن بيتح تكفا، أنا أعمل في كل السجون، لكن اليوم أنا جئت من  
أجلك، حتى أتعرف عليك.

- أنت من نابلس؟ من أين في نابلس؟ اتصلوا علي وأخبروني إن  
الشغب في نابلس وكل أعمال العنف والإرهاب، المظاهرات في جامعة  
النجاح المسئول عنها، المحرك لها، العقل المدبر، هما طالبتان، اثنتان، ستات،  
استغربت وتعجبت، طالبتان، شابتان؟ في مواجهة لـ «إسرائيل»؟ ودفعني  
فضولي للتعرف عليك وهذا سر وجودي هنا اليوم، لذلك كلمت الضابط  
في نابلس شخصياً طلبت منهم إحضاركن عندي حتى أتعرف عليك.

- في البداية أنا لست من نابلس، وقاطعها المحقق مذعوراً، ماذا  
قلت؟ أنت لست من نابلس؟



- نعم أنا لست من نابلس.

- ماذا تقولي؟ وعاد إلى جهاز الكمبيوتر مستفزاً وقد احمرّ وجهه، وبدأ بمراجعة المعلومات المتدفقة عبر الشاشة، تارة إلى الأعلى، وتارة إلى الأسفل، ومع كل تدفق يزداد احمراراً وجه المحقق، لحظات وتأكد الميجر أبو جمال من عنوان أمل الصحيح فما كان منه إلا أن ملمم أوراقه وغادر الغرفة سريعاً ولم تره أمل منذ ذلك اليوم، لحقت ميخال بالمحقق المدعو أبو جمال وهو طبعاً اسم مستعار، فكل ضابط تحقيق أو ضابط منطقة يطلق على نفسه اسماً عربياً.

مرّت نصف ساعة على خروج المحقق أبو جمال والمحققة ميخال وأمل مشبوحة على الكرسي مقيدة اليدين والرجلين، وتعاني ما تعانيه من آلام المكوث على الكرسي منذ ساعة ونصف تقريباً، محقق جديد في أوائل الأربعينيات من عمره برفقة ميخال يدخلان الغرفة؛ لكن في هذه المرة تستقر ميخال على الكرسي الرئيسي خلف الطاولة بينما يجلس المحقق الجديد على الكرسي الخشبي أمام الطاولة، يفتح ملف أصفر اللون أحضره معه، يدقق نظره في الملف، ثم نظر تجاه أمل.

المحققة ميخال تكسر الصمت المخيم على المكان: أنا آسفة ست أمل الواجب نضيفك أولاً لكنه الشغل شغلنا عن الواجب.

- ليست مشكلة كابتن ميخال.

- عن جد أنا آسف، ماذا أطلب لك؟ شاي، قهوة، نسكافيه،

عصير.



- شكرًا لا أريد أن اشرب شيئًا.

- لماذا لا تشربين شيئًا من عند اليهود؟ هل أنتِ خائفة من أن نضع لك شيئًا؟ سمًّا أو منومًا؟ اطمئني لا نريد قتلك، ولا نريد منك أن تنامي، نريد لك أن تبقي مستيقظة حتى ننهى القضية وتحديثني عن القصة كاملة.

- ارتاحي ست ميخال واطمئني، لا يوجد عندي قضية حتى أعترف لك بها ولا يوجد عندي قصة أرويه لك، قصتي إني طالبة جامعية فقط، أكملت دوامي وعدت إلى منزلي وأنتم اعتقلتموني على الحاجز العسكري، لماذا؟ لا أعرف، هذا كل ما عندي، تريدني مني أن ألتزم بالقانون، هل يوجد قانون بالدنيا يسمى اختطاف الناس من سياراتهم وهم عائدون من أعمالهم وجامعاتهم؟

هنا تدخل المحقق الجديد، ودخل مباشرة في صلب الحديث: طبعًا لا يوجد قانون يسمح باختطاف الناس، ونحن لم نخطفك، نحن اعتقلناك، اعتقال قانوني يوجد معنا مذكرة اعتقال صادرة عن محكمة «إسرائيلية» تسمح لنا باعتقالك، هذا أولاً، وثانيًا نحن لم نخطف الناس، نحن اعتقلنا مخربة، أقصد مخربتين مسّتا بأمن «إسرائيل».

- عفواً لم نتعرف على الأخ الكريم؟

- أنا الميجر أبو السعيد، اطمئني لست مسؤولاً لملفك، وأنا لا أعمل هنا، أنا أعمل محققًا في مركز تحقيق آخر ولكن جئت إلى هنا كي أتعرف عليك وأساعدك في إنهاء القضية لكي تخرجني بأقل الخسائر، ست أمل



أنا اليوم تركت أعمالي وأشغالي الخاصة، تركت عائلتي وأطفالي، اليوم أنا لازم أكون في إجازة مع أبنائي وتركت عملي الخاص، وتخلّيت عن إجازتي وجئت كي أراك وأتعرّف عليك، كي أتعرّف على سوبرمان نابلس، عفواً سوبر ومن وبالأخير تقولين لي ليس عندي قصة ولا قضية؟

- بالنسبة للتعارف، أنا أمل صالح من جنين، طالبة جامعية، سنة ثانية حقوق، عمري عشرون سنة، لا يوجد عندي هوايات، فقط سيرى باتجاهات اثنين فقط من البيت إلى الجامعة، ومن الجامعة إلى البيت، عائلتي مكونة من أبي وأمي وأربع أخوات عداي وخمسة إخوة يعني عدد أفراد أسرتي اثنا عشر فرداً، أعتقد أن مهمتك بالتعرف قد انتهت وتعرفنا على بعض بما يكفي، أنت اسمك أبو السعيد، يهودي اسمه أبو السعيد يعمل محققاً، عمرك حوالي خمسين عاماً، لك عائلة يعني أنك متزوج ولك أبناء هذا يكفي من المعلومات علي، أما بالنسبة للقضية والقصة أنا لست سوبر مان ولا سوبر ومن، الصورة التي عندك عنّي غير صحيحة، أنا طالبة جامعية فقط كل المعلومات التي تحكيها كذب وافتراء.

انتفض المحقق أبو السعيد كما يكني نفسه، (أنا مش كذاب) قالها بغضب وقد انتفض من فوق كرسيه كمن لسعه دبور في حر الصيف، أنا الميجر أبو السعيد أنا مستحيل أكذب، أنت هنا في التحقيق والتحقيق يعني الوصول للحقيقة.

قاطعته أمل: سمعتها من كل من سبقك قالوها مثلكن هذه الأسطوانة المشروخة، التحقيق والحقيقة والصدق زهقت هذا الكلام



الفاضي، أنا طالبة جامعية بطلع من بيتي صباحاً الساعة الثامنة وبروح الساعة الثالثة عصرًا، ليس لي في المظاهرات ولا في المسيرات مش قادر تعتقل الرجال جاي تعتقل النساء على الحواجز العسكرية، يا للعار.

- نحن نعتقل الكل رجال، نساء، أطفال، كبار، صغار، كل من يحاول المس بأمن دولة «إسرائيل» أنا بعقله، من داره، على الحاجز، بالشارع، تحت الأرض، فوق الأرض، ذراع دولة «إسرائيل» طويلة وقوية، لا حدود لمداها ولا يستطيع أحد أن يتحداها.

المحقق أبو السعيد وقد قرَّب كرسيه من الأسيرة أمل، ولم يفصله إلا أقل من شبر: نحن هزمتنا سبعة جيوش عربية، نحن ضيعنا منظمة التحرير ورموزها في أوروبا وفي بيروت، واليوم قادرون على تصفية كل من يعاديننا، قادرون على اعتقال كل واحد يرفع أصبعه بوجه دولة «إسرائيل»، أو يرمي حجرًا على دورية على جيش الدفاع «الإسرائيلي».

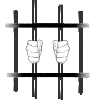
عاد المحقق أبو السعيد بكرسيه إلى الملف واضعًا كوعه على الطاولة وكف يده على خده الأيمن مسلطًا نظراته تجاه أمل، التي بادرت بالسؤال في شيء أبو السعيد؟ لماذا تنظر إليّ هكذا؟

المحققة ميخال والتي عادت بكرسيها المتحرك إلى وسط الطاولة خلف جهاز الكمبيوتر وقربته إليها، وبدأت بتكبيس الأزرار والتدقيق بالمعلومات المتدفقة عبر الشاشة وترمق بنظراتها الخبيثة والحادة الأسيرة أمل وتهز برأسها في حركة استفزازية الهدف منها إشعار الأسيرة بخطورة وضعها لخطورة المعلومات التي تدفقت أمامها عبر الشاشة.



- مش معقول، لم أكن أتوقع كل هذا، مش معقول يا ست أمل، يا طالبة الجامعة، خلايا عسكرية، سلاح، عبوات، أف، أف، أموال، اتصالات خارجية، فعلاً أنا أمام سوبر ومن، لا، لا، أنا لا أصدق ما يجري أمامي، قالوا لي في البداية، مظاهرات، مسيرات، خطب، كلمات، قلنا معلش مهو الكلام ما عليه جمر، العرب كلهم هكذا، كلام بكلام، فقط خذ من العرب كلام فاضي، قلنا حرام ليش هالبننت المسكينة بكرة تتورط مع خلايا الإرهاب وبيضحكوا عليها ويورطوها بعمل كبير، ننجر نحن في الشاباك «الإسرائيلي» على قتلها أو اعتقالها وبالتالي سجنها لمدة طويلة والحكم عليها بالمؤبد، قلنا قبل ما تتورط لوجه الله نعمل معها الموقوف بنحيمها ونحبسها حكم خفيف، إن تعاونت معنا واعترفت بكل شيء، يعني عشر شهور، سنة بالكثير، بتتعلم وتتعرف الحقيقة، أما الآن وأمام ما أرى بعيني، لا، لا، الأمور جداً صعبة ومعقدة وضعك صعب، صعب جداً، الأمور لم تقف عند مظاهره، مسيرة، منشور، رفع علم، الأمور أبعد بكثير من ذلك، الأمور أصعب بكثير، أحسنلك وبدك نصيحتي، خلينا نلم الموضوع قبل ما تعرف المخابرات المعلومات الجديدة التي على الكمبيوتر أمامي، ويغيروا رأيهم. قال أبو السعيد ناهضاً عن كرسية: أنا راح أساعدك بصفتي مسؤول ملفك، ميخال في إمكانية أطلع على المعلومات الجديدة، ولكنه توقف بعد أن مشى خطوتين في حركة تمثيلية، فقالت ميخال: لا، لا، يمكنني يا كابتن أبو السعيد أمل مسؤوليتي، ولن أسمح لأحد بالتدخل، أنت جزء من المخابرات والفولة ما بتنبل في فمك، أخاف أن تنقل هذه المعلومات للمخابرات وتسبب بخراب بيت أمل، أرجوك اعذرني، لن أستطيع أن أريك هذه المعلومات.





- كابتن ميخال مشكورة على جهودك وعلى نخوتك وحرصك على مصلحتي اذهبي وأكملي إجازتك مع عائلتك، قلت لي في البداية إنك قطعت الإجازة لتتعرف في علي، وها هو التعارف قد حصل، يعطيك العافية.

- ماشي يا ست أمل، لكن أنا لم أقل الكلام اللي قلته، قالوا لي إنك عنيدة ولكن لم أتوقع أن تكوني عنيدة لهذه الدرجة، ولكن أريد أن أقول لك وخذي ما أقول لك قاعدة في عقلك نحن هنا في مركز بيتح تكفا تخصصنا تحطيم الرؤوس العنيدة، وضغطت على زر في لوحة المفاتيح فأطفأت جهاز الكمبيوتر، ثم طوت الملف الأزرق وحملته تحت إبطها وخرجت مسرعة في حركة تمثيلية توحى بأن أمراً ما قد حدث تاركة خلفها المحقق أبو السعيد الذي التزم الصمت طوال جولة التهديد والوعيد والخداع التي مارستها الكابتن ميخال.

مرت ربع ساعة على وجود الكابتن أبو السعيد داخل غرفة التحقيق جالساً على كرسيه مركّزاً نظره على ملف أصفر اللون يحمل به يده وأمل مقيدة على الكرسي، وفجأة فتح باب الغرفة لتدخل منه المحققة ميخال غاضبة صارخة، ماذا تفعل هنا؟ لماذا أنت موجود هنا؟ موجهة صراخها في حركة تمثيلية للمحقق أبو السعيد الذي تظاهر بأنه متفاجئ بالأمر، وأخذ يحاول بحركة يده أن يهدئ من روع المحققة ميخال التي تمادت في تصرفها، اخرج من هنا، اخرج حالاً، لا أريد أن أراك هنا بتأتاً، حمل المحقق أبو السعيد الملف الأزرق وغادر الغرفة مسرعاً، جلست المحققة ميخال على كرسيها وقد أطلقت زفير هواء خرج من أعماق قلبها، محققون آخر زمن، وأخرجت من جيبتها مجموعة مفاتيح وألقته



بعنف على الطاولة فطارت المفاتيح بحركة ارتدادية عن سطح الطاولة إلى وسط الغرفة محدثة ضجة عالية، سحبت المحققة ميخال الكرسي من خلف الطاولة واقتربت من الأسيرة أمل حتى التقت ركبتها بركبتي الأسيرة وبأسلوب لطيف وبصوت هادئ بدأت الحديث.

- أمل نحن النساء بنفهم بعض، تعالي نخلي الرجال خارج الموضوع، يعني من رأسي لرأسك، نحل المشكلة.

- أي مشكلة ست ميخال؟ أنا ما في عندي مشكلة، هذي مشكلتك أنت مع هذا إلى اسمه أبو السعيد، ما إلى علاقة بهذه المشكلة.

81 - لا علاقة لك بمشكلتي مع أبو السعيد، هذا واحد كلب وأنا طردته ولن تريه أبداً، مشكلتك هي القضية التي بسببها أنت هنا جالسة على هذا الكرسي.

- مشكلتي أنتم، اعتقلتموني من جامعتي على حاجز عسكري، مثل القراصنة في البحر، مثل قطاع الطرق، نقلتموني لآخر الدنيا بعيداً عن أهلي، هل هذه مشكلتي ولا مشكلتهم؟ قصدي مشكلتكم؟ فأنت منهم وجزء من طاقمهم، والآن تقولي لي عندي مشكلة بدنا نحلها من رأسي لرأسك، كان الأفضل لك ولدولة «إسرائيل» بدلاً من التعب لي ولكم وكل هذه العجة أن تتصلي على هاتفي ونحلها من رأسي لرأسك؟

- فعلاً أنت إنسانة عنيدة يا ست أمل، أنا بحترمك مثل أختي الكبيرة وبدي مصلحتك، ما بدي حدا من الرجال (المحققين) قاسيين



فش عندهم رحمة، خلينا نحن النساء نحلها، أحسن ما يدخلوا بينا.  
 ملمت المحققة ميخال أوراقها وخرجت من غرفة التحقيق، ولكنها  
 تراجعت في اللحظات الأخيرة بعدما أمسكت بمقبض الباب، وعادت  
 وجلست على الطاولة ووضعت رجلاً على رجل بحيث كان مستوى أحد  
 قدميها باتجاه وجه الأسيرة أمل.

- هكذا علموك الاحترام في المخابرات «الإسرائيلية»، تضعين  
 قدمك باتجاه وجهي، هل تريدني إهانتني بهذه الطريقة؟ هل الحروب  
 عندهم بلا أخلاق؟

- آسفة ست أمل ليس قصدي إهانتك، أنا دومًا معتادة أن أجلس  
 هكذا، على كل حال حاليًا عندي اجتماع مع ضباط تحقيق كبار، أريد منك  
 ألا تخرجيني أمامهم.

- مش فاهمة، ما هي الكلمة، وما هو الوعد، وما هي علاقتي  
 بالاجتماع والضباط الصغار والكبار، ولماذا سأخرجك؟

- الاجتماع كله لأجلك، والضباط الكبار مستنفرون ومتوترون  
 بسببك، أنا الوحيدة معك وبصفتك، ألم تري كيف تصرفت مع الكلب  
 أبو السعيد، أنت تعرفين ماذا يعني تسليم ملفك لمحقق بدلاً مني؟ يعني  
 رح تشوفي نجوم الظهر، سيعذبونك عذابًا قاسيًا، سيكسرون لك ظهرك،  
 وشعرك الجميل سيشيب من هول التعذيب ويسقط كله، وجهك الجميل  
 هذا سيصبح أسود شاحب مش رح تلاقني من سيتزوجك، هذا على  
 فرض إنك ستخرجني من السجن، قضيتك كبيرة، وإذا لم تتعاوني معي



سيخرب بيت أبوك للأبد وعندها لن أنفعلك بشيء ولن ينفع الندم، على كل حال أنا بعرف أنك تعبانة وقادمة من سفر طويل وأريد أن أبعثك إلى الزنزانة لترتاحي، وبعدين نكمل حديثنا، أمل منك أن تفكري بالكلام الذي قلته لك، واعلمي أني أنا بصفك، وبدي مصلحتك.

عندما سمعت أمل بأنها ستغادر الكرسي وتنتهي آلام الشبح، الصלב، وأنها أمام فرصة هي بحاجة لترتاح وتريح جسدها المنهك، فكرت بهدنة تستفيد منها لإعادة ترتيب صفوفها الداخلية.

- نعم كابتن ميخال، كلامك معقول، كما قلت أني متعبة وقادمة من سفر وبحاجة للراحة، سأرتاح وأفكر بكلامك؛ لأنني أجد معقولية في كلامك.

- سوهيرت، سوهيرت، نادت الكابتين ميخال على الشرطيات الواقفات خلف الباب من فضلك أيتها الشرطة خذي أمل إلى الزنزانة (35) وأحضري لي الأسيرة حياة من الزنزانة رقم (17).

الزنزانة (35) آخر زنزانة في صف الزنازين في الطابق التحت الأرضي، زنزانة انفرادية كما كل الزنازين، صممت بطريقة شيطانية لتحطيم نفسية الأسير الفلسطيني، وتدمير معنوياته لحظة دخوله إليها، لكن تعرف المخابرات الصهيونية قلب السحر على الساحر، وجعل حصاد المخابرات من وراء هذه الزنازين حصاداً مرّاً وهباً منشوراً.

الأسير الفلسطيني ومنذ اللحظة الأولى لاعتقاله يدرك أن رحلة التحقيق مفروشة بالأشواك والجراح والتعب والآلام، ويدرك أيضاً أن



هذه المرحلة مرحلة أسابيع أو أشهر وستمر، وبناءً عليها تحدد مدة الحكم والسجن، فبقدر ما تصمد وتتحمل الآلام في زنازين التحقيق بقدر ما تنزل عنك الأشهر والسنوات من مدة الحكم وتعود سريعاً إلى أحضان العائلة الدافئ، مرفوع الرأس والجبين، حافظ العهد والأمانة والأسرار، حامياً للتنظيم والثورة.

الزنزانة (35) كأى زنزانة في أي مركز تحقيق صهيوني تحمل نفس المواصفات في التصميم فهي عبارة عن غرفة صغيرة لا تتعدى مساحتها (2.5م×2.5م)، بارتفاع (2.5م) أيضاً، جدرانها خشنة ولونها جيشي غامق يميل إلى السواد، أرضيتها من الباطون وفيها دورة مياه (مرحاض) ومغسلة صغيرة، فيها حنفية مياه تعمل بواسطة الضغط عليها، في سقف الزنزانة لمبتان صفراوان وفتحتان للكونديشن، واحدة لضخ الهواء البارد والثانية لشفط الهواء؛ لأن الزنازين تحت الأرض لا يوجد فيها شبابيك في جدران الزنازين يسمح بدخول الهواء؛ لأن الطابق كله تحت الأرض وطابق الزنازين هذا صمم بطريقة تجعل الأسير معزولاً عن المحيط الخارجي كلياً، الإضاءة الصفراء المعتمة، الجدران الخشنة السوداء، الأرضية المعتمة، العزلة عن المحيط، كلها عوامل صممها شياطين المخابرات الإسرائيلية لتخدم هدفاً واحداً، وتؤدي لنتيجة واحدة وهي إرهاب وإرعاب الأسير الفلسطيني وتدمير نفسيته ودفعه للاعتراف.

أبواب الزنزانة سميكة لا يوجد فيها سوى فتحة دائرية في أعلى الباب وفتحة مستطيلة في وسط الباب أو أقل نحو الأسفل تسمى بالعبري (أشناف)، تستعمل لإعطاء الأسير طعامه وتقييد اليدين عند



الخروج للتحقيق، ولكل زنزانة بابان سميكان يبعد كل باب عن الثاني مساحة مترين، والهدف من وجود بابين هو عزل الأسرى الموجودين داخل زنازين التحقيق حتى لا يتواصلوا بواسطة النداء.

في كل زنزانة مقعد صغير من الباطون ملصق بالجدار يضع عليه الأسير أغراضه الخاصة وهي قليلة بالأصل، وبالأصل لا يوجد عنده شيء، وفي مراحل متقدمة قد يحصل الأسير على فرشاة أسنان ومعجون أسنان وقد يحصل على ملابس قليلة العدد فيضعها على هذا المقعد، في كل زنزانة يوجد فرشاة واحدة وأحياناً فرشتان اثنتان، وكل أسير أو أسيرة يعطى بطانيتين خشنتين لونهما بني يكملان دور المحقق في إيذاء الأسير وهو نائم، فلا يرحمان جلده بوخزه بوبرهما الشبيه بالإبر والتقريص والحكة المستمرة، ولا يرحمان نفسه المتعبة من هواء الكونديشن المتجمد، فيكملان دور المحقق في تعذيب المعتقلين.

أعدت الشرطيات الأسيرة أمل إلى الزنزانة رقم (35) وتوجهن إلى الزنزانة رقم (17)، شرطي يفتح أقفال باب الزنزانة رقم (17) وشرطية أخرى عبر الفتحة الدائرية في أعلى الباب، حياة بشير يلا، «حكيراه» أي تحقيق بالعبري، ثم أعدت الشرطية إغلاق الفتحة الدائرية وفتحت الأشناف وطلبت من حياة مد يديها إلى الأمام ليتم تكبيلها بالأصفاد الحديدية لنقلها إلى مكتب التحقيق.

اقتادت الشرطيات الأسيرة حياة إلى غرفة التحقيق وأجلستها على الكرسي مقيدة اليدين والرجلين كما يحدث مع أي أسير وأسيرة في جولات التحقيق.



وكما هو الروتين في التحقيق يُترك الأسير على الكرسي لفترة من الزمن، ثم يدخل المحقق أو مجموعة من المحققين ومعهم ملفات كبيرة من الأوراق حتى يوهموا الأسير بضخامة قضيته وخطورة وضعه، وذلك لإجباره على الاعتراف بقضية صغيرة بدلاً من أن يفتح المحققون الملف الكبير فينزلق للاعتراف بالقضايا الكبيرة وبالتالي الحكم عليه بالأحكام العالية في خطوة بيع الوهم، اعترف فقط بهذه القضية مقابل إغلاق ملفك، ثم مرت ساعة كاملة والأسيرة حياة على الكرسي وحيدة، حتى جاءت شرطيات وقمن بفك القيود الواصلة ما بين يدي ورجلي الأسيرة والكرسي الحديدي المثبت بالأرض.

- نحن متأسفون، هذه الغرفة ليست الغرفة المخصصة للتحقيق معك، سنقوم بنقلك إلى غرفة المحقق المسئول عن ملفك، وألبسها نظارات التزلج على الجليد.

ضحكت حياة ضحكة خبيثة تتناسب مع حجم خبائث المتأسف والخطأ المقصود الذي وقع من الشرطيات بإدخال حياة إلى غرفة بالخطأ، ونسيانها لمدة ساعة وقالت في سريرتها: هذه أولى أفلام التحقيق المحروقة فلنر القادم. قرعت الشرطة الباب.

- تفضل، ادخل!

- ردت المحققة ميخال من خلف الطاولة وهي مشغولة بالنظر إلى شاشة الكمبيوتر.



دخلت الشرطيات يقدن الأسيرة حياة حتى أجلسناها على الكرسي، وأدّين الطقوس المعتادة في التقييد ونزعن نظارة التزلج على الجليد عن عينها.

- أهلاً وسهلاً بالست حياة.

- أهلاً فيك.

- أنا الكابتن ميخال.

- قاطعتها حياة: تشرفت بمعرفتك صباحاً.

- أه صحيح ذاكرتك قوية، على كل حال أنا المسؤولة عن ملفك في التحقيق في جهاز المخابرات «الإسرائيلية»، أتمنى أنك تكوني عاقلة وتسمعي الكلام وتتقبلي النصيحة مثل صاحبتك أمل.

صاحبتك أمل سمعت الكلام واعترفت بكل شيء، هنا على هذه الطاولة على نفس هذا الكرسي، خلّصت القضية، وبعد يومين سيتم نقلها للسجن عند الأسيرات وترتاح من التعب في التحقيق والنوم في الزنازين، مين أحسن يا ست حياة النوم بالزنزانة لوحدك وغطاؤك بالبطانية الخشنة ولا النوم على برش نظيف وحرام نظيف عند الأسيرات؟

- طبعاً يا ست ميخال النوم على برش نظيف، والحياة عند الأسيرات أفضل بكثير من النوم والعيش في الزنازين ولكنه عندي حل أفضل وخيار أحسن دار والدي، وسريري وحرامي أنظف وأحسن من





الزنازين والسجن، إذا فعلاً تريدان راحتي أطلقني سراحني.

- نعم سأطلق سراحك اليوم على شرط واحد، تعترفني بالقضية وتحكي القصة كاملة وأنا أعدك باسمي واسم الشاباك «الإسرائيلي» سأرفع التوصية للمحكمة لتخفيف الحكم.

- كابتن ميخال، في بداية الكلام قلت ستطلقين سراحني اليوم، وفي نهاية الكلام سترفعين توصية بتخفيف حكمي، حيرتيني، أي الأمرين أختار؟ كوني واضحة، صدقيني لو كان عندي قصة لحكيتها، ولو عندي قضية لأعترف بها، أنا كل قصتي وكل قضيتي إني طالبة جامعية، وأعتقد أن الدراسة في الجامعة ليست جريمة في أي دولة من دول العالم باستثناء واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط، دولة «إسرائيل».

- نحن واحة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط رغمًا عنك وعن كل العرب، نحن دولة قانون، نحترم القانون، الدراسة في الجامعة ليست جريمة عندنا، ولكن طالب الجامعة يمكن أن يكون مجرم إرهابي، ذلك عندما يخالف القانون.

- أي قانون؟ قانون الاحتلال!

- أنتم إرهابيون، والقانون لا تستحقون أن تعيشوا في ظله، أنتم قتلة أطفال، تقتلون المواطنين «الإسرائيليين» الأبرياء في شوارع القدس وتل أبيب، تقتلون المسافرين على شوارع الضفة الغربية.

- مسافرين على شوارع الضفة؟ قصدك المستوطنين! أهؤلاء



أبرياء؟ أهؤلاء عزّل؟ يا كابتن ميخال! حتى مع عدوك يا ست ميخال يجب أن تكوني منصفة، اذهبي وراجعى معلوماتك تعرفي من هم قتلة الأطفال، نحن أم أنتم؟ ومن هم قتلة المواطنين الأبرياء العزل، نحن أم أنتم؟

- معلوماتي متأكدة منها 100 ٪، أصلاً نحن المخابرات نحن الذين عندنا المعلومات الأكيدة والصحيحة.

سحبت المحققة ميخال نفسها على الكرسي من خلف الطاولة ودفعت نفسها مع الكرسي نحو حياة ووضعت وجهها قبالة وجه حياة المقيدة على الكرسي المثبت بالأرض ماسكة حياة من ثوبها بيديها ثم خنقتها وجذبته بقوة صارمة بوجهها بعنف، أنا دلتك كثيرًا، نحن قتلة أطفال يا إرهابية؟ أنت إرهابية مخربة، أنتم قتلة الأطفال، وأنت هنا لأنك قاتلة أطفال رأسك سأكسره، أنا طول عملي في التحقيق أحقق مع أسرى رجال كانوا عاملين حالهم أبطال برة، عندي هنا من أول جلسة اعترفوا بكل شيء، أنا محطة الرؤوس، أكبر رأس بجلسة تحقيق واحدة بعصره مثل حبة الليمون، من أنت أمامي؟ من أنت أمام الشاباك؟ أنت مخربة صغيرة مش رح تطلعي من عندي إلا وأنت مخلصه كل اللي عندك، لن تغادري هذا الكرسي لن تقومي من هنا ولن ترجعي للزنزانة إلا بعد أن تحكي القصة كاملة.

أرخت المحققة ميخال ثوب الأسيرة حياة، ودفعت نفسها إلى الخلف منتفضة فوق كرسيها المتحرك والدوار، وانتصبت واقفة أمام الأسيرة حياة



ورددت الأسطوانة المشروخة التي دوماً يرددها المحقق على أسماع الأسرى الفلسطينيين.

- نحن في المخابرات «الإسرائيلية» نعرف كل شيء، كل شيء موجود عندنا، ومكشوف لنا، أحسن لك تعترفي وإلا سأضطّر لاستعمال أساليب أخرى، نحن عندنا من الأساليب اللي تخلي المجرم يتكلم، أحسن لك اعترفي بالتي هي أحسن.

- كابتن ميخال بما أن كل شيء عندكم مكشوف ومعروف لماذا تصري على اعترافي بما أنه كل المعلومات عندكم ماذا سيفيدكم اعترافي؟

- نحن في المخابرات «الإسرائيلية» كل صغيرة، وكل كبيرة عندنا ونعرفها، ولكن يجب أن نسمع القصة من أصحابها، يلا ريحيني، وريحني نفسك وقصّي القصة كاملة وخلينا نخلص الموضوع مثل ما خلصت أمل.

- هي أمل خلصت الموضوع؟ واعترفت، هي حرة تعترف أو ما تعترف، قد يكون عندها قصة أو موضوع، أما أنا لا في عندي قصة ولا موضوع، غير قصة إني طالبة جامعية فقط، لو كان عندي قصة مثل أمل لحكيته.

أطفأت المحققة ميخال جهاز الكمبيوتر وقلبت شاشة الجهاز مع أنه مطفأ إلى الجهة المعاكسة للأسيرة للأسيرة حياة ثم للممت أوراقها وخرجت مسرعة، تاركة الأسيرة حياة لوحدها مقيدة على الكرسي.

هذا الإجراء، ترك الأسيرة على الكرسي مقيدة اليدين والرجلين



لمدة قد تطول وقد تقصر. إجراء روتيني وطبيعي يستعمله المحققون الصهاينة حيث يتم مراقبة التحقيق إما من خلف الزجاج أو من غرفة مجاورة بواسطة الكاميرات من قبل فريق مساند للتحقيق ويتم تسجيل الملاحظات، فعندما ينسحب المحقق من التحقيق ويعود بعد فترة للاطلاع على ملاحظات عملية التحقيق والاتفاق على استبدال أساليب قديمة واستعمال أساليب جديدة.

كالعادة بعد غياب حوالي ساعة عادت المحققة ميخال ويدها كاسة نسكافيه وباليد الأخرى قطعة كيك، وضعت كاسة النسكافيه وقطعة الحلوى على الجهة اليسرى لجهاز الكمبيوتر واستلمت لوحة المفاتيح، وبدأت بعملية الضغط على الأزرار دون أدنى التفافة للأسيرة المشبوحة على الكرسي من أكثر من ثلاث ساعات وهي تتبادل شرب النسكافيه تارة وأكل الكيك تارة والنظر إلى شاشة جهاز الكمبيوتر، وبعد مرور وقت ليس بالقليل كان كافيًا للإجهاد على كاسة النسكافيه بتلذذ مصطنع، والتهام الكعكة، التفتت المحققة إلى حياة:

- هل أحضر لك نسكافيه؟ أم أنكم في الضفة لا تعرفون النسكافيه؟  
أم أنكم..

- صعقتها حياة الجواب قبل أن تكمل المحققة مشوارها بالاستهزاء والسخرية.

- كابتن ميخال، هذا النسكافيه الذي تشرينه كنت أشربه وأنا طفلة صغيرة في بيت أبي، وهو يناسب الأطفال فأكثر من شربه؛ لأنه غني بالكالسيوم اللازم لنمو عظام الأطفال.



حاولت المحققة امتصاص الصعقة وردّها بابتسامة مصطنعة تُخفي حالة الحنق الشديد، وردت بعبارة استهزاء سخيفة: علمي أنك طالبة حقوق ولست طبيبة، أم أنك عاملة فيها أم العريف بتعرفني كل شيء، وعاملة حالك فيلسوفة زمانها؟

واجهتها حياة بالصمت المطبق؛ لأنه أبلغ جواب، فمن الصمت ما قتل.

استدارت المحققة ميخال نحو الجهاز وبدأت تدقق بسيل المعلومات المتصاعدة على الشاشة وما هي إلا لحظات وإذا بمجموعة من المحققين والمحققات يفوق عددهم التسعة يتقدمهم المحقق أبو جمال كما يُسمى نفسه، انتشروا حول حياة من كل الجهات كما تحيط الوحوش المفترسة بالفريسة.

- مرحباً ست حياة، أنا الميجر أبو جمال مسؤول التحقيق في كل السجون الصهيونية.

- أهلاً ميجر أبو جمال، لكن لماذا تحجل من اسمك العبري، أنا امرأة واسمي حياة، في أي مكان أذهب إليه أقول اسمي (حياة) لا أخجل، ولا أخرج منه، لا أُسمي نفسي عند المسيحيين اسم مسيحي مثلاً، أنت ميجر وأنا لا أعرف ماذا تعني كلمة ميجر، ولكن لا أعرف لماذا تسمي نفسك اسمًا عربيًا وأنت لست عربيًا، قالتها ورائحة السخرية والاستهزاء تفوح من كل كلمة تقولها على مسمع ومرأى شلة المحققين والمحققات.

- ليس من الضروري أن تعرفي لماذا أنا اسمي أبو جمال، لكن من



الضروري أن تعرفي لماذا أبو جمال اليوم جاء يحقق معك، أبو جمال عندما يمسك ملف تحقيق لأي أسير بأسرع من البرق يُنهى هذا الملف، ولما أبو جمال يمسك مخرب، هذا المخرب قبل ما يصل إلى مركز التحقيق يكون قد اعترف بكل شيء، يعني أبو جمال تخصصه عصير، تعرفي ماذا يعني عصير؟ قالها صارخًا.

- لا أعرف ما يعني عصير، عرّفني ميجر أبو جمال.

- عصير يعني أنني أعصر المخرب كما أعصر حبة الليمون، أخذ العصير أي المعلومات التي يعترف لي بها المخرب وأرمني الليمونة، أعني المخرب أو المخربة أمثالك إلى السجن حتى يتعفن، لكن حظك حلوا أن ملفك وصلني بعد ما وصلت مركز التحقيق ومع ذلك اليوم، وليس بكرة، هذه الساعة وليس الساعة التي بعدها، ملفك لازم يكون خالص بدون سابق إنذار.

وكالكلاب المسعورة شنّ المحققون والمحققات هجومًا عنيفًا على الأسيرة حياة المقيّدة على الكرسي لمدة أكثر من ثلاث ساعات، منهم من خنقها من رقبتها، منهم من خنقها من فكّها، آخر ضغط على القيود التي بدورها سحقت اللحم عن العظم حول المعصم، الكل يصرخ، الكل يصيح، الكل يسأل، الكل يشتم، أين تخفي السلاح؟ أين خبأت العبوات؟ أين خبأت الحزام الناسف؟ من هو المخرب الذي سيفجر نفسه في العملية؟ أنت كذابة، أنت مخربة، أنت قاتلة، من هو المسؤول عن الخلية؟ هيا تكلمي، لن نتركك حتى تموتي أو تعترفي، هيا تكلمي،



هيا أجيبني، هيا اعترفي، لن نسمح لك بتنفيذ العملية لن نسمح لك بقتل أطفالنا، لن نسمح لك بتخريب حياة مواطنينا الأبرياء.

تملك الخوف الأسيرة حياة وهي تواجه هذا الانقلاب الخطير في سلوك المحققين والمحققات الذين بدأوا الحديث معها بمتهى العقلانية وفجأة انقلبوا إلى عدوانيين شرسين، تسعة أشخاص كالوحوش الضارية تهاجم امرأة، بل صبيّة شابة في مقتبل العمر وحيدة ومقيدة من يديها ورجليها بكرسي مثبت بالأرض، الكل يخنقها، الكل يصرخ بوجهها، بأذنها بأعلى الأصوات وأنكرها.

لاذت حياة بالصمت المطبق بوجه هذا السيل الجارف من الصراخ والمسبات والشتائم والأسئلة المجنونة، هي إن أجابت فلن يسمعها أحد؛ لأن الهدف من هذه المسرحية وهذا الأسلوب من أساليب التحقيق، إخافة الأسيرة وإرعاها وحملها على الاعتراف، لذلك قررت الصمت وترك الكلاب تنبح ومسيرة الصبر وتحمل الأذى تسير.

استمر المحققون بنباحهم وعويلهم كما هو مخطط لهم ولمسرحيتهم مسبقاً حتى دخول المحقق العاشر والذي سيلعب دور المحقق الصديق واللطيف الودود والذي سيُنقذ حياة منهم.

فعلاً مع دخول المحقق العاشر والذي شاهد المسرحية من على باب الغرفة انخرس كل المحققين والمحققات، وخرجوا من الغرفة بعدما علا صوت المحقق العاشر ضمن لعبة محبوكة مسبقاً.



- سو هيرت، سو هيرت، سو هيرت، بسرعة، بسرعة من فضلك فكي القيود والكلبشات، جميع القيود، سو هيرت أحضري بشكير ورق تواليت، أحضري كاسة ماء، بسرعة من فضلك، ما هذا؟ ما الذي حصل؟ ما هذه الوحشية؟ تسعة محققين على أسيرة، كلاب متوحشين، ما بخافوا الله.

أحضرت الشرطة بشكيرًا وكاسة ماء ومسحت الدم السائل على شفة حياة، وقدّمت لها الماء بكل ود واحترام وإنسانية شفافة بالغرابة، بل لفصول المسرحية كيف تتبدل من الكوميديا إلى التراجيديا.

- تفضلي ست حياة اشربي الماء، أحضر لك عصير، كولا، قهوة، كيك؟

- شكرًا لك لا أريد أن أشرب شيء.

- أنا متأسف لتصرّف هالكلاب، هؤلاء لا يفهمون، هؤلاء ليسوا بشر لكن أنتِ الله يسامحك، ويغفر لك سمحت لهم بهذا التصرف الذي أنا لا أقبله ولا أرضاه، لازم تحمدي ربك أني صدفة كنت مارق جانب الغرفة سمعت ما سمعت، الله يصلحك لو أنك سمعت كلام الست ميخال لما حصل ما حصل، على كل حال إنسي كل الذي حدث، أنتِ من إيش خايفة ما في على ايديكي دم يهودي، لا قتلي، لا جرحي، يعني فش عندك حكم مؤبد، يعني فش عندك هدم بيت، قضيتك بسيطة، كل ما نريد معرفته معلومات بسيطة، مسؤول الخلية، أعضاء الخلية، سلاح الخلية عند مين موجود؟ فقط هذا كل ما نريد معرفته ويتتهي التحقيق وإلا أنا لا أضمن لك تكرار ما حدث قبل قليل.





أنت على كرسيك، ولا أقول لك سأغير الكرسي، سوهيرت،  
سوهيرت، من فضلك أحضري كرسي آخر - لحظات بسيطة حضر  
الكرسي-.

- تفضلي ست حياة اجلسي على هذا الكرسي المريح، أنت وأنا على  
كرسي، بلا صراخ، وبلا تهديد، بلا عصبية، خمسة أسئلة، ولا سؤال زيادة،  
أجيب عليهم وأنا أكفل لك عند الشاباك بانتهاء التحقيق وإغلاق القضية.

- ما هذه الأسئلة؟

1. مسؤول مجموعتك نحن نعرفه سنعتقله أو سنقتله آجلاً أم  
عاجلاً، فقط نريد منك أين يجتبي؟

2. أين سلاح المجموعة مخبأ؟

3. أين الحزام الناسف الذي ستنفذون به العملية؟

4. ما هو اسم الانتحاري الذي سينفذ العملية القادمة؟

5. أنت ما هو دورك في العملية؟

- يعطيك العافية، كابتن أبو..، نسيت أن تعرفني على نفسك أبو  
جمال ولا أبو خليل، ولا أبو عادل.

- لا أنا مردخاي، الكابتن مردخاي.

- فقط هذه الأسئلة التي تريدها؟



- نعم فقط لا غير.

أولاً: أنا لست عضواً في أي مجموعة ولا أعرف أي مسؤول مجموعة وليس لي مجموعة مسلحة أصلاً، أنا فقط طالبة جامعية.

ثانياً: بما أنني طالبة جامعية، ولست عضواً في مجموعة مسلحة فبالتالي لا يوجد عندي سلاح؛ لأنني لست بحاجة لاقتناء أي قطعة سلاح.

ثالثاً: بحياتي ما تعاملت مع العمليات الاستشهادية ولا الاستشهاديين ومثلي مثلكم، وأنتم تعرفون الاستشهادي بعد تنفيذ العملية كذلك أنا أعرفه بعد أن يُعلن عن اسمه وصورته، أما دوري في العملية فأصلاً لا يوجد هناك عملية حتى يكون لي فيها دور، كل هذه الأسئلة هي من اختلاقتكم، ومن أوهامكم لا أساس من الصحة لوجودها.

- هذا هو ردك؟

- نعم هذا هو كل ردي؟

- أنا أحاول أن أساعدك، صدقيني نيتي تجاهك طيبة جداً، فقط أحببت أن أكون واسطة خير بينك وبينهم ونبحث عن حل وسط، أم أنك حابة تبقي مشبوحة على الكرسي ويرجع عشرين محقق في المرة القادمة يحققوا معك مثل المرة السابقة.

على كل حال أنت متعبة حالياً، أريد أن أنزلك على الزنزانة تترتاحي ونكمل الحديث غداً، أتمنى منك التفكير الجدي بما قلت لك، أنا أريد مصلحتك.



- شكرًا لك على جهودك.

- سوهيرت، سوهيرت، من فضلك أنزلي الأسيرة حياة إلى الزنزانة رقم (17).

ضحكت حياة في أعماقها ضحكة عميقة لم يظهر منها على السطح سوى ابتسامة أعاظت المحقق اللطيف مردخاي، كانت كفيلة باستفزازه حتى نهض من على كرسيه.

- حياة لماذا تضحكين؟ هل تضحكين عليّ؟

- أنا لا أضحك، أنا أبتسم، هل الابتسامة ممنوعة؟ هل الابتسامة جريمة تلاحقها المخابرات «الإسرائيلية» ويعاقب عليها قانونكم؟ سيادة المحقق أنصحك، عندما تكذب أن ترتب الكذبة حتى لا تُكشف.

- ما هو قصدك؟

- لا قصد لي سوى النصيحة.

نفذت الشرطيات أوامر المحقق مردخاي المتخفي بملابس الود واللطافة، وأنزلن الأسيرة حياة إلى الزنزانة رقم (17) وأشواقها تسابقها للقاء أمل والحديث معها وبث أحزانها إليها، ولكن ضاعت أحلامها بلقاء أمل أدراج الرياح عندما دخلت الزنزانة رقم (17) ولم تجد فيها سوى فرشة واحدة، وهذا يعني أنها ستقضي الليلة وحيدة في هذه الزنزانة الموحشة ولن ترى صديقة عمرها.



أسبوع كامل مرّ على وجود الأسيرتين أمل وحياة في الزنازين بعد جلسة التحقيق الأولى، ولم يطرق باب الزناينة أي محقق وهو أسلوب يستعمله المحققون لإرهاب الأسير نفسيًا وفكريًا وتركه على مدار أسبوع في صراع مع ذاته ومع احتمالاته العشوائية، متى سأخرج إلى التحقيق؟ ما هي الأساليب الجديدة التي سيستعملها المحقق معي؟ هذا من جانب، أما من جانب آخر فتشكل هذه المدة فترة استراحة كافية لجسد الأسير والأسيرة بعد ساعات الشبح الطويلة على كرسي التحقيق، وسمعت أمل صوتًا يقول:

شرطيات على باب الزناينة رقم (35)، أمل تجهزي، إلى مكتب التحقيق.

ارتفع مستوى التوتر، ازداد القلب خفقًا، ويتسارع النفس صعودًا وهبوطًا، معركة بكل معنى الكلمة، مواجهة مفتوحة، أسلحتها الإرادة والعزيمة والتحمل والذكاء.

تمّ اقتياد الأسيرة أمل إلى غرفة التحقيق بنفس الروتين المتبع مع كل أسير وأسيرة من باب الزناينة حتى كرسي التحقيق، المحقق مردخاي على كرسيه، لم يلق لدخول أمل بالألا، ولم يعر وجودها أي اهتمام، وظل مسمّرًا أمام شاشة الكمبيوتر يتابع تدفق المعلومات في روتين ممل يمارسه كل ضابط تحقيق أمام ناظري الأسير المشبوح على الكرسي، دخلت المحققة ميخال غرفة التحقيق ضامّة إلى صدرها ملفًا كبيرًا جدًّا وألقته على الطاولة، ووقفت خلف المحقق مردخاي مدققة النظر بشاشة الجهاز، وتبادلت معه



الحديث لمدة عشر دقائق قبل أن يتظاهر بأن اتصلاً قد جاءه على هاتفه الخاص؛ ليخرج من الغرفة مسرعاً دون أن يتكلم مع الأسيرة أمل كلمة واحدة في دور مرسوم له مسبقاً ليؤديه في مسرحية التحقيق.

- اه ست أمل، هل فكّرت بالكلام الذي تكلمنا به قبل أيام؟

- مش ذاكرة أيّ كلام، ذكريني ست ميخال.

- ولو! صرت ناسية، ظننتك ذكية جداً ولا تنسي، قلت لك نحن النساء يفهم بعضنا البعض أكثر وأفضل من الرجال، فخلينا نحل هالموضوع، بدون تدخل الرجال.

- اه تذكرت جيداً، صحيح بهذا الموضوع فكرت جيداً، صحيح نحن النساء يفهم بعضنا البعض، نفهم الرجال كذلك، وأنا أفهمكم مليح، مليح، محقق أو محققة كله واحد، شرطي، ولا شرطية، سجان ولا سجانة، أعتقد لو دخل زبال علينا في هذه الغرفة أول ما يتكلم معي سيكلمني عن الاعتراف، وأنه يريد مصلحتي، ويريد أن يساعدني، ما شاء الله هذه الإنسانية العالمية لا نراها على الحواجز ولا في حملات الاعتقال والمداهمة، الكل هنا في مركز التحقيق إنساني ويريد أن يساعدني.

- نعم هذه هي الحقيقة، الكل يريد مصلحتك، ولكن أنت مش قادرة أن تفهمي هذه الحقيقة، اعتقاداتك السابق، مش قادرة تتحرري منه.

- ما هو هذا الاعتقاد السابق كابتن ميخال؟



- اعتقاد أن اليهود أعداؤكم، يكرهونكم لمجرد أنكم عرب، هذه القضية ليست صحيحة.

- كابتن ميخال أنتِ تحاولين إقناعي أن الشمس تشرق من المغرب، ظننتك أعقل بكثير كابتن ميخال.

- نعم نحن لسنا أعداء العرب لمجرد أنهم عرب، نحن أعداء للإرهابيين والمخربين أمثالك.

- أنا لست إرهابية، لست مخربة، ومش عاملة شيء حتى تعتقلوني وتحققي معي كل هذا التحقيق، أنا طالبة جامعية، ومحامية وأعرف القانون مليح، مليح، أنا لم أعمل شيء ضد القانون.

انتفضت المحققة ميخال وركلت الملف بيدها بوجه الأسيرة أمل فتطايرت الأوراق في الغرفة، وصرخت بالقرب من أذن أمل: أنتِ مش عاملة شيء يا بنت ال... ال... ال...، يلعن أبوكِ يا أخت ال... ال...، أنتِ مش عاملة شيء ضد القانون.

- يلعن أبوكِ، أبو اللي جابوكِ من مزابل أوروبا، كندرة أبي أشرف من رأس أبوكِ وكل أهلِك يا بنت ال...، يا أخت ال...

خلال ارتفاع جلبة الجدال بين المحققة ميخال والأسيرة أمل دخل المحقق مردخاي الغرفة، وتدخل بالمشاجرة بينهما، ميخال التي بدأت بالسب والشتم على أمل التي ردّت لها الصاع صاعين.



- ما هذا الصوت؟ لماذا هذه الضجّة؟ ما هذا الكلام البذيء مش عيب عليكم هالكلام الوسخ، وين أنتن بالشارع؟  
هدّي كابتن ميخال، هدّي ست أمل، لا أريد أن أسمع أيّ كلمة.

عادت المحققة ميخال إلى كرسيّها وهي تنفخ زفرات حارقة من نَفْسِهَا الخبيث معبرة عن قهرها، جلس المحقق مردخاي على الكرسي المقابل للطاولة، مدّ يده وسحب الملف الأزرق وبدأ يقلب الأوراق، دقائق معدودة، طوى الملف وخرج من الغرفة برفقة المحققة ميخال.

غابت المحققة ميخال لمدة ساعة كاملة تاركة أمل مقيّدة اليدين والرجلين على كرسي التحقيق، ثم عادت وكأنه لم يحدث شيء.

- اسمعي أمل أنا أعتذر عن أي كلمة سيئة خرجت مني، أحياناً الإنسان لا يستطيع التحكم بأعصابه، أنت الله يسامحك استفزتيني، لماذا نحن اعتقلناك؟ هل اعتقلناك لأننا نحلم بك؟ هل لنا ثأر عندك؟ من بين كل الناس أخذناك للاعتقال لأجل أن نتسلّى بك ومعك! نحن المخبرات «الإسرائيلية» ليس عندنا شغل إلا أن نتسلّى بأمل وحياء، اسمعي أمل المعاملة من هذه اللحظة سوف تتغيّر، وضعك صعب ملفك أصبح خطيراً جداً خصوصاً بعد اعتراف حياة، صاحبك حياة خربت بيتك، صاحبك دمّرت حياتك، كل شيء أصبح أماننا واضح، ما في داعي للإنكار، التهم لا بستك لا بستك، حياة حكّت عن كل شيء، حكّت بلسانها وكتبت بخط يدها، تريدي أن تُلقِي نظرة على الاعتراف، سأرسل اعترافها، تريدي أن تري خط حياة الجميل، ولوّحت بمجموعة أوراق مكتوب فيها بخط اليد



باللغة العربية، الله أعلم من أيّ ملف قديم جاءت بها لتمرر على أمل كذبة اعتراف حياة ست أمل بدك تظلك داخلة بالحيط ظلك داخله، بعد ساعتين سنحضر كولا وعصير وكيك، تعرفي لماذا؟ علشان نحتفل لما نُحضر حياة أمامك وتعرف مرةً أخرى أمامنا وعلى مسمعك وبصرك ونحن نحتفل.

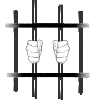
- عندما تجلبي العصير والكولا والكيك ستفكي قيودي؟

- طبعًا لا هذا الاحتفال لضباط التحقيق فقط، فاعذريني لن أستطيع فك قيودك، فأحسن ألا تخرجي صاحبك أكثر، صحيح هي اعترفت عنك؟ مش مليح نحضرها قدامك، خلص نفس القصة التي اعترفت بها حياة، اعترفي بها أنتِ، وهكذا نخلص القضية بدون زعل من أي طرف.

- مسكينة حياة اعترفت، والله الذي عنده قضية يعترف بها، لماذا يبقى محتفظ بها! أما أنا مشكلتي أنه ليس عندي قضية حتى أعترف بها، قضيتي أني طالبة جامعية وأنا اعترفت بها منذ زمن بعيد.

لملمت المحققة أغراضها، الملف الأزرق، جهاز الهاتف الخاص بها، مجموعة مفاتيح معلقة بعلاقة كبيرة تعلقها على جنبها، وخرجت من الغرفة وعندما وصلت إلى الباب عادت بسرعة وألقت بالأغراض على طرف الطاولة وطوقت بيدها رقبة أمل من الخلف واضعة فمها الكريه بالقرب من أذن أمل وبدأت تتكلم بهمس.





- ست أمل ستندمي ندم شديد، راجعة لك بعد ساعة من أجل أن نعمل الاحتفال، رأسك سنحطمه اليوم، بعد ساعة جهزي نفسك، وخرجت من الغرفة.

بعد ساعة أو أكثر حضرت مجموعة من الشرطيات وقمن بفك القيود من يدي أمل ورجليها المربوطتين بالكروسي ولم يقيدنها بتأتًا، فقط وضعن نظارات التزلج على الجليد وقدنّها إلى زنزانة رقم (20) حيث تتواجد الأسيرة حياة، سرحت أمل بتفكيرها بعيداً وبدأت أمواج الهواجس والخوف تتقاذفها وتضرب بقوة وعنف على جدران معنوياتها محاولة خلخلة أساس صمودها، تعددت الاحتمالات العشوائية، تناقضت التوقعات هل صحيح ما يقولونه؟ معقول حياة اعترفت بهذه السهولة! هل؟ هل؟ هل؟ كل شيء جائز، قد يكون، ما المانع؟ بالنهاية حياة إنسانة، قد تكون ضعفت، قد تكون خافت، أمّا أنا وإن اعترفت حياة سأخذ على نفسي إنقاذها وإنقاذ نفسي لن أعترف وإن قطعوني، لن أعترف مهما حاولوا، لن أعترف لو أمضيت ألف يوم بالزنزانة.

شرطية ظلت ممسكة بيد أمل على الباب الأول للزنزانة، شرطية ثانية وقفت على بُعد متر من الباب، سجان آخر قام بفتح الباب الأول ثم فتح الباب الثاني، وقفت حياة على الباب، صرخ عليها السجان أن ابتعدي عن الباب، تراجعت حياة إلى داخل الزنزانة، تراجع السجان إلى خارج الباب الأول، قادت الشرطية أمل إلى الباب الأول، ونزعت عن عينها النظارات، تفضّلي ادخلي.



- شكرًا سو هيرت.

لم تتوقع أمل هذه المفاجأة السعيدة في مكان كل شيء منه جائز إلا حدوث الأمور السعيدة، الزنزانة رقم (20) حيث تتواجد الأسيرة حياة، فرحت الاثنتان بهذا اللقاء السعيد الذي أذهب غُمة السجن والاعتقال، وأزال هم التحقيق وفك كربة الفرقة والابتعاد القسري لصديقتين تعلقت روحاهما ببعضهما البعض منذ نعومة الأظافر وبراعة الأحلام وبساطة الآمال، لم تصدق حياة المفاجأة الماثلة أمامها على باب الزنزانة، أمل بجسدها وبروحها، بخفة ظلها، بعد فراق استمر لأكثر من أربعين يومًا، وبعد جولات وصولات من التحقيق، أمل على باب الزنزانة، للعمة الصفراء داخل الزنزانة، ولوحشية الجدران لم تمنع أمل النظر هل يوجد أحد داخل الزنزانة أم لا، هي أصلاً لم تكن تتوقع أن تلاقي أحداً؛ لأن إبقاء الأسيرة وحيدة داخل الزنزانة من أساليب التحقيق لإشعارها بالوحدة والعزلة وبالتالي هدم ونسف قواعد معنوياتها، وخلختها ومن ثم دفعها للاعتراف، أمل الواقفة على الباب حيث أضواء الممر، الكوريدور، الواصل ما بين الزنازين يستطيع من هو داخل الزنازين أن يميّز الممر من هناك أو الواقف في الممر والعكس ليس صحيحاً، حامت حياة بعفوية سيئة لحظة رؤيتها أمل ولم تصبر على السجنانات أن يغلقن الباب، أمل، واندفعت نحوها مستغلة هذه اللحظات خائفة أن تكون السجنانات قد أخطأن برقم الزنزانة، ولكي لا تفوت الفرصة لم تصبر على أمل حتى تدخل الزنزانة، فعلى الباب عانقتها وقبلتها بحرارة لم تصدق أمل المفاجأة، نسيت السجن والشرطيات، نسيت المحققين وأكاذيبهم، مسحت من



خيلتها المحققة ميخال وتهويلاتها، أجهشن بالبكاء والتصق جسداهما شوقاً وحيناً كما هي دوماً ملتصقة روحهما ودخلن بغيوبة لم تستفيقا منها إلا على صوت الشرطيات يطلبن منهما الدخول إلى الزنزانة ليتمكن السجنان من إغلاق الباب، المفاجأة الكبرى بالنسبة لحياة وأمل على حدٍّ سواء هي إصرار السجنانات وسرعتهن بإدخال أمل إلى نفس الزنزانة المتواجدة بها حياة، انتهى فصل الاستقبال والترحيب المختلط بالبكاء والدموع تارة وبالضحك تارة أخرى وتذكر الأيام الخوالي خصوصاً أيام الجامعة مع الحديث عن مجريات التحقيق تارة أخرى.

- اسمعي حياة الحيطان لها آذان، فهمت عليّ.

- نعم فهمت عليك معلمتي أمل، أنتِ بكل شيء معلمتي.

- ولك أهلاً وسهلاً بالغالية أمل، شو تشريني؟

- أهلاً فيك أختي حياة، لا أريد غلبتك معي.

- أين قضيت هذه المدة؟

- قصدك الأربعين يوم، قضيت عشرة أيام في الفندق وعشرة أيام في المنتزه وعشرة أيام على شط البحر، وعشرة أيام رحلة الأهرامات في مصر، واليوم جيت عندك، الله يسامحك يا أختي حياة، مثلي مثلك، في الزنزانة، على كرسي التحقيق، مرّة المحقق أبو جمال، مرّة أبو عايد، مرّة مردخاي، مرّة المحققة ميخال يلعن أبوهم واحد، واحد، ما أحقرهم.



اختفت آثار التعب الجسدي والنفسي، وطار النعس من العيون وحلَّ الأنس محل الوحشة باجتماع الأسيرتين بعد التفريق القسري لمدة أربعين يومًا، عاد الحديث إلى اليوم الأول لدخول مركز التحقيق ذلك اليوم المشؤوم حيث تم فرض الفصل الإجباري عليهما من قبل المحققين، كل يوم تحقيق، كل جولة تحقيق، كل لقاء مع محقق أو محققة كل حدث على مدار الأربعين يومًا من الغياب جرى تداوله، وتقليبه وإشباعه بحثًا وتحليلًا، خمسة أيام، أمل وحياة في نفس الزنانية، لا جولات تحقيق لا مقابلة مع الوجوه الكالحة الكاذبة، وجوه المحققين الدجالين.

اليوم السادس، صوت الأصفاد والأقفال والحراس على باب الزنانية، لحظات معدودة انفتح الباب، لم يطلب الحراس من أمل وحياة الخروج للتحقيق في البداية أدخل أحد الحراس فرشاة، لحظات تم إدخال أسيرة جديدة، تم إقفال الباب وغادر السجنان المكان، دلَّ على ذلك اختفاء جلبتهم المزعجة، رحَّبت أمل وحياة بالأسيرة الجديدة.

- أهلاً وسهلاً بك أختنا الكريمة، الحمد لله على سلامتك، معتقلة جديدة أم قادمة من سجن آخر؟

- لا أنا معتقلة جديدة، من أسبوع اعتقلوني على حاجز إيرز، احتجزوني في مكان لا أعرف اسمه، اليوم جاؤوا بي إلى هنا.

- يعني أنت من غزة؟

- نعم أنا من غزة، قصدي حاليًا ساكنة في غزة أصلي من رام الله،



- متزوجة في غزة منذ خمسة عشر عامًا.
- أهلاً وسهلاً بأهلنا في غزة العزّة.
- أهلاً وسهلاً بكن.
- شو الاسم الكريم؟
- علّا المصري.
- أنتن من أين؟
- نحن من جنين.
- ما هو اسمكن؟
- أنا اسمي أمل صالح، أنا اسمي حياة بشير.
- تشرفت بمعرفتكن، إن شاء الله الفرج قريب لنا جميعاً شو بتشتغلوا برّة؟
- نحن طالبات جامعيات، أنا وأمل في جامعة النجاح الوطنية.
- كيف اعتقلوكن؟
- اعتقلونا على حاجز اسمه حاجز بيت إيبا غرب مدينة نابلس مثلك، يعني أنتِ معتقلة على حاجز ونحن أيضاً تم اعتقالنا على الحاجز.
- قدّرنا نعتقل ونقتل على الحواجز.



- من زمان أنتن معتقلات؟

- من أربعين يوماً تقريباً.

- أنا اعتقلوني على حاجز بيت حانون إيرز، كنت ذاهبة لزيارة أهلي في رام الله وللعلاج في مستشفى المقاصد في القدس، نقلوني إلى سجن عسقلان وحققوا معي، عذَّبوني ضرب وشبح، حرموني النوم، حرموني من الحَمَّام، حرموني من تبديل ملابسي، حرموني من الأكل، الله يخلصنا منهم، اتهموني بنقل أحزمة ناسفة من غزة للضفة وبالتحديد لمدينة نابلس أنا لم أعترف، أنا مستحيل أعترف لو بقطعوني ألف قطعة ولكن قالوا لي أن التحقيق في عسقلان مسخرة، وأمَّا التحقيق في بيتح تكفا صعب جداً، أنتنَّ ما هي تهتمكنَّ؟

كحكحت المعلمة أمل، في إشارة لحياة أن أتركي موضوع الرد عليّ ولا تنجري للحديث معها.

- الله يكون بعونك، تهتمك والله ثقيلة وبارك الله فيك على أنك لم تعترفي، نحن والله تُهمتنا بسيطة جداً نحن طالبات جامعيات، اعتقلونا على الحاجز العسكري، ونحن لسنا عاملين شيء، من بيوتنا للجامعة ومن الجامعة للبيت خط سير مستقيم.

- يعني ليس لكنَّ علاقة بالمجموعات الفدائية ولا بالمقاومة؟

- مثل ما قلتُ لك نحن طالبات جامعيات فقط وعلى الأكد يوجد خطأ بعميلة اعتقالنا؛ لأننا نحن لا علاقة لنا بأي شكل من أشكال المقاومة ونحن فقط طالبات.



- أنا مريضة وكنت بطريقي من غزة للقدس من أجل أن أعمل عملية جراحية في صدري، أنا والله تعبانة.

وبدأت تفرك صدرها بيدها وتقول أنا تعبانة عندي صعوبة بالتنفس لو أطلب بنخاخ الرّبو هل سيعطونني؟

- جربي، دقي على الباب واطلبي الدواء، اطلبي الطبيب.

- لا يوجد طبيب في هذا الوقت قد يوجد «خوفيش» وكلمة «خوفيش» كلمة عبرية تعني المسعف (الممرض).

دقت الأسيرة الجديدة، علا المصري، على الباب دقة خفيفة وما هي إلا لحظات وإذا بالباب يُفتح وتخرج الأسيرة علا مُسرعة ويُغلق الباب خلفها.

مرّت ساعة أو أكثر ولم تعد الأسيرة علا إلى الزنزانة حيث الأسيرتان أمل وحياة.

- طوّلت الأسيرة علا، الله يشفيها، على ما يبدو أن مرضها ثقيل وحالتها صعبة، محتمل نقلوها إلى المستشفى.

- الله يشفيك أنتِ يا حياة يا غيّبة، يا عمياء، أنتِ مصدقة أنها أسيرة وأنها من غزة، فعلاً العقل زينة.

- شو قصدك أختي أمل؟

- قصدي واضح وكلامي عربي، واضح هذه ليست أسيرة، هذه



جاسوسة، عميلة، بنت حرام وكذابة.

- حرام عليك يا أمل بلاش تظلمي المخلوقة.

- قلتُ هذه امرأة كذابة، تدّعي أنها من غزة، غزة بأرضها وشعبها براءٌ منها ومن أمثالها، أسيرة معتقلة من أسبوع ويا حرام، عذبوني، شبخوني، ضربوني، ويا حرام ريحة العطر تفوح من ثيابها، ثيابها نظيفة، ومكوية، ومرتبّة، ريحة العطر تُشم من على بعد كيلو متر، في معتقلة من أسبوع وقصبتها أحزمة ناسفة، ملابس نظيفة ومكوية وكأنها حاليًا طالعة من بيتها، وفي يديها ساعة فاخرة وخواتيم ذهب، ظل ناقص يدخلوا معها لاب توب أو آيفون، شوفي حالنا ملابسنا ريحتها معفّنة، والله من جمعتنا مع بعض توقعت، وقلت هالجمعة مش لوجه الله، قلت في مصيدة جديدة، من دخلتها علينا وكثرة أسئلتها قلت هذه عصفورة بنت حرام، أو ضابطة مخبرات يهودية.

- بالك محتمل تكون يهودية؟

- كل شيء جائز، كل شيء محتمل، في هذا المكان كل غريب محتمل وقوعه، ومثل ما قلت لك في حوارة، أبوك إذا تلتقي به هنا في السجن لا تؤمني له.

- يا ستي الله يكفيننا شرّها، وخيرها كمان، مش ناقصنا مصائب المهم يا ست حياة لا تأمني ولا لمخلوق مين ما كان ماشي.

- ماشي معلمتي أمل، الله يطوّل عمرك، سأظل أتعلم منك.





مرَّ أسبوع كامل على اجتماع أمل و حياة بعد حادثة دخول العصفورة الفاشلة على الزنزانة رقم (20) ولم تتعرضا لأي جولة تحقيق، فكانت هذه المدَّة كافية للراحة وترميم جدران الصمود في مواجهة ضباط التحقيق الذين مارسوا كافة أساليبهم الفاشلة حتى لجأوا أخيراً لدس جاسوسة عليهما في نفس الزنزانة في محاولة لانتزاع الاعترافات من الأسيرتين، ظانين أن المرأة الفلسطينية سهلة المنال ولمجرد احتجازها بزنزانة أو إجلاسها على كرسي التحقيق مقيدة الأيدي والأرجل مع القليل من الصراخ عليها، ستخضع معترفة بكل عمل قامت به أو لم تقم به، لكنهم ذهلوا الصبر وجلد المرأة الفلسطينية، وعجبوا الصبرها الذي يعجز عنه الرجال وإن كانت في مقتبل العمر لا تملك من خبرات الحياة.

سجانة صهيونية تدق الباب، أمل و حياة، حكيراه، حكيراه، أي تحقيق، شرطي يفتح الشَّناف، سجانة أخرى تلوح بالأصفاد الحديدية في إشارة للأسيرتين لتقوموا بمد الأيدي لتقيدها قبل فتح الباب وما هي الطقوس المعتادة في عملية النقل من وإلى الزنزانة، روتين لا يتغيَّر مع كل أسير وأسيرة من اليوم الأول للتحقيق حتى اليوم الأخير.

هذا اليوم بالتحديد وجلسة التحقيق هذه بالذات كسر الروتين في غرفة التحقيق، أمل و حياة، بلا قيود وبلا كرسي التحقيق بلا صراخ، بلا سباب، بلا شتائم، بلا طاقم التحقيق السابق، لا أبو جمال، ولا أبو فلان، ولا مردخاي، ولا المحققة ميخال، كلهم اختفوا، حتى غرفة التحقيق هذه ليست في جناح غرف التحقيق السابقة.



محقق شاب يقترب من أواسط الثلاثينيات يجلس على كرسيه خلف طاولة المكتب مع غياب جهاز الكمبيوتر وعلى شمال المحقق الذي عرّف عن نفسه باسم الكابتن دينس، تجلس محققة في مقتبل العمر يعني بدايات الثلاثينات من عمرها عرّفت على نفسها باسم الكابتن عنات، المحقق قدّم نفسه بهدوء تام وثقة مطلقة، أنا الكابتن دينس وبالعربي أحب أن أقدم نفسي الكابتن سعيد، تبادلنا أمل وحياة النظرات والابتسامات التي تنم عن معرفة تامة بهكذا أفلام محروقة ودواوين فارطة، نحن من خلال عملنا، وتحرياتنا ومعلوماتنا الدقيقة ومن خلال مراجعتي للمفكن وقد راجعته أكثر من مرّة برفقة زميلتي في الفريق الكابتن عنات تبين لنا أنه لا علاقة لكن بالعمل العسكري ولا بالمجموعات التخريبية، أي مجموعات المقاومة، ولكن لكن نشاطات داخل الجامعة، أنا لم يعد يهمني ما طبيعة هذا النشاط وكما تعلمون أنا لست المسؤول عن ملفكن، المسؤول عن ملفكن الكابتن ميخال وهي في هذا الأسبوع مجازة ومسافرة إلى خارج البلاد ومن الصعب حضورها، إذا كنتن تردن البقاء في الزنازين حتى عودة الكابتن ميخال ستقطن شهر زيادة وبلا فائدة في التحقيق، لذلك اليوم سأعرض عليكم صفقة لكي نُنهي الموضوع ويتم ترحيلكن إلى السجن وإغلاق ملف التحقيق وكل ذلك لمصلحتكن وحياة أمي.

- ما هي الصفقة كابتن دينس؟

- لدينا لائحة ضدكن تتضمن نشاطات داخل الجامعة، انتهاء وعضوية بالرابطة الطلابية، مسيرات، مظاهرات، كتابة وتوزيع بيانات، تجنيد طلاب وطالبات للرّابطة، بموجب هذه الصفقة تعترفن بهذه



اللائحة ونحن من جانبنا كمخبرات وجهة تحقيق نُغلق الملف على هذه النشاطات ويتم تقديم لائحة اتهام بحقك بهذه البنود ومن ثمّ يتم ترحيلك إلى السجن.

هنا تدخلت المحققة عنات: أمل بحياة ربك العناد مش لصالحك نحن الآن لسنا في جولة تحقيق، أنتِ عشت التحقيق على مدار أربعين يوماً، هل يوجد مظهر من مظاهر التحقيق؟ نحن بإمكاننا الآن إغلاق الملف وترحيلك إلى السجن وعند المحكمة تتفاجأ ببائة بند اتهام، ولن تستطيعي لا أنتِ ولا ألف محامي الخروج من القضية لذلك اسمعي أنا لا أنصحك أنتِ دارسة قانون، نحن نعرض عليك صفقة من أجل إنهاء القضية، بمعنى حل وسط لك ولنا عليكِ وعلينا.

- إذا اعترفنا بكل هذه التهم كم سيكون حُكمنا؟

- أنا أتوقع بفضل خبرتي بهذا المجال أن حكمك سيكون من ثمانية عشر شهراً إلى عشرين شهراً على أبعد حد.

- ما الذي سيضمن لنا ذلك؟

- كلمتي ووعدي كضابط مخبرات هي الضمان، نحن هنا الكل بالكل.

- وكم سنبقى في الزنازين إذا تمّت هذه الصفقة؟

- أربعة أيام على أبعد حد وسيتم ترحيلك إلى سجن الشارون.



- لن نوقع إلا على ورقة مكتوبة باللغة العربية.

- لا يوجد مشكلة، الآن سأتركك مع الكابتن عنات، ومن ثم سيتم إنزالك إلى مكتب الشرطة لكتابة الإفادة وهكذا تنتهي القضية أقصد ملف التحقيق.

- نريد محامياً ليكون شاهداً على ضمان تنفيذ الصفقة؟

- لماذا المحامي؟ بالقانون لا يجوز الاتصال بالمحامي في مرحلة التحقيق ليس عندنا وحدثنا بل في كل العالم، المحامي لا يُسمح له بلقاء موكله إلا بعد استكمال التحقيق، نحن المخابرات «الإسرائيلية» نحن الذين بأيدينا كل شيء، نحن الذين نعتقل ونحقق ونحكم، أنت تصدقين مسرحية المحكمة، القاضي، المحامي، نحن الذين نحكم الأسير من هنا فوق هذه الطاولة.

- نريد اتصالاً مع الأهل.

- سأتكلم مع القيادة إن وافقت سنعطيك اتصالاً.

عبر جواله الخاص تكلم المحقق دينس باللغة العبرية لمدة خمس دقائق ثم عاد موجهًا حديثه للأسيرتين أمل وحياء: في البداية تقدموا الاعتراف وتكبتوا الإفادة من ثم نعطيكم اتصال كل واحدة منكم خمس دقائق فقط.

- لا لن نوقع أي ورقة، ولن نكتب أي كلمة إلا بعد الاتصال مع الأهل، نتصل أولاً وكل واحدة منا عشر دقائق.



- عشر دقائق هذا كثير، خمس دقائق فقط.
- خمس، خمس من أجل إتمام الصفقة لا يوجد مشكلة.
- يسحب المحقق جهاز الهاتف الأرضي من جرّار مكتبه وأوصل سلكه بالإيريز المخصّص له بالحائط.
- من فضلك أعطيني رقم الهاتف أمل.
- 414-042....

أكملت أمل مكالمتها وهي تُغالب دمع عينها حتى لا تسيل على وجنتيها كي لا يشمت بها المحقق ولكن عبثًا حاولت كبت عواطفها وحينها لأهلها، بعد أمل جاء دور حياة في المكالمة، دق قلبها بعنف شوقًا لأهلها وسالت دموع عينها قبل المكالمة، ضغطت أمل بقدمها على قدم حياة لعلها تفهم الرّسالة بأننا في آخر دقائق المعركة، تناولت المحققة عنات أوراقًا بيضاء وأفلامًا من الخبر الجاف لكل أسيرة بعد إكمال المكالمة كما نصّ الاتفاق الشفوي.

- لماذا هذه الأوراق الكثيرة؟

- كي تكتبنّ اعترافاتكنّ.

- لسنا بحاجة لهذه الأوراق، قد تحتاجي لها مستقبلًا.

كظمت المحققة غيظها لهذه الإهانة وتبسمت بضحكة صفراء محاولة إخفاء حالة القهر، كتبت كل أسيرة اعترافًا بخط يدها حسب ما هو متفق



ولم تزد بكلمة واحدة، ووقعت كل واحدة باسمها الرباعي في نهاية الورقة طبعًا مع التوسُّع في الكلام الإنشائي، فمهننة المحاماة، تعلم القانون خدمت الأسيرتين خدمة عظيمة في فقرة الخروج من التحقيق وإغلاق هذا الملف دون خسائر فادحة.

أجرت المحققة عنات مكالمة قصيرة وما هي إلا لحظات حتى دخل شرطي أصلع الرأس، تبدو عليه ملامح عربية، حاول ألا يتكلم أيَّ كلمة عربية حتى يُخفي هويته العربية ولكن الشمس لا تُغطي بغربال، فقد نادت المحققة عليه باسمه كمال.

- كمال يعني أنت عربي!

- خليك بشغلك يا بنت، ما يعينك شو أنا ومين أنا؟! قالها بكشرة واضحة على وجهه المكفهر.

- درزي ولا بدوي أنت؟

- قلت خليك بشغلك وقد علت نبرة صوته.

- حياة اتركيه، الذئب بظله ذئب.

- أنتن بنات مش مريَّات.

- أنت يا خائن يا جاسوس، يا عميل بدك تعلمنا التربية روح ربِّي

حالك يا كلب اليهود.

صرخت المحققة عنات بأعلى صوتها بعد أن ضربت بكفِّها على



الطاوله: يكفي، ما هذا الكلام؟ أنتِ تَهينين موظف دولة، القانون سيعاقبك، هذا الكتسين كمال موظف في الشرطة من أكثر من عشرين سنة وهو يفهم اللغة العبرية مثل العربية، أنا اتصلت به كي يقوم بترجمة إفادتكن من العربية إلى العبرية.

- كابتن عنات نحن غير مطمئنات لهذا الشرطي، ومن حقنا أن نقلق من أن يقوم بتحريف أقوالنا لذلك لن نكتب إفادتنا عند هذا الشرطي.

- أنا لا أعمل عند أبوك.

قالتها عنات بغضب، تريدين إكمال الملف وإنهاء التحقيق أم تريدين العيش في الزنازين، ولا طابت لكم الحياة الزنازين.

- بل نريد إكمال الملف.

- إذا هيا، ماذا يعينك درزي أم بدوي، مسلم ولا يهودي.

طلبت المحققة من كل أسيرة قراءة إفادتها على مسمع الشرطي الدرزي كمال، وهو بالتالي يقوم بترجمتها للعبرية وتخزينها على جهاز الكمبيوتر، والمحققة عنات تراقب كل كلمة عبر جهاز الكمبيوتر الخاص بها، بعد الانتهاء من كتابة الإفادة وترجمتها تم إنزال الأسيرتين إلى مكتب الشرطة لتقديم نفس الإفادة، وأخذ البصمات لأصابع اليد العشر مع بصمة بطن الكف اليمنى واليسرى وبصمة العين والحمض النووي (DNA)، وبذلك انتهى فصل التحقيق من مرحلة الاعتقال المضيئة للأسيرتين الفلسطينيتين أمل وحياة.



## 4

بعد الانتهاء من كتابة الإفادة لدى الشرطة الصهيونية في مكتبها الصغير في الطابق الأول من المبنى الرئيسي لمركز التحقيق، تمَّ إرجاع الأسيرتين أمل وحياة إلى زنزانية جديدة ومختلفة عن نظيراتها تحمل الرقم (3)، وهذه الزنازين من (1 - 4) مخصصة للأسرى والأسيرات اللاتي أنهين التحقيق و ينتظرن الترحيل إلى السجون، ويُسمى الأسير في هذه الحالة أو يوصف بأنه أسير معه «شيك مفتوح»، الشيك المفتوح أشبه ما تكون بحياة البرزخ حيث يغادر الإنسان الحياة الدنيا بانتظار الحياة الآخرة، فكلمة انتظار هي المدَّة الزمنية الفاصلة ما بين ارتحاله عن الدنيا حتى تقوم الساعة، وكذلك هو الأسير - والله المثل الأعلى - حال انتهاء مرحلة





التحقيق وانتظار ترحيله إلى السجون، فمدة الانتظار قد تكون أسبوعاً أو أسبوعين أو تستمر حتى يتم ترحيله إلى السجون، الشك المفتوح يعني أن الأسير الفلسطيني قد أنهى مرحلة التحقيق والاستجواب وانتقل من سلطة الشاباك<sup>(1)</sup> إلى سلطة الشاباص<sup>(2)</sup>، لكن موجود حالياً في أماكن تتبع سلطة الشاباك، وفي هذه الحالة يستطيع الأسير مقابلة المحامي ومندوب الصليب الأحمر، ومحاكم الأسير في هذه المرحلة تكون في محكمة سالم أو عوفر أو المحكمة المركزية في القدس بعكس المحاكم في ظل سلطة الشاباك حيث إن الأسير يتعرّض لمحاكم صورية في المكان الذي يجري منه التحقيق معه، وهذه المحاكم لا تصدر إقراراً واحداً وهو التمديد.

الزنازين (1 - 4) مميّزة عن بقية الزنازين، أولاً لكونها بواب واحد فقط بينما بقية الزنازين من (5 - 35) لها بابان حديديان سميكان يعزلان الأسير عن عالمه الخارجي ويجعلان من الزنازة قبراً بباب حديد، كما أن هذه الزنازين من (1 - 4) ذات إضاءة جيّدة بيضاء اللون عكس الزنازين الأخرى ذات الإضاءة الصفراء الباهتة، أمّا مكان هذه الزنازين فهي الأعلى كثافة في العالم على الإطلاق فالزنازين ذات المساحة 6 أو 8 أمتار يُزجّ فيها أحياناً ثمانية أسرى وأحياناً عشرة أو أكثر.

كون أمل وحياة فتاتين فقد لعبت هذه القضية دوراً مهماً في تقليل كثافة السكان في الزنازة رقم (3)، فلم يدخل عندهما أي أسيرة على مدار الأسبوع الذي قضيتهما بعد انتهاء مرحلة التحقيق.

(1) الشاباك: المخابرات.

(2) الشاباص: إدارة مصلحة السجون.



الساعة التاسعة صباحاً، الزنزانة رقم (3) حيث مكان الإقامة الجديدة للأسيرتين أمل و حياة أو بمعنى آخر مقر حياة البرزخ في رحلة الاعتقال لهاتين الأسيرتين: سجان صهيوني يدق باب الزنزانة، أمل، حياة، زيارة صليب أحمر تجهّزن، راجع بعد خمس دقائق.

- اجهزوا، من يسمعك يظن أننا سنتحير أي ثوب نلبس وأي عطر سنضع، يخرب بيت أبوك من أربعين يوم ونحن بنفس الملابس، عَفْنَا وطلعت ريجتنا.

- العفانة ولا المهانة، الثائرة الحقيقية تُعرف من رائحتها النتنة.

121

ظنت أمل في البداية أن المخابرات الصهيونية قد نكثت بوعدها بإنهاء التحقيق وإغلاق ملف القضية كما تم سابقاً، وهذا ليس مستغرباً عليهم فتاريخهم ودوافعهم يشهد عليهم بنكث العهود والوعود، لكن هذه الشكوك تبدد جزء كبير منها عندما أخبرها السجان أن هناك زيارة للصليب الأحمر. غرفة صغيرة لا تتجاوز ثلاثة أمتار طويلاً وبعرض مترين تقع خلف المبنى الرئيسي لمركز تحقيق بيتح تكفا، الوصول إليها بحاجة لمرشد سياحي وبحاجة للمرور في دهاليز وممرات وأبواب تفتح وأبواب تغلق، وكأنها غرفة تحتوي أسراراً ومعلومات حسّاسة يمنع نشرها والاطلاع عليها، والحقيقة أن هذه الغرفة صمّمت لتكون فصلاً من فصول التحقيق لكن بأسلوب وبشكل آخر مختلف عن أساليب التحقيق المعروفة والمعهودة، هذه الغرفة صممت لتكون مسرحاً لتمثيل مشهد زيارة مندوب الصليب الأحمر للأسيرة خلال مرحلة اعتقالها واحتجازها في مركز التحقيق.



سبحان الله! زيارة مندوب الصليب الأحمر لا تأتي إلا بعد أن يكمل الأسير مرحلة التحقيق، ما هذه المصادفة العجيبة الغريبة؟

يلا رُبَّ صُدفة خير من ألف ميعاد، لكن في التحقيق لا شيء متروك للصدفة، لا شيء يسير سيراً طبيعياً، الأسير صاحب الحق يُساق بقيود الحديد، السجنان المجرم والمحقق المحتل يلعب دور العدالة، زيارة مندوب الصليب في هذا الوقت بالذات وقد أكملت أمل وحياة مرحلة التحقيق، هل هي مصادفة أم أنها جزء أساسي من التحقيق على قاعدة اضرب باليمين وتلقا بالشمال وضربة على الرأس وعشر ضربات على الرجلين.

بعد رحلة مهينة لمدة عشر دقائق عبرنا خلالها ممرات ودهاليز من شرطي لشرطي، باب يفتح، انتظرن، باب يغلق، انتظرن، وأخيراً وصلنا إلى غرفة خصصت لزيارة مندوب منظمة الصليب الأحمر كما هو ظاهر، الذي كان بانتظارهن، رجل نحيف الجسد، طول فارغ، أشقر البشرة يوحي بأنه أوروبي، يضع على صدره بطاقة عليها شارة الصليب الأحمر وتعريف هويته بالإضافة لصورته الشخصية، كرسيان بلاستيكيان بجانب الحائط وبالقرب من الحائط المقابل، طاولة بلاستيكية خلفها كرسي، وضع موظف منظمة الصليب الأحمر شنتطته على الطاولة ونثر حوله الأوراق وبدأ بتعريف نفسه.

- أنا اسمي مايكل ستيفان، مندوب منظمة الصليب الأحمر من بلجيكا، تعلمت اللغة العربية في سوريا.

- فش إلك اسم عربي مثل المحققين؟



ضحك المندوب وتظاهر بالبلاهة، عفواً ماذا يعني اسم عربي؟ اسمي مايكل ستيفان، الصليب الأحمر منظمة دولية إنسانية حيادية من مهمّاتها الدفاع عن الأسرى، مهمتها إنسانية فقط، نتابع مدى تقييد السلطات بالقانون الدولي ونرفع توصيات لجهات الاختصاص، نحضر رسائل، توصيل رسائل للأهل شرط خلوها من الأمور الأمنية التي تمس بأمن أحد الأطراف.

- إذا كانت هذه مهمّتك نتمنى منك أن تلتزم بهذا الجزء وتوصل توصيات لجهات الاختصاص المعنية بشكاوينا كما تقول، مع علمنا أنه لا شيء من احتجاجاتنا وشكاوينا يصل، ولا شيء يرفع، كل ما نكتبه ونقوله يذهب أدراج الرياح.

- هذه نظرة سوداوية وفيها ظلم لمنظمة الصليب الأحمر، نحن كل من يشككي، كل احتجاج، كل رسالة نقوم بتوصيلها للجهة المعنية، فالخلل في الجهة المعنية، نحن لا نمتلك سلطة ولا قوة لفرض القانون أو إلزام الجهة المعنية بتطبيق القانون الدولي.

- ليس صحيحاً، أنا أتكلم معك من الواقع، لا أفترى عليكم ولا أتجنّى على منظمتمكم.

- نحن منظمة إنسانية حيادية، وكما قلت مهمتنا فقط توصيل رسائل، تفضلي هذه الأوراق اكتبى رسائل فقط للأهل.

ثم دفع باتجاه أمل وحياة دفتر من أوراق الرسائل وأقلام حبر



جاف، من فضلكنَّ لا يوجد معي متسع من الوقت، أريد منكنَّ تقرير مفصَّل عن مجريات التحقيق ومن ثم تكتبين رسائل للأهل.

- أريد أن أكتب رسالة لعمي في السجن.

- ليس مسموحًا، رسائل للعائلات فقط.

- ماذا تقصد بمجريات التحقيق، هل تريد أن نكتب لك عن أربعين يومًا من التحقيق في دقائق محدودة ومعدودة، نحن محاميات ونفقه القانون جيدًا، نفقه قانون الحروب والأسر جيدًا، ونفهم دور المنظمات الإنسانية خصوصًا منظمتمكم، منظمة الصليب الأحمر التي لا تقوم بواجبها الإنساني تجاه الأسرى الفلسطينيين، فدوركم تقصرونه على زيارة الأسير الفلسطيني داخل السجن كل أربعة شهور أو ستة شهور وتحملون أباه ألف جميلة.

- نحن المنظمة الإنسانية الوحيدة التي تقوم بواجبها تجاه الأسرى الفلسطينيين، كل أسبوعين ننظم زيارة أهل للأسير، أدخلنا آلاف الكتب إلى السجن، نقلنا ملايين الرسائل من وإلى الأسرى، لدينا زيارات دورية للسجون كل ثلاثة شهور ونحن نعرف عملنا جيدًا، نوّدي دورنا على أكمل وجه، وأنا شخصيًا مجرد موظف، أنا زرت معتقلين في الدول العربية وفي أفريقيا وفي سجن غوانتانامو في كوبا، زرت أسرى عربيًا وغير عرب، هناك وهنا في «إسرائيل» دائمًا أזור الأسرى الفلسطينيين، وكذلك زرت محتجزين في سجون السلطة الفلسطينية، إذا كان هناك تقييد فأنا مجرد موظف كل ما تكتبينه لأي جهة سأعمل على توصيله وهذا عملي.



- شكراً لك على جهودك، نحن نقدر تعبك، أنتم منظمة دولية وهناك معاهدات أممية تخص الأسرى والمعتقلين وتبين حقوقهم، توافقت على هذه المعاهدات أغلب دول العالم ووقعت عليها أكثر حكومات العالم، وتبنتها منظمة الأمم المتحدة وسمتها معاهدات جنيف الأولى والثانية والثالثة والرابعة، هذه المعاهدات يفرض تطبيقها على كل دول العالم باستثناء «إسرائيل» فهي فوق كل القوانين الدولية والمعاهدات الأممية حتى أنتم في منظمة الصليب الأحمر مجرد ذكر لا تذكرون الاحتلال بهذه المعاهدات.

- قلت لك نحن منظمة إنسانية، ولسنا جهة تطبيق قوانين أو معاهدات.

125

- ومع ذلك أنتم في دول أخرى تمارسون دور راعي القانون خصوصاً في دول غير مرضي عنها أمريكياً، تقرير واحد من طرفكم عن هذه الدولة يؤدي لفرض عقوبات عليها.

قطع الحديث بسبب دخول شرطي صهيوني إلى غرفة الزنازين، طلب من المندوب إنهاء الزيارة؛ لأنها تجاوزت الوقت المحدد بخمس دقائق.

- فقط أريد خمس دقائق زيادة حتى أنهى عملي.

- غير مسموح، لقد أعطيتك خمس دقائق بدون أن تطلب، أرجوك لا تعرضني للعقاب، أنا مجرد موظف.

للم مندوب المنظمة أوراقه وأقلامه ووضعها داخل شنتته وهم بالخروج ووجه خطابه لأمل، رغم أنك متعبة بالحديث، مع ذلك أتمنى



أن أزورك داخل السجن؛ لأنك فعلاً تعرفين القانون الدولي، أتمنى لك إفراجاً عاجلاً.

- وأنا أتمنى لقاءك داخل السجن؛ لأنه عندي حديث طويل.

خرج مندوب الصليب الأحمر مع الشرطي الصهيوني واختفيا خلف الأبواب، وبقيت الأسيرتان في غرفة الزيارة مع شرطيتين واقفتين على الباب.

- لقد تكلمت معه كثيراً وأثقلت عليه بالكلام، هو مجرد موظف في الصليب الأحمر هل تظنين أنه سيطلق سراحنا ويروحنا معه على دور أهالينا؟

- حياة يا هبلة يا مسكينة أنتِ مصدقة فعلاً أنه موظف صليب أحمر مثل ما أنا شايفاك، وعارفة مين أنتِ، طول الجلسة وأنا شايفة أمامي ضابط شاباك دوره يتقمص شخصية مندوب الصليب الأحمر، نحن ما زلنا في مرحلة التحقيق، لكن التحقيق أخذ شكلاً جديداً.

- معقول كلامك أمل؟

- معقول ونص، ولا الصليب الأحمر يعلم الغيب أنه بالأمس خلصنا تحقيق واليوم جاء لزيارتنا، لماذا لم يزرنا ويسأل عنا طول الأربعين يوماً من التحقيق؟

- قد يكون الصليب الأحمر يقدم طلبات ولم تسمح المخابرات بزيارتنا إلا في اليوم الذي أكملنا فيه التحقيق.



- قد يكون كلامك صحيحًا، ولكن هذا الرجل الذي زارنا اليوم على أنه مندوب الصليب أنا شخصيًا غير مطمئن له، هذه الزيارة ليست بريئة وليست لوجه الله.

- تتوقعين أن الصليب الأحمر ينسق مع المخابرات الصهيونية؟ طوال التحقيق ما في زيارات للأسير ولما ينتهي التحقيق يأتي للزيارة شو هالصليب؟ صليب مفصل على قدر ومقاس المخابرات ويقولون في النهاية نحن منظمة إنسانية.

- يعني ست أمل إحنا بدنا الصليب الأحمر يدافع عنا، يخلف عليهم اللي بييجوا يزورنا.

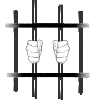
طرق خفيف على الباب، مندوب الصليب الأحمر بأدب ولطف يدق على الباب ويفتحه نصف فتحة ويدخل كيسين صغيرين بداخلها القليل من الملابس.

- عفواً نسيت أن أخبركم أني قد أحضرت لكم ملابس، أتمنى أن تتناسب مع مقاساتكم وتعجبكم، كان بودي أن أحضر لكم المزيد من الملابس ولكن الإجراءات الأمنية مشددة ولم يُسمح لي إلا بإحضار القليل من الملابس.

- شكرًا لك لا تقلق على الأكيد هذه الملابس تناسب مقاسنا؛ لأنك مش أول مرة ترانا فيها.

ضحك المندوب ضحكة صفراء خبيثة تخفي طبيته ولاذ بالصمت وأغلق الباب خلفه وغادر المنطقة.





- شو قصدك ست أمل هذه مش أول مرّة ترانا فيها؟ أنت تعرفينه؟  
شفتيه قبل هذه المرة؟

- قصدي واضح ست حياة، أنا لا أعرفه، ولم أره إلا اليوم، ولكن هذه الزيارة قلت لك سابقًا ليست بريئة، هذا المندوب لعب دور الممثل المتقمص. المندوب ليس أول مرّة يرانا فيها، هذا ليس مندوب صليب أحمر ولا هلال أصفر ولا بطيخ مصدي، هذا المندوب شاباك والأيام ستثبت لك صحة قولي واعتقادي، لا يوجد معي دليل ولكن قلبي مش مطمئن.  
- مش معقول.

- معقول ونص وبكرة يذوب الثلج ويبان المريج وتنكشف حقيقة هالمندوب، يفكّر حاله شاطر.

- يلا أسيرات، رجوع إلى الزنزانة.

إحدى الشرطيات وقد أطلت برأسها من خلف الباب بعد فتحه ربع فتحة وألقت جسدها خارج الباب، ثم عادت إلى الخلف وقد أغلقت الباب بسرعة وطرقته بعنف بعد أن صرخ عليها ضابط آخر أن أغلقتي الباب، مكثت الأسيرتان ما يقارب نصف ساعة منذ أن أخبرتهما الشرطية بإعادتهما إلى الزنزانة.

- شو اللي صار؟ أين ذهبت الشرطية؟ طلّت برأسها مثل البومة  
ثم اختفت.



- مستعجلة على عودتنا إلى القبر ست حياة، على الأقل هنا غرفة أرضية بلاط بلدي، كراسي، طاولة، باب خشب، جدران بيضاء، مند أربعين يومًا لم نرَ إلا الضوء الأصفر والجدران الخشنة والأبواب الحديدية إن شاء الله ينسوننا للمغرب.

نهضت حياة من كرسيها وجلست مكان مندوب الصليب الأحمر وقربت إليها الطاولة وراحت تعيد تقليد صوت المندوب، حتى أطارت الكمد من نفسية أمل التي راحت تضحك من تقليدها من أعماق قلبها، آخر مرة جلست فيها على الطاولة كان قبل اعتقالي بيومين عند أمي في المطبخ الله يسهل عليها ويرضى عنها، يا حبيبي يا أمي عمري كله أدفعه لأجل دقيقة واحدة في حضنك الدافئ، والله ما عرفت قيمة أمي إلا في السجن.

- إن شاء الله الفرج قريب نرجع لأهالينا ونرد جزءًا من جميل أهالينا علينا.

- أنا لما أروح عمري كله بدي أقضيه خدامة عند أقدام أمي.

- اللي بسمعك يقول عنك صارلك بالسجن عشرين سنة ومحكومة بالمؤبد، كل رأس مال حبستي وحبستك ستين بالكثير، ومع أول عريس يدق بابك بتقبلي وتنسي أهلك.

- سنّة الله في خلقه ونحن لن نكون بعكس سنّة الحياة.

- ست أمل تؤمني بالحب؟



- ما أبيضك وما أبيض سؤالك، بالجامعة ما سألتني هذا السؤال لأننا  
ولأنك كنا فاضين هالدواوين الفاضية شو اللي جاب هالسؤال على بالك؟  
- مش عارفة مجرد سؤال خطر على بالي.

- أنتِ سألت وإليك الجواب، يا أعز صديقة في حياتي رغم أن  
المكان غير ملائم لمثل هذا السؤال ولا الزمان أيضًا مناسب، ولكنني مجبرة  
على الإجابة على سؤالك، الحب بمعنى الغرام والعشق وما يصاحب هذا  
المفهوم من المعاني الهابطة طبعًا أنا لا أو من بهذه الصورة، أما الحب الذي  
يبني على النصيب يعني أن يأتي إنسان يطلب يدي من أهلي وأوافق عليه  
بمحض إرادتي بعد اقتناعي به، هذا هو الذي يثمر، أمّا ما عداه فهو كذب  
ودجل وضحك على الدقون.

- يلابنوت عودة للزنزانة.

- نحن جاهزات من ساعة.

كما هي رحلة الذهاب إلى غرفة زيارة مندوب الصليب الأحمر مضية  
وشاقة كذلك رحلة الإياب، لكن الغريب في رحلة عودة الأسيرتين إلى  
الزنزانة وبالتحديد عند مطلع الدرج المؤدي إلى الطوابق العليا وإلى الطابق  
الأرضي حيث الزنازين، وقف الميجر أبو جمال أو كما يُسمى نفسه وقد  
علت وجهه ابتسامة خبيثة تخفي حقدًا أسود على كل ما هو فلسطيني.

- أمل، عند العرب مثل يقول: «لسانك حسانك إن صنته صانك

وإن هنته هانك».



- ما هي مناسبة هذا المثل كابتن أبو جمال؟ أعتقد أنا خلصنا تحقيق وكنا في زيارة للصليب الأحمر، ومن حقنا أن نتكلم بأي موضوع نريده.

- إذا خلص التحقيق ست أمل، أمن دولة «إسرائيل» ومصالح دولة «إسرائيل» لا تخلص إلا وأنت وأمثالك تخلص حياتهم، وتخلص الدنيا منهم، قالها وقد اختفت الابتسامة المصطنعة في بداية اللقاء من على وجهه وأدار ظهره وصعد إلى الطوابق العليا يجرد أذيال الخيبة بعد أن أعطى أوامره إلى الشرطيات بنقل الأسيرتين إلى الزنازين وتفريقهما عن بعضهما البعض.

فتح الشرطي باب الزنانة وهمت أمل وحياء بالدخول إليها، لكن الشرطية التي رافقتها من غرفة الزيارة منعت أمل من الدخول: أنتِ أمل لا، فقط حياة، أنتِ على زنانة رقم (4).

- لماذا؟ نحن كنا بنفس الزنانة.

- لا يعنيني، هذه تعليمات أعلى مني، أمل على زنانة (3)، حياة تفضلي أنتِ هنا.

ابتسامة الميجر أبو جمال الصفراء وتعرضه لسبيل عودة الأسيرتين عند مطلع بيت الدرج وتفريق أمل عن حياة بالزنازين وكأنهما بأول التحقيق والكلام المبطن يدل على الحقد والغضب والاستفزاز لدى ضابط المخابرات، كلها دلائل أثبتت لأمل وحياء أنها لم تكونا في زيارة مندوب الصليب الأحمر، بل في زيارة استطلاع لجهاز الشاباك، فجاء التفريق



بينهما كعقوبة لهما، وانتقام منها للكلمات البسيطة التي تحدثنا بها المندوب الصليب الأحمر أو بالأحرى لموظف الشاباك المتخصص لشخصية مندوب الصليب الأحمر، مكثت أمل وحياة لمدة أسبوع في زنازين الشك المفتوح بانتظار الترحيل كجزء من العقاب بحقهما مع أنه كان بالإمكان ترحيلهما بأي يوم حيث أن البوسطات لا تمر على مركز بيتح تكفا، وبدلاً من ذلك تقوم سيارات تابعة لوحدات النخشون بنقل الأسير أو مجموعة أسرى من وإلى المركز بعكس المراكز والسجون الأخرى التي تمر فيها البوسطات لوجود أسرى أمنيين ومدنيين، أما في حالة مركز بيتح تكفا فهو فقط مركز تحقيق لا يوجد فيه سوى الأسرى الأمنيين في زنازين التحقيق.

الساعة الثامنة صباحاً بعد أسبوع من زيارة مندوب الصليب الأحمر المزيّف؛ صوت جلبة عالية في الممر الداخل بين الزنازين، أصوات الشرطة والشرطيات، رنين أجهزة الاتصالات، أصوات قرع الأصفاد وهي تفرغ من الصناديق البلاستيكية السوداء وارتطامها بالأرض بعنف ومع المكان المغلق يتضخم الصوت، أصوات فتح أبواب الزنازين ضجة عالية جداً، أضف إلى ذلك صوت المركبات في الساحة الرئيسية أمام المبنى المركزي لمركز تحقيق بيتح تكفا، إنها جلبة البوسطة التي نادراً ما تحط رحالها في هذا، ولقّما تمر في هذا المكان، عدد الأسرى المرّحلين من مركز بيتح تكفا كبير جداً وعدد الداخلين موازٍ له بدليل وجود البوسطة، تم فتح الزنّانة رقم (1) حياة (عفيرا) قالها شرطي وتراجع للخلف أي (نقل) من وإلى السجن، لم تفهم حياة معنى كلمة عفيرا وظلت جالسة على فرشتها حتى جاءت شرطية وأشارت بيدها لحياة بالخروج، كذلك الزنّانة رقم (3)



حيث وجود أمل لكن حظها أفضل من حياة كون الشرطة التي فتحت زنانتها هي الشرطة اليهودية من أصول مغربية وبتلطش عربي مكسر، فهمت منها أنها منقولتان إلى سجن الشارون، سجان على باب الزنانة رقم (3) حضري كل أغراضك بلغة عربية ثقيلة.

- يجرب بيت أبوك هو في معي أغراض، سوهيرت أنا جاهزة.

رأت حياة أمل وكان قلبها يدق خوفاً ورعباً ألا تقلها معاً، وما أن رأتها حتى نسيت آلام الزنانة وأوجاع العزل الانفرادي ونسيت أنها وسط ثكنة عسكرية تحجب الأفق، نادت، بل صرخت من بعيد ولوحت بيدها، ضحكت من أعماق قلبها، تبدلت وأخذت تزحف بخطواتها قليلاً لتقترب من أمل، وأمل كالمغناطيس في عملية الجاذبية تبادلها الشوق والحنين ونفس الشعور ونفس السياسة بالاقتراب رغم معرفتهما المسبقة أنها ستكونان معاً وبنفس السيارة التي ستقلها إلى السجن ولكنها العجلة التي فيها خلق الإنسان.

الزنائين من (1 - 4) تم فتحها دفعة واحدة وإخراج كل من فيها، زنانة رقم (1) فيها ثمانية أسرى، زنانة رقم (4) عشرة أسرى بالإضافة لأمل وحياة، عشرون أسيراً وأسيرة هي حمولة بوسطة اليوم، بوسطة من العيار الثقيل، سيتم الترحيل والتشتيت إلى أكثر من إثنين وعشرين سجنًا صهيونياً من أقصى شمال فلسطين إلى أقصى جنوبها، شرطي يصرخ بأعلى صوته طالباً من الأسرى الكل يبقى بالقرب من الزنانة التي خرج منها وعدم الحديث مطلقاً مع أي أسير آخر، لم يعبأ به أحد، طنشه الجميع،



أحضر ورقة وقلماً فيها قائمة أسماء وقلماً فسفورياً، كلما نادى على أسير وتثبت من هويته شطب بالقلم الفسفوري اسمه عن الورقة، مجتهد نخشون يطلب في نفس الوقت من الأسرى الاستدارة إلى الحائط ليقوم أفراد الوحدة بتقييد أرجلهم، يرفض الأسرى الانصياع لأوامره، لن نستدير للحائط، استدير للحائط علت الأصوات، فكادت تشتبك الأيدي ضابط نخشون، تدخل سريعاً بعد أن رأى تفاقم الأمور واتجاهها نحو العنف والصدام، طلب من الجميع الهدوء.

- مين بحكي عربي؟ أنا بحكي عربي؟ احكي للأسرى لا نريد مشاكل.

- ونحن لا نريد مشاكل، قصة الوقوف والاستدارة للحائط مرفوضة لسنا في حالة اعتقال من قبل الجيش حتى نصلب على الجدار.  
- ماشي، ماشي، من ننادي اسمه يحضر عندي إلى وسط الممر وهناك نقوم بتقييد رجليه.

- هكذا مقبول علينا، وشرح للأسرى ما حدث بينه وبين ضابط النخشون.

ضابط نخشون يحمل بيده ملقاً يحتوي صورة لكل أسير ومعلومات تعريفية بشخصيته بالإضافة لرقمه التسلسلي، كل أسير يتم الفراغ من تشخيصه يتم نقله إلى ضابط آخر يتحقق هو أيضاً من شخصه، وهناك يتم تقييد رجليه بالإضافة ليديه اللتين تم تقييدهما عند فتح الباب، تم



تقييد أمل و حياة بالأصفاد الحديدية باليدين إلى الأمام و قيد آخر بالرجلين  
وفي زاوية بعيدة قليلاً عن بقية الأسرى الذين رغم الانتشار الكثيف  
للسجانين والشرطة وأفراد وحدة النخشون و صراخهم المستمر على  
الأسرى بالسكوت، رغم كل ذلك لم يخضع الأسرى لإملاءاتهم، ظلت  
موجة الصوت تعلو وتهبط في حال مدّ و جزر.

- السلام عليكم.

- و عليكم السلام ورحمة الله.

- الحمد لله على سلامتكنّ.

- شِكْتِ، شِكْتِ، اسكت، اسكت.

- الله يسلمك.

- بيعين الله يا أخواتي إن شاء الله الفرج قريب.

- شِكْتِ، صرخ أحد السجانين بطريقة جنونية.

- لماذا نسكت، هل الكلام ممنوع؟ نحن نتكلم بصوت هادئ.

- لا يعينني صوت هادئ، صوت عالٍ، لا يَخْصِنِي، الكلام ممنوع

كله ممنوع.

قلها سجان صارخاً بوجه أحد الأسرى، وما هي إلا لحظات حتى  
تجمهر الأسرى المرحلين من زنازين التحقيق وبدأوا بالصراخ بوجه السجان





الذي تراجع إلى الخلف وتكتل حول بقية السجنائين وشرطة السجن، وكاد الفريقان يتبادلان اللكمات لولا تدخل ضباط وحدة النخشون الذين وقفوا بين الصفيين وعلا صراخهم بالسكون والهدوء.

سبحان الله كل شيء في السجن جائز، وحدة النخشون المخصصة لقمع الأسرى، أجبرت اليوم على لعب دور الصليب الأحمر، وعملت كقوة فصل بيت المتحاربين.

بعد أخذ ورد هدت الأمور، وعاد كل إلى عمله، خلال الجلبة والاشتباك اللفظي ما بين السجنائين المنتهية ولايتهم على الأسرى المعلقين حالياً في هذه اللحظات ما بين مسؤولية السجنائين ومسؤولية وحدة النخشون، قامت مجندات من وحدة النخشون باقتياد أمل وحياء إلى سيارة النخشون سريعاً وإغلاق باب السيارة وإحكامه خوفاً من تطور الاشتباك من لفظي إلى استعمال اليد، ولكن الرياح جرت بغير ما كان متوقفاً لها، شعور لا يمكن للكلمات وصفه أو مجرد التعبير عنه عن كيان الأسيرتين لحظة سماع نبأ النقل إلى سجن الشارون؛ لأن ذلك يعني الخلاص من الزنازين الضيقة، الأكل السيء، رطوبة الفرشات، عفانة الأغذية، قذارة السجنائين والسجنانات، نبأ النقل يعني الخلاص من حياة القبور والموت البطيء ولو إلى سجن وهذا السجن لا يختلف عن الزنازين إلا بدرجة، وهذه الدرجة تعني للأسير الشيء الكثير.



## 5

الشارون كلمة عبرية تعني الوسط أو مركز البلاد بالمعنى الحرفي والدقيق لهذه الكلمة، ومنطقة الشارون حسب التوصيف والتقسيم الصهيوني هي منطقة وسط فلسطين المحتلة سنة 1948 م ومن ضمن المدن والمستعمرات اليهودية المقامة في هذه المنطقة، مستعمرة بيتح تكفا، تل أبيب، نتانيا، المقامة على أنقاض بلدة (أم خالد) الفلسطينية التي تم تهجير أهلها منها قبل حلول نكبة سنة 1948 م، فمجمع سجون الهداريم والذي يقع في مدينة نتانيا إلى الشمال من مدينة تل أبيب وعلى بُعد مسيرة نصف ساعة من مركز بيتح تكفا للتحقيق، ويضم ثلاثة سجون مركزية وهي سجن هداريم المركزي والذي صمّم على الطريقة الأمريكية حيث يحتوي



القسم الواحد على 40 غرفة، كل غرفة تتسع فقط لثلاثة أسرى وتخلو من الحمام (الدفش)، والمطبخ كما هو الحال في غرف السجون الأخرى، وهذا السجن، سجن هداريم أشبه ما يكون بالعزل.

كذلك يضم مجمع سجون الهداريم سجن التلموند وهو سجن مخصص لاعتقال واحتجاز الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين الصغار بالسن والمعروفين بالعرف الاعتقالي في أدبيات الحركة الأسيرة الفلسطينية بالأشبال، ولا يختلف عن بقية السجون بأي شيء سوى سن الأسرى المحتجزين بداخله.

ويضم مجمع سجون الهداريم أيضًا سجن الشارون وهو سجن مخصص لاعتقال واحتجاز الأسيرات الفلسطينيات، وفي هذا السجن تقضي الأسيرة الفلسطينية مدة اعتقالها بعد انتهاء مدة التحقيق، وهذا قسم صغير للأسيرات الفلسطينيات موجود في سجن الدامون شمال فلسطين بالقرب من مدينة حيفا.

مجمع سجون الرملة يضم أيضًا ثلاثة سجون وهي: (نيسان، أيلون، نفي ترستا) بالإضافة لذلك مستشفى مخصص لعلاج الأسرى الفلسطينيين يشبه كل شيء ما عدا المستشفيات، والحقيقة أنه مستشفى بكل معنى الكلمة وعلى مستوى راقٍ جدًا ولكن ما يهيم الأسير الفلسطيني هو ذاك الجناح المخصص لعلاجهم، حيث يضم هذا القسم خمس غرف ومساحته صغيرة ويتلقى فيه الأسير العلاج بعد أن فات الأوان على معالجة المرض وتفشيته بكل أنحاء جسده.



سجن الرملة الواقع في مدينة الرملة الفلسطينية هو المقر الرئيسي لمصلحة السجون «الإسرائيلية» (الشاباص) وكلمة الشاباص هي كلمة عبرية مختصرة من الأحرف الأولى لكلمات عبرية «מינהלשירותבתיהסוהר» وتعني إدارة مصلحة السجون، وهي المؤسسة الصهيونية المسؤولة عن إدارة السجون بشقيها الأمني والمدني، وكذلك يضم سجن الرملة المقر الرئيسي لوحدة النخشون وهي قوة خاصة أقرب ما تكون بشركة خاصة للأمن، تقدم خدماتها لأكثر من جهة في الكيان الصهيوني، أما في مؤسسة الشاباص، فتقع على عاتق هذه القوة مهمة نقل الأسرى الفلسطينيين من وإلى السجون والمشاركة بعمليات قمع أي حركة احتجاجية للأسرى، كل بوسطة في رحلتها لنقل الأسرى الفلسطينيين من زنازين التحقيق يجب أن تمر بسجن الرملة حيث المقر الرئيسي لوحدة النخشون، ومن سجن الرملة يتم توزيع الأسرى على السجون، طبعاً بناءً على تنسيق ما بين المخابرات ومؤسسة الشاباص.

وصلت البوسطة إلى سجن الرملة حاملة الأسرى المرَّحلين من مركز تحقيق الجلمة بالقرب من مدينة حيفا شمال فلسطين والمعروف صهيونياً باسم (كيشون) وكذلك البوسطة الاستشارية القادمة من مركز تحقيق بيتح تكفا ومن ضمنهم الأسيرتين (حياة وأمل) المحمولتين في سيارة الجيمس البيضاء، حيث إن وحدة النخشون تستعمل نفس الطراز من هذه السيارات الأمريكية وبنفس اللون، تزامن وصول بوسطة الجلمة بيتح تكفا مع وصول بوسطات عديدة قادمة من سجن مجدو، عوفر، بئر السبع، رامون، نفحة، يعني أن حركة ضخمة من إنزال الأسرى وإعادة تحميلهم وفرزهم



قد تمت في ساحة سجن الرملة المقابلة للمعبار. معبار الرملة نقطة رئيسية في رحلة أي أسير فلسطيني، ونقطة إجبارية لمروره أثناء رحلاته الإجبارية، وكل رحلاته الإجبارية، وكما هو سجن الرملة يشكل حلقة وصل ما بين كل السجون بالنسبة لمؤسسة الشاباص ووحدات النخشون، كذلك يشكل معبار الرملة حلقة وصل رئيسية للأسرى الفلسطينيين من كافة السجون، غالبية الأسرى الفلسطينيين المرحلين والقادمين من سجون الشمال (جلبوع، شطة، تحقيق الجلمة، الدامون، مجدو)، وسجون الوسط (هداريم، الرملة، عوفر، تحقيق المسكوبية، عسقلان)، باتجاه الجنوب (نفحة، رامون، بئر السبع، النقب)، والمرحلين بالعكس على اختلاف وجهات سفرهم لا بد من المرور على معبار الرملة.

معبار الرملة بالنسبة للأسير الفلسطيني وإن كان هذا المعبار<sup>(1)</sup> يشكل محطة استراحة إجبارية من جهة؛ فإنه من الجهة الثانية يشكل كابوسًا ومحطة معاناة لا تنتهي إلا بعد عودة الأسير الفلسطيني إلى سجنه بأسبوع أو أكثر، بعد أن يكون قد تخلص من طبقات العفن والرطوبة والعرق المتجمد، بعد أن يكون جسده قد شبع من الراحة والنوم، وآخر ما يبحث عنه الأسير الفلسطيني إشباع جسده من الطعام الذي هو أصلًا في السجن قليل وسيء، وفي البوسطة يكون أقل وأسوأ، لكن الأسير الفلسطيني يؤمن أن الكرامة أغلى من الطعام تحت كل الظروف وفي كل وقت وفي كل حين؛ وإذا كانت معاناة الأسرى الفلسطينيين كبيرة فإن معاناة الأسيرات الفلسطينيات أكبر وأفظع وأشد إيلامًا وبالذات

(1) المعبار: مكان يتجمع فيه الأسرى انتظارًا لنقلهم إلى المكان الذي يتوجه إليه.



للأسيرات الجديديات، أولاً لكونهنّ لا يعرفن الكثير من حقوق الأسير التي في الغالب تختفي في معبار الرملة لحدثة تجربتهنّ الاعتقالية، وثانياً لكونهنّ نساء وللمرأة خصوصيات لا يجهلها إلا الجاهل السفیه، والمرأة الفلسطينية كمرأة محافظة وملتزمة بأخلاقیات الشعب الفلسطيني وملتزمة بعادات وتقاليد وأعراف اجتماعية تجعلها تحجم عن المطالبة بحقوق مشروعة لها، ويزداد هذا الإحجام عند الأسيرة الفلسطينية في بداية اعتقالها؛ لأن الأمر يتعلق بمطالب من عدو لثيم.

أفرغت البوسطة حمولتها من الأسرى، جزء إلى الأقفاص الحديدية الموجودة على يمين المدخل إلى سجن الرملة، وهذا الجزء من الأسرى ينتظر الترحيل السريع بمعنى أنه لن ينام في المعبار، وأما الجزء الثاني من الأسرى فهو الجزء الذي سينام في المعبار وسيظل بانتظار ترحيله بعد عدة أيام، هذا الجزء يتم إدخاله إلى غرف المعبار القديمة والجديدة بانتظار دورهم في البوسطات القادمة.

ظلت سيارة الجيمس البيضاء متوقفة في ساحة معبار الرملة لأكثر من ساعتين وبدخلها الأسيرتان أمل وحياة، وقد أطفئ محرك السيارة وتوقف جهاز التبريد الذي يضخ الهواء إلى داخل السيارة، وهذا ما أعاد إلى الأذهان اللحظات الأولى من الاعتقال في مركز حوارة عندما تُركن لأكثر من ثلاث ساعات في سيارة عسكرية مصفحة، ولكن الوضع في سيارة النخشون كان أقل سوءاً؛ لأن العيون هنا لم تكن معصوبة، والأيدي والأرجل مقيدة بالأصفاد الحديدية وليس بالمرابط البلاستيكية والتي كلما تحركت الأيدي والأرجل شدت هذه المرابط على الأيدي



والأرجل، كما أن الجلوس في سيارة النخشون جلوس مريح جداً وإن كان على كرسي حديدي ولكن مقارنة بالجلوس على أرضية السيارة العسكرية المصفحة وتحت بساطير الجنود سيكون أفضل حالاً، بل بألف مرة، كما أن مساحات تسلل الأكسجين داخل سيارة الجيمس أكبر بكثير من تلك المساحات في السيارة المصفحة، انطلقت قافلة من سيارات النخشون منها الكبير ومنها المتوسط بعد أن أعادت تحميل وتنزيل الأسرى الفلسطينيين بغية إيصال كل أسير إلى الجهة المنقول إليها جبراً وقسراً من قبل إدارة السجون (الشاباص)، فكانت آخر سيارة ملتحقة بالقافلة سيارة الجيمس البيضاء الحاملة بداخلها الأسيرتين أمل وحياة اللتين ظلتا داخل السيارة ولم تنزلا إلى المعبار.

بخط مستقيم نحو الجنوب انطلقت القافلة بعد انتهاء الروتين الممل في الفحص والتفتيش على بوابة السجن، وبعد مسيرة عشر دقائق انفصلت سيارة الجيمس البيضاء عن القافلة نحو خط عكسي لوجهة القافلة نحو الشمال باتجاه مجمع سجون الهداريم إلى سجن الشارون حيث المستقر الأخير للأسيرات الفلسطينيات. على البوابة الرئيسية لسجن الشارون حطت سيارة الجيمس رحلها وأنت كافة الإجراءات الأمنية الروتينية، لكن في هذه المرة كان الإجراء بسرعة كبيرة وكأن مهمة أخرى تنتظر هذه السيارة، مجموعة من ضباط وضابطات سجن الشارون تحمل أكتافهم كثيراً من الأوسمة والنياشين الدالة على رتبهم العسكرية العليا وقفوا على المدخل الرئيسي لمبنى سجن الشارون المكون من عدة بنايات، وأهم بناية هي التي تحتوي السجن والمكاتب الإدارية للسجن كاملاً، وهذه البناية تتكون من



ثلاث طبقات، وكما هو الحال المتبع لإجراء تبادل المسؤولية عن الأسيرتين الجديدتين من سلطة المخابرات التي تنوب عنهم في بداية نقل الأسير من تحقيق وحدة النخشون إلى سلطة مصلحة السجون (الشاباص)، على عجل تم تبادل ملفات وتواقيع ما بين ضباط من وحدة النخشون وضباط من مصلحة السجون بحضور لفييف من الإدارة من الشرطة والسجائين وأخيرًا بعد التحقق من هويات الأسيرتين وكافة المعلومات الواردة في الملفات المحمولة مع وحدة النخشون والمنقول إليها من المخابرات مع الدفع بالأسيرتين إلى شرطيات عاملات في مصلحة السجون اللواتي قدناهما من مكتب إلى مكتب في الطابق الأول لإجراء مهمات وإجراءات روتينية مع كل أسيرة جديدة تدخل إلى سجن الشارون.

- هذا البناء من زمن الأتراك؟

- من منظره ظاهر عليه أنه قديم جدًا.

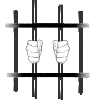
- مشكلتنا ست حياة أنه أنا وإياك طرشان بالزفة، ومش عارفين حالنا وبين إحنا.

- من خبرتي بالسجون وطبيعة حفلة تبادل الأوراق على باب السجن أعتقد أن موتنا الأخير سيكون هنا.

- خبرتي بالسجون! من سمعك يظن أن لك ألف سنة في السجن، سوهيرت، ما اسم هذا السجن؟

- شِكِت، اسكتي، ممنوع الحكّي - بنبرة مقرزة -.





شرطي يتطوع بالإجابة: هذا سجن الشارون.

- يعني هنا سجن البنات؟

- نعم هنا سجن البنات، فوق الطابق الثاني قسم (2).

درج ضيق لا يكاد يتسع لاثنين يسيران معاً يقود إلى الطابق الثاني، باب حديدي سميك، يتم التحكم بفتحه وإغلاقه من غرفة التحكم المركزية الموجودة على يمين الممر المؤدي إلى قسم (2) من سجن الشارون حيث التواجد الرئيسي للأسيرات الفلسطينيات، على يمين الباب كبسة فضية اللون مثبتة على لوح مربع الشكل من النيكل مثبت على الحائط، وكاميرات تعلق الباب، بضغط على الكبسة الفضية وتلويح باليد إلى الكاميرا تم فتح الباب الحديدي السميك الذي يقود إلى ممر ضيق في نهايته توجد غرف الأسيرات، وعلى يمين الممر يوجد مكتب مدير القسم، وعلى اليسار توجد غرفة (اليومان) وهي غرفة التحكم المركزية، وهذه الغرفة مزودة بشاشات متصلة بالكاميرات المنتشرة في أنحاء السجن وبالإضافة لشبكة كهربائية يتم من خلالها التحكم بفتح الأبواب وإغلاقها، وكذلك مزودة هذه الغرفة بشبكة من الكابلات المعدنية متصلة بمكبرات الصوت المنتشرة في ممرات وساحات السجن، ومن خلال هذه الشبكة يقوم السجنانون والسجانوات بمراقبة الأسيرات والتحكم بحركتهن عن بعد دون الكثير من الاحتكاك، وبالإضافة لذلك يوجد لهذه الغرفة شبك كبير يطل على ساحة وقسم الأسيرات ونافذة هذا الشباك مزودة بزجاج مقوى يستطيع الجالس داخل الغرفة رؤية من هو خارج الغرفة ولا يستطيع من هو خارج الغرفة



رؤية من هو داخل الغرفة، مكتب مدير القسم غرفة مساحتها (4×4) وسطها طاولة مكتب وعليها جهاز كمبيوتر وهاتف وخلفها خزانة أسفلها جوارير وأعلىها رفوف مليئة بالملفات، مجموعة من الكراسي أمام الطاولة، غرفة مكيفة، هواء بارد صيفاً، هواء دافئ شتاءً. قادت إحدى الشرطيات الأسيرتين إلى مكتب ضابط الاستخبارات.

- أهلاً وسهلاً، أنا الكابتن أساف مسؤول الاستخبارات في سجن الشارون.

- أهلاً بك تشرفنا.

- ماذا تردن أن تفرزن؟

- ماذا تقصد بالفرز؟ نحن طالبات جامعات فقط ولا علاقة لنا بالتنظيمات.

- نحن هنا لسنا في التحقيق ولا علاقة لي بالتحقيق، أتنن أكملتن التحقيق ولست أحقق معكن، هنا في السجن كل أسيرة تحب أن تعيش في تنظيم، وهذا ما أقصده بالفرز؟

- ليس لنا تنظيمات، نحن مستقلات.

- حتى لو كتنن مستقلات يجب أن تكنن تحت إطار (فتح، الجهاد الإسلامي، حماس، الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية).

- ليس لنا تنظيمات.



نفخ ضابط الاستخبارات زفيرًا حارقًا من نفسه الخبيث معبرًا عن قهره وغضبه، واستلَّ جهاز هاتفه الخاص وأجرى مكالمته، شاكياً من عناد الأسيرتين الجديديتين وطالبًا المساندة لحل هذه الإشكالية داخل مكتبه، شرطيتان تفتحان باب مكتب ضابط الاستخبارات وتدخلان الغرفة برفقة شرطي يتكلم اللغة العربية، تحدث الضابط بعصية للشرطيتين اللتين أسرعتا بحمل ملف كبير وطلبتا بكل أدب من أمل وحياة مرافقتهما، ترجم الشرطي الدرزي للأسيرتين ما يريد الضابط: سيتم نقلكن إلى قسم وقبل ذلك ستقابلن مديرة القسم.

- لماذا مقابلة المديرة؟

- هذا إجراء طبيعي وكل أسيرة بدخولها وخروجها لا بد لها من مقابلة المديرة.

- يلا تفضلوا.

- سوهيرت من فضلك افتحي الباب، نادى إحدى الشرطيات.

صوت المفتاح الكهربائي داخل الباب يشير الشرطي بأنه مفتوح، يسرع الشرطي لسحب الباب، ويسحبه إلى الحائط، تدخل شرطية سبقتها أمل وحياة وتدخل الشرطية الأخرى ومن ثم الشرطي ويغلق الباب خلفه، الشرطية تدق على الباب.

- ادخل.



تفتح الشرطة الباب وتراجع إلى الخلف، وتطلب من الأسيرتين الدخول، تدخل أمل وحياة، وقد تملكهما شعور الرهبة والخوف وبدأت تُثار في المخيلة أسئلة واستفسارات سريعة، ماذا تريد المديرية منّا؟ الله يستر من عاقبة المواجهة، كيف هو شكل المديرية؟ هل ستهددنا وتتوعدنا كما فعل كل المسئولون السابقون؟

دخلت أمل أولاً ولاذت حياة بظلمتها وتقدمت نحو المديرية ومشاعر الخوف والرهبة تحط بها، نهضت المديرية بكل أدب ولطف، من خلف مكتبها ومدت يدها وتكلمت باللغة العربية.

- أهلاً وسهلاً ست أمل.

- أهلاً وسهلاً ست حياة.

- أهلاً فيك.

- تفضلن اجلسن.

وأشارت بيدها على الكراسي الخشبية المنجدة بالإسفنج والقماش المصفوفة أمام الطاولة، ثم عادت إلى كرسيها وتناولت الهاتف وتكلمت مع من تكلمت بطريقة يفهمها كل من يفهمها أنها لغة أوامر، ثم أعادت الهاتف إلى مكانه.

- أهلاً وسهلاً، أنا العقيد لورا كوهين مديرة سجن الشارون، أعمل هنا منذ عشر سنوات، أهم شيء عندي هو الاحترام، احترام كل



شيء في هذا السجن، احترام العاملين في السجن، الشرطة، السجناء، الإدارة، أنا لست المسؤولة عن اعتقالكم، أنا لست من الجيش ولا من الشباك، أنا من مصلحة السجون، مسؤولة عن إدارة كل شؤون السجن، الأسرى والسجناء والقوانين وال، وال..

خلال الحديث فتح الباب لتدخل ثلاث أسيرات وهن ممثلة الأسيرات أمام الإدارة ومسؤولة أسيرات حماس ومسؤولة أسيرات حركة فتح.

- مساء الخير كابتن لورا.

- مساء الخير ست لينا.

توجهت الأسيرات الثلاث بالحديث والسلام على الأسيرتين أمل وحياء، الحمد لله على سلامتكن، أهلاً وسهلاً بكن وإن شاء الله إقامة قصيرة وطيبة وإفراج عاجل لكنّ ولنا جميعاً.

- أنا ممثلة الأسيرات أمام الإدارة ومسؤولة أسيرات حركة الجهاد الإسلامي في نفس الوقت، اسمي لينا.

- أهلاً وسهلاً تشر فنا.

- الأخت ممثلة أسيرات حركة فتح، الأخت ممثلة حركة حماس.

- أهلاً وسهلاً تشر فنا.

- أنا اسمي أمل من مدينة جنين.



- كم لكنّ في السجن؟

- أربعون يوماً.

- يعني كنتن في التحقيق أم التوقيف؟

- لا كنا في التحقيق، يوم وليلة أمضيناها بالتوقيف في مركز حوارة، ثم تم نقلنا إلى مركز بيتح تكفا للتحقيق.

- أنتم من جنين، لماذا حوارة؟ حوارة في نابلس؟

- نحن طالبات جامعيات ندرس في جامعة النجاح الوطنية، وتم اعتقالنا على حاجز بيت إيبا العسكري، ثم جرى تحويلنا إلى معسكر حوارة.

- الحمد لله على سلامتكن، هنا في السجن لا بد لكل أسيرة أن تختار فصيلاً تعيش في ظله.

قاطعتها أمل: لكن نحن لا ننتمي لأي تنظيم، نحن فقط طالبات جامعيات.

ابتسمت ممثلة الأسيرات: نحن هنا لسنا في تحقيق، اطمئني نحن لسنا جزءاً من الإدارة، هذه الإدارة، وأشارت بيدها لمديرة القسم، ولسنا أيضاً بعصافير، كأسيرات جديديات من حقنّ الشك بكل شيء، ومع ذلك نحن لا نسألكنّ عن قضيتكن، ولن يسألكنّ أحد من اليوم حتى يوم الإفراج، نحن هنا في السجن حياتنا منظمة، وكل أسيرة لا بد من اختيارها لفصيل تعيش في ظله وإن لم تكن تنتمي لفصيل في الخارج، هذا الفرز لا



علاقة له بالقضية، اللي برة برة، اللي جوا جوا، وهذا الفرز لا علاقة له ولا تأثير له بالحكم، الفرز ضروري عندنا كتنظيمات وللإدارة.

- ما هي علاقة الإدارة بالفرز أخت لينا؟

ممثلة حماس: بعد إذن الأخت لينا ممثلة الأسيرات، هنا لا أحد يعيش بمفرده، وعلى كيفه، السجن له ممثلة وحييدة عند الإدارة، وكل فصيل له ممثلة تتحدث باسمه وتتابع قضاياهم مع الفصائل وعند الإدارة عبر ممثلة الأسيرات، والإدارة لا تتعامل مع أفراد، فقط تتعامل مع ممثلة السجن لهذا الشيء الفرز ضروري حتى ننظم حياتنا يا أخت حياة كأفراد وجماعة.

- بما أنه للسجن وللأسيرات ممثلة وحييدة عند الإدارة، لماذا أنتن

الثلاث موجودات الآن هنا؟

- سؤالك منطقي أخت أمل، أولاً بعرفك عن نفسي أختك في الله أم محمود من رام الله، ممثلة أسيرات حركة فتح، في البداية نحن مجبرات على القول لكن أهلاً وسهلاً في مكان نكرهه جميعنا ولا نحب أن نرحب بهذا المكان بأحد، لا لأننا نكرهه أحداً ولكن لأننا نكره هذا المكان الذي هو السجن، مع ذلك نقول لكن أهلاً وسهلاً، لماذا نحن الثلاث موجودات هنا؟ سؤال بريء ومهم وضروري، في العادة والعرف الاعتقالي عند قدوم أي أسيرة جديدة إلى السجن نحضر نحن ممثلات الفصائل إلى هنا، وعلى فكرة لسنا الثلاث لوحدنا يجب أن تكون معنا أخت رابعة هي ممثلة الجبهة الشعبية ولكنها اليوم نازلة بواسطة عوفر، نحضر إلى هنا لنشرح للأسيرة مفهوم الفرز التنظيمي ولنثبت الفرز عند الإدارة كي نتمكن من وضعها



في غرفة الفصيل الذي تختاره، ومن ثم نقوم بتقديم كل الخدمات اللازمة والضرورية التي نقدر عليها داخلياً، لهذا السبب نحن الثلاث هنا والكل هنا في خدمة كل أخت أسيرة على اختلاف انتهائها التنظيمي.

- نريد أن نعيش كمستقلات فنحن نحترم كل التنظيمات.

- أختي حياة، ومع ذلك لا بد من تحديد الفصيل الذي تردن العيش تحت ظله كمستقلات رغم عدم وجود مستقلات داخل السجن، وعلى فرض وجود مستقلة لا بد من وجود تنظيم يقوم على رعايتها وخدمتها بدون ذلك لا ننظم حياتنا.

ممثلة حماس، بنكهة فكاوية: يمكن أن أسأل سؤالاً؟

- نعم تفضلي.

- أنتن طالبات في كلية الحقوق؟ محاميات يعني؟ أكلنا هوا، الله يكون بعوننا في الأيام القادمة، الأسيرات إلى مش متعلمات مش عارفين ندبر حالنا معهن، كيف مع طالبات جامعيات، والأبلى محاميات.

مديرة السجن: على ماذا استقر الأمر؟ ماذا قررتن من الفرز، الاستخبارات يطلب اسم الفصيل، لديه عمل.

- خمس دقائق كابتن لورا وسنعطيك الجواب.

- حبيباتي، التهمة التي وجهت لكن خلال التحقيق لأي فصيل؟

- الرابطة الإسلامية.





- يعني الذراع الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي، هل تردن أن تدخلن غرف الجهاد أم غرف غير الجهاد؟  
- فليكن مثل ما تريدين ست لنا.

خلال حديث الأسيرات التزمت الكابتن لورا كوهين، الصمت مسترخية إلى الخلف على كرسيها خلف الطاولة واطعة يدها خلف رأسها تارة، وعلى صدرها تارة أخرى بانتظار جواب من ممثلة الأسيرات.

طال النقاش ما بين الأسيرتين الجديديتين المتخوفتين من كل شيء والشاكيتين بكل ما يدور حولهما، معهما حق في ذلك، وما بين ممثلات الأسيرات اللواتي بذلن قصارى جهدهن في توضيح بعض المسائل التي تتعلق بحياة الأسيرة داخل السجن وعلاقتها مع الإدارة وبالذات الفرز التنظيمي، أي تحديد اسم الفصيل الذي يجب أن تنطوي تحته الأسيرة داخل السجن كإجراء طبيعي متفق عليه ما بين الحركة الأسيرة وإدارة السجن لضبط واقع الحياة لكلا الطرفين.

- الأخوات عندي في غرفتي، عندنا جهاد إسلامي، وجهة ممثلة الأسيرات حديثها لمسؤولات الفصائل.

- كابتن لورا، الأسيرات عندي في غرفتي، غرفة رقم (6).

- لكن غرفة رقم (6) مليئة ولا يوجد فيها فراغ، كيف سأدخل عليها أسيرتين؟



مثلة الأسيرات: سنعمل نقلية غرف، من فضلك إذا سمحتِ انقلي الأسيرة هدى إلى غرفة رقم (7)، والأسيرة حنين غرفة رقم (9) وأدخلي الأسيرتين أمل وحياة عندي في غرفة (6)، أوكي اتفقنا.

عدلت مديرة السجن لورا جلستها ودفعت نفسها على الكرسي مقترية من الطاولة وسحبت لوحة مفاتيح الكمبيوتر الجاثم أمامها على الطاولة، وبدأت بعملية التكييس على الأزرار لإدخال المعلومات الخاصة عن الأسيرتين، صورهما، أرقامهما، أرقام غرفتهما، اسم الفصيل، اسمهما الرباعيان وأخذ البصمة، وأجرت عملية نقل كروت الأسيرات هدى وحنين إلى غرفهن الجديدة.

- ست لينا من الضروري نزول الأسيرتين إلى مكتب ضابط الاستخبارات لأجل إكمال إصدار الكرت الخاص بهما.  
- ما في مشكلة، سأنزل معهن، يلا يا أخوات بدنا ننزل إلى مكتب ضابط الاستخبارات، كإجراء روتيني.

انتهت الجلسة ما بين الأسيرات ومديرة القسم وانفضت المؤتمرات كل إلى وجهتها وإلى أعمالها، المديرة حملت ملفاً أصفر اللون يحتوي صور الأسيرات في القسم كافة وخرجت من مكتبها مسرعة بعد أن تلقت اتصالاً هاتفياً، والأسيرات جزء منهن توجهن إلى القسم، أما ممثلة الأسيرات برفقة أمل وحياة فقد توجهن إلى مكتب ضابط الاستخبارات والذي سريعاً أنهى الإجراءات بالتصوير وإصدار بطاقة التشخيص للأسيرة، وبذلك انتهت طقوس الاستقبال على مستوى الإدارة للأسيرتين الجديدتين.



- ست لدينا لماذا هذا الكرت؟

- هذا الكرت ست أمل عبارة عن بطاقة تعريف بالأسيرة، ويوميًا هناك عدد أمني في المساء يتم فيه العدد مع تشخيص الأسيرة، أي مقارنة الكرت بما يحتوي من صور ومعلومات عن الأسيرة مع الأسيرة ذاتها، هذا الكرت من زمان مستخدم في العدد، هذا الأسلوب، هذا الكرت مستخدم منذ العام 1997م عندما هرب الشهيد المجاهد صالح طحaine من السجن وكان محكومًا بثلاثين سنة، هرب على اسم ابن عمه الشهيد المجاهد نعمان طحaine -رحمهما الله-، ومنذ ذلك اليوم بدأت الإدارة بإصدار كرت لكل أسير وأسيرة وأصبح مفروضًا علينا يوميًا العدد بالتشخيص الاسمي وأحيانًا نعد مرتين، وعلى كل حال اليوم مساءً ستعدون وترون بأم أعينكم العدد الأمني.



## 6

ممثلة الأسيرات: يلا تفضلوا معي نعرّفكن على أخواتكن الأسيرات، ونعرّفكن على القسم، أهلاً وسهلاً بكنّ بين أخواتكن المجاهدات والمناضلات.

وحملن أغراضهن البسيطة وهي عبارة عن ترنج رياضة ومنديل ومعجون أسنان وبشكير صغير ومنشفة وكل هذه الأغراض موضوعة في كيس أسود شفاف متوسط الحجم، هذه الأغراض كان قد أحضرها ضابط المخابرات المتقمص شخصية مندوب الصليب الأحمر في زيارته لهن في مركز التحقيق بيتح تكفا عقب الانتهاء من التحقيق.



وراء غرفة مديرة السجن إلى ساحة القسم مسافة لا تزيد عن اثني عشر مترًا، تحتوي هذه المسافة ثلاثة أبواب، كل باب يتم التحكم به كهربائيًا وبمساعدة الكاميرات من داخل غرفة التحكم المركزية، الباب الأول والذي يفصل غرف الإدارة داخل القسم عند شاحط درج صغير مكون من سبع درجات، يقود هذا الدرج إلى الباب الثاني الذي يؤدي بدوره إلى باب لا يبعد عنه سوى مترين، والثالث إلى ممر ضيق يقود إلى غرف وساحة القسم ويفصل حاجز حديدي من القضبان ما بين الغرف وساحة القسم، على الباب الرئيسي المؤدي إلى الفورة وقفت ممثلة الأسيرات وخلفها الأسيرتان الجديدتان في خجل ووجل، وهما تدخلان عالم المجهول، ولكن على عتبات هذا الباب المؤدي إلى قسم الأسيرات سيتهي عالم المجهول، مسؤولات الفصائل على الحاجز الحديدي، مجموعة من الأسيرات في الفورة، طلبت ممثلة الأسيرات من السجانة فتح الباب المؤدي على قسم الأسيرات الفلسطينيات.

- يا صبايا، يا مجاهدات، يا مناضلات، أخوات أسيرات جديدات، تعالوا نرحب بهن، ونعرفكن عليهن.

قبل أن تكمل ممثلة الأسيرات كلامها، كانت جميع الأسيرات قد تجتمعن على الحاجز الحديدي الذي يفصل الغرف عن الساحة (الفورة)، وهذا الحاجز الحديدي عبارة عن جدار من القضبان الحديدية كل قضيب يبعد عن الآخر مسافة 20 سم ومثبت من الأسفل بالأرض ومن الأعلى مثبت بسقف الممر الممتد أمام غرف الأسيرات الفلسطينيات، كل الأسيرات مددن أيديهن لمصافحة الأسيرتين ومحاولة التعرف عليهما قبل



أن تدخلنا إلى الساحة، «الحمد لله على سلامتكم»، «أهلاً وسهلاً بكن»، «الاسم الكريم»، «من أي بلد حضر تكن؟»، «من أي تحقيق جيتوا؟»، «محكمات أم موقوفات؟»، وسيل من الترحيبات والأسئلة التي لا تنتهي، ولكثرتها وتشعبها لم تستطع أمل وحياة الإجابة عليها سوى برد المجاملة.

- الله يسلمكن، موقوفات، جئنا من بيتح تكفا.

- موقوفات؟ ويعاد السؤال، ومعه يعاد الجواب.

الأسيرات داخل الغرف القريبة من الحاجز فقد وقفن على الأبواب والشبابيك لاختلاس نظرة للتعرف على القادمات الجديديات، أما الغرف البعيدة التي يصعب منها رؤية الداخلة إلى الفورة فقد مددن (المرى) من الأشنافات في محاولة يائسة للوصول إلى سبق معرفي في التعرف على هوية القادمات الجدد، ضجت الساحة بالجلبة الناجمة عن مقدمات الاستقبال الحافلة على الحاجز الحديدي، هدير سيل السلامة والتحيات المرحبة بالقدوم إلى السجن وإن كان السجن مكاناً لا يرحب بالقدوم إليه؛ ولكنها المجاملات الإنسانية والمشاعر الوطنية الجياشة التي لا بد منها حتى في مواقف الشدة والصدمة.

فتح باب الفورة بعد معاناة كبيرة من ممثلة الأسيرات التي زهقت وهي تلوح بيدها تارة للكاميرا ليراها السجن الجالس في غرفة التحكم وتكبس على الزر الفضي تارة أخرى ليقوم بفتح الباب، وهذا الطقس من الطقوس الاعتيادية في السجن التي يتفنن السجن الجالس في غرفة التحكم تحت هواء المكيف بتعذيب الأسيرة وتنكيد حياتها.



انسحبت الأسيرات من خلف الحاجز الحديدي وتكتلن خلف الباب وبرمشة عين مع سماعهن صوت الباب لما فتح كهربائياً حتى إن ممثلة الأسيرات والأسيرتين الجديديتين اللتين معها لم يستطعن الدخول من الباب، فكل الأسيرات يتنافسن ويسارعن للفور للتسليم أولاً على القادمتين الجديديتين.

- يا صبايا بعينكن الله، بس نرجع شوي للخلف، علشان أخواتكن الأسيرات يقدروا يدخلوا.

ما إن خطت أقدام الأسيرتين الجديديتين أرض الفورة حتى تلقفتهن الأسيرات بالأحضان والسلامات والقبلات الحارة والحنونة كما تتلقف الطيور فراخها الجوعى وتحن عليها وتفرد عليها أجنحتها، وانهالت عليهما التهاني والتبريكات بالسلامة وكأنها لحظة إفراج حقيقية، استقبال عفوي حار غير مخطط له مسبقاً أنسى الأسيرتين الجديديتين معاناة الانتقال والتحقيق وآلام الشبح والبوسطة وجلافة السجن والشرطيات وعناصر التحقيق، كل لعانة الطاقم الصهيوني العفن بدءاً من جنود حاجز بيت إيبا حتى أول لقاء مع مديرة سجن الشارون (لورا كوهين) التي ظهر أنها ودودة ولطيفة.

استمر الاستقبال الحافل للأسيرتين والتعرف عليهما وقد انهمرت الأسئلة التفصيلية كالمطر الغزير من كل حذب وصوب وفي شتى المواضيع يعكس تلهف الأسيرة الفلسطينية لسماع أخبار الخارج، فالأسيرات الفلسطينيات يعشن حالة عزلة قسرية عن العالم الخارجي تفرضها عليهن



إدارة السجون، قدوم الأسيرة الجديدة إلى السجن يشبه هطول المطر على الأرض العطشى وكإشراقة شعاع الشمس الدافئ على براعم الأزهار في أول تناميتها.

دبت الحياة في القسم وانتعشت به الحركة كما تنتعش حركة الأسواق قبل أيام العيد، وبدت الحيوية واضحة وجلية ما بين ساحة الفورة والغرف عقب وصول الأسيرتين الجديدتين إلى السجن، وكأن شريان الحياة قد تم وصله مع الساكنات في مقابر الأحياء ليتنفض ذلك الجسد الأسير كما يتنفض الجسد عند صعقه بالكهرباء.

الساحة هي المكان الذي خصصته الإدارة لكل قسم من أقسام السجون ليخرج إليه الأسرى في ساعات النهار، وقد جاء ذلك بعد أن خاضت الحركة الأسيرة سلسلة طويلة من الإضرابات حتى حققت هذا الإنجاز، يخرج الأسير الفلسطيني من غرفته إلى الساحة نهارًا يسير تحت أشعة الشمس ويتنفس هواءً نقيًا بعد أن حرم الأسرى لسنوات طويلة من الخروج إلى الفورات.

مساحة سجن الشارون، مساحة مربعة الشكل تقريبًا طولها حوالي 5 أمتار بعرض 10 أمتار، أرضية حمراء محاطة من جهتين بجدار من الإسمنت، أما الجهتان الأخريان محاطة بجدار من المواسير الحديدية من جهة غرف القسم، أما ارتفاع جدران الساحة فيبلغ حوالي خمسة أمتار، سقف الساحة جزء صغير منه مغطى بألواح من الزنك والجزء الأكبر بلا غطاء، مجرد طبقة من الأسلاك الشبكية مشدودة إلى جسور حديدية تعلوها





أسلاك شائكة ومن فوق الأسلاك أبراج حراسة وتحت الأسلاك كاميرات مراقبة منتشرة في زاويا الساحة الأربع، هذا مكان الفورة، أما زمان الفورة، يعني زمان الخروج إلى الساحة فيسمى بعرف الأسرى وأدبيات الحركة الأسيرة بـ (الفورة) ويختلف زمان الفورة من سجن لسجن آخر حسب توزيع وقتها، ويرجع ذلك لاتفاق الأسرى عبر ممثلهم مع الإدارة، وبالمجمل يستطيع الأسير الفلسطيني الحصول على سبع أو ست ساعات فورة، ولما أن أكملت الأسيرات في الساحة حفل الاستقبال والترحيب جاء وقت الفورة أي فتح أبواب الغرف لمن تريد الخروج إلى الساحة أو العودة من الساحة إلى الغرف، وهذا يعني أن كافة الأسيرات اللواتي كنّ داخل الغرف وفاتهن حضور حفل الاستقبال سيخرجن إلى الساحة للتسليم والتعرف على الأسيرتين الجديدتين اللتين ستعرضان لموجة جديدة من التسليم والأسئلة، باختصار التعرض لجلسة استجواب جديدة، ولكن ليس من قبل محققين بل من الأسيرات، الاسم؟ من أي بلد؟ موقوفة؟ محكومة؟ متزوجة؟ مخطوبة؟ متعلمة؟ لأي صف؟ المهنة؟ شو بتشتغلي؟ متى تم الاعتقال؟ مكان التحقيق؟

طبعا كل هذه الأسئلة تُسأل من كل أسيرة، وبنفس الوقت كل أسيرة تريد الجواب بالحال، وهناك إمكانية لأسئلة فرعية خصوصا إذا صادف أن الأسيرة الجديدة من بلد إحدى الأسيرات الموجودات في القسم أو بلد أسيرة سابقة كانت في السجن، سئل من الأسئلة لانهاية لها، شيء له طعمه، شيء بلا طعم.

مضت بسلام مرحلة الاستقبال وتنفست الأسيرتان الجديدتان الهواء



بالخلاص من هذه الورطة، وقد اشتد طلب الرجلين للراحة والالتحاق بالأرض بعد التخلص من حمل الجسد المثقل بالمتاعب والمشاق والمنهك أصلاً بعد رحلة طويلة في البوسطة، وتجدد هذا التعب والإنهاك داخل السجن مع الأسيرات اللواتي أردن التعبير عن المحبة والتقدير والاحترام للقادمات الجديديات في تقليد اعتقالي عريق وعرف محمود ينتهجه الأسرى مع كل قادم.

ممثلة الأسيرات وقد لاحظت علامات التعب والإرهاق بادية على وجوه أمل وحياء: تعالوا نقعد في زاوية الفورة ونادت على عاملة الكانتينا: سمر، حبيبتي، من فضلك ناوليني قنية عصير وأغراض حتى نضيف أخواتنا.

في زاوية الساحة افتрشت الأسيرات سجادات الصلاة بشكل دائري وجلسن بانتظار العصير وملحقاته وقد تحلقت حولهن مجموعة من الأسيرات فيما انصرفت بقية الأسيرات إلى التجوال في أركان الساحة.

ممثلة الأسيرات: أهلاً وسهلاً، وحياتنا الله بين أخواتكن الأسيرات المجاهدات والمناضلات، وإن شاء الله إقامة قصيرة وطيبة بين أخواتكن ونسأل الله لكنَّ إفراجاً عاجلاً ولكل الأسيرات والأسرى، وما يبقى في هذه السجن أحد ويجعلها على رؤوس أصحابها خراب.

أمل: بارك الله فيكن جميعاً أخواتي الكريهات على حسن الاستقبال الذي أنسانا لهم والغم والتعب والنصب، وأشعرنا أننا بين أهلنا وأحبنا وهذا الشيء يدل على علو أخلاقكن وحسن تربية أهلكن لكن، عظيم



احترامكم ومحبتكم لنا دليل على الروح الثورية الوطنية العالية التي قلما يوجد لها شبه ولم نجد لها مثيلاً في الخارج، ولكن هنا داخل السجون تجسد أمامنا واقع حياة لمسناها وشعرنا بها مع أول خبطة قدم لنا داخل القسم، مع أننا لا نعرف أحداً منكن قبل هذا اللقاء ولا أحد منكم يعرفنا، فبارك الله فيكن على هذا الاستقبال الحار.

ممثلة الأسيرات: ما غريب إلا الاحتلال والشيطان، أنتن أخواتنا ورفيقاتنا في القيد والألم والمعاناة. وإن شاء الله غمة السجن تزول ونجتمع في منازلنا وبين أهلنا وتكون أخوتنا أقوى وأثبت.

حياة: مش لاقية كلام أشكركن فيه أو على الأقل أعبر لكن فيه عن الحد الأدنى من الشكر على حسن الاستقبال، فكل الكلمات وكل الجمل تعجز عن وصف شعورنا بالسعادة بكم ومعكم رغم قساوة السجن ورغم صعوبة ظروفه، ولكنها أخلاقنا العالية وتضحياتكن ومحبتكن وصبركن الذي حوّل هذا المكان من مقبرة للأسيرات وهنّ أحياء إلى مدرسة وجامعة تتعلم فيها الأسيرة قيم الحياة الكريمة ومعاني الحرية والإنسانية والمحبة والخير، وهذا الاستقبال البسيط بإدياته البسيطة والكبير والعظيم بمدلولاته المعنوية هو تعبير عن هذه المدرسة وتعبير عن قيم هذه المدرسة.

ممثلة أسيرات حماس: هذا واجبنا تجاه كل أخت أسيرة يعتقلها الاحتلال بغض النظر عن انتمائها السياسي، واجبنا أن نكون هنا نحن عائلتها وأهلها والحضن الدافئ الذي يحتضنها والحضن الحصين لها في



مواجهة الإدارة وسياسة الاحتلال، وإن شاء الله في الأيام القادمة نتعرفان على طبيعة حياتنا في هذا السجن الملعون أهله، وأقصد الإدارة، هي بالفعل حياة قاسية بين هذه الجدران، وفي نفس الوقت حياة لها لون وطعم ورائحة خاصة مع الإنسان الذي يسكن بين هذه الجدران وأقصد هنا الأخوات الأسيرات الموجودات حاليًا والأسيرات اللواتي سبقتنا.

أمل: ليش هو في أسيرات قبلكم؟

إحدى الأسيرات بعفوية مطلقة: صح النوم، مليح اللي في انتفاضة وحواجز ومحاسيم، واعتقالات تخليكووا تدخلوا السجن حتى تعرفوا أن هناك أسيرات فلسطينيات مناضلات ومنسيات داخل سجون الاحتلال يقضين سنين طويلة، ولا أحد يقلق بهنّ، بل إن الكثير يحملهنّ مسؤولية اعتقالهنّ، تحت الشعار السخيف اللي من إيده الله يزيده.

ممثلة الأسيرات: على راحتك أخت ميسون، كلنا قبل دخولنا السجن كنا لا نعرف عن الأسيرات أي شيء؛ نعم على طول تواجد الاحتلال كان دائمًا هناك أسرى وهناك أسيرات قضين عشرات السنوات أمثال الأسيرة: (إخلاص علي، نايفة عاقلة، فاطمة برناوي، مريم أبو دقة، عطاف عليان، إيمان نافع، سونيا الراعي) قائمة طويلة من الأسيرات الفلسطينيات، أكثر من خمسة عشر ألف أسيرة فلسطينية منذ سنة 1967م حتى اليوم حسب وزارة الأسرى دخلن وخرجن من السجون، مثل ما كان قبلنا أسيرات، وكما نحن اليوم أسيرات موجودات داخل السجون على الأکید ما دمنا نحن ضعفاء وما دام الاحتلال موجودًا، موجود



أسيرات، وسيدخل إلى السجن أسيرات، وسيخرج أسيرات، وإن شاء الله لا تؤسر أي بنت ولا تعتقل ولا امرأة ولا رجل، ولكن وجود الاحتلال يعني وجود أسرى وأسيرات.

ممثلة حركة فتح: مرة أخرى نرحب بكن أخواتي المناضلات بين أخواتكن المناضلات وإن شاء الله الفرغ العاجل لكنّ ولنا ولكل الأسرى والأسيرات، مثل ما تحدثت الأخوات نحن أهلكن وعائلاتكن، وسنعمل كل ما وسعنا لأمنكم واستقراركم، وكل الأخوات هنا في خدمتكن، كل ما تحتاجونه، شو عايزات، شو بدكن، أمانة لا تترددوا، ولا تستحوا، نحن أخواتكم، راحتكم من راحتنا، واللي بنقدر عليه مش رح نقصر.

ممثلة الأسيرات: تفضلوا اشربوا العصير، مدوا ايديكم، كلوا باسم الله فش شيء من قيمتكم، سلامة خيركم، كله من خير ربنا صحتين وعافية لو إنكم زرتوني في داري، أقصد دار والدي لذبحت لكم خروف ولكن نحن موجودات في السجن، وعلى رأي المثل الجود من الموجود.

ممثلة الأسيرات: يلا تفضلوا معي نعرفكم على غرفكم.

قادت ممثلة الأسيرات الأسيرتين أمل وحية إلى غرفتهما وأصرت على أن تحمل بنفسها أغراضهما الخفيفة والبسيطة إلى داخل مقر الإقامة الجديد، من باب الساحة الرئيسي إلى الممر الضيق الفاصل ما بين الغرف والساحة وقوفاً على باب الغرفة رقم (6)، تسللت الأسيرات الثلاث وكلما مررن على باب غرفة فوجئن بكمين، لكن كمين لا يشبه كرائم الاحتلال، كمين من أسيرة أو أكثر خلف باب الغرفة تصر على إيقافهن تطرقهن خمسة أو

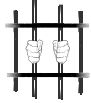


سنة أسئلة في الثانية وتصر على أن يدخلن إلى غرفتها لاستضافتهن، يعني بشق الأنفس وباستعمال كل الحيل المشروعة والغير مشروعة استطاعت ممثلة الأسيرات ومن معها من الوصول إلى غرفة رقم (6) وانتظرت خمس دقائق حتى فتح السجان باب الغرفة.

- أهلاً وسهلاً، هذه غرفتنا، وهنا مقر إقامتنا حتى يأذن الله بفرجه، هذا البرش الأرضي والبرش الذي يقابله لكم الاثنتين كل واحدة تختار برشها حتى تقوم الأخوات بترتيبه، الغرفة رقم (6) هي أكبر وأوسع غرفة في القسم، وهي الغرفة الوحيدة التي تحتوي ثلاثة أبراش، كل برش (سريز) يتكون من طابقين، يعني ستة أبراش في هذه الغرفة وهي مقر ممثلة الأسيرات أمام الإدارة ومقر مسئولة الكانتينا (دكان القسم)، وأغلب الأسيرات الجديدات يتم إدخالهن بداية إلى هذه الغرفة تحت مسؤولية ممثلة الأسيرات حتى يتعلمن قوانين السجن والحياة الاعتقالية ويستوعبن الحياة الجديدة القائمة على التنظيم والدقة.

- أمل: ألفت شكر لك ست لينا ولكل الأخوات، نحن نرتب البرش ونرتب أغراضنا لا نريد أن نغلبكن معنا أو نتعبكن معنا، يكفي من الظهر ونحن معديبنكم معنا، عند الإدارة، في الساحة، لا نريد أن نغلبكن بترتيب أبراشنا وأغراضنا.

- أميرة الغرفة منال: يا باطل عليك أنتم جاين عند نورا؟ مثل ما قالت العرب؟ الضيف عندنا ثلاثة أيام وثلاث، لا يشتغل، ولا يمد ايده على شيء غير الأكل، بتظلموا معززين مكرمين لمدة أسبوع بالعرف الاعتقالي



وبعد المدة بتشتغلن الي عايزاته، عندنا بالعرف الاعتقالي الأسيرة بهذا الفترة لا تجلي لا تشطف ولا تطبخ، ولا بتعمل شيء حتى البرش وأغراضها في اليوم الأول نحن نقوم بترتيبه ونرتب لها أغراضها، تفضلوا ارتاحوا هنا على هذا البرش حتى تتمكن الأخوات من ترتيب أبراشكن.

أمل وحياة أسيرتان جديدتان ولا تملكان من متاع الدنيا الزائل إلا ما ترتديان من ملابس بالية، استهلكت الزنازين عمرها الافتراضي ولم تعد صالحة للاستعمال، لذلك كان لابد من حملة إغاثة إنسانية وجمع تبرعات عينية لكسوة هاتين الأسيرتين، كل أسيرة تعرف واجبها في هكذا ظروف، أسيرة تتبرع بوجه فرشاة، أخرى بطقم ترنج، ثالثة بجلييات، رابعة بمنديل، ظرف يحتوي الكثير من الملابس من إحدى الغرف، ظرف آخر من الكانتينا فيه الحاجات الأساسية لكل قادمة جديدة، لحظات كانت خزائن أمل وحياة ممتلئة بالأغراض وأبراشهن مرتبة ومكسوة بوجه جديد.

166

أميرة الغرفة: هذا صف الخزائن لكل أسيرة أربع خزائن، تضع فيها ملابسها التي تستعملها وتحتاجها، والملابس الزائدة أو الصيفية أو الشتوية حسب الفصل والطقس نضعها في شنطة ونبعثها للمخزن، وفي حال حاجتنا لها تحضرها لنا ممثلة الأسيرات.

حياة: فقط الخزائن للملابس؟

أميرة الغرفة: لا، لا طبعاً لكل شيء، ملابس، كتب، دفاتر، أدوات التنظيف، شامبو، صابون، معجون أسنان، حلويات، مكسرات أو أي حاجيات أخرى أو أغراض نشترها من الكانتينا.



ست منال، إيش يعني الكانتينا؟

ترد ست منال: الكانتينا ست أمل دكانة صغيرة داخل القسم، من أموالنا الخاصة ومخصصات وزارة الأسرى نشترى الأغراض الموجودة، والكانتينا مكسب حققته الحركة الأسيرة بالإضراب والجوع والألم ودماء شهداء الحركة الأسيرة.

- يعني مش اليهود يدفعوا ثمن الأغراض؟

- أعوذ بالله من شر إبليس، اليهود رغماً عنهم سمحوا بغرفة لتكون مكان للكانتينا، وفوق ذلك بدك منهم يشتروا لنا أغراض الكانتينا على حسابهم، كل الأغراض في الكانتينا ثمنها دفع من حياتنا ودمائنا وزهرات شبابنا.

- ست أمل، كيف تتعامل مع الكانتينا؟ بتعرفي نحن قادمات من التحقيق لا يوجد معنا مصاري إن شاء الله مع أول زيارة أهل سنحضر أموال.

- لكل أسيرة مخصص كانتينا شهري ثابت مقداره 400 شيكل، هذا المخصص جزء منه يحول لميزانية الغرفة وجزء يصرف للأسيرة، كل ذلك يرجع لسياسة اللجنة المالية في القسم بالإضافة لما يبعثه الأهل لبناتهم الأسيرات، كل هذه المبالغ نشترى بها أغراض الكانتينا، ولكل أسيرة دفتر خاص فيه رصيدها وكل غرض تشتريه يتم خصمه من رصيدها، الأيام القادمة سنعلمكم كيف تدار الكانتينا.





- ست منال هذه الملابس عرفنا مكانها، والأحذية أعزكم الله أين نضعها؟

- بالنسبة للأحذية داخل الغرف فقط تستعمل شبشب نلبسه لما ندخل على الحمام، الدورة، أو أي حركة داخل الغرفة، أما بقية الأحذية، مثل بوت رياضة، كندرة، صندل نضعها في الخزائن خارج الغرفة كل غرفة لها خزانة خاصة بها، مكتوب رقم الغرفة على الخزانة، حاولي ألا يكون معك أي حذاء داخل الغرفة حتى نبقها نظيفة وجميلة.

- فش حرامية كنادر يسرقوا كنادرنا مثل حرامية كنادر يوم الجمعة في الجوامع؟

- هناست حياة لا في حرامية يسرقوا يوم الجمعة ولا السبت، ديري بالك على حفايتك لأنها جلد أصلي، سعرها غالٍ جداً، حوالي عشرين شيكلاً، لما تنامي حطيتها تحت راسك علشان تطمئنني عنها وكبي لا يأتي حرامي الكنادر يسرقها.

الخزانة في السجن لا تشبه من خزائن الدنيا إلا الاسم، فخزانة السجن عبارة عن صندوق خشبي أو حديدي بشكل مربع (30 سم×30 سم) بلا باب وبلا ظهر يثبت هذا الصندوق على الحائط، يقوم الأسرى بوضع حاجياتهم الخاصة والبسيطة بكمياتها ونوعياتها فيها، لا أبواب ولا شبابيك لخزائن السجن، وعلى رأي بعض الأسرى لا تصلح هذا الخزائن إلا طاقات لتربية العصافير والحمام، هذه الخزائن شأنها شأن كل إنجاز داخل السجن حققه الأسرى بجوعهم وألمهم ومعاناتهم، وسقط منهم شهداء حتى



حصلوا على هذا الإنجاز البسيط ووافقت الإدارة مرغمة على تركيبتها، ومع أول تفتيش للغرفة يتم فكها وإلقاء كل ما فيها على الأرض بطريقة همجية تخريبية الهدف منها معاقبة الأسير أو الأسيرة وتعكير صفاء حياته المعكر أصلاً، خلال حديث الأسيرات عن الأبراش والخزائن وحرامية الكنادر حضرت أسيرة تعمل مردوان إلى غرفة رقم (6).

- ست لينا الإدارة عايزتك على باب القسم، يوجد ضابط وضابطات إدارة وشرطة مثل النمل، كلها رتب ودوالي ونجوم، الله يذلهم ويخفف عددهم، المديرية بعثت وراك.

- من هذه الأسيرة؟ لماذا هي لا تتكلم مع الإدارة؟ لماذا جاءت إلى الست لينا لتتكلم مع الإدارة؟

ابتسمت أميرة الغرفة الأسيرة منال: في أمور كثيرة ستعرفينها ست حياة عن طبيعة حياتنا وعلاقتنا هنا داخل السجن، أولاً هذه الأسيرة اسمها تغريد وهي عاملة مردوان وغير مخلولة بالحديث مع الإدارة، فقط هي ممثلتنا الأخت المجاهدة هي أكبرنا سنًا وقدراً وأقدمنا في السجن وتتكلم اللغة العبرية بطلاقة وهي أفهمنا بكل شيء خصوصاً قوانين السجن وكيفية التعامل مع الإدارة.

ممثلة الأسيرات: أنتن الخير والبركة وأنا كبيرة فيكم ومعكم، أنا كبيرة بخدمتكم.

حياة: شو يعني مردوان؟ نوع من قبائل الجن؟



- جن يتلبسك يا شيخخة وتطلع روحك قبل ما يطلع منك ويعجز  
شيوخ الجوامع عن إخراجه منك.

- الله يسامحك أختي لينا حبيت أضحككم، أنتن بتتحملنش مزح؟  
عن جد أختي لينا شو يعني مردوان؟

- مش فاضيا لك ست حياة، أريد ان أذهب إلى الساحة لأرى شلة  
الإدارة، وأعرف حقيقة الزيارة، وشو عايزين وأوعدك لما أرجع أشرح لك  
عن قبائل الجن، قصدي المردوان، أختي تغريد، يلا افتحي الباب خليني  
أشوف شو الموضوع.

وقفت ممثلة الأسيرات على الباب ووجهت كلامها للأسيرات  
داخل الغرف: إذا تعبانات ارتحن على أي برش وريجن أجسامكن وإذا بدكن  
تطلعن على الفورة تعالن معي أنا طالعة أشوف الإدارة على باب القسم،  
ربنا يستر من هالزيارة.

أمل: أنا والله تعبانة كثير ومع ذلك لن أنام علشان بالليل أعرف  
أنام، بدي أحضر على التلفزيون صارلي شهرين مش حاضرة نشرة أخبار.  
حياة: حاسة حالي مخنوقة، أريد أن أخرج إلى الفورة وأمشي مع  
الناس، زهقت الزنازين والجدران والأبواب المغلقة.

حشد كبير من العاملين في مؤسسة الشباب و ضباط وضابطات  
بالإضافة لشخصيات من خارج السجن تجمعوا على بوابة القسم الرئيسية  
في مقدمة هذا الحشد مديرة القسم الكتسين (ضابط بالغة العربية) لورا  
كوهين:



- مساء الخير ست لينا.

- مساء الخير كتسين لورا.

- هذا وفد مشترك من الشبابص والتسيفوت والمحور جاءوا اليوم لزيارة سجن الشارون ويريدون أن يتحدثوا معك بصفتك ممثلة الأسيرات.

- نعم أنا في عندي الكثير من الكلام، وعندي الكثير من الطلبات منها ما يخص مرافق السجن، ومنها ما يخص طلبات الأسيرات كتبتهن في رسالة موجودة عندي في الغرفة، لحظات سأحضرهن من الغرفة.

شرحت ممثلة الأسيرات للوفد الزائر أوضاع السجن والنقص بل النواقص الموجودة في المرافق، ومعاناة الأسيرات في العيادة ومعاناة الأهل في الزيارة، وأسهب في الشرح وهي تدرك أنه لا حياة لمن تشرح، وغير هذا الوعد بدراسة الشكاوى لن تحصل على شيء، وسلمت الطلبات المكتوبة بظروفها للوفد الزائر وهي على قناعة أن النسيان وسلة المهملات هي المصير المحتوم لهذه الرسائل، استمر الوفد الزائر بزيارته الميدانية للسجن بعد أن أجبر الأسيرات على الدخول إلى الغرف وحجزهن لأكثر من أربعين دقيقة، وقد تجول الوفد في أرجاء السجن ليغادره بعد نصف ساعة من دخوله وقد التقطوا الصور التذكارية وسجلوا في ملف الشبابص أنهم قاموا بزيارة للسجن.

غادر الوفد السجن وفتحت الفورة بعد عشر دقائق وخرجت الأسيرات إلى الساحة ولم يتبق لموعد إغلاق القسم إلا أقل من ساعة، كثيرًا



ما تعتدي الإدارة على حق الأسيرات في الفورات وتتحجج بأي حجة لتقليص وقت هذه الفورات، فأى زيارة لأي مسؤول مهما دنا أو علا شأنه يتم إغلاق الفورة، إذا مديرة السجن مزاجها غير رايق تضرب أزعاها وتغلق الفورة، وإذا زعلت من زوجها تغلق الفورة، وإذا ضربت سيارتها بتغلق الفورة، تحت حجة الأمن، فأمن الكيان الصهيوني مهدد من قبل الأسيرات الفلسطينيات العزل من أي سلاح سوى سلاح الصبر والإرادة.

الساعة السادسة والنصف وهو آخر موعد لبقاء الأسيرات في الفورة حيث يتم في هذا الموعد إدخال جميع الأسيرات إلى غرفهن حتى الصباح مع بقاء الأسيرات العاملات في الساحة لمدة نصف ساعة أي حتى الساعة السابعة، حيث تقوم الأسيرات العاملات في المردوان بشطف الساحة وتوزيع قناني المياه الثلجة التي أخرجت صباحاً من الغرف، وكذلك توزيع قنينة كولا أو عصير على كل غرفة حسب طلبها، ومن جهة ثانية تشكل النصف ساعة الأخيرة من الفورة فترة راحة للأسيرات العاملات في المردوان، مع الساعة السابعة والنصف لا تبقى أي أسيرة خارج غرفتها استعداداً للعدد الأمني والأخير في السجن والذي عادة ما يكون بين الساعة السابعة والنصف إلى الساعة الثامنة حيث يتم العدد مع التشخيص على الصور.



## 7

إغلاق القسم الساعة السابعة والنصف مساءً وحبسة الأسيرات داخل غرفهن لا يعني انتهاء اليوم داخل السجن، بل إن يومًا جديدًا مزدحمًا بالنشاطات ومليئًا بالحيوية قد بدأ للتو داخل الغرفة، بهذا الإغلاق يتوجب على سكان الغرفة التواجد داخل الغرفة.

وجبة العشاء جاهزة على الطاولة، انتظار اكتمال حضور سكان الغرفة حيث إن الغرفة رقم (6) في قسم رقم (2) في سجن الشارون هي المقر الرئيسي لممثلة الأسيرات الأسيرة لينا ومسئولة الكانتينا الأسيرة سمر، وتحتوي هذه الغرفة ستة أبراش لكل أسيرة برش، يعني أن عدد سكان الغرفة ست أسيرات جمعهن حب فلسطين والتضحية من أجل



قضيتها المقدسة؛ ولأن ممثلة الأسيرات هي آخر من يدخل إلى غرفتها بعد أن تؤمن دخول جميع الأسيرات وتطمئن على عدم احتياجهن لشيء من خارج الغرفة وتوجههن بالالتزام والانتباه للعدد وعدم الاحتكاك مطلقاً مع السجنائين والسجانين.

كل شيء في غرف الأسيرات جماعي ومشارك، الذاتية والفردية تذوب وتختفي إلى أبعد الحدود باستثناء الخصوصيات، فالطعام والشراب، النظافة والتلفاز، ترتيب الغرفة، الأفراح الأحزان، الآمال، الأحلام، كلها مشتركة، جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعي سائر الجسد بالسهر والحمى، وإذا فرحت أسيرة فرحت لها جميع الأسيرات، وإذا حزنت أسيرة حزن لحزنها جميع الأسيرات.

174

دخلت ممثلة الأسيرات إلى الغرفة وقد بدا عليها علامات التعب والإرهاق بعد يوم عمل شاق امتد منذ ساعات الصباح الأولى حتى ساعات المساء في مقارعة الإدارة من جهة وغلبة الأسيرات وشقاوتهن من جهة ثانية بشكاويهن وطلباتهن التي لا تنتهي ولا تقبل التأجيل أو التأخير، دخلت وبرفقتها مسؤولة الكانتينا التي حملت في يديها رزمة دفاتر تخص حساب الكانتينا وفي اليد الأخرى حملت كيساً بلاستيكياً أبيض اللون ملأته بما طاب ولذ وتيسر من المكسرات والشكولاتة والبسكويات استعداداً لجلسة ترحيب وتعارف تعقد في كل غرفة يتم دخول أسيرة جديدة إليها في تقليد اعتقالي عريق، وعرف اعتقالي سائد داخل كافة أقسام السجون إكراماً للأسيرة الوافدة الجديدة.



- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، يعطيكن العافية.

- الله يعافين حبيباتي أسيراتنا الجديديات، والقديمات كمان.

- أمل و حياة \_ بلهجة السؤال \_ ناقصكن شيء؟ أمانة نحن هنا كلنا أخوات أي شيء ناقص؟ أي شيء عايزاته ونقدر عليه أمانة لا تستحوا من حبات عيوننا، طلباتكم أوامر.

- الله يرضى عنك ويستر عليك يا ممثلتنا الفاضلة، أنتِ والله ما قصرتِ ولا الأخوات قصرن، من ساعة ما وصلنا ودخلنا القسم وخيركم غامرنا، انظري إلى خزائننا امتلأت بالأغراض كأننا صار لنا في السجن ألف سنة، الله يفرج عنكن جميعًا ويجمعكن بأهلكن، ربنا يقدرنا على رد جهائلكم ومعروفكم؛ لأن الذي عملتموه معنا اليوم والي شفناه منكم شيء كبير أنسانا ألم الاعتقال وهو دلالة على أصالتكم وأصالة أهلکم الكرام.

- هذا واجبنا يا أخت أمل، مثل ما الأسيرات السابقات احتضنونا واجبنا أن نحضن الأسيرات الجديديات، بنات الناس أمانة بين أيدينا، سنحافظ عليها ونصون هذه الأمانة مثل ما نصون شرفنا وسمعتنا هنا داخل هذه السجنون.

- شيخة فاطمة العشاء جاهز، الأخوات من أكثر من أربعين يومًا ما أكلن أكل مثل الناس.

- نعم العشاء جاهز يا أخت لنا من ساعة، لكننا ننتظر حتى





تدخلي من المردوان، خمس دقائق، أقلب الطعام على السدر وأضع السلطة في الصحون.

- الله يسامحك يا شيخة فاطمة، الأكل جاهز من ساعة وعندنا أسيرات جديدات من أربعين يومًا وهنَّ عايشات على أكل الإدارة اللي بيخزي بكميته ونوعيته، كان رفعت لي شوية أكل وتعشيتن.

- مستحيل أخت لينا نتعشى بدونك، أنت ممثلتنا مع الإدارة وعلى الطاولة كمان، خارج الغرفة، داخل الغرفة، في كل صغيرة وكبيرة أنت ممثلتنا وقائدتنا.

- الله يرضى عنك يا أخت حياة، هذا من أدبك وذوقك يا غالية، يلا تفضلوا صححتين وعافية، مطارح الهنا، سمو باسم الله وكلوا مما يليكم.

أمسكت الأيدي بالمعالق والسدر والصحون وعمَّ السكوت المكان إلا من أصوات ارتطام المعالق بالسدر والصحون تارة، وبالأسنان تارة أخرى في عملية تكاملية لم يقطعها ويشوش عليها إلا قدوم العدد الأمني الأخير، ما يقومك عن عشاك إلا عدك.

في العدد الأمني خصوصًا الأخير، الأسير الفلسطيني ملزم بالوقوف للعدد والتشخيص بالصور حيث يقوم أحد ضباط العدد بعد الأسرى داخل الغرفة ومن ثم يأتي ضابط عدد آخر وأحيانًا سجان عادي يحمل بيده ملفًا فيه صور لسكان الغرفة مع أسمائهم، فينادي اسم الأسير أو الأسيرة ليقوم الأسير بالرد عليه باسم العائلة وأحيانًا العكس، وفي بعض الحالات، الضابط نفسه الذي يعد يكون معه الملف أو يكون حاملًا للجهاز



إلكتروني فيه كافة المعلومات عن الأسرى فيعد وينادي ويشخص الصور لوحده.

مضت طقوس العدد وعادت الأسيرات إلى تناول وجبة العشاء، وقد نُغصت ونُكّست هذه الوجبة، وصدق المثل الشعبي الفلسطيني القائل: «ما بقيمك عن عشاك إلا عداك» حكم القوي على الضعيف، فما بالك بحكم الاحتلال المستكبر المتعجرف على الأسيرات المسكينات المعزولات عن العالم الخارجي وقد نسيهنّ القريب والغريب، أكلت الأسيرات وجبة العشاء وقد أكلت كل أسيرة فوق طاقتها وزيادة عن حاجتها لطيب مذاق وزكاوة طبخ الفنانة الشيخة فاطمة التي تخلص في كل عمل تقوم به، تطبخ بإخلاص، تُدرّس بإخلاص، تتكلم بصدق وإخلاص، نيتها أصفى من الماء الزلال، نفسها طيب، روحها مرحة، نفسيتها راقية، عقليتها راجحة، انهمر سيل الشكر على الطبّاخة من كل حذب وصوب لبراعتها في إرضاء ذوق الأسيرات المحرومات من كل شيء.

177

- يسلموا ايديك أخت فاطمة، على هالأكل الطيب.

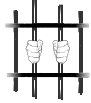
- صحتين وألف عافية حبيباتي الغاليات.

- ألف شكر لك أخت فطوم على هالأكل الزاكي مثل روحك

الطيبة.

- صحتين وعافية حبيبتي حياة محل ما بعمر بثمر إن شاء الله، ومحل

ما يسري بيمري، مهما نعمل لخدمة المجاهدات الرائعات بنظلم مقصرين.



همّمت كل أسيرة بالاستحواذ على الصحون والمعالق وأدوات الأكل كافة لتنظيفها وجليها، وهنا بدأت مرحلة التنافس فهمّمت حياة وأمل إلى التنظيف .

- شو هذا، مش عيب عليكين أتنن قادمات جديدات يعني لكم ضيافة ثلاثة أيام والرابع ما حدا بيشتغل غيركن، استرحن بلا بلبلة.

- له ما بصير بروفيسور لينا، أنا وأمل متعودات على الشغل.

- صحيح أنا وحياة من صغرنا بنساعد أمياتنا في شغل الدار.

- تنغرّش بحالكن، كل البنات بساعدن أمهاتهن، اقعدن واهدن، إلا إذا شايفات تقصير من بقية الأخوات.

- أمرك بروفيسورة لينا، هي أنا وأمل قعدنا.

- شو قصة بروفيسورة، أنا ما أنهيت هذه الدرجة العلمية، انسجنت وأنا عمري 24 سنة وما لحقت أكمل تعليمي.

- أنتِ بروفيسورة ونص، اللي بيدرس ليحصل على شهادة البروفيسور يحتاج إلى أقل من عشر سنوات، أنتِ قضيتِ لحد الآن عشر سنوات من عمرك داخل السجن وباقي لك سبع سنوات، إن شاء الله ما بتقضيهن، بس لحد الآن صار معك أرقى شهادة، بروف بالقيادة وفن التعامل مع الناس، أسيرات قديمات، جديدات، إدارة.

- شكراً لكِ على هذه المجاملة الرقيقة، يعني بنظرك أنا اليوم

بروفيسورة؟



- بروفيسورة وربع وثلث ونص، وقد الدنيا، بس ما أجبتي على سؤال المرءوان.

- قصءك قبائل الجن؟

ارتفع صوت الأءان مناءياً للصلاة المغرب من الغرفة المجاورة، وبءلك انتهى اللقاء الوءى الأول ما بين الأسيرة حياة ومثلة الأسيرات ءون أن ءحصل على إءابة لسؤال المرءوان.

اصطفء الأسيرات للصلاة وكان الإمام هي الشخة فاطمة، فهي ليست طباخة ومبءعة في عالم الطبخ، بل بالإءافة لكل ما سبق هي شخة وفهانة في الءين فقد ءم اءقالها قبل ءخرجها بفصل واحد من ءامعة القءس المفتوحة، ءهء كانت ءءرس ءربفة الإسلامفة وهف بالءالف مرءعة القسم في كل سؤال شرعى وهف ءطفة يوم الجمعة والمشرفة الأساسفة على ءعلفم ماةء ءءوفاء، والمءففف أعظم من الطاقات الكامنة ءصوصاً في الإشكالفات وءلها بين الأسيرات وءفسفر الأحلام، وما أكثر ما فءلم الأسرى، كل ءلم ورؤفة فءب أن ءفسر على أنها إفراء وأف ءفسفر آخر فر معقول ولو كان صءفءاً ومرءوفاً على مفسره، فعنف ءءى بالءلم فرء كل واحد أن فءفر ءللاوة من ءهءه وعلى مقاسه.

انءهء صلاة المغرب وكما ءأوف الطفور إلى أعشاشها مساءً، أوف كل أسفرة إلى برشها واضعة السماعة اللاسلكفة على أءنفها فف ءشوع وسكفنة، وقد منع ءءول ءاءل الغرفة وساء الصمء المطبق ءءى لو أن إبرة سقءت لسُمعء رنءها من الغرفة المجاورة من ءشوع الرهب



والسكوت العجيب الذي قطعه صوت أميرة الغرفة الأسيرة منال.

- حاليًا عندنا موعد مقدس، برنامجنا المفضل على التلفزيون الذي نتابعه ومنتظره من الأسبوع للأسبوع، برنامج لأجلكم، تعالوا تابعوه معنا.

- عن إيش بحكي هذا البرنامج؟

- هذا البرنامج خاص عن الأسرى وعائلات الأسرى يقدمه تلفزيون فلسطين مساء كل يوم خميس.

- آه، صحيح ما معكن ساعات!

أميرة الغرفة، انتفضت أسيرات الغرفة، كل تقدم سماعتها، وأمل وحياة ترفضان أخذ الساعات وتقدمان الأعذار والأسيرات تصر على التنازل عن حقها في متابعة البرنامج لفسح المجال أمام الأسيرتين الجديدتين لمتابعة البرنامج.

- بكرة إن شاء الله بنجيب لكن ساعات علشان تحضروا على التلفزيون؛ لأنه على طول اليوم التلفزيون صوتته على الكاتم، لا يرفع صوتته.

- أختي سمر، في عندك ساعات في الكاتينا؟

- نعم ست منال في عندي آخر ساعة، بكرة بحضرها، لكن سعرها شوي عالي، قالتها مازحة.

- أيوه بلشت سياسة الاحتكار التجاري، استغلال العرض والطلب، استغلال حاجة المستهلك الكريم، ورفع الأسعار أضعاف مضاعفة، هذه هي



سیاسة العولمة وأخلاقیات السوق المفتوح، یا حرام علیکن، استغالیات،  
تردن استغلال حاجتی الملحة وترفعوا السعریا حرام، یا حرام.

- الله یسمحك ست أمل، أولاً فی نصف المصطلحات الی حکیتها  
مش مفهومة بالنسبة لی، أما إنا استغالیات فالله یسمحك علی هذا الاتهام  
الباطل القصة وما فیها من حکم بیاله ما ظلم، تکرمی أخت أمل نحن  
نمزح معك.

- وأنا كذلك، قالتها حیاة.

- غداً إن شاء الله نحضر لأمل سماعه من الكاتینا و فی سماعه زیادة  
فی غرفة رقم (10) نحضرها لحیاة وعلی الطلیبة القادمة سنسجل ساعات  
وأدوات كهربائیة ومنتظر وصول صرفیة وزارة الأسری آخر الشهر.

- ممتاز، علشان الأخوات لا یوجد معهن ساعات فالیوم استثناء  
نرید أن نرفع صوت التلفزيون علشان تسمع جمیع الأخوات البرنامج.

برنامج مخصص للأسری وذویهم بیث علی قناة فلسطین الفضائیة  
کل یوم خمیس، یشرف علی إعداده وإنتاجه أسیر محرر من مدینة الخلیل  
ذاق مرارة الأسر وعايش ألم ومعاناة الأسری، وتقدم البرنامج مذیعة  
من نابلس هی شخصیاً لم تعتقل ولكنها لیست بعیدة عن معاناة الأسر  
والاعتقال، فخالها أمضی فی سجون الاحتلال أكثر من 23 عاماً، هذا  
البرنامج من جهة مادته هی هم الأسری ومعاناتهم وقضیتهم وأهلهم،  
ومن جهة المشرفین علیه خصوصاً المعد والمقدمة جعل هذا البرنامج ممیزاً



داخل السجون عند غالبية الأسرى.

برنامج (لأجلكم) حاز على الإعجاب المطلق لكافة الأسرى في السجون وأصبح قضية إجماع وطني وكان ينتظره الأسرى من الخميس إلى الخميس بشوق وحنين لا مثيل لهما إلا أن فئة ضالة ظلّت تحرض على هذا البرنامج وتضغط عبر أدواتها على إدارة القناة حتى يتم إلغاء البرنامج كلياً شكلاً ومضموناً مع بقاء الاسم فقط، ثم قامت إدارة السجون بتسديد الضربة القاصمة لهذه النافذة التي يطل من خلالها الأسرى على عالمهم الخارجي وتواصلهم بأهلهم ومجتمعهم فأغلقت قناة فلسطين وألغتها من شبكة الفضائيات المسموح ببثها على التلفاز داخل السجون فذهب الجمل بها حمل.

182

انتهى برنامج لأجلكم ولم يتبق لصلاة العشاء إلا دقائق كانت كافية لإعادة ترتيب استعداد الأسيرات لتأدية صلاة العشاء، صلاة العشاء بالنسبة للأسيرات تعني انتهاء العمل الجماعي وبداية البرنامج الفردي الخاص، فهناك من تخلد إلى النوم، وهناك من تسهر على التلفاز، وهناك من تنزوي على برشها للقراءة الذاتية، وهناك من ترسم، وهناك من تكتب، وهناك من تذهب برحلة عاطفية تراجع صور الأهل والأحبة في رحلة مشاعرية جياشة وعاطفية حنونة تسيل الدموع بخجل من مقل العيون وتحنق العبارات.

أما اليوم فالظروف مختلفة في غرفة رقم (6)، فبعد صلاة العشاء اليوم ستضاف فقرة جديدة واستثنائية إلى قائمة النشاطات اليومية وهي



جلسة الترحيب والتعارف على القادمتين الجديدتين أمل وحياة.

الحياة تسير داخل غرف الأسر بروتين ونمط نادراً ما يتغير أو يتبدل وقلماً يدخل عليه شيء جديد، هذا النمط نظرياً قد يكون مملاً ولكنه داخل الأسر بالغالب يكون عكس ذلك فالوقت داخل السجن يمكن أن يمر كالبرق الخاطف ويمكن أن يمر كدوران نصف الرحى، ففي ظل وجود برنامج مليء بالنشاطات ومرتب ومنظم يسير الوقت سريعاً، وفي غياب هذا البرنامج لا يمضي الوقت وتصبح الحياة مملة وفوضوية وطويلة والنهار بنهارين، وسيشعر الأسير بفرفة روحه.

انقضت صلاة العشاء وأغلق المسجد أبوابه وانتشرت الأسيرات كخلية نحل منظمة، كل أسيرة تعرف عملها، أسيرة تنصب الطاولة البلاستيكية البيضاء وتفرش عليها سجادات الصلاة، وأسيرة أخرى تفرد الصحن البلاستيكية ذات الاستعمال مرة واحدة وتوزع فيها المكسرات والشوكولاتة، أسيرة أخرى تسكب الكولا والعصير، الكل مشغول بإعداد مائدة الترحيب بالأسيرتين الجديدتين حياة وأمل اللتين تجلسان بجانب بعضهما البعض على برش أرضي تراقبان ما يحدث، قبالة برش ممثلة الأسيرات حطت الطاولة البيضاء حالها كحاملة طائرات في عرض المحيط، لكن هذه الطاولة لا تحمل أيًا من أدوات القتل بل تحمل صحنًا ملئت بحلويات بسيطة تعبر عن حب عظيم لا تحده حدود ولا تتسع له إلا القلوب الرقيقة، قلوب جلبت على المحبة والانتفاء الصادق لفلسطين أرضاً وشعباً وقضية، في مظهر احتفالي بالقادمتين الجدد تم إعداد مائدة الحلويات وتم كسر الروتين اليومي، ووجهت الدعوات لسكانات الغرفة





للاجتماع والتجمع الطارئ حول الطاولة المستديرة ترحيباً واحتفالاً بقدوم الأسيرتين الجديدتين.

- يلا شيختنا الفاضلة فاطمة، افتتحي الجلسة.

- عندك ممثلتنا، أنتِ كبيرتنا، توكلي على الله، عندك افتتاح الجلسة.

- رضي الله عنكِ شيختنا الفاضلة، أنتِ أهل العلم، أنتِ تاج على رؤوسنا، لا يُفتى ومالك في المدينة، تفضلي.

- تنحنحت الشيخة فاطمة وبدأت حديثها: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: في البداية أحياكم بتحيةة الإسلام الطيب المبارك، نحييكم جميعاً أخواتنا الأسيرات القديمات والجديدات ونرحب بكن في هذا المكان الظالم أهله، وكل الدعاء لله أن يفك قيد أسرانا جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10]، وقال رسول الله ﷺ: (الأرواح جندٌ مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف)، بوجود هذه الوجوه الطيبة نرحب أولاً بأخواتنا الأسيرات الجديدات، الأخت المجاهدة أمل، والأخت المجاهدة حياة، سائلين الله لكن إقامة طيبة وقصيرة بين أخواتكنّ الأسيرات ومعاً نحوي سنة من سنن رسول الله ﷺ ألا وهي سنة التعارف، ونبدأ من عند أسيرتنا وممثلتنا الفاضلة القديرة الأسيرة لينا، نعرفكم على أنفسنا وتعرفوننا على أنفسكم حتى تدوم بيننا المحبة والأخوة.



بدأت كل أسيرة تعرف عن نفسها، أنا أختكن بالله، اسمها الرباعي، عمرها، مكان الإقامة، تاريخ اعتقالها، تحصيلها العلمي، وضعها الاجتماعي، عزباء، متزوجة، مخطوبة، كم أمضت بالسجن حتى الآن، موقوفة، محكومة، مدة الحكم، الأخوات تتكلم والأيدي صعودًا ونزولًا في حركة لا تتوقف في غاراتها على صحون الضيافة ومسكينة من عليها دور التعريف، فالكلام والطعام لا يجتمعان في آن واحد، إما كلام وإما طعام.

تشعب الحديث ما بين الأسيرات خلال جلسة التعارف ولم ينتبهن أن الساعة قد تجاوزت العاشرة ليلاً وهذا وقت متأخر في عرف الحركة الأسيرة فقد حان وقت إطفاء ضوء الغرفة؛ لأجل توفير جو مناسب لمن تريد أن تنام مبكرًا ويعرف هذا بالعرف الاعتيادي بالالتزام النسبي.

نُبهت أميرة الغرفة الأسيرة منال الأسيرات أن وقت الالتزام النسبي قد دخل، فعلى الجميع الاستعداد وكما اشترك الجميع بإعداد مائدة الترحيب والتعارف اشتركت جميع الأسيرات في ملمة الغرفة عقب جلسة التعارف، فهناك من تلملم الكراسي والطاولة وترتب السجادات في مكانها المخصص، وهناك من تلقي الصحون وكاسات الكولا الفارغة في سلة النفايات وأخرى تحضر الماء والصابون لشطف الأرضية، سلة النفايات داخل غرف الأسرى والأسيرات اسم بلا مسمى، وهي عبارة عن دلو تحضر به الإدارة عادة مادة الطحينية كل شهر مرة، أي دلو لكل غرفة، فيأخذ الأسرى حال نفاد مادة الطحينية وتوزيعها على الغرف، وعادة وبالغالب يتم إلقاؤها بدورات المياه؛ لأنها سيئة الطعم والمذاق، فيحول الأسرى دلو الطحينية لسلة مهملات بعد تنظيفه ويضعون بداخله كيسًا



مخصصًا للنفايات يتم شراؤه من الكانتينا على حساب الأسرى الخاص.

في ظل الالتزام النسبي يطفأ الضوء في الغرفة وينتهي الحديث على مستوى الغرفة بالصوت المرتفع ويقتصر على الحديث الثنائي وبالهمس ما بين أسيرتين على برش أحدهما ويكتم صوت التلفاز والراديو، وكل حركة داخل الغرفة يجب أن تكون بأقصى درجات الهدوء، حتى ضوء التلفاز يكتم ويغمق لتوفير الجو المريح لساكنات الغرفة بشكل عام، ولمن تريد النوم مبكرًا من أجل الصحو الباكر لصلاة الفجر أو قيام الليل، أو الصحو المبكر للرياضة الصباحية، أو للأسيرات العاملات في مرافق السجن المختلفة، فهن ملزمات بالنوم مبكرًا من أجل الصحو باكراً، لذلك ضمنت القوانين واللوائح الداخلية التي أرساها الأسرى الفلسطينيون عبر سنوات اعتقالهم الطويلة حق جميع الأسرى في حياة مستقرة وهادئة، وذلك عبر تنظيم الحياة الاعتقالية على شكل قوانين وسطية تراعي حق الجميع وتعطي حلولاً وسطية يلتقي عليها الجميع في مسافات متوسطة ما بين الإفراط الذي يجعل الأسير يعيش في سجن ثانٍ بالإضافة لسجن الاحتلال الأول فيزداد غمًا وتزداد حياته اضطرابًا، والتفريط الذي يحول حياة الأسير إلى شورية وحياة تسودها الفوضى، فعلى قاعدة خير الأمور الوسط ولا يموت الذيب ولا تفنى الغنمات أُسست غالبية قوانين الحياة اليومية داخل السجون باتباع الالتزام النسبي والذي يبدأ الساعة العاشرة ويستمر حتى الحادية عشرة، الالتزام الكلي والتام حيث تلتزم كل أسيرة برشها وهي حرة، تنام، تبقى مستيقظة، المهم كل أسيرة على برشها أو في صلاتها بعد أن تكون قد أتمت استعداداتها للنوم ورتبت فراشها البسيط وغطت برشها بقطعة قماش حتى



تجرب رؤية السجناء (السوهير) للأسيرة وهي نائمة وقد نظفت أسنانها بواسطة فرشاة الأسنان حيث تحرص كل أسيرة على المواظبة على تنظيف أسنانها والمبالغة في ذلك كي لا تضطر للنزول إلى عيادة الأسنان؛ لأن النزول إلى عيادة الأسنان فصل معاناة كامل تعجز الأقلام عن وصفه. في الالتزام الكلي ينتهي الحديث مطلقاً ما بين الأسيرات، ويطفأ التلفاز كلياً ويسود الصمت المطبق على الغرفة حتى أذان الفجر، ولا يعكر مزاج هذا الصمت إلا الدورية الأمنية كل نصف ساعة على غرف الأسيرات حيث يقوم سجان أو سجانة بدورية على كل غرف القسم، فتقف على باب كل غرفة وتضيء مصباحاً محمولاً بيدها مسلطاً الضوء على أرضية الغرفة أو سقف الغرفة، وتقوم بعد الأسرى، في البدايات الأولى للحركة الأسيرة كان السجناء يتعمد تسليط الضوء على كل أسير وأسيرة، وبعد خوض الحركة الأسيرة لمعارك الإضراب نتج اتفاق حول الضوء في الدورية وذلك بأن يسلط السجناء الضوء على الأرضية أو السقف مقابل عدم تعرضه لأي مشكلة من قبل الأسرى، غالباً ما كانت تنشب مشادات كلامية وعراك بالألفاظ بسبب تسليط الضوء على وجوه الأسرى، هذا الاتفاق لا يعني التزام السجناء التزاماً تاماً، فكثيراً ما يتم اختراق هذا الاتفاق، فذيل الكلب لا يعدل ولو حظيته بقالب أربعين سنة، الوفاء بالعهد من أصعب الأخلاق على إدارة السجناء، وارثين ذلك من أسلافهم أهل الغدر ونقض العهود والقوانين.

منذ ما يزيد عن أربعين يوماً انقطعت أمل و حياة عن الحياة أي منذ أن تم اعتقالها على حاجز بيت إيبا ومن ثم الزج بهما في زنازين مركز تحقيق بتاح تكفا حتى إحصارهما إلى سجن الشارون، فكل ما أحاط بهما



على مدار أكثر من أربعين يوماً كان من مفردات الموت والقتل والتدمير والتهديد والوعيد، استهدفت هذه المفردات معنويات أمل وحياة ونفسياتها قبل أن تستهدف قتل وتدمير أجسامها.

العزلة عن العالم الخارجي، الزنازين، الجدران الخشنة والمظلمة، القيود، كرسي التحقيق، الشبح، المحقق، السجانون، السجانات، الشرطيات، العملاء، العصافير، الشتائم، الصراخ، التهديد، الوعيد، الضرب، كلها مفردات و مترادفات للموت والقتل البطيء، إنه الصبر في مواجهة المحن، التحمل في مواجهة الشدة والكرب، الأمل في مواجهة التلوين الأسود للمستقبل الذي مارسه رجال التحقيق والعملاء على حدٍ سواء مع الأسيرتين، و يمارسونه مع كافة الأسرى في رحلة التحقيق، اليوم عادت الحياة إلى مجاريها، وأشرق أشعة الشمس الذهبية فوق ربوع الأرض المحرومة، فأورقت أشجار التين والرمان واخضرت بعد فصل خريف عاصف، عادت مفردات الحياة لتحل محل مفردات الموت، مفردات السكينة والطمأنينة حلت بديلاً عن مفردات الرعب والخوف والإرهاب، مفردات الاحترام والتقدير بدلاً عن مفردات الصراخ والشتيم و قلة الاحترام والتهديد والوعيد بالمستقبل المظلم.

خلدت الأسيرات لنوم عميق بعد يوم عمل شاق وخروج مبرر عن الروتين اليومي، لكنَّ الأسيرتين الجديدتين قد جفا النوم عيونهما رغم التعب الذي أرهقهما في رحلة الانتقال من مركز التحقيق إلى سجن الشارون لانتقالهما من الواقع الأسوأ إلى الواقع السيء أو الأقل سوءاً، ودرجة التغيير ما بين الواقعين هائلة وشاسعة، رغم أن كليهما سجن، ولكن لا يحس بهذا



الفارق إلا الأسيرة التي ذاقت مرارة العيش في الزنازين وأقسام السجون.

الزنزانة قبر حقيقي بكل معنى الكلمة، فكلاهما القبر والزنزانة قد هبطا تحت الأرض، وأغلقت نوافذهما بوجه شعاع الشمس ونمت بينهما وبين الهواء النقي علاقة سيئة، واتحدا بالهدف النهائي لهما، وهو قطع الإنسان عن عالمه، ولكن الفارق البسيط أن القبر يدفن فيه الإنسان ميتاً وكرامة له وجسده بعد أن فاضت الروح إلى خالقها، أما الزنزانة فيدفن الإنسان حياً بجسده وروحه لإذلاله وإهانة كرامته والحط من إنسانيته، خروج الأسير من الزنزانة ولو أنه قضى فيها يوماً واحداً هو بمثابة تحقيق المستحيل، فكيف يكون الحال بالأسرى الذين يقضون فيها أربعة شهور أو ستة شهور، بل كيف يكون الحال بالأسيرة التي تبقى وحيدة في هذه القبور لأشهر طويلة وهي امرأة معزولة لوحدها وكل ما حولها خيف ومرعب، المكان، الإنسان، الجدران، الزمان، وهي المخلوقة الناعمة الرقيقة المجبولة على العواطف والمشاعر الرقيقة، الخروج من الزنزانة إلى أي مكان غير الزنزانة بحد ذاتها نصف إفراج ولو كان إلى كرسي التحقيق، فكيف يكون الوضع عندما ينتقل الأسير أو الأسيرة من زنزانة التحقيق إلى أقسام الأسرى، إن الانتقال من الموت إلى الحياة، من العدم إلى الوجود، من الظلمة إلى النور، في خاطرهما أن يبقيا مستيقظتين حتى الصباح، بوجهما أن تتكلما بلا توقف وأن تضحكا بسبب وبلا سبب حتى شروق الشمس، فقد زهقتا الجدران الصماء، زهقتا النوم الإجباري في زنازين التحقيق مثلما زهقتا الصحو الإجباري على كرسي التحقيق لساعات طويلة، بنفسها تعويض كل ما فاتهما على مدار الأربعين يوماً بليدة واحدة، لكنها قوانين الحياة



الاعتقالية التي تبدو الآن غريبة عليهما، ولكنهما مجبرتان على الالتزام بها والخضوع لها واعتناقها، والدفاع عنها مستقبلاً، تقلبتا في فراشهما، تارة على اليمين، تارة على الشمال، تارة تسبل عيونهما، تارة تغطي عيونهما بالبشاكير لعل النعاس يغشاها منة من الله، أو تداهما موجة نوم فجائية تأخذهما بعيداً عن شاطئ اليقظة والقلق والأرق إلى أعماق محيط الأحلام والنسيان، لكنه الخليط من القلق مع الطمأنينة، الخوف مع الشعور بالأمان، القلق على المستقبل مع الطمأنينة على تجاوز مرحلة التحقيق بسلام والخلاص من الزنازين القاتلة، ونهاية المرحلة السوداء المعتمدة من مرحلة الأسر، هذا الخليط من المتناقضات أطار النوم من العيون وشتت النعاس في الجفون، عبثاً حاولتا النوم، والفشل حصيلة كل المحاولات البائسة للتنويم الإجباري للذات مما أثار انتباه أميرة الغرفة، نهضت من فراشها وجلست على الأرض بالقرب من برش أمل، وبهمسٍ شديد سألت أمل: مالك ست أمل؟ مش عارفة تنامي؟

- آه والله، النعس طار من عيني، ولا جاي على بالي النوم.

- سأحضر لك الراديو تتسلي فيه.

استغلت حياة الفرصة واستلت من برشها إلى برش أمل بعد أن رأت أميرة الغرفة وأمل تتكلمان معاً، جاءت هذه الفرصة على طبق من ذهب لحياة بعد أن كادت روحها تفرط من وحدتها على برشها وقد جفا النوم عينيها.

- أهلاً ست حياة أنتِ الأخرى سهرانة؟ مش عارفة تنامي؟



- سأحضر لك راديو ثاني تسمعي عليه، على فكرة كل أسيرة جديدة هكذا تكون أول ليلة، ما بتعرف النوم، ولا النوم بعرفها، يلا بكرة بتعودي على حياة السجن متقلقيش، البث هنا ضعيف وبطلوع الروح نلتقط بث إذاعة بتحكي عربي؛ ولأن الوقت ليل قد يكون البث أفضل ولقط الراديو أقوى.

- ما هي الإذاعات التي يصل بثها إلى هنا؟

- في إذاعة أجيال، الراية، فلسطين السلطة، إذاعة الأسرى من غزة، ولكن لقطها هنا ضعيف، بكرة بالنهار إن شاء الله نمد أسلاكًا ويكون اللقط أفضل.

مضت ساعات الليلة الأولى للأسيرتين في سجن الشارون بطيئة وثقيلة واقتربت الساعة من الفجر، وبدأت الأسيرات بالصحو استعدادًا لتأدية صلاة الفجر، وما زال النوم مجافياً لمقل الأسيرتين.

- يلا يا صبايا، الصلاة خير من النوم.

أسيرة، أسيرة تصحو وتنسل من فراشها إلى الحمام وتتوضأ وتعود إلى فراشها تسحب سجادة الصلاة وتؤدي صلاة قيام الليل والوتر، وترفع الأيدي بالدعاء لله استثماراً لهذا الوقت المستحب فيه الدعاء، حين رفع الأذان معلناً دخول وقت صلاة الفجر وبداية اليوم الجديد.

انقضت صلاة الفجر وعادت كل أسيرة إلى برشها، فمنهن من ظلت على سجادة الصلاة تدعو وتذكر الله، ومنهن من عادت إلى النوم، ومنهن





من بدأت بتأدية ورد الذكر والدعاء والتسبيح على برشها، فكل أسيرة لها برنامجها بعد العدد، كل أسيرة لها طاقتها وظروفها الخاصة، أما أمل وحياة فظروفها خاصة جدًا، جسد مرهق ومتعبد، عيون فارقتها النعاس، ثنائية عجيبة في اجتماع المتناقضات.

الساعة السادسة موعد قيام السجانين بإزالة الأقفال عن أبواب الغرف، فكل باب منها يقفل بواسطة خمسة أقفال، واحد كهربائي سيتم التحكم بفتحة وإغلاقه من غرفة التحكم الخارجية في القسم، وقفل آخر يفتح بواسطة مفتاح عادي وهذا الأخير يفتح مرة واحدة مساءً بعد العدد الأخير ويبقى طوال هذه المدة مفتوح أما بقية الأقفال الثلاثة فهي أقفال خارجية تُفك صباحًا وتعاد بعد العدد الأمني الأخير.

192

في عملية فك الأقفال صباحًا يتعمد السجان أو السجانة إحداث أكبر قدر ممكن من الضجة والإزعاج في التزام واضح من قبلهم بتعليمات ضباطهم الكبار بخلق حالة من الفوضى والإزهاق للأسير؛ لتعكير مزاجه وإغلاق راحته خصوصًا في نومة الصباح، أما عندما يقوم السجان بفتح الأبواب لساعة الرياضة الصباحية الساعة السادسة والنصف فإنه يفتح الأبواب ويغلقه بكل هدوء حتى لا يصحو أي أسير على الرياضة، خبيث بل إن الخبائثة تشكو من خبائثته وترحم على أيام كان للخبائثة أخلاق وقيم ضاعت، أمام خبائثة هذا السجان السادي.

الساعة السادسة والرابع موعد دخول العدد الأمني الأول صباحًا، ويصاحب هذا العدد مظاهرة للضباط والسجانين، هذا استعراض العضلات



أمام الأسرى العزل من أي سلاح سوى إيمانهم بعدالة القضية التي بسببها ومن أجلها يسجنون ويقضون زهرات حياتهم خلف قضبان الأسر.

- سفيرا! سفيرا! سفيرا بمكوم! بنوت سفيرا! عدد! عدد!  
عدد بالمكان! بنات عدد! أي أن قوة العدد في الساحة وعلى الأسيرات الاستعداد للعدد.

نادت السجانة الجالسة في غرفة التحكم المركزي بواسطة مكبرات الصوت لتنبئه الأسيرات بوصول العدد.

193

- أميرة الغرفة، عدد يا بنات، استعداداً للعدد، البسن المناديل وتنانير الصلاة، الأخوات اللي على الأبراش العلوية انزلن على الأرض، لا نريد أي تأخير للعدد في غرفنا، خلينا نعد وينصرفوا الله يريحنا منهم.

استنفرت الأسيرات استعداداً للعدد وهمهن ألا يدخل عليهن العدد وهنّ مكشوفات الرؤوس أو وهنّ بيجامات النوم بلا اللباس الشرعي، فكل أسيرة عندما تنام وتأوي إلى برشها كما تأوي الطيور إلى أعشاشها مساءً تحرص كل أسيرة على وجود جلبابها ومنديلها أو غطاء الصلاة داخل برشها وقريباً من يدها.

سجان يحمل درعاً بلاستيكيًا وبكل عنف يثبته على الشباك، وسجان آخر يثبت درعه على شبك الباب، سجان آخر يمد مرتعشة خائفة يفتح الباب بواسطة المفتاح اليدوي قبل أن يقوم السجان الجالس في غرفة



التحكم بفتحه كهربائياً، يفتح الباب بعد سيل من الصراخ على السجناء داخل غرفة التحكم والذي كثيراً بقصد أو بغير قصد يقوم بفتح غرفة سابقة للغرفة التي يقف على بابها العدد أو الغرفة اللاحقة فيعلو الصوت، ويعلو الصراخ، تاشيش، أي افتح غرفة ستة، دخل الضابط حاملاً بيده جهازاً إلكترونيًا ووقف على عتبة الباب ولا يتعداها سنتيمترًا واحدًا وخلفه شرطي يمسكه من ظهره خوفًا عليه من أن تقوم إحدى الأسيرات بسحبه واحتجازه كرهينة في سيناريو وهمي يصلح أن يكون مشهدًا في فلم هندي أو فلم أمريكي من إنتاج هوليوود.

- بوكر توف، صباح الخير.

- أهلاً، ردت لينا ممثلة الأسيرات.

دقق بالوجوه والعدد وبصوت خافت، آخاد، شتاييم، شلوش، وأخيراً وبصوت عالٍ نطق بالجوهره، شيش، أي ستة، ليرد عليه سجان آخر يقف خلفه ويحمل ألبوم صور للأسيرات بنفس العدد، أي تأكيد على أن العدد للأسيرات داخل الغرفة يطابق عددهن في الألبوم الصور، وهكذا ومع كل غرفة في السجن وهكذا مع كل عدد وكل يوم باستثناء عدد المساء حيث يكون العدد أكثر دقة حيث يطلب من كل أسيرة وأسير النطق باسمه أو اسم عائلته ردًا على ما ينادي به السجناء أو الضابط، اكتمل العدد وانسحبت الإدارة من القسم وزال مع هذا الانسحاب الضجيج والفوضى الهدامة وكان قطيعًا من الثيران الهائجة قد مرَّ من القسم، وعمَّ السكون القسم بانتظار النهار الجديد، عبر مكبرات الصوت المثبتة على



جدران القسم، نادى السجناء الجالس داخل غرفة التحكم المركزية:

- سيوم سفيرا! سيوم سفيرا!

أي انتهى العدد وبذلك يكون القسم قد فتحت أبوابه وبدأ نهار جديد تستطيع الأسيرات الخروج إلى الفورة وافتتاح الكانتينا والمغسلة والمكتبة وسائر مرافق السجن، ومن تريد النوم تستطيع النوم حتى الساعة التاسعة صباحاً، ومن تريد الخروج إلى الفورة للمشي تستطيع، ومن تريد ممارسة الرياضة تستطيع قبل خروج كافة الأسيرات للفورة وامتلأها بسبب صغرها وعدم اتساعها لكل الأسيرات.





## 8

أخرجت ممثلة الأسيرات عصا القشاة من شبك شباك الباب ولوّحت بها للكاميرات لتنبه السجناء الجالس في غرفة التحكم المركزية؛ لكي يقوم بفتح الباب في طقس من طقوس المعاناة اليومية مع السجناء الذي يتغاضى عن رؤية كل إشارة صادرة من الأسيرات في طلبهن للخروج إلى الفورة، وظل يتعمد عن سبق إصرار وترصد أن يؤخر فتح الأبواب ولو دقائق معدودة معبراً بذلك عن نفسيته السادية المنقعة بالحق على كل ما هو عربي فلسطيني، ومستعرضاً عضلات رجولته الوهمية على نساء أسيرات عزّل من كل سلاح، ولا يجرؤ على مواجهة أي منهن، ولكن من خلف الجدران والشبابيك المحصنة يتفلّت ويسترجل ويملاً الدنيا صراخاً ولحظة



المواجهة يطلق رجليه للريح، لا تقدم الأسيرات الفلسطينيات الوسائل الاحتياطية القادرة على إخضاع السجن أو السجانة المتعجرفين في غرفة التحكم المركزية؛ للاستجابة لطلباتهن خصوصاً قضية فتح الأبواب للخروج والدخول من وإلى الغرف، فالعصا التي تمد من الشباك في إشارة سلمية لفتح الباب، بلحظة واحدة تتحول هذه العصا، بل هذه الإشارة السلمية إلى عود ثقاب كفيل بإشعال حرائق هائلة في كومة العلاقة الهشة مع الإدارة.

أي ضرب على الأبواب أو تكبير أو صراخ داخل الغرف أو أدنى ضجة من قبل الأسيرات كفيلة بأن تستنفر الإدارة فتهرع بقضها وقضيضها، وحدّها وحديدها، تستنفر وحدات قمعها المدججة بالسلاح والغاز والمراوات وخراطيم المياه، وتدوي في الأجواء أصوات صافرات الإنذار معلنة حالة الاستنفار المعروفة بين صفوف الأسرى والأسيرات بـ (الأزعقاه) فيتحول القسم إلى ثكنة عسكرية تعج بعشرات السجنائين وأفراد وحدات القمع المستعدين للبطش بالأسرى العزل من أي سلاح لحظة تلقي الإشارة من ضباطهم، الأسرى الفلسطينيون ينتهجون الوسائل السلمية في صراعهم مع الإدارة ولا يلجئون إلى العنف إلا في الضرورة القصوى وللدفاع عن النفس أو في حالة المس بالخطوط الحمراء لدى الأسرى وأهمها المس بعائلات الأسرى والمس بكرامة الأسير نفسه، لم تؤت عملية التلويح بالعصا من الشباك بنتيجة، فكان لزاماً رفع الصوت لإجباره على الخضوع لنشاطات اليوم الاعتيادية، الخروج إلى فورة الرياضة، إخراج النفايات، إخراج الغسيل إلى المغسلة، جمع قناني الماء من الغرف وترتيبها



بالتلاجة، تجهيز الأسيرات الخارجات إلى المحاكم والمستشفيات، بالإضافة لوجود زيارة للأهل من مدن وسط وجنوب الضفة الغربية والقدس، فأبي تأخير في فتح القسم سيربك العمل ويخرط برنامج الأسيرات.

- سوهير إذا سمحت افتح الباب!

نادت لينا ممثلة الأسيرات وتقصد الشرطي.

فنادى عبر المكبر: أين اشور، لا يوجد معي تصریح بفتح القسم.

- كيف لا يوجد تصریح والعدد انتهى من ربع ساعة، افتح الباب أريد مقابلة المديرية.

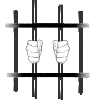
- المديرية لم تحضر للدوام لحد الآن، الساعة التاسعة ستحضر للدوام.

- شو يعني؟ بدك أنتظرك حتى تحضر المديرية وتفتح الباب؟ معك خمس دقائق حتى تفتح الباب وإلا ستتحمل كامل المسؤولية عن كل ما سيحدث.

- لا يوجد تصریح، لما في تصریح في فتح الباب.

دقائق معدودة لا تتجاوز الخمس وفتح السجنان باب الغرفة رقم (6) فخرجت ممثلة الأسيرات يمتلكها الغضب من تصرف السجنان، سارت بسرعة باتجاه غرفة التحكم المركزية، دقت بيدها بعنف على زجاج شباك غرفة التحكم المطلة على ساحة القسم كي يقوم السجنان بفتح الباب لتعطيه الحجم الحقيقي وتمسح بكرامته الأرض إن كان عنده كرامة.





## - افتح الباب!

وهي تدق على الشباك وهو يكلمها عبر مكبر الصوت: لا يوجد تصريح، لا يوجد تصريح.

بدلاً من الحديث مع ممثلة الأسيرات ضغط السجان على زر الإنذار الموجود على جهاز الاتصال الخاص به (المخشير)؛ لتدوي في سماء السجن صافرات الإنذار، معلنة حالة الاستنفار في صفوف وحدات القمع والشرطة ووحدات إدارة السجن الذين هرولوا مسرعين إلى القسم مدججين بالغاز والمراوات وخرطوم المياه لقمع الأسيرات العزل من أي سلاح.

لم يبقَ في أركان السجن وزواياه أي سجان أو شرطي إلا وارتدى عتاد القمع وهرول إلى الأسيرات استجابة لنداء الشر، مديرة القسم، ضباط الاستخبارات، طاقم الإدارة، رتب، نياشين، نجوم، دوالي، وجوه لأول مرة تحضر وتشاهد في القسم، ساحة القسم تحولت ثكنة عسكرية، عشرات السجنائين وأفراد ووحدات القمع الذين اصطفوا في طابور مستقيم وسط الساحة مقابل الغرف مخبئين خلف الدروع البلاستيكية، برايش المياه امتدت على طول الساحة استعداداً لرش الغرف لحظة الوصول لنقطة الصفر، شعرة تفصل القسم عن القمعة لولا لطف الله أولاً ومن ثم حكمة ممثلة الأسيرات وطاعة الأسيرات اللواتي التزمن الهدوء خلال هذه العاصفة، القمعة مصطلح من مصطلحات الحركة الوطنية الأسيرة، وهي حالة الاعتداء التي تقوم بها الإدارة ضد غرف الأسرى والأسيرات حيث تقوم الإدارة أولاً بقطع الكهرباء والماء عن غرف الأسرى والأسيرات، ثم



تلقي في كل غرفة قبلة غاز مسيل للدموع أو أكثر، وأحياناً يتم رش الغاز من عبوات كبيرة تحمل على الظهر، وبعد دقائق بعد أن تطمئن الإدارة على اختناق الأسرى بالغاز تدخل وحدات القمع بالعشرات، غرفة، غرفة، ويتم سحب الأسير أو الأسيرة بشكل فردي وسط الضرب بالعصي والركل بالأرجل، وقد يسبق هذا كله إغراق الغرفة بالماء وتدمير محتوياتها بعد أن تم تدمير أجساد ساكنيها.

مديرة السجن وقد ارتدت عدة القمع وبدت بذلك اللباس كالبقرة الهولندية شناعة وبشاعة، وبشق الأنف تكاد تتحرك أو تتكلم: ست لينا ما المشكلة؟

- أسألي السوهير المداوم داخل غرفة التحكم (اليومان) هو من افتعل كل هذه المشكلة، نحن لا مشكلة عندنا، كما ترين أنا وحدي في الساحة، وجميع الأسيرات في الغرف، العدد انتهى منذ نصف ساعة من الواجب أن يفتح القسم، أنا طلبت من السوهير أن يفتح القسم رفض فتح القسم بحجة عدم وجود تصريح، وأنتِ لست في السجن، هذا السوهير هو الوحيد الذي دائماً يفتعل المشاكل، وهو دائماً يقوم بتأخير فتح القسم وأنا رفعت لك كتسين لورا، عدة شكاوى على تصرفاته السيئة، ولكن لا رد من طرفكم.

تملكت الحيرة المديرة وضباط الإدارة من كلام ممثلة الأسيرات وقد تأكدوا ألا داعي لهذا الاستنفار ولا مبرر له، وأن السجنان في غرفة التحكم المركزية هو سبب المشكلة بل هو المشكلة بحد ذاتها، وليس أول مرة يورط



الإدارة بمشكلة وهمية ليس لها أساس من الوجود، بعد مشاورات ما بين المديرية والضباط وذهاب وإياب إلى غرفة التحكم المركزية وإعادة فحص الكاميرات تيقنت المديرية أن المشكلة حقًا هي من افتعال السجنان، لذلك أمرت القوة المجتمعة في الساحة بالانسحاب وفتح القسم وعودة الحياة إلى طبيعتها، واقتربت من ممثلة القسم وهمست بأذنها: لا نريد مفاقمة المشكلة ستحدث بعد أن أسحب القوات، أتمنى أن تعود حياتنا لطبيعتها.

- ستحدث لاحقًا كتسين لورا.

انسحبت قوة القمع تتبعهم المديرية مخذولة مدحورة هي وشلة ضباط الإدارة يجرون أذيال الخيبة والعار وقد باء استنفارهم بالفشل الذريع، وضاعت أحلامهم الجبانة بالبطش بالأسيرات أدراج الرياح، وازدادوا خزيًا بعد أن عرفوا أن السجنان السيء مرداحي قد ضحك عليهم مرة أخرى، وجرّهم من نومهم واستدرجهم إلى استنفار لا داعي له، ولكن دعمهم له ودعم جهاز الاستخبارات لا يستطيع أحد المس به لا المديرية ولا ضباط الإدارة.

عادت ممثلة الأسيرات إلى غرف الأسيرات ووقفت على باب كل غرفة تحدث بما حدث وأسباب الاستنفار وكيف انتهت الأمور وأخبرتهن أن ما حدث لن يمرّ مرور الكرام أو بدون رد على الأقل، لذلك على الأسيرات الاستعداد.

على باب غرفة رقم (3) حيث مسؤولة أسيرات حركة حماس، وأطلعتها على تفاصيل ما حدث وحديث المديرية وحقيقة الاستنفار،



وطرحت عليها فكرة إرجاع وجبات طعام اليوم وإغلاق القسم ردًا على تصرف السوهير السيء واستنفار الإدارة، وكذلك فعلت على باب غرفة رقم (12) حيث ممثلة أسيرات حركة فتح وكذلك غرفة رقم (16) حيث مسئولة أسيرات الجبهة الشعبية، واتفقن على عقد جلسة تنظيمية وطنية للتشاور بطبيعة الخطوات الواجب اتخاذها ضد الإدارة.

بعد الاتفاق مع مسئولات الفصائل داخل السجن على خطوة إرجاع الوجبات وإغلاق القسم، قامت ممثلة الأسيرات بالعودة ثانية والوقوف على أبواب الغرف وإخبار الأسيرات بما اتفقن عليه مبدئيًا بين ممثلات الفصائل والخطوة الاحتجاجية التي تنوي الأسيرات القيام بها.

على باب غرفة رقم (6) بعد أن أخبرت جميع الغرف بما اتفق عليه وطنيًا وقمت ممثلة الأسيرات وبروح الدعابة:

صباح الاستنفار، صباح القمع، صباح الغاز لأحلى أسيرتين، يا وجه السَّعد علينا، شوها لحظ اللي إلكن؟ أول يوم قمع، استنفار، إغلاق للقسم، ترجيع وجبات، يا مليون أهلاً وسهلاً!

وشرحت لهنَّ ما حدث من طقطق حتى السلام عليكم.

حياة بسؤال بريء: ست لينا متى الفورة؟

- والله زهقت روحي بالرفة.

ممثلة الأسيرات: راح تزهقي اليوم أكثر، بعد ما شفنتي شيء، اليوم



كله ما في فورة، وربنا يستر إذا وقفت الأمور على الفورة بسيطة ومقبولة، تعديش الي راح، عدّي الي جاي، الأمور مع الإدارة ذاهبة للحيط ولن نتراجع، ولن نقبل أي حل لا يضمن نقل السوهير الحقيير مرداحي الذي دائماً يتعمد انتقال المشاكل لنا ومسود عيشتنا ابن الكلب.

أثناء حديث ممثلة الأسيرات لغرفة رقم (6) دخل وفد من ضباط ومسؤولي إدارة السجن تقودهم مديرة القسم إلى ساحة القسم. تحركت ممثلة الأسيرات عن باب الغرفة رقم (6) وقطعت حديثها بعد أن استأذنت الأسيرات.

مديرة القسم: نحن فحطنا الموضوع، وراجعنا الكاميرات وجدنا أن الشرطي قد قصّر في عمله والذي حدث اليوم لن يتكرر والشرطي سيعاقب، هذه خطوة من طرفنا ومن طرفكم نريد أن ترجع الأمور إلى طبيعتها ويفتح القسم وتخرجوا للفورة.

ممثلة الأسيرات: ست لورا أنت تعرفين هذه ليست أول مشكلة يفتعلها هذا السوهير، ورفعنا لكم عدة شكاوى لكن لم نتلق أي رد، كل مرة دعوات من قبلكم، كل مرة تقولون ستكون هذه آخر مشكلة، اعذريني كتسين لورا، الأسيرات ما عدن يتحملن ضغطاً أكثر، الحل الوحيد هو نقل هذا السوهير المريض نفسياً وعقلياً عن السجن نهائياً وعدم دخوله إلى القسم، هذا الشرطي مكانه مصحة عقلية وليس سجن أسيرات أمنيات، واليوم سنرجع وجبات الطعام حتى ينقل هذا الشرطي.

مديرة القسم: لكن هذه خطوات تصعيدية من طرفكم، والشاباص



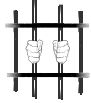
لن يسكت وستخسرون كثيرًا، أنا أعدكم أن ما حدث اليوم لن يتكرر.

ممثلة الأسيرات: كتسين لورا، تفضلي هذه رسالتنا فيها طلباتنا.

وناولتها مظروف رسائل، الحل بين يديك، نقل الشرطي اليوم قبل بكرة وأنا شخصيًا داخلة إلى غرفتي، ومن الآن فصاعدًا أنا لست ممثلة الأسيرات ولا علاقة لي بالعمل التنظيمي، لذلك أنا من الآن فصاعدًا مجرد أسيرة وأتمنى منك ست لورا عدم مراجعتي بأي عمل يخص القسم والأسيرات إلا ما يخصني شخصيًا.

انسحبت ممثلة الأسيرات من الاجتماع عائدة إلى غرفتها، أما وفد الإدارة فقد انسحب من القسم يجر أذيال الخيبة، فقد أملوا أن يجدوا إذعانًا من الأسيرات وتمرير الأمر وكأن شيئًا لم يحدث، وما علموا أن الأسيرة الفلسطينية وإن كانت امرأة معزولة في سجن فإنها تمتلك من الشراسة والجرأة ما تصون به حياتها الكريمة التي تحاول الإدارة المس بها ولو كان عبر تصرف شرطي أو سجانة، يبدو من ظاهر هذا التصرف أنه تصرف فردي، لكنه بالحقيقة تصرف مبرمج ومدروس فالسجن ليس مكانًا لنسج العلاقات العامة ولا مضارًا لحدوث الصدف.

كل شيء في السجن موجه من قبل الإدارة ومدروس، فلا شيء من تصرف الشرطي يكون على عاتقه الشخصي، ولا سجان يضرب من رأسه إذا كان هذا التصرف يثير الأسرى ويدفعهم لخطوات تصعيدية تسارع عندها الإدارة للتحجج بفردية هذا التصرف، وأنه لا يعبر عن موقف الإدارة، أما إذا سكت الأسرى عندها يصبح هذا التصرف قانونًا جديدًا



تعاقب الإدارة من يخالفه. عمَّ الصمت القاتل القسم، الغرف مغلقة، المرافق معطّلة، الإدارة أخلت القسم، لا شرطي، لا سجان، لا ضباط، لا نفس ولا همس، الأسيرات داخل الغرف ينتظرن المجهول القادم وقد حبست الأنفاس وسيطر الخوف والقلق على نفسياتهن، فخطوة إغلاق القسم وإرجاع الوجبات خطوة تصعيدية تحسب الإدارة لها ألف حساب، وتعتبرها حالة تمرد وطحن رؤوس وكسر عظم مع الأسيرات، والأسيرات يعتبرنها مسألة كرامة لا مجال للتنازل فيها.

مرّت ساعة على مغادرة وفد الإدارة ساحة القسم والكل بانتظار القادم المجهول، ولا أحد يعرف ما ستؤول إليه الأمور، فالأسيرات اتخذت القرار الحاسم بالمواجهة السلمية والعصيان المدني وذلك بالاعتصام داخل الغرف، وعدم الخروج إلى الساحة، وعدم فتح مرافق القسم، أما الإدارة ففي حالة تحبط، فالشهية مفتوحة للانتقام، ولكن خبرة وذكاء الأسيرات فوتت فرص البطش بهن من قبل الإدارة وأفشلت القمعة مما أجبر الإدارة على الرضوخ لطلبات الأسيرات.

عاد وفد الإدارة إلى ساحة القسم واكفهرت وجوههم خزيًا وسوءًا، أشارت مديرة القسم إلى الشرطة المناوبة في غرفة التحكم بفتح باب غرفة رقم (6) لإخراج ممثلة الأسيرات للتحديث معها في الساحة؛ لأنه في حالات التصعيد لا يجروء رجال الإدارة على الاقتراب من أبواب غرف الأسيرات إلا وهم يلبسون الخوذ والدروع خوفًا من ضربات الأسرى.

- ست لينا، الشرطي الذي كان سبب المشكلة سيتم نقله نهائيًا من



السجون، نريد أن ترجع الأمور إلى طبيعتها، وفتحو القسم وتخرجوا إلى الفورة.

- نحن ليس عندنا مشكلة، مطلبنا واضح وبسيط ينتهي العدد بعد خمس دقائق يفتح القسم، طرفنا لن يكون أي مشكلة، ومن طرفكم تتعهدين بصفتك مديرة القسم ألا يكون أي تأخير بفتح الغرف ولا يكون تفتيش في الأيام القادمة ولا عقاب.

- ست لينا، كلمتي كلمة وأنا مديرة القسم، لن يكون أي تأخير لفتح الغرف، ولن يكون هناك عقوبات على الأسيرات، أما مسألة التفتيش أنتِ تعرفين الأمر ليس بيدي.

عادت ممثلة الأسيرات إلى غرف الأسيرات وأطلعت الأسيرات على ما جرى بينها وبين الإدارة.

تم فتح القسم وقد تجاوزت الساعة العاشرة صباحاً، وعادت الحياة إلى طبيعتها فيه، خرجت جميع الأسيرات إلى الساحة لا محبة بالفورة، بل بسبب الحشرة داخل الغرفة؛ ولأن المناخ أصبح ملائماً للحديث والكلام والقييل والقال فالروتين اليومي تم كسره والحدث حدث جليل، فالثرثرة أصبحت مباحة وضرورية وترك هذه المناسبة وتفويت الفرصة لا تقبله أي أسيرة.

امتلات الساحة بالأسيرات اللواتي خرجن من الغرف عن بكرة أبيهن وقد ضج القسم بأصواتهن حتى إن الإدارة انتبهت لهذا الجلبة،





وحضر ضابط بصحبة ثلاث سجانات ووقفوا على البوابة الرئيسية للقسم دون اهتمام بأي من الأسيرات اللواتي استمررن بالحديث والمشي في الفورة بطريقة دائرية تشبه الطواف حول الكعبة؛ لأن الساحة لا تسمح بالسير إلا على طريقة الطواف، وبعد مرور دقائق على وجود الضابط والسجانات وعدم الاكتراث بوجودهم من قبل الأسيرات، غادروا القسم وقد امتلأت وجوههم غيظاً لما رأوا السرور البادي على وجوه الأسيرات اللواتي شعرن بنشوة الانتصار على الإدارة، وفرض كلمتهن عليها بنقل السجان السيء الذي تسبب بالاستنفار وخلف حالة من التوتر ما بين الأسيرات والإدارة.

بعد المشي لما يقارب نصف ساعة جلست الأسيرتان أمل وحياة على درجات الباطون في الجهة الشرقية من الساحة وقد بدت عليهما علامات القلق والاضطراب والخوف بسبب ما حدث صباحاً، ولحداثة تجربتهما الاعتقالية البسيطة؛ إذ لم يمض على وجودهما في السجن أربع وعشرين ساعة حتى شهدن قمعة ما دون نقطة الصفر، لاحظت الأسيرة منال انفراد الأسيرتين أمل وحياة عن بقية الأسيرات وعلامات القلق البادية على وجهيهما، استأذنت زميلاتها التي شاركنهن المشي وتوجهت نحوهما بابتسامتها الجميلة وشخصيتها القيادية، فالسنوات الثلاث التي قضتها داخل السجن أكسبتها خبرة اعتقالية عالية، وجعلتها خبيرة في التعامل مع كافة الأسيرات على اختلاف شخصياتهن وظروفهن النفسية والاجتماعية.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ست منال.



- تسمحن لي بالجلوس معكن؟

- أهلاً وسهلاً بك أخت منال، نحن نتشرف بالجلوس معك.

- خير إن شاء الله ليش قاعدات لو حدكن؟ يوجد عندكن مشكلة؟ ناقص عليكن شيء، نحن أخوات، روح واحدة، جسد واحد، يد واحدة.

- الله يبارك فيك أخت منال، لكن تعبانات لا أكثر ولا أقل.

- مش علينا هالدواوين ست حياة، وجوهكن وعيونكن يبحكوا كلام كثير، تعالوا ندخل إلى الغرفة نحكي هناك أفضل.

طلبت منال من الأسيرة العاملة في المردوان أن تطلب من السجانة الجالسة في غرفة التحكم المركزية أن تقوم بفتح باب غرفة رقم (6) وبعد الانتظار لما يقارب خمس دقائق تم فتح الباب، فكل دخول وخروج من الغرفة بحاجة لبروتوكولات خاصة أهمها قبول السجنان أو السجانة الجالسين في غرفة التحكم بفتح الباب لكن بسبب ما حدث صباحاً أصبح فتح الباب أسهل وأسرع قليلاً من الأيام السابقة، سحبت منال الطاولة البلاستيكية البيضاء وفرشت عليها سجادتين وجلست على الكرسي وأجلست الأسيرتين على برشها في حركة تنم عن الاحترام والتقدير في اجتماع علني حول الطاولة المستديرة.

- آه ست أمل، ست حياة، وضعكن من فترة مش عاجبني شو السيرة؟ ما الذي حدث؟ شو اللي صار؟ في شيء؟ في أخت أزعلتكن؟ في حدا تصرف معكن شيء مش منيح؟ نحن عملنا هنا هو توفير الراحة للأخوات الأسيرات.



- لا والله حرام ما في أي أخت قصرت معنا، حرام ولا في أي أخت أزعلتنا أو تصرفت معنا أي تصرف، كل الأخوات احترمونا وحملونا على كفوف الراحة، لكن الذي حدث اليوم هو الذي عكّر مزاجنا.

- الذي حدث اليوم ياما سترون مثله وأبشع وأفظع، ما حدث اليوم طبيعي ولعب أولاد صغار، القادم أصعب، نحن في سجن ولسنا في منتزه ولا حديقة حيوانات، في كل لحظة عليك أن تتوقعن اعتداء من الإدارة علينا، توقعوا قمعة، ضرب، غاز، مي، عزل، زنازين، إذا كل تصعيد بسيط مثل الذي حدث اليوم بدكن ترعلوا وتقلقوا، مش رح تعدي الحبسة معكن على خير، السجن ساحة معركة حقيقية مع الإدارة وساحة مواجهة مثل أي ساحة مواجهة في الخارج، العدو نفس العدو، الأهداف نفس الأهداف، الاختلاف الوحيد فقط في الوسائل، جهادنا داخل السجن هو امتداد لجهادنا في الخارج، العدو هدفه تحطيم وكسر إرادتنا وكسر روح المقاومة في أنفسنا داخل السجن وخارج السجن، ونحن قدرنا الصمود وخيارنا المواجهة، طبيعة الحياة داخل السجن مع الإدارة هي النديّة والمواجهة، كل حق لنا نحققه ونصونه ونحافظ عليه بالمواجهة، المواجهة فقط، لكن كيف تكون هذه المواجهة هذا ما ستعلمونه في الأيام القادمة، ما حدث اليوم لا يقارن بما حدث مع أخواتنا الأسيرات اللواتي سبقنكن، شو إحنا مع الأسيرة عطف عليان التي رش السجنانون الغاز في فمها؟ شو إحنا مع الأسيرة قاهرة السعدي التي حطم الجنود فكها بالضرب والرفس بالباطير؟ لسة ما شفتن اشي يلا غيروا هالوجوه العابسة، مثلكن مثل بقية الأسيرات، الموت مع الناس وناس، اللي بصير على بقية الأسيرات



بصير عليكن وظلم الجميع عدالة.

ارتاحت نفسية الأسيرتين أمل وحياة لحديث الأسيرة منال، وارتفعت معنوياتهما بسبب موجة الشحن الثوري التي تنساب بصدق وسلاسة من فم الأسيرة منال التي أمضت لحد الآن أكثر من ثلاث سنوات من أصل حكمها البالغ ثماني سنوات، فقد صقلت التجربة الاعتقالية شخصيتها على مدار السنوات الثلاث مما أهلها للعب الدور القيادي في إدارة حياة الأسيرات وقيادتهن، والوقوف معهن في كافة المراحل الاعتقالية ومعرفة ما تحتاجه الأسيرة في كل مرحلة من مراحل وجودها داخل السجن خصوصاً البدايات الأولى لوجود الأسيرة في السجن.

211

اقتربت الساعة من الحادية عشرة والنصف صباحاً، عبر مكبرات الصوت نادى الشرطة من داخل غرفة التحكم المركزية، سفيرا! بنوت! سفيرا بنوت!

- عدد يا بنات! عدد يا بنات! دخول إلى الغرف.

بدأت الأسيرات الدخول إلى الغرف، الأسيرة العاملة في المردوان تقود عملية فتح الأبواب، الشرطة الجالسة في غرفة التحكم تفتح الأبواب كهربائياً أولاً، ومن ثم تقوم عاملة المردوان بسحبها وتنادي أسيرات كل برقم غرفتها، يلا يا غرفة (1)، غرفة (2)، غرفة (3)، عدد بالطريق، يعطيك العافية، يا صبايا العدد بالطريق، دقائق معدودة، خلت الساحة من الأسيرات ولم تبق أي أسيرة خارج غرفتها سوى ممثلة الأسيرات التي



كانت في جلسة مغلقة في مكتب الإدارة لمتابعة طلبات الأسيرات.

ما بين الحركة الأسيرة والإدارة بموجب هذه الصفقة ثم إعطاء الأسرى الفلسطينيين جهاز التلفاز مقابل وقوفهم على العدد، خلال خروج الأسيرات إلى الفورة الساعة العاشرة وهي فورة غير طبيعية؛ لأنه في العادة تبدأ الفورات العادية الساعة الثامنة وتستمر حتى العاشرة لكنّ الذي حدث صباح اليوم من اختلاق المشكلة مع الأسيرات من قبل السجن واستنفار الإدارة أّخر الفورة إلى الساعة العاشرة، وهذا وقت متأخر للفورة الصباحية.

في هذه الفورة اللا اعتيادية لم تخرج الأسيرة الشبيخة فاطمة إلى الفورة وبقيت في الغرفة تقوم بإعداد طعام الفطور، والذي بالعادة تتناوله الأسيرات الساعة العاشرة والنصف أو بعد ذلك بقليل، الطعام داخل السجن وجبتان وليس ثلاث وجبات كما هو متعارف عليه عند شعوب الكرة الأرضية، داخل السجن الإفطار الساعة العاشرة والنصف، أما العشاء فيكون عادة بعد صلاة المغرب أو قبل ذلك بقليل، فظروف السجن وطبيعة الحياة فرضت هذا النظام الغذائي الذي سرعان ما تندمج معه الأسيرة؛ لأنه أنسب الأنظمة لحياة الأسيرة داخل سجون الاحتلال مع دخول الأسيرات إلى الغرفة الساعة العاشرة والنصف انتظاراً لطقوس عدد الظهرية، كان طعام الفطور جاهزاً بانتظار اكتمال عدد ساكنات غرفة رقم (6).

- السلام عليكم شبيخة فاطمة، يعطيك العافية، يسلموا ايديكي على هالفطور الملوكي.



- وعليكم السلام حبيباتي، صحتين وعافية، هذا واجبنا ست حياة، وبالنسبة للفطور الملوكي مين يسمعك يظن فطورنا لحم وكباب، كلها علبه حمص وعلبة فول، صحتين وعافية، هذا واجبنا ست حياة دقائق معدودة وتحضر ست لينا وبنفطر كلنا مع بعض.

- بما أننا ننتظر الست لينا، خلينا شيخة فاطمة نستغل الوقت ونعقد جلسة تلاوة القرآن الكريم.

- أنا جاهزة أميرتنا منال، توكلوا على الله، الفطور مش ناقصوا شيء جهزته على آخر طراز، ولا الشف رمزي اللباني.

أميرة الغرفة الأسيرة منال: يلا يا صبايا، خمس دقائق تجهزن جلسة التلاوة، أي أخت ليس معها وضوء تتوضأ، خلينا نتلو آيات من الذكر الحكيم بكرة بنلاقي هذه الآيات نور في حياتنا وآخرتنا.

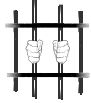
فجمعت الأسيرات على شكل دائرة وسط الغرفة، كل أسيرة بيدها مصحف.

- ست منال فش معنا مصاحف.

- فش مشكلة، بسيطة في معي مصحف ثاني سأعطيك إياه تقرأي فيه.

- وأنا في مصحف ثاني سأعطيه لحياة.

- ذهبت إلى خزانتها وأحضرتة وقدمته للأسيرة لحياة.



- شكرًا لك ست سمر.

- الشيخة فاطمة، بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وكل من والاه، جلسة التلاوة الصباحية من الجلسات الأساسية التي نواظب على أدائها يوميًا تحت كل الظروف، وفي البداية نرحب بالأخوات الجديديات أمل وحياة في هذه الجلسة الأولى لهن معنا، لهذه الجلسة سنن وآداب لا بد من الالتزام فيها حتى تكون ممن قال تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: 121]، وحق التلاوة يشمل الآداب والسنن والقراءة الصحيحة لآيات القرآن الكريم وتعلم وأداء أحكام التجويد وكل هذا مهم، ولكن الأهم مدى تأثير الآيات التي نقرأها على معاملاتنا وتعاملنا مع بعضنا البعض وعلى تحسين أخلاقنا.

214

نحن يوميًا في الجلسة الواحدة نقرأ صفحة واحدة فقط، القارئة الأولى تفتتح القراءة بالاستعاذة والبسملة وبقية الأخوات يقرأن بدون استعاذة أو بسملة، نحافظ على قراءة الآيات بدون أخطاء بالحركات، نحافظ على تطبيق أحكام التجويد والأخت التي تجيد التجويد سنعملها أميرة الجلسة، فقط هي من تقوم بتصحيح خطأ الأخت القارئة إذا أخطأت.

- يلاً شيختنا الكريمة منال، افتحي القراءة بصوتك الندي الطيب.

بدأت الجلسة، وكل أسيرة تقرأ صفحة، ثم التي تليها حتى وقف الدور عند حياة، فهذه تجربتها الأولى بقراءة القرآن الكريم ضمن مجموعة، ارتبكت قليلاً رغم أنها طالبة جامعية، ثم استجمعت قواها وأرادت أن تتلو القرآن بالطريقة التي تلتها زميلاتها الأسيرات تلاوة صحيحة



التجويد وبصوت رائع، لكنها فوجئت من نفسها فلا هي تمتلك القدرة على التجويد كزميلاتهما، ولا هي حافظت على القراءة السليمة الخالية من الأخطاء، وبشق الأنفس أكملت صفحاتها، لتسلم الدور لرفيقة دربها أمل التي كانت نسخة طبق الأصل عنها في التلاوة، فكلتاهاما بالهوى سوا، وقد أحمّر وجهها خجلاً من كونها طالبة جامعية، ولكنها لا تجيد قراءة القرآن الكريم كزميلاتهما الأسيرات، واختنق صوتها وسال العرق من جبينها وبدت جداً مرتبكة.

منعاً لتفاقم الإحراج سارعت الأسيرة منال بالحديث.

215 - قراءة تكن ممتازة، ولكن بحاجة لقليل من الانتباه، كل بداية صعبة وكل تجربة تكون بدايتها مرتبكة، علشان أول مرة تقرأين في مجموعة، ومع تعب الزنازين والتحقيق، والحالة التي عشناها اليوم بالاستنفار والتصعيد كانت قراءة تكن بحاجة للقليل من الانتباه، إن شاء الله مع الشيخة فاطمة كل يوم جلسة وهي ما شاء الله عليها وعلى أسلوبها بتعلم الحجر، فيما بينكم تتفقوا على موعد في الغرفة، خارج الغرفة وفترة قصيرة ستصبحين أحسن منا بالقراءة.

انقضت الجلسة، وكل أسيرة، توجهت إلى برشها بانتظار عودة ممثلة الأسيرات من جلستها مع الإدارة.

- شيخة فاطمة حتى أصبح قارئة 100٪ قديش بدي وقت؟

- بدك سنة أو أكثر، قالتها مازحة.

- ولو سنة؟ أكثر من حبستي، مش كثير شيخة فاطمة؟





- بمزح معك ست حياة، بالكثير بالكثير (40 - 50) يوم تكووني  
تقرأي 100 ٪ وتكون شيخة قارئة على سن ورمح.

- يا سلام عليك يا شيخة فاطمة متى نبدأ الجلسات؟

- من بكرة إن شاء الله بعد صلاة العشاء مباشرة.

- وأنا شيخة فاطمة احسبي حسابي معك.

- طبعًا ست أمل، نور عيوني أنت، أنا بددي أبخل عليك بالتعليم،  
أنتِ وحياء مع بعض بإذن الله ما بقصّر معكن لا بالتجويد ولا بغيره،  
جعبتنا مليئة بكل ما هو مفيد لأخواتنا المجاهدات، كل المواد التعليمية  
اللازمة لكل أسيرة وخصوصًا في بداية حبسها.

انقطع الحديث ما بين الأسيرات بزنة الباب كهربائياً إيدانًا بفتحه  
من قبل غرفة التحكم، أسرع منال ودفعت الباب إلى الخارج ونظرت  
يمينًا وشمالاً، لحظات دخلت ممثلة الأسيرات حاملة معها رزمة أوراق.

- يعطيك العافية ست لينا.

- السلام عليكم، الله يعافيك ست حياة، شو بعدكن مش مفطرات،  
الله يسامحك يا شيخة فاطمة، كل يوم على هالموَال، أنا يا عمي في شغلي لا  
أستطيع ضبط وقتي، لماذا تغلبوا حالكم معي، لا تربطوا أنفسكم معي،  
والله هالكلام ما بصح، أفتروا أنا بدبر حالي، علبه تونة علبه سردين، مع  
حبة خيار، حبة بندورة بيمشي الحال.



- له يا ست لينا تحرم العيشة بعدك يا غالية، ويجرم الأكل بدونك مستحيل يطيب الأكل وأنتِ غائبة، فنتظرك ساعة وألف ساعة.

- الله يرضى عنك يا شيختنا الفاضلة فاطمة.

- حرام على الوقت، مثل ما قالوها إخواننا السوريين عصافير بطون الأسيرات مع الجوع بتصاصي.

التفت الأسيرات حول طاولة الأكل وعمّ الصمت المكان إلا من صوت الأسنان وهي تسحق الطعام بلا شفقة ولا رحمة بعد يوم عصيب وشاق بلغت به قلوب الأسيرات الحناجر من الرعب والخوف من قمعة ورش غاز وتغريق بالماء.

كخلية نحل هي غرف الأسيرات فما إن ينتهي تناول الطعام حتى تتقاسم الأسيرات الأدوار في عملية التنظيف، قسم منهن يقوم بجلي الصحنون وقسم يقوم بتنظيف طاولة الأكل وفكها وتعليقها في مكانها المخصص لها، قسم آخر يتولى عملية تنظيف الأرضية، أما من أعدت الطعام فتعفى من مهمة النظافة.

سفيراً بمكوم، سفيراً باجاف، العدد بالمكان، العدد بالقسم، دوت أصوات مكبرات الصوت المثبتة على جدران القسم معلنة دخول العدد إلى القسم وعلى كافة الأسيرات الاستعداد للعدد، لا واحدة نائمة، لا واحدة في الحمام، لا واحدة على الأبراش العلوية، الكل جاهز، الكل على الأرض، ولحظة دخول العدد إلى الغرفة، كل الأسيرات وقوفاً ما دام العدد



على باب الغرفة على الأسيرات الاستمرار بالوقوف على أقدامهن حين خروج العدد وكثيرًا ما كان يتم معاقبة الأسيرات في الزنازين وفرض عقوبات الحرمان من الزيارة عليهن لمجرد التأخير بالنزول من البرش العلوي أو الجلوس على البرش قبل انسحاب العدد من الغرفة.

كالعادة فرقة من الشرطة والسجانين أكثر من خمسة عشر فردًا مدججين بالهراوات والغاز الدروع البلاستيكية والحدود، الضجيج، الصراخ، مظاهرة من التخويف والإرهاب تدخل القسم.

- تسهرايم توفيم بنوت، ظهيرة طيبة بنات.

- أهلاً كتسين!

218

ضابطة العدد تشير بإصبع يدها وتعد بصوت متوسط، آخاد، شتاييم، شلوش ترفع صوتها عند النطق بالعدد الأخير ليرد عليها من خلفها (شيش) أي أن عددها صحيح بناءً على ما هو موجود عنده بالملف، وهكذا على باب كل غرفة.

- أخت منال، لماذا نرد عليهم السلام، سجنونا، قتلوا أهلنا، وشردوا شعبنا، وهدموا بيوتنا، وأخيرًا نأتي ونرد عليهم السلام وكأنهم أصحابنا؟

- أخت أمل صحيح هم سجنونا وقتلوا وشردوا وهدموا ولا زالوا يمارسون كل الأعمال الإجرامية بحقنا وحق شعبنا، لكن قصة السلام الاحتلال بجيشه في الخارج، مخبراته في التحقيق، الشاباص في السجنون لن يكونوا في يوم من الأيام أصدقاءنا وأصحابنا وليوم الدين سيظلمون



أعداءنا، قصة السلام جاءت بعد إضراب طويل خاضته الحركة الأسيرة لتحقيق الكرامة للأسير الفلسطيني، سنوات طويلة والسجان الصهيوني يدخل على القسم والغرف ولا يعبر ولا يحترم الأسير الفلسطيني بل يعتبره مخلوقاً لا يستحق الاحترام، مخلوقاً أدنى درجات من الحيوانات، الحركة الأسيرة أجبرت الإدارة على إلقاء التحية والسلام من السجان وانتزعت هذا الحق انتزاعاً، عرفتِ القصة ست أمل.

- الله أكبر، كل شيء في السجن إضراب؟ ألم، معاناة، كل شيء انتزاع؟

- وأكثر من ذلك ست حياة، نعم صديقي، كل شيء انتزاع، فشيء ببلاش إلا العمى والطرش، الأسرى الفلسطينيون حيثما دخلوا السجن بداية الستينات فعلاً كانوا لا يملكون شيئاً من مقومات الحياة ولا أدنى حد من الكرامة، كل هذه الأدوات في غرفنا، كلها جاءت بعد إضرابات وقمعات ودفع ثمنها دمًا ولحمًا وألمًا ومعاناة، كلها جاءت بعد صدام مع الإدارة، رش مي، رش غاز، عزل بالزننازين، إغلاق الأقسام، كل معاملة إنسانية ولطيفة يتصرفها أي سجان أو ضابط أو مسؤول في إدارة السجن؛ جاءت رغم أنفه وغضباً عن رأس أبيه، ليست أخلاقاً منه ولا معروفًا، هذا عدو لا يعرف الأخلاق ولا الإنسانية، الجنين عندهم وهو في بطن أمه يغذونه بالكراهية والحقده واحتقار العربي الفلسطيني، ويزرعون في خلايا دمه أن اليهودي إنسان راقٍ ومرتبة ما دون مرتبة إله، وأن العربي والفلسطيني لا يستحق صفة إنسان بل هو إرهابي مجرم ومرتبته دون مرتبة الحيوان، سواء كان في السجن أم خارج السجن، سواء أكان له علاقة بالمقاومة أم ليس له علاقة.



- سيوم سفيرا! سيوم سفيرا! نهاية العدد! نهاية العدد!

دوّت مكبرات الصوت في روتين ممل ومزعج يومي كتناول الدواء في اليوم ثلاث مرات، فمع دخول العدد، سفيرا، سفيرا، سفيرا، ومع نهاية العدد، سيوم سفيرا، سيوم سفيرا.

نهاية عدد الظهرية يعني بداية رحلة جديدة من يوميات الأسير فهي أمام خيارين، الأول الخروج إلى الفورة أو البقاء في الغرفة والدخول إما بقبيلولة أو مطالعة أو مشاهدة التلفاز.

- تيول يا بنوت! فورة يا بنات!

نادت الشرطة بمكبرات الصوت.

220

أميرة الغرفة: يلا يا بنات استعداد من تريد الخروج إلى الفورة تجهز حالها، ومن تريد أن تبقى في الغرفة توفر الهدوء إذا لا تريد أن تقيل، نصلي الظهر وندخل بالقبيلولة.

- أخت منال اشرحي لي عن القبيلولة بس لا تقولي لي أنها جاءت

بعد إضراب.

- الشيخة فاطمة ستفهمك ما هي القبيلولة، خلال الفورة حالياً ما

في معي مجال للشرح لأنه الأخوات دخلوا مرحلة الهدوء قبل القبيلولة.

- ماشي شيختنا فاطمة.

- على رأسي ست منال، بالفورة إن شاء الله سأشرح للأخوات معنى



القبول داخل السجن.

عاملة المردوان وقد فتحت الباب: السلام عليكم، فورة يا أخوات،  
في وحدة طالعة للفورة؟

- نعم يا أخت تغريد، لحظة من فضلك أنا طالعة الفورة، انتظريني  
حتى أتناول مصحفي.

خرجت الشبيخة فاطمة، ثم تبعتها أمل وحياة وقد حملت كل  
واحدة منهن سجادة صلاة، سجادة الصلاة داخل السجن لها أكثر من  
استخدام فهي للصلاة، وللجلوس عليها في الساحة، ومفرش تزين به  
الطاولة البلاستيكية في الجلسات أو عند حضور ضيوف إلى الغرفة وبها  
تحمّل الوسادة إذا كانت الوسادة صغيرة أو داخله في مرحلة انقراض  
لطول فترة الخدمة التي تخدمها الأدوات داخل الغرفة، فالأدوات داخل  
غرف الأسرى تشبه الملوك والزعماء العرب الذين لا يغادرون الكرسي إلا  
بسبب الموت أو الموت.

الأدوات داخل غرف الأسرى لا تستبدل ولا تتجدد، تدخل مرة  
واحدة وتبقى تحرث رغماً عنها، تدخل مرة واحدة، تخرج مرة واحدة إلى  
الرمي بعد أن استنفذت عمرها الافتراضي أضعاف المرات، ومن بركات  
السجاد أنها تستعمل لتدفئة للأسيرات، من الأهل تدفع الأسيرات  
لابتكار وسائل جديدة للتدفئة مثل إلقاء مجموعة سجادات فوق الحرامات  
لمضاعفة الوزن والحصول على طاقة تدفئة.



- شيخة فاطمة، ماذا تعني القيلولة في السجن؟

- ست حياة، ولا مرة بحياتك سامعة بالقيلولة؟

- طبعاً سمعت ولكن ولا مرة قيلت، بالجامعة دوام من الساعة الثامنة حتى الساعة الثالثة عصرًا لا في راحة ولا في قيلولة من محاضرة إلى محاضرة، وقبل الجامعة، كان أبي مستعبدي بالشغل من المدرسة إلى الشغل بالزراعة للمغرب، لا راحة ولا قيلولة، ومع ذلك عيشة حلوة رغم التعب.

- القيلولة ست حياة\_ عفواً مشوني بالوسط بينكم علشان صوتي يصل للجميع\_، القيلولة فترة هدوء وراحة ونوم للأخت التي تريد أن تنام وليس شرطاً أن تنام في القيلولة، لكن الشرط الأساسي هو توفير الهدوء داخل الغرفة للأخوات النائمات وغير النائمات حتى ونحن هنا في الساحة واجب علينا خلال هذه الفترة توفير أقصى درجات الهدوء، عادة تبدأ القيلولة بعد صلاة الظهر وتستمر إلى ما قبل صلاة العصر بعشر دقائق، يطفأ ضوء الغرفة، التلفزيون صوته يخفض إلى الصفر، كل أخت إذا تريد أن تسمع على الراديو عليها أن تسمع بسماعتها الخاصة. الحركة داخل الغرفة بأقصى درجات الهدوء، النداء، الصراخ، على الشبابيك والأبواب ممنوع منعا باتاً، حديث الأسيرات فيما بينهن الأفضل تأجيله إلى ما بعد القيلولة أو الخروج على الساحة والحديث هناك.

- عفواً ست فاطمة، ما هو سبب أهمية القيلولة لهذه الدرجة

الحساسية بالنسبة للأسيرة؟



- سؤالك حسسني إني في مقابلة مع الجزيرة، القيلولة ست أمل  
ضرورة لكل الأخوات الأسيرات خصوصًا الأخوات اللواتي يخرجن  
إلى فورة الرياضة وللأخوات اللواتي يشتغلن بمرافق القسم ويخرجن إلى  
الساحة باكرًا مثل ممثلة الأسيرات أو عاملات المردوان أو عاملة المغسلة،  
فكلهن بحاجة لوقت راحة ضروري، بالإضافة لوجود أخوات مريضات  
ربنا يشفيهن، وأخوات كبيرات بالسن وأخوات يقرأن ويطالعن وأخوات  
يحفظن قرآنًا، من الواجب توفير جو دراسي ونفسي مريح للدراسة.

ارتفع صوت أذان الظهر في القسم معلنًا قطع الجلسة التوضيحية  
لمفهوم القيلولة ما بين الشيخة فاطمة من جهة والأسيرتين اللتين لم تعودا  
أسيرتين جديدتين على الأسر والسجن، اصطفت الأسيرات لتأدية صلاة  
الظهر جماعة في ساحة القسم وكان الإمام الشيخة فاطمة المرجعية الشرعية  
في القسم، في مظهر ومنظر إبانى رائع للأسيرة الفلسطينية.

- ست منال، لماذا البنات الجالسات هناك لا يصلين معنا ولا  
الأخوات مسيحيات يصلين يوم الأحد بالكنيسة؟

- تتخوتي عليّ أخت حياة، الصبايا اللي هناك لا مسيحيات ولا  
يهوديات.

- ما عاش مين بدو يتخوت عليك ست نجوى، حبيت أمزح  
معك وأصل لقناعة لماذا أسيرة فلسطينية مناضلة، قد الدنيا ومحكومة  
سنوات طويلة، ومع ذلك ما بتصلي، ولا بتصوم؟ فوق خسارتها للدنيا  
بدها تخسر آخرتها! شو هالتفكير؟ شو هالعقلية؟ أهل الشيوعية كفروا بها،





أهل الاشتراكية مجّدوا بها، أهل العلمانية وإن تخلّوا عنها وذلّوا هامساكين متمسكين فيها.

- ست حياة كل إنسان وقناعاته الفكرية، لا إكراه في الدين، فهل يجوز الإكراه في الفكر والإقناع والخط السياسي، اذكري الله وسبحه أحسن لك من تتبع الناس، واتركي الناس وخياراتهم مش مطلوب منا محاسبة الناس.

- ليس قصدي تتبع الناس شيختنا فاطمة، ولكن أنا بحب كل الناس تصلي ويلتزموا شرع ربنا ﷻ، ليس أول مرة أمشي مع ناس بيحملوا هذه الأفكار البالية التي عفى عليها الزمن، في الجامعة عشت وشفيت، وفي بلدي لهذا الفكر بقايا وآثار، لكن اعتقدت جوات السجن الوضع سيكون مختلفاً لأننا في السجن في ضيق وكربة.

- أنتِ قلتيها مش أول مرة بتشوفي حملة هذا الفكر، الإنسان الغير متدين برا السجن من الطبيعي داخل السجن يكون غير متدين، والمتدين خارج السجن يكون متديناً داخل السجن، أنا أعتقد الوضع داخل السجن أصعب من برا بمليون مرة، أنا مثلك كنت طالبة جامعية واشتغلت بالإطار الطلابي وعندني فكرة وإطلاع على هذا الكلام داخل السجن إذا بدنا نحكي لأي بنت ما بتصلي، صلي يا أخت، ستقع مشكلة تنظيمية وتتحول القضية لقضية استقطاب، وبالتالي مشكلة تنظيمية نحن بغنى عنها، الحلال واضح وبيّن، والحرام واضح وبيّن، كل أسيرة بتعرف مالها وما عليها.



- شيخة فاطمة، ماذا تعني استقطاب؟

- الحديث معك غلبة ست حياة بين كل سؤال وسؤال بتسألني ألف سؤال، مش عارفة كيف أنتِ طالبة جامعية! ومع ذلك تكرمي يا غالية سوف أجيبك عن كل أسئلتك، الاستقطاب داخل السجن هو إقناع عنصر من فصيل معين بتغيير أفكاره وقناعاته السياسية وانتمائه لحركته إلى اعتناق أفكار فصيل الشخص الذي يمارس عليه الاستقطاب وبالتالي تحويل انتمائه التنظيمي، يعني أنتِ حالياً تنتمي إلى حركة الجهاد الإسلامي وتؤمنني بأفكار الجهاد وخط الجهاد السياسي بتيجي أسيرة من فصيل آخر بتضحك عليكِ وتحليكِ تحولي.

225

- الله يسامحك شيخة فاطمة، كل الاحترام لكل الفصائل الفلسطينية كلها فصائل مناضلة ومجاهدة، ولكن لي قناعة سياسية وفكرية خلتنني اقتنع بفصيلي وهذا لا يعني أن الآخر لا شيء، كلنا بنكمل بعضنا البعض.

- هذا الوعي السياسي المطلوب ست حياة، كنت بفكرك هبلة طلعتي مش قليلة، الاستقطاب لا يتوقف عند حد الانتماء السياسي، قد تؤثر عليكِ أسيرة بأفكار معينة، مثلاً تقطعي الصلاة وتبطلي تصلي، نصير احنا نصلي هون، وأنتِ هناك لابسة بلوزة وبنظلون وشعرك طائر بالهواء لا صلاة، ولا صوم.

- نفي من تمك الله لا يسمح ولا يقدر، أنا بتقطع ألف قطعة ولا أتخلى عن حجاي وصلاتي، بالجامعة ما مشينا على الموضة ولا درنا على حل شعرنا، وبالسجن وبحضرة المجاهدات وبعدهما عرفنا ربنا حق المعرفة بدك نرجع للجاهلية، أعوذ بالله.



انتهت الصلاة وعادت كل أسيرة لمزاولة روتين ما قبل الصلاة، روتين المشي والحديث استغلالاً لهذا الوقت الثمين الذي تمضيهِ الأسيرة خارج الغرف الضيقة وتحرص على عدم تضييع أي دقيقة من القزدرة والحديث وجمع أكبر قدر ممكن من الأخبار الداخلية والخارجية، فكل واردة وشاردة وكل حدث داخل الغرفة لا بد من تشريحه وتحليله، خصوصاً إذا كان هناك حدث كبير داخل القسم مثل تصعيد، خطوات، أو وجود أسيرة جديدة داخل القسم فهي مادة دسمة للأخبار حيث يتم تبادلها من أسيرة لأسيرة أخرى لعصر ما في جعبتها من أحاديث وأخبار من خارج السجن.

أمل وحياة ونجوى والشيخة فاطمة بدان بصف متراص المشي بطريقة دائرية في ساحة القسم؛ لأن ساحة القسم الضيقة لا تسمح بأن تمشي جميع الأسيرات بطريقة السير المستقيم دون الارتطام ما بين الأسيرات لذلك كان الحل الأنجح هو السير بشكل دائري مما يضمن للمجموع السير بكل حرية.

الشيخة فاطمة تسبح بلسانها وتحرك حبات المسبحة بيدها في انسجام تام وتناغم متكامل ما بين حركة اللسان وحركة أصابع اليد، وقد ساد جو من السكون ما بين الأسيرات الأربع في انتظار مين ستفتح الحديث، شوط، شوطين، لا أحد يتكلم، ملّت حياة من هذه الرفقة الصامتة وبدأت عيونها تبحث عن مجموعة بديلة تروي من الحديث، أشاحت بنظرها يميناً وشمالاً للخلف للأمام، بنفسها وبخاطرها أن تنضم لكل المجموعات المنسجمة بالحديث، لكنها جديدة لا تعرف أحداً، محرّجة من ترك مجموعتها، مترددة بالانضمام لمجموعة أخرى لخوفها أن يكون حديثهن خاصاً لا يردن إطلاع أحد عليه.



- ست حياة وين بدك تهربي، عيونك والتفافاتك تدل على محاولات مكشوفة للهروب.

- بدك الصراحة أخت نجوى مليت من المشي معكن قتلتنني بهالصمت شو السيرة؟ وين لسانكن؟ فش عندكن كلام؟ ارحموني، زهقت روحي، سكون، صمت، خرفوا أي حديث.

الجهة الجنوبية من ساحة القسم من وسط الحائط الجنوبي وباتجاه الشرق علق رفان من الحبال لنشر وتشميس الغسيل وهذا الأمر تم بصعوبة بالغة وبعد طلبات متكررة لإدارة السجن إلى أن وافقت عليه أخيراً بعد التلويح بفتح إضراب عن الطعام، وقد أخّرت الإدارة تنفيذ هذا المطلب لعدة شهور تارة تتحجج بعدم وجود ميزانية، وتارة تتحجج بخروج المديرية إلى إجازة، وتارة بعدم توفير حدّاد يقوم بتركيب الزوايا، سلطات الاحتلال تعجز عن إحضار حداد يركب حبل غسيل، عذر أقبح من ذنب، إلى يسار حبل الغسيل باتجاه الشرق ونتيجة لميلان حائط السجن تكونت زوايا منعزلة قليلاً عن الساحة تجلس فيها الأسيرات اللواتي لا يردن المشي أو تعبن من المشي فيلجأن إلى هذه الزاوية، أثناء تأدية الصلاة تستغل هذه الزاوية كملجأ للأسيرات اللواتي لا يلتزمن بتأدية هذه الفريضة، فخلال الصلاة لا مجال للحديث أو المشي لضيق المكان واحتراماً للصلاة كعرف اعتقالي توافقت عليه الحركة الأسيرة بضرورة احترام المشاعر والشعائر الدينية من قبل الكل الاعتقالي على اختلاف الانتماء الفكري والأيدولوجي والسياسي لكل أسير وأسيرة.



اقتربت الساعة من الثانية بعد الظهر وقد أمضت الأسيرتان أمل وحياة أكثر من ساعتين في الفورة، مشتا وتحدثتا وأشبعتا رغبتها بالكلام فقررن العودة إلى الغرفة لاختلاس ساعة من النهار تقيلان فيها استجابة لطلب الجسد الذي أتعب وأرهق على مدار الساعات الماضية وعملاً بنصيحة الشيخة فاطمة بضرورة القيلولة للأسيرة داخل السجن، والتزاماً بتقاليد وأعراف السجن فالقيلولة تمتد من بعد أذان الظهر حتى أذان العصر، هذا يعني بقاء ساعة وأكثر لأذان العصر.

عاملة المردوان على باب القسم: تبديل فورة يابنات، من تريد أن ترجع إلى غرفتها تقف على باب الغرفة.

سارت أمور تبديل الفورة بكل سهولة وسلاسة بلا أي تأخير وعادت من أرادت العودة إلى غرفتها وخرجت من أرادت الخروج في حركة تتكرر كل نصف ساعة على مدار نهار اليوم بدءاً من الساعة الثامنة صباحاً حتى الساعة السادسة مساءً، باستثناء وقت الظهر من الساعة الحادية عشرة حتى الثانية عشرة والنصف أحياناً أو أقل من ذلك بقليل حيث يتم إدخال الأسيرات إلى الغرف وتنشل الحركة على طرفي الصراع في السجن.



## 9

البرش الأول على يسار الداخل إلى الغرفة (6) حيث برش ممثلة الأسيرات وقد أنهت قيلولتها بعد أن استطاعت اليوم اختلاس ساعة من الزمن لتقيل فيها، نهضت من برشها، أعادت ترتيبه، ألقت نظرة سريعة من شبك الباب على ساحة الممر، اطمأنت أن الأمور تسير على ما يرام، توجهت إلى المغسلة، غسلت يديها ووجهها واستعادت بذلك حيويتها ونشاطها، تناولت كاسة الشاي من خزانتها بهدوء.

- مين جاي على بالها كاسة شاي؟ بهمس موجهة الحديث لأمل وحياء.



- كررت السؤال مرتين.

- أنا ست لينا.

- تكرم عيونك ست حياة، شرف عظيم لي أن أخدم مجاهدة مثلك.

أكملت إعداد الشاي، نصبت الطاولة البلاستيكية البيضاء، فرشت عليها سجادتين وفردت عدة الشغل من الأقلام والدفاتر ومغلفات الرسائل لوضع الطلبات فيها، وعادت لمزاولة مهامها في خدمة الأسيرات عبر ترتيب أوراق طلباتهن من الإدارة، فهناك شكاوى للمديرة، هناك شكاوى لمسؤولين في الشاباتص الأعلى رتبة من المديرة، هناك طلبات بإدخال ملابس وكتب للأسيرات مع زيارة الأهل، هناك قائمة بطلبات الكانتينا الجديدة، هناك قائمة بطلبات لإدارة القسم لمواد ناقصة داخل القسم، كل شكوى، كل طلب، كل قائمة لها نص خاص، وعنوان خاص، وجهة خاصة ترسل إليها، كل ذلك يتطلب جهداً جباراً من ممثلة الأسيرات بترتيب هذه الطلبات ونسخها بخط اليد، ومعرفة تامة باللغة العبرية ومن ثم إرسالها للإدارة ولكل ما يخص الأمر، وتحمل تبعات هدف الرسائل والشكاوى.

تقديم الشكوى للإدارة لا يمر من قبل الإدارة مرور الكرام ولا يتم بتلك السهولة التي تتخيلها، فالإدارة يجن جنونها حين يتم تقديم شكوى وتفقد صوابها لمجرد رفع اعتراض واحد على قضية ما من قبل ممثلة الأسرى أو من قبل أحد الأسرى؛ لأن الشكوى تسجل في سجل ضابط القسم وبالذات في سجل الضابط مدير القسم أو ضابط الأمن، وهذا يؤثر



سلبًا على الدرجات والترقيات المستقبلية لهؤلاء الضباط الذين يسعون للترقي بالرتب وزيادة معاشهم على حساب معاناة الأسير الفلسطيني.

الشكاوى المقدمة من قبل الأسير الفلسطيني تضر بسمعة الضباط أمام رفاق السوء في إدارة مصلحة السجون (الشباباص) والهيئات القيادية في هذه المؤسسة مثل: (المحور، التسيفوت، الياز،) هذه الشكاوى تصور الضباط أمامهم فاشلاً وأداءه ضعيفاً وعمله غير منضبط وسجنه سيء السمعة وأنه مسئول لا يستحق الرتب والنياشين على كتفه؛ لأنه لا يستطيع ضبط السجن والسجناء الفلسطينيين بدليل كمية الشكاوى المقدمة ضده.

يزيد ضباط الشباباص على بعضهم البعض بكثرة وقلة الشكاوى لا من باب تحقيق العدالة للأسير الفلسطيني، فالعدالة لا تعرف طريقها إلى السجون الصهيونية، وضباط الشباباص يحرصون أشد الحرص على عدم إنصاف الأسير الفلسطيني ولو أمام القانون الصهيوني، فهناك تفسير للقانون على الأسير الفلسطيني وهناك تفسير آخر لنفس القانون على السجن اليهودي، تأتي المزايدة من باب ضعف الضباط وصاحب عدد الشكاوى الأكثر وتصويره على أنه فاشل في قمع الأسير الفلسطيني وعدم قدرته على تعطيل وصوله إلى المحكمة بدليل كثرة الشكاوى. تؤمن الأسيرة الفلسطينية أن المحاكم الصهيونية هي محاكم صهيونية صورية، وأنها أشد إجراماً من أطقم وحدات الموت التي تغتال وتعتقل أبناء شعبنا في الشوارع والأحياء الفلسطينية، وأنها أشد إجراماً من أطقم التحقيق، وأشد إجراماً من أطقم إدارة السجون، ولكنه شرٌّ لا بد منه، وبابٌ لا مفر من طرقة، وفصلٌ من فصول الصراع المفتوح مع إدارة مصلحة السجون





الصهيونية يحتمل أن يتم تحقيق إنجاز ولو كان بسيطاً للأسيرة الفلسطينية عبر هذه الوسيلة.

يستفز ضباط الإدارة جداً من تقديم الشكاوى من قبل الأسرى الفلسطينيين فيلجؤون أولاً إلى الرفض المطلق لاستقبال واستلام الشكاوى، ومن ثم يستعملون شتى أساليب التهيب والوعيد والتهديد للأسير صاحب الشكاوى لإرغامه على التراجع عنها وإغائها، وفي حال فشل أسلوب التهيب يلجأ ضباط الإدارة إلى أسلوب المقاومة مع الأسير الفلسطيني لثنيه عن مواصلة الإجراءات القانونية لرفع الشكاوى الخاصة بمجموع الأسرى، ولكنها رفعت باسمه؛ لأن الإدارة لا تقبل شكاوى جماعية وتصر على فردية الشكاوى، عندها يلجأ ضباط الإدارة إلى وضع حلول وسط أو إعطاء وعودات لحل المشكلة، وغالباً يقبل الأسير الفلسطيني بالحلول الوسط لإيئانه بعدم نزاهة المحاكم الصهيونية؛ ولطول الفترة السنوية التي سينتظرها حتى تثبت المحكمة بها وتصدر حكمها والذي بالغالب يصب لمصلحة إدارة السجون، وفي حال كان الحكم لصالح الأسير الفلسطيني فإن تنفيذ وتطبيق هذا الحكم يتطلب وقتاً طويلاً، وموت يا كديش حتى يأتيك الحشيش.

تقديم الشكاوى ضد الإدارة مهما كانت النتيجة لصالح الإدارة أو لصالح الأسرى، وسواء بالأصل وصلت الشكاوى للمحاكم أم لم تصل فإن الإدارة تعمد إلى الانتقام من الأسرى لمجرد تجرئهم على رفع الشكاوى، فتقوم بمداهمة القسم أو غرف معينة بالقسم، فتعيث بها خراباً وتدميراً لممتلكات الأسرى البسيطة بالإضافة لإجراءات النقل التعسفي ما بين الأقسام وأحياناً بين السجون.



بصوت هادئ ومنخفض: ست حياة، أولاً في قيلولة والصوت العالي ليس مسموحاً به، ربنا يرضى عنك علشان محدش يزعل منك خلي صوتك دائماً منخفض.

- أنا آسفة ست لينا سماحيني لم يكن قصدي مخالفة القيلولة، ولكن لما رأيتك سحبت الطاولة ظننت أن القيلولة قد انتهت.

- أنتِ عمياء؟ مش شايفة الأخوات نائمات ومقيلات والساعة بعدها الثانية والنصف، وهذا الشغل والأوراق لا علاقة له بالقيلولة، أنا قيلولتي ساعة فقط، هذه الأوراق هي طلبات لنا، كانتينا، شكاوى، رسائل للأسيرات، رسائل للإدارة فيها مطالب إلنا، شو رأيك ست حياة تروحي على برشك تريحي هالجسد الطاهر.

- ولو بتطرديني يا ست لينا، وأنا بعترك مثل أختي الكبيرة.

- ما عاش مين بدو يطردك ست حياة، لكن أنا بدي مصلحتك، صار لك في الساحة ثلاث ساعات بتمشي، صار لازم تريحي هالجثة الطاهرة، على كل حال بدك تظلي هنا ظلك أحب على قلبي من العسل، لكن على شرط واحد لا تسأليني ولا سؤال حتى لا تلهيني عن شغلي يعني لك عين تشوف ملكيش لسان يحكي.

- أمرك ست لينا، طلباتك أوامر، لن أسأل أي سؤال.

حان وقت صلاة العصر وانسلت الأسيرات، أسيرة تلو أسيرة تجدد وضوءها بعد أن قامت بإعادة ترتيب برشها، وقد ارتاحت الأجساد بعد



نصف نهار مضنٍ ومتعبٍ انتهى مع بداية القيلولة وبقي ثلث نهار لا يقل تبعاً عن الثلثين الأولين من ذلك النهار، الوجود داخل السجن يكفي به همًا وغمًا وتعبًا للنفس أشد إيلامًا من تعب الجسد، فالجسد يتعب وبنوم ساعة يزول كل التعب، ولكن تعب النفس لا يزول إلا بزوال المسبب، والسجن مصدر لكل إزعاج وهم وغم فوجوده يعني استمرار القلق والاضطراب في نفسية الأسير رجلاً كان أو امرأة.

انتهت صلاة العصر وعادت كل أسيرة داخل غرفة رقم (6) إلى برشها تجهز نفسها لعملية الفحص الأمني المسائي، والمعروف بأدبيات السجون والأسرى وبعملية دق الشبايك والاستعداد للفوريات المسائية لمن تريد الخروج وليس عندها عمل رسمي تؤديه داخل الغرفة، مثل الطباخة التي تكون عادة في مثل هذا الوقت مشغولة بإعداد وجبة العشاء، أو أي أسيرة لم تكن قيّلت وأمضت وقتها في الساحة، وتكون متعبة من المشي والقزدره لساعات في الفورة وبحاجة لقسط يسير من الراحة.

عادة تفضل غالبية الأسيرات الفلسطينيات الخروج إلى الفوريات المسائية والبقاء خارج الغرف في هذه الأوقات لأسباب كثيرة، أهمها أن الوقت يكون وقت طبخ داخل الغرف ويكون جو الغرفة مملوءاً بروائح زيت القلي، البصل، بخار الطبخ، ومع سوء التهوية داخل الغرفة وضيق الغرفة ومع حركة الطباخة تجبر الأسيرة على الخروج إلى الفورة؛ لأن البقاء داخل الغرفة بهذه الأجواء السيئة بمثابة عقوبة للأسيرة، كما أن الطقس في وقت المساء يكون مغرياً بالخروج والمشى في ظل وجود غالبية



الأسيرات في الفورة مما يعني وجود مادة للكلام وتقصي آخر الأخبار على كافة الأصعدة داخل القسم وخارجه.

نصف ساعة بعد صلاة العصر وقد أكملت ممثلة الأسيرات عملها في تجهيز الطلبات للإدارة خصوصاً أن يوم بعد غد سيكون يوماً حافلاً بالأعمال، فالأسيرات من مدن وسط وجنوب الضفة الغربية موعده زيارات أهاليهن سيكون بعد غدٍ، وهذا بحاجة لجهود إضافية، فزيارة الأهل ليست مجرد حضور الأهل ومقابلة بناتهم وأخواتهم الأسيرات لمدة خمس وأربعين دقيقة وتنتهي الزيارة.

235

زيارة الأهل بالنسبة لممثلة الأسيرات يوم مشتعل بالمهام والمسؤوليات ويحتاج لترتيب مسبق وجدول أعمال زخم، مرتب ترتيباً دقيقاً جداً حتى لا يقع أي خلل من جانبها تحرم على أثر هذا الخلل الأسيرة من الزيارة أو ضياع بعض الحقوق في الزيارة حيث إن الإدارة تستغل أي ثغرة حتى تنغص على الأسيرة فرحتها برؤية أهلها.

تقوم ممثلة الأسيرات قبل الزيارة بيوم أو يومين بإعداد قوائم تشمل أسماء الأسيرات وأرقامهن وطلب كل واحدة منهن، طلب إدخال ملابس، طلب إدخال كتب، طلب إدخال نظارات طبية، طلب إدخال الأطفال، طلب أمني لزيارة أحد أفراد العائلة سبق له أن سجن، طلب زيارة خاصة، إدخال الأموال على الكانتينا، طلبات تصوير مع الأهل، قائمة معينة من الأعمال بحاجة لمتابعة قبل وأثناء وبعد زيارة الأهل حتى



تضمن ممثلة الأسيرات نجاح الزيارة وحصول كل أسيرة على طلبها، وبعد مرحلة إعداد قوائم الطلبات تأتي مرحلة الصراع والتصارع مع الإدارة فما أسهل كلمة ممنوع، وما أوسع مدى استعمالها في أديبات الإدارة مع كل طلب وتبرير أسباب رفض هذه الطلبات من الإدارة التي تتحجج بأوهن الحجج للتملص من تلبية أو قبول هذه الطلبات والهدف واضح، حرمان الأسيرة من أي فرصة للفرح أو السعادة.

ممثلة الأسيرات بصفقتها الناطق الرسمي باسم الأسيرات والممثلة لهن أمام الإدارة والمدافعة عنهن وعلى عاتقها يقع عبء متابعة كل طلب تقدمه الأسيرة للحصول على ما هو مسموح به من قبل الإدارة والذي لا يصل إلى الحد الأدنى للحياة البشرية الكريمة، وعلى عاتق ممثلة الأسيرات يقع عبء التعارك مع الإدارة ومفاوضتها واستعمال كل الأساليب وكافة السبل لتحقيق ذلك المطلب البسيط، مددت ممثلة الأسيرات جسدها المتعب على البرش في محاولة اختلاس دقائق معدودة للراحة، فهي لا تعرف من أين تأتيها الأشغال والأعمال، وبالأحرى لا تعرف من أين يأتيها الهم من الإدارة ومن قوانينها الظالمة، من سلوكيات وتصرفات السجانين الذين يزيدون الحياة على الأسيرات سوءاً فوق سوء والذي يلوّن حياتهن داخل السجون.

لا يقتصر مصدر الإرهاق والتعب لممثلة الأسيرات على الإدارة وقوانينها وزعرانها، بل إن داخل الأسيرات لا يقل إرهاقاً وتعباً عن الإدارة، فتجتمع الأسيرات هو تجمع بشري له نقاط قوة وله نقاط ضعف،



فبالإضافة لصور التضحية والفداء المشرقة في حياة الأسرى هناك صور من الطبيعي وجودها في حياة الأسير فالكهال لله وحده.

الأسيرات الفلسطينية كجزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني مجبرات في النهاية على التأثر سلبياً وإيجابياً بكل هبوط أو صعود أو كل علو وانخفاض للحالة السياسية للشعب الفلسطيني الذي غالباً ما تورطه زعاماته وقياداته وفصائله في دوامات هو بالغنى عنها، وتفتح عليه معارك جانبية تستنزف طاقاته وتصرفها بعيداً عن المعركة الرئيسية مع الاحتلال، فالانقسام الدائر بين حركتي فتح وحماس ألقى بظلاله على الحركة الأسيرة، وامتد إلى صفوف الأسيرات الفلسطينيات وإن كان بصورة أقل عنفاً، فواقع السجون هو صورة طبق الأصل للوضع الفلسطيني السياسي، انقسام، فرقة، شذمة، كل يدعي امتلاك ناحية الحق، والحق من الجميع بريء.

طلبات الأسيرات اليومية مصدر إرهاب لمثلة الأسيرات له ثقله المزعج ما يعادل كل مصادر الإرهاب الأخرى، فطلبات الأسيرة لا تقبل التأجيل وتريد كل أسيرة من ممثلة الأسيرات تحقيق ما تريده بالحال وكأنها مسجونة عندها متناسية أن هذه الممثلة في النهاية هي أسيرة وليست إدارة، وليس بيدها مصباح علاء الدين ولا العصا السحري، ولكن صاحب الحاجة أرعن ويود تلبية حاجاته بأقصى سرعة ممكنة، أما ما يطلبه الناس منه فلا مانع من تأجيله لأطول مدة، على قاعدة على شو مستعجل؟ ربنا خلق الكون بستة أيام وأمره ما بين الكاف والنون.

عاملة المردوان وقد وقفت على الباب الرئيسي للساحة: يلا صبايا،



يعطيكن العافية، دق شبابيك، ربنا يرضى عنكن كل أخت على غرفتها.

عاملة مردوان أخرى بنفس المهمة تقوم بدورية على أبواب الغرف تقف عند كل باب غرفة: مساء الخير يا صبايا، عشر دقائق للدق، الكل تجهز نفسها، يعطيكم العافية، ربنا يعينكن، لا نريد أي تأخير للدق علشان ما تتأخر الفورات المسائية.

أكملت دوريتها على كل الغرف وعادت إلى غرفة رقم (1) وقد تجمّعت أسيرات كل غرفة على بابها مع وجود بعض المشاكسات. المنشغلات بالحديث والقييل والقال سرقهن الوقت وعذوبة الحديث حتى أنساهن أرقام غرفهن، فتقع المسؤولية على عاملة المردوان التي تضطر لسحبهن من أيديهن وإدخالهن إلى غرفهن.

238

- يلا يا غرفة رقم (1)، غرفة (2)، غرفة (3)، غرفة (16).

بتسلسل دقيق وخلال دقائق معدودة خلت الساحة من الأسيرات إلا من ممثلة الأسيرات التي لم تفز إلا بدقائق معدودة للراحة وعاملة المردوان التي سارت مع القوة الشرطة التي تقوم بعملية الدق.

عملية دق الشبايك والمعروفة باللغة العبرية بـ (السوراجيم) تجري في اليوم مرتين، صباحاً من الساعة التاسعة والنصف إلى العاشرة، ومساءً من الثالثة والنصف إلى الرابعة، حيث تقوم قوة من السجنين والسجانين لا يزيد عددهم في الغالب عن خمسة أفراد بعملية فحص أمني لشبابيك وأبواب وحيطان وأرضيات الغرف عبر الدق عليها بواسطة عصا خشبية



أو بلاستيكية، وكذلك تشمل عملية الدق فحص كافة مرافق السجن، الكانتينا، المغسلة، المكتبة، الساحة.

- عاملة المردوان، على باب غرفة رقم (1): مساء الخير يا أخوات، الدق عندكم.

- مساء الخير ست تغريد، يسعد مساك.

- يسعد مساك حبيبي سعاد.

وفتح الباب فخرجت الأسيرات إلى خارج الغرفة، دخلت فرقة الدق، سجان يقف على بعد مترين من باب الغرفة خلف الأسيرتين، سجانة أخرى على باب الغرفة من جهة اليمين، عاملة المردوان على نفس الباب من جهة الشمال، سجان آخر على باب الغرفة التالية بالدق، سجانة تدخل الغرفة لتقوم بعملية الدق، وهكذا تسير عملية الدق من غرفة إلى غرفة والتي تستغرق من (25 - 40) دقيقة إذا ما خلت من إشكاليات يفتعلها السجنانون مع سكان الغرفة لأنفه الأسباب.

سارت عملية الدق بكل سلاسة حتى غرفة رقم (12) حيث صادر الشرطي أسلاكاً نحاسية رفيعة ممدودة من الشبايك إلى خارج الغرفة تستعملها الأسيرات لتقوية البث على الراديو والتقاط المحطات المحلية على الراديو، مع أن الشرطي نفسه مرَّ على كل الغرف وشاهد الأسلاك ولم يفعل شيئاً ولم يعتبرها ممنوعة إلا في غرفة رقم (12) وبالتحديد على برش الأسيرة ساهر المحكومة بالسجن تسع سنوات، وقد أمضت من حكمها





خمس سنوات لحد الآن وهي مغرمة بمتابعة المحطات المحلية وعلاقتها بالراديو علاقة الروح بالجسد، وأي مس بشبكة أسلاكها مس بالخطوط الحمراء. رأت عاملة المردوان الأسيرة تغريد قيام السجنان بقطع الأسلاك المعدنية الممتدة من الأبراش عبر الحائط إلى خارج النافذة.

- سوهير، ماذا تفعل؟ لماذا تقوم بقطع هذه الأسلاك؟

- هذه الأسلاك ممنوعة.

- لا ليست ممنوعة، نحن نعرف ما هو مسموح وما هو ممنوع، أنت تبحث عن المشاكل، هدفك من قطع الأسلاك افتعال مشكلة مع الأسيرات، القصة ليست قوانين ومسموحًا وممنوعًا، إحدى عشرة غرفة مررت عليها وكلها تمد أسلاكًا، لماذا هنا في هذه الغرفة أصبحت الأسلاك ممنوعة؟

- أنا لم أرَ الأسلاك في الغرف الأخرى، أنا أطبق القانون.

سمعت ممثلة الأسيرات المشادّة في الكلام ما بين عاملة المردوان والسجان، فتقدمت باتجاه الغرفة رقم (12): ست تغريد ما المشكلة؟

- هذا السجنان رجع لعادته السيئة بنبش على أي قضية حتى يفتعل مشكلة معنا، قطع أسلاك أنتين الراديو في غرفة (12) بحجة أنها ممنوعة.

- سوهير ما المشكلة؟ من قال لك إن الأسلاك ممنوعة؟

- يلا فش دق شبايك اسحب نفسك أنت وبقية السجنان خارج القسم، وأنت ست تغريد أوقفني الدق، أخبرني الغرفة أننا أوقفنا الدق



وادخلي على غرفتك، وأنا داخلة على غرفتي.

انسحبت فرقة الدق من القسم وساد الصمت المطبق المكان كصمت القبور، وما هي إلا دقائق معدودة حتى حضرت نائبة مديرة القسم مع مجموعة من ضباط الاستخبارات والعدد، وتوجهوا تلقاء الغرفة رقم (6) مقر تواجد ممثلة الأسيرات.

- عيرف، ست لينا، مساء الخير ست لينا؟

- مساء الخير كتسين شولا.

- ما المشكلة؟ لماذا أوقفتِ الدق؟

- هذا مس خطر بالأمّن لا يمكننا قبوله.

ممثلة الأسيرات وقد وقفت على الباب موجهة حديثها لنائبة مديرة القسم (شولا حايم): هل تريدان أن تحدثينا من وراء الباب؟

- أنا متأسفة ست لينا.

وأشارت بيدها للكاميرا الموصولة بغرفة التحكم ليقوم السجان الموجود فيها بفتح الباب لخروج ممثلة الأسيرات.

أولاً: مساء الخير كتسين شولا، ثانياً: نحن لم نمس بالأمّن ولم نوقف الدق، سلوك السوهير هو الذي أوقف الدق، وأنا قلت له أن يغادر القسم حتى لا تقع إشكالية؛ لأن تصرفه قد استفز الأسيرات.

- لا علم لديّ بماذا استفز السوهير الأسيرات؟ ماذا حدث؟ ماذا



عمل السوهير؟ المعلومات عندي أنكنَّ قد أوقفتم الدق وأنتِ تعرفين مدى احترامي لكِ، ولولا ذلك لأمرت الشرطة بالدق بالقوة وأنتِ تعرفين معنى ذلك، لا أحد يوقف الدق.

- الشرطي إيلان مرداحي قام بتقطيع أسلاك أنتين الراديو للأسيرة سهاهر في غرفة رقم (12)، وقد سبق لنا وأن تحدثنا عن قضية الأسلاك وأنتِ كنت حاضرة مع مديرة القسم الكتسين لورا كوهين، إذا كان الاستماع للراديو ممنوعاً لماذا تسمحون ببيعه في الكانتينا؟

- الراديو مسموح وجوده بحوزة الأسيرة، التقاط البث مسموح.

- طلبنا منكم إحضار جهاز تقوية البث قلم لنا لا يوجد ميزانية، قلنا لكم نحضره على حسابنا ولكنكم رفضتم، إذاً من حقنا تقوية البث والتقاط المحطات، ماذا يمس بالأمن سلك رفيع كالشعرة ممدود على الحائط إلى الشباك؟

ست شولا أعطيني حلاً لأنتِ الراديو، هل الراديو يمس بالأمن؟ إذا كان يمس بالأمن صادري جميع أجهزة الراديو، وخلصنا من هالمشكلة، كل أسبوع أو شهر زمان يأتي سجان لا يفهم بالقانون لا من قريب ولا من بعيد يفتعل مشكلة لنا بسبب أسلاك الأنتين وتأتون لتحميلنا المسؤولية.

- ست لينا، أنا من واجبي ومسؤولياتي تطبيق القانون، إيقاف الدق مس بالأمن والقانون وهذا أمر خطير لن يسكت الشبابص عليه.

- كتسين شولا، أنا أيضاً من واجبي ومسؤولياتي الدفاع عن



الأسيرات مثل ما أنتِ تدافعين عن القانون والسجانين، أنا أيضًا عندي من أَدافع عنه، نحن لسنا ضد القانون، ولكننا ضد من يريد أن يستغل كلمة القانون لإذلالنا وتغيص حياتنا، نحن لا مشكلة عندنا مع الدق، السجان إيلان مرداحي هو من افتعل المشكلة ودخل على إحدى عشرة غرفة وكلها فيها أسلاك، لماذا في الغرفة رقم (12) أصبحت الأسلاك ممنوعة؟ هل القانون يطبق على غرفة ولا يطبق على غرفة أخرى؟ أم أن القضية قضية مزاج؟ المشكلة عندكم ست شولا، تريدن مواصلة عملية الدق لا مشكلة عندنا، على شرط عدم حضور السجان الذي افتعل المشكلة وألا يمس الأسلاك، وما تم تدميره في غرفة رقم (12) نحن نقوم بإصلاحه.

- سأجري اتصالاتي مع مديرة السجن وأعود إليك.

غابت نائبة مديرة القسم لمدة ربع ساعة قبل أن تبعث بشرطية إلى غرفة ممثلة الأسيرات لتخبرها أن النائبة تريد رؤيتها في مكتبها، خلال غياب نائبة المديرية قامت ممثلة الأسيرات باستغلال وجودها خارج الغرفة لتخبر مسؤولات الفصائل والأسيرات بشكل عام بما حصل وطبيعة رد الإدارة، وإلى أين وصلت الأمور وأن عليهن الاستعداد لما هو أسوأ، دخلت ممثلة الأسيرات غرفتها بانتظار رد مديرة القسم على مقترح حل المشكلة وعودة الحياة إلى مجراها الطبيعي في القسم.

- يعطيك العافية ست لينا.

- الله يعافيك يا ست حياة الغالية، زمان مش شايفاك، تعالي أملي

عيوني من شوفتك.



سحبت حياة كرسي واقتربت من برش ممثلة الأسيرات الأراضي وبرأسها تدور عشرات الأسئلة تود أن تلقىها على ممثلة الأسيرات لكنها تعلمت وتعودت أن عليها في الأوضاع التصعيدية كتم أسئلتها؛ لأن الجو العام غير مناسب للأسئلة؛ ولأن ممثلة الأسيرات لا تملك وقتها فبأي لحظة من المحتمل أن تخرج إلى الإدارة، أو إلى الساحة، أو إلى أي غرفة قد يكون لا سمح الله مشكلة داخلية ما بين الأسيرات لا مجال للأسئلة إلا في الليل بعد ضمان عدم غياب ممثلة الأسيرات خارج الغرفة وبالتالي ضمان الحصول على الأجوبة، مع ذلك يبقى الفضول سيد الموقف وحاضرًا خصوصًا في الأزمان.

- شو راح يصير ست لينا؟ القسم سيبقى مغلق؟ اليوم ما في دق وغداً بيرجع الدق عادي؟ وبكرة بيرجع السجنان بيعمل مشكلة ثانية وتيتي تيتي مثل ما رحتي جيتي.

- مثل عادتك ست حياة تسألني مائة سؤال عن موضوع واحد، اسألني سؤالاً مفيداً وخير الكلام ما قل ودلّ، كرامتنا خط أحمر لا نسمح لأي كان أن يمس بها، أو حتى مجرد أن يقترب من هذا الخط، اليوم سلك أثنين راديو، بكرة صوت الراديو، وبعد بكرة الله أعلم ما هو ممنوع لذلك واجب علينا الدفاع عن حقوقنا وإنجازاتنا ومكتسباتنا، سحب السجنان للأسلاك مجرد جس نبض من الإدارة لنا، إذا سكتنا عن سحب السلك اليوم بكرة سيقولون الراديو ممنوع نريد سحبه، وهكذا صراعنا مع الإدارة، وإذا ما سكتنا ودافعنا عن حقنا، الإدارة بكل بساطة ستأتي وتقول هذا تصرف فردي من السجنان ولن يتكرر ليست أول مرة يعملوها معنا ولن



تكون الأخيرة، فهمت ست حياة طريقة التعامل مع الإدارة.

- طبعًا ست لينا ممثلتنا ومعلمتنا، طبعًا بدّي أفهم من أرقى معلمة في التاريخ، كلامك يدخل على العقل والقلب بنفس اللحظة.

- على باب الغرفة رقم (6) وقفت سجانة صهيونية: مساء الخير ست لينا.

- مساء الخير سو هيرت لونا.

- شكرًا ست لينا، من فضلك الكتسين شولا تنتظرك في مكتبها.

- لا مشكلة سو هيرت لونا افتحي الباب لي.

خرجت ممثلة الأسيرات لمقابلة نائبة مديرة القسم ولكن قبل أن تتوجه إلى مكتبها عرجت على الغرف التي فيها مسؤولات الفصائل، فتح وحماس والجبهة الشعبية، وأخبرتهن أن هناك اجتماع بينها وبين نائبة المديرية وبناءً على رد الإدارة سيكون رد الأسيرات بعد التشاور، ثم غادرت باتجاه مكتب نائبة المديرية.

- مساء الخير كتسين شولا.

- مساء الخير ست لينا، أنا متأسفة أي لم أستطع الحضور إليك في القسم لأنني مشغولة جدًا كما ترين.

- ليس هناك مشكلة كتسين شولا الأهم من ذلك ما هو الرد من مديرة القسم؟



- مديرة القسم انزعجت جداً لما سمعت أخبار القسم وكانت تريد العودة إلى الدوام وتقطع عطلتها مع عائلتها، لكن أنا شرحت لها الوضع وأقنعتها بأنه لا حاجة لوجودها في السجن، قرار المديرية كان بإدخال قوة إلى غرف السجن وقطع جميع الأسلاك ومعاقبة صاحبات الأسلاك وإغلاق السجن طوال اليوم وإنزال الأسيرة سهاهر إلى الزنازين، لكن أنا تدخلت وكان رأيي بحل وسط، نحن ندخل لنواصل عملية الدق بدون السجنان إيلان مرداحي، والأسلاك لا تمس بها، واليوم فورات مسائية ما في، لكن نسمح للعاملات بالخروج والعمل في المرافق، وغداً عند حضور مديرة القسم نتباحث بالقضية كلها.

رغم أنه لا داعي لكن قرارات الكتسين لورا والحل الذي تقرينه قاس علينا جداً لحرماننا من الفورات، أنا أريد أن أشاور الأسيرات ومبدئياً الحل مقبول علينا، انتظري مني الرد وأنا راجعة إلى القسم حتى أستشير الأسيرات.

عادت ممثلة الأسيرات إلى القسم، وأخرجت مسئولات الفصائل من غرفهن على الساحة وعقدت جلسة هيئة مفاوضات على أعلى المستويات بعيداً عن وسائل الإعلام وعدسات المصورين، وشرحت لهن دور الإدارة وهي مقتنعة أن نائبة المديرية تكذب على المديرية وأنها تبحث عن طوق نجاة لعنقها، وبعد أخذ ورد وافقت الأسيرات على الحل الذي اقترحه نائبة المديرية شرط عدم المس بالأسيرة سهاهر وألا يتم معاقبتها بأي عقوبة.

عادت ممثلة الأسيرات إلى مكتب نائبة المديرية وطلبت من الأسيرات



شرح الموقف من كل مسألة فصيل على فصيلها حتى لا تحدث أي إشكالية وتكون جميع الأسيرات على علم بالحل، دخلت ممثلة الأسيرات إلى مكتب نائبة المديرية وجرى بينها جدال حول نقطة معاقبة الأسيرة سها هرفتعهدت نائبة المديرية بالألا يحصل لها أي عقوبة، وكذلك تعهدت ممثلة الأسيرات بالألا تتعرض أي أسيرة لغرفة الدق، خلال الجلسة طالبت ممثلة الأسيرات بساعة فورات لكل القسم وقد قررت من نفسها طلب هذا الأمر، إن صابت صابت وإن خابت خابت، تلملت نائبة المديرية قليلاً، ثم وافقت على المضمون، وهكذا انتهت المشكلة وعادت إلى القسم وأخبرت مسئولات الفصائل بما حصل بينها وبين نائبة المديرية وقصة ساعة الفورة.

247

على باب الغرفة رقم (16) وقفت الأسيرة خديجة وهي معتقلة إدارياً، نادى ممثلة الأسيرات الواقفة على باب غرفة (10) حيث مقر ممثلة أسيرات حركة فتح تشرح لها الحديث الذي جرى مع نائبة مديرية القسم وما تم الاتفاق عليه.

- إذا سمحت ست لينا، غرفة (16).

- يلا حبيبتي خديجة خمس دقائق بس أنهي مع أم محمود وباجي لعندك ولا يهملك.

دخلت غرفة الدق وهذه المرة مكونة من ثلاث سجانات معروفات لدى الأسيرات بسلميتهن وتعاملهن الحسن مع الأسيرات، وهذا يعكس رغبة الإدارة الفعلية بعدم التصعيد، سارت عاملة المردوان تغريد أمام فرقة الدق وعلى باب غرفة رقم (13).





- مساء الخير صبايا، الدق عندكم.

- ست تغريد، لا نعلم بوجود الدق، يوجد أسيرة في الدش لن تستطيع الخروج، تحدثت تغريد مع فرقة الدق وأخبرتني أن هناك أسيرة في الدش.

- إيش أسيرة بمكلاحت (الحمام) «في أسيرة في الدش».

تفهمت ضابطة الدق الوضع وأخبرت تغريد ألا مانع من بقائها.

- فش مشكلة صبايا، اللي في الدش خليها في الدش، يلا تفضلوا خلينا نخلص بسرعة، في فورة.

خرجت الأسيرات من غرفة رقم (13، 14، 15، 16) إلى الساحة ثم دخلت فرقة الدق وأنهت عملها سريعاً بظرف دقائق معدودة وانسحبت من القسم، وعادت الأسيرات إلى غرفهن بانتظار الخروج إلى الفورة لمدة ساعة كما هو متفق عليه مع الإدارة، كل الأسيرات رجعن إلى غرفهن إلا الأسيرة خديجة ظلت واقفة مع ممثلة الأسيرات.

- الحل اللي أبرمته ست لينا مع الإدارة غير مقبول.

- لماذا ست خديجة؟ كل القسم مقتنع وراضٍ بهذا الحل وأنا لا أقول إنه حل مثالي ولكنه أخف الأضرار، ولا تنسي نحن أسيرات وتعامل مع إدارة عدو غاشم.

- شو الحل اللي بيعرمننا من الفورات بذنوب لم نقترفه؟



كلامك صحيح ست خديجة نحن اليوم محرومات فوراً فقط عندنا فورة لمدة ساعة، هذا الحرمان لذنوب لم نرتكبه، وتذكرين أن كل الأسيرات مسجونات في هذه السجون ظلماً وزوراً، ويعاقبن على غير ذنب، نحن لم نذنب قمنا بالواجب الشرعي والوطني والإنساني تجاه وطننا وتجاه شعبنا وأهلنا، فكان العقاب لنا السجن فمن الطبيعي عند هذا العدو؛ لأنه عدو ولأنه احتلال يُعاقب المظلوم، أنا أنفهم موقفك ست خديجة وأنفهم عصبيتك وانفعالك، هذا كله للمصلحة العامة، وعملي كممثلة للأسيرات أن أحرص على المصلحة العامة والعليا للأسيرات، أنت تعرفين غداً زيارات الأهل وعندنا عدد كبير من الأخوات لأول مرة يزرن أهلهن، وغداً إدخال ملابس ونحن على أبواب الشتاء لذلك ولأجل المصلحة العليا نحن ضحينا بفورات اليوم لأجل مصلحة القسم ومصلحة الأخوات.

تدخلت الأسيرة أم محمود مسؤولة أسيرات حركة فتح من خلف الباب طالبة من عاملة المردوان أن تفتح لها الباب لتخرج إلى الساحة.

- ست خديجة في إمكانية أعرف لماذا أنت خارج الغرفة؟ في هنا تنظيم يمثلك بدك تراجع حد اراجع تنظيمك، ما تتحدثي مع ممثلة الأسيرات بهذه اللهجة، بدك تستفسري عن شيء استفسري مني، أنا مسؤولة التنظيم، مثلك مثل باقي الأخوات في السجن تلتمني بالقرار التنظيمي.

هذا الكلام وجّهت مسؤولة حركة فتح خطابها للأسيرة خديجة.



- ست لينا، أنا بعتمد منك باسمي واسم كل الأسيرات في حركة فتح عن تصرف الأخت خديجة.

- أختي أم محمود، لا حاجة ولا داعي للاعتذار؛ لأنه لم يحصل خطأ حتى تعتذري، الأخت خديجة أخت عزيزة وغالية، وأنا طلبت منها تبقى خارج الغرفة، شفقتها متوترة وأنا كممثلة لكل الأسيرات أي أخت واجبي أن أجيها إذا سألت وأوضح لها كل قضية تستفسر عنها، الساعة الخامسة مساءً وكما هو متفق عليه مع نائبة المديرية بخروج الأسيرات إلى الساحة لمدة ساعة فقد خرجت كافة الأسيرات استغلالاً لهذه الفرصة الذهبية.

اقتربت الساعة من الساعة السادسة مساءً نهاية الفورة وإدخال كافة الأسيرات إلى غرفهن باستثناء عاملات المرافق اللواتي يتأخرن نصف ساعة بدخولهن إلى الغرف حيث سيهتمن بالأعمال الاعتيادية لهن مثل شطف القسم، توزيع الماء تلبية طلبات الأسيرات، وما أكثرها من طلبات من الكانتينا، من الغرف، عن حبل الغسيل.

- سيوم تيول! سيوم تيول! اسفرا بديرخ! نهاية الفورة! نهاية الفورة! العدد بالطريق!

عبر مكبرات الصوت نادت السجانة الجالسة في غرفة التحكم المركزية.

- ممثلة الأسيرات: يلا يا صبايا، تصبحوا على خير، يعطيك ألف عافية.



الأسيرة أم محمود: تصبحي على خير ست لينا، تصبحوا على خير يا صبايا، موعدنا الفورة الصباحية.

دخلت كل من الأسيرات الموجودات في الساحة إلى غرفهن وخلت الساحة من أي حركة، وعمّ السكون القسم كما تأوي الطيور إلى أعشاشها، أوت كل أسيرة إلى برشها بعد يوم عاصف وشد الأعصاب والتوتر.

- يعطيك العافية ست لينا وست سمر.

- الله يعافيك يا حياة الغالية.

- ست لينا، هل انتهت المشكلة؟

- ست حياة انتهت جولة من الجولات والصراعات لم تنته مع الإدارة الغاشمة ولكن نستطيع القول بأن مشكلة اليوم قد انتهت والمجال مفتوح للمزيد من المشاكل التي تفرض علينا، وليس مهمًا ست حياة هل يوجد مشكلة أم لا يوجد؟ أو هل حلت المشكلة أم لا؟ المهم كيف نتعامل مع المشاكل؟ وكيف نخرج منها بأقل الخسائر؟ معركتنا معهم ليست بالعباطة، بل هي معركة إرادة وعقل وأدغة.

- أنتِ قائدة عظيمة ست لينا ومدرسة قيادية كبيرة ومنك ستتعلم الأجيال، ربنا يخليك إلنا.

- ربنا يخليني إلك! وين؟ هنا في السجن؟ يا شيخة داعية وداعية ادعي ربنا يفرج عنك ربنا يفك قيدك، ربنا يجمعك بأهلك، ربنا يبعثك



عريس يملئ عليك حياتك، وينسيك السجن والزنازين، الله أكبر ما أبخلك يا شيخة.

- الله يرضى عنك يا ست لينا، ويعطيك اللي في بالك وينولك مرادك ويجمعك بأهلك ويعطيك بن الحلال ويرزقك الذرية الصالحة، ومثل ما نحن مجتمعات في هذه الغرفة إن شاء الله نجتمع في الخارج في ظروف أحسن وفي ظل الحرية.

- تسلمي أختي أمل، هذا الكلام المزبوط، هذا كلام بنسمع، هذا كلام يدخل على القلب، كلام مرتب مثل السكر، أحلى من العسل، مش مثل كلام البومة حياة، يوم بتسأل شو يعني المردوان، قبائل الجن، ويوم ربنا يخليك إنا، بدها تخليني بالسجن وكأن السجن ملك أبوي ومعنا طابو ورثناه من سيدي.

- عمت الضحكات من كل الأسيرات.

- صحيح ست لينا لليوم بعدك تتهربي من الإجابة عن سؤالي القديم عن المردوان؟

- أنا ما بتتهدب من إجابتك يا حياة الغالية، أولاً سأمحيني إني قلت لك بومة، أنا بمزح معك، أنت مش بومة، أنت عصفورة حلوة، وأنا والله بحبك مثل ما بحب ستي بهية، ثانياً أمور كثيرة في السجن ستتعلمينها لوحده مع مرور الزمن، لكن مشكلة سؤالك عن قبائل الجن أنه أصبح مفتاح لشغل جديد، كل ما تسأليني هالسؤال، بييجي شغل جديد، نصيبك ست حياة.



- عصفورة جميلة، لكن سمعة العصفير في السجن سيئة ست لينا.

- الحق مش على العصفير، الحق على الذين أطلقوا أجمل اسم للطيور على أحقر نوع من البشر العملاء والجواسيس، لكن هذا الكلام منك تطور إيجابي في ثقافتك الأمنية، صرت تفهمين بمصطلحات الأمن إلا الأمن مثل سيارة أبوي كل شيء فيها بزمرة إلا الزمور، ما هي قصة العصفير في السجن؟ ما هي حقيقتهم؟ معقول في فلسطين عربي مسلم يقبل على حاله يعيش في السجن عامل حاله مناضل ويضحك على أهله وأبناء شعبه ويخدعهم لصالح اليهود المحتلين.

- نعم معقول ونص، العميل الغدار، الذي يقبل أن يتجسس على أهله وشعبه مقابل حفنة رخيصة من المال، سيقبل أن يعمل في أي دور خياني تتطلب منه مخابرات الاحتلال؛ لأنه أصبح عبارة عن أداة طيعة بيد المخابرات تحركه كيفما تشاء، وهو فقط ينفذ الأوامر كالعبد الذليل، ذليل في الدنيا بين شعبه وأمام عدوه، ذليل في الآخرة أمام ربّه ومصيره إلى مزابل التاريخ في الدنيا، وإلى نار جهنم في الآخرة.

خلال هذا الحديث كانت الشبيخة فاطمة تضع اللمسات الأخيرة للعشاء وقد أعدت المائدة ورتبتها بطريقة رائعة تفتح الشهية.

- يلا يا أخوات تفضلوا على العشاء.

- يسلموا يديك شبيختنا الفاضلة فاطمة، ربنا يقدرنا على رد معروفك.



- صحتين وعافية حبيباتي، هذا واجبنا، شرف عظيم لي أن أخدم  
أخواتي المجاهدات، ربنا يفرج عنكن ونزوركن في بيوتكن.

اجتمعت الأسيرات حول مائدة العشاء وكما تجتمع الفراخ الصغيرة  
تحت جناحي والدتها في منظر يعكس روح الأخوة والمحبة ما بين الأسيرات  
داخل ظلمات السجون، بينما الأسيرات منشغلات بتناول وجبة العشاء في  
هناءٍ وسرور ما بين جمال لحظة الجمعة واللمة الجميلة وطيب الحديث  
البريء ومذاق الطعام اللذيذ المصنع بأنامل الشيخة فاطمة، الشيف الماهر،  
نغصت كلمات السجناء عبر مكبرات الصوت جمال وروعة ذلك المساء.

- سفيرا بمكوم! بنوت! سفيرا بمكوم! عدد بالمكان! يا بنات عدد  
بالمكان!

لحظات على إنهاء الصوت عبر المكبرات، قوة كبيرة من السجنائين  
والسجانات كالمعتاد في عدد الصباح والظهيرة تدخل هذه القوة بكل ضجة  
وعنجهية إلى القسم، ثلاثة سجانين على باب الغرفة رقم (2)، ثلاثة سجانين  
على باب الغرفة رقم (1)، سجان بدرع بلاستيكي على شبك الغرفة رقم  
(1)، وآخر على شبك غرفة رقم (2)، سجان يفتح الأقفال وآخر يفتح  
الباب، ثم يتقدم ضابط يتبعه سجان ممسكاً بظهره، بيد الضابط جهاز  
إلكتروني فيه صور الأسيرات.

- مساء الخير.

- مساء الخير.



- آخاد، شتايم، شلوش .

ثم بدأ بمناداة الأسيرات بأسمائهن ويقارن كل أسيرة بصورتها على الجهاز الذي يجمله .

وهكذا على باب كل غرفة من غرف القسم الست عشرة غادرت قوة العدد القسم بضجة وصراخ، وبدؤوا بنزع الجعب والخوذ والتحلل من العتاد الخاص بهم قبل خروجهم من القسم، أي قبل أن يكملوا مهمتهم وهذا يعكس روح التسيب وانفراط الانضباط العسكري لدي الجندي والسجان الصهيوني، سواء أكان يخدم في مدن الضفة أو على حدود غزة أو في سجون الاحتلال، وهذا التسيب أوضح ما يكون داخل السجون، ولكن ضعفنا وتشتتنا ودمنا يغطي على تسيبهم أثناء العدد سواء العدد الصباحي، الظهرية، المسائي، تجبر الأسيرات الفلسطينيات على الوقوف حتى انتهاء العدد مهما كانت ظروف الأسيرة متعبة، مريضة، على الأكل، حر الصيف، برد الشتاء، وأي أسيرة تتأخر بالوقوف على العدد يتم معاقبتها بالعزل الانفرادي بالنازيرين لمدة لا تقل عن ثلاثة أيام وقد يضاف إليها عقوبات أخرى كالمنع من الزيارات، المنع من الكانتينا، المنع من الرياضة.

عادت الأسيرات إلى تناول وجبة العشاء بعد أن قطعها العدد، وقد اعتادت الأسيرات على مثل هذه المنغصات التي تعتبر بسيطة إذا ما قورنت بمنغصات مثل التفتيش في منتصف الليل وإخراج الأسيرات إلى الساحة وسط البرد الشديد شتاءً. أنهت الأسيرات كافة الأعمال الروتينية داخل الغرفة من الشطف والجلي وصلاة المغرب وعند إتمام صلاة العشاء.







## 10

- قبل العشاء كنت سألتك ست لينا عن العصافير لكن حضر الطعام وحضرت البطون، وإذا حضرت البطون غابت الدهون، وإذا حضر الماء بطل التيمم.

- العصافير يا ست حياة هي مأساة الشعب الفلسطيني والجرح النازف في خاصرة الثورة الفلسطينية، صار لهذا الأسلوب أكثر من أربعين سنة وغالبية الأسرى الفلسطينيين تنكشف أوراقهم عن طريق العصافير، تنظيمات فلسطينية تم ضربها بواسطة عمل هؤلاء العملاء وانهارت فصائل وخلايا بكامل عناصرها وعتادها بفعل العصافير، ولحد الآن الثورة الفلسطينية مش قادرة تحلها المعضلة وتتجاوز هذه الإشكالية، السكري



والسرطان اقترب الأطباء من اكتشاف علاج له لكننا مع داء العصفير فشلنا كل الفشل بعلاج هالمرض الخبيث، قصة العصفير والأولى أن نسميهم صراصير، بدأت مع بداية سبعينات القرن الماضي والشخص الذي أسس هذا الأسلوب مسلم عربي فلسطيني اسمه عبد الحميد الرجوب من مدينة الخليل، أصرَّ أن ينسلخ من جلده ويرهن نفسه لحفنة مخابرات الاحتلال خائناً لدينه ولشعبه، فلُعن على كل لسان. العصفير عملاء فلسطينيون من الضفة الغربية، من غزة، من القدس، من الداخل الفلسطيني، يعني ناس من لحمنا ودمنا وجلدنا وعظمتنا ييشغلوا عيون وأذان للاحتلال علينا، بعد العميل منهم ما يخدم أسياده من ضباط مخابرات الاحتلال لسنين يتجسس على أهله وشعبه وينقل أخبارهم للاحتلال، وبعد ما ينخزي وينكشف أمره في بلده بين أهله وشعبه ويصبح منبوذاً كالكلب الأجرى لمحاسنته على جرائمه، يلوذ بالهرب إلى داخل فلسطين المحتلة عام 1948م ذليلاً حقيراً لا قيمة له عند شعبه الذي خانته وطعنه في ظهره ولا عند عدوه الذي من مليار مستحيل يؤمن له ويثق به، كيف وهو خائن للأمة التي حملته بأحشائها تسعة أشهر، هؤلاء العملاء الهاربون لم يكفوا عن خيانتهم واستمروا بحياة الذل والغدر والخيانة حتى بعد طردهم من قراهم ومدنهم ونخباتهم، واستمروا في خدمة أسيادهم من الاحتلال حتى يبقوهم على وجه الحياة الذليلة راضين عنهم، هؤلاء العملاء تستخدمهم المخابرات بمهمات متعددة من أخطرها العمل داخل مراكز التحقيق كعيون وأذان على الأسرى خلال مرحلة التحقيق، وكمعاول هدم تساعد بهدم معنويات الأسير أثناء هذه المرحلة الحساسة من وجود الأسير في الزنازين ودفعة للانهار أمام المحقق الصهيوني والاعتراف.



أخطر أسلوب لعمل العملاء والجواسيس داخل السجون هو أسلوب العصافير، وهو عبارة عن تقمص جاسوس أو مجموعة من الجواسيس شخصيات مناضلين وأسرى أمنيين شرفاء وخداع أسرى جدد عديمي الخبرة بالتحقيق، وإيهامهم أنهم أسرى أمنيون مناضلون، والحقيقة أنهم أمام عملاء وجواسيس يتقمصون أدوار وشخصيات الأسرى المناضلين الشرفاء.

فكرة العصافير كانت تقوم في البداية على وجود جاسوس في نفس الزنزانة مع الأسير أو في زنزانة مجاورة، تكون هذه الزنزانة في تواصل مع الزنزانة المجاورة عبر شبك صغير في الحائط الفاصل بين الزنزانتين، وتسمى هذه الزنزانة بزنزانة المصيدة، ويبدأ العصفور (الجاسوس) بسحب الكلام من الأسير وإيهامه بأنه وطني ومسئول كبير في التنظيم وله علاقاته وله اتصالاته، وأنه على الأسير أن يبوح له بكل أسراره والمعلومات التي بحوزته عن الخلية، سلاحها، أفرادها، أعمالها، ليوصلها للتنظيم في الخارج كي يجمي بهذه المعلومات رجال وسلاح التنظيم، والحقيقة أنه جاسوس موجّه من قبل المحققين لمعرفة أسرار الأسير، وبالتالي ضرب التنظيم واعتقال واغتيال أعضائه وتدميره والقضاء عليه.

مع دخول انتفاضة الأقصى نهاية سنة 2000م طوّرت المخابرات الصهيونية أسلوب عمل العصافير، وأصبح الوضع بدلاً من جاسوس في الزنازين أصبح للعصافير أقسام صغيرة تتكون من غرفتين إلى ثلاث غرف مع ساحة صغيرة ونظام سجن مصغر، يرحل الأسير إلى هذه الأقسام الخيانية بعد أن يقضي فترة بالتحقيق وليتم إيهامه أنه منقول إلى



أقسام السجن الحقيقي والعيش مع الأسرى المناضلين، يتم عرض الأسير على محاكمة صورية والحكم فيها التمديد، عليهم نقل الأسير إلى أقسام العصفير بسيارات النخشون وحيداً أو مع عصفور، ولا تسمح بنقله بالوسطة خوفاً من التقائه مع الأسرى الأمنيين وبالتالي انكشاف لعبة المخبرات والعصفير، عندما يتم نقل الأسير بهذه الصورة إلى أقسام العصفير والحقيقة أنه منقول إلى مرحلة تحقيق مختلفة عن سابقتها.

يتولّى هذه الجولات عصفير، عملاء يتكلمون عربي نيابة عن أسيادهم ضباط المخبرات وبأسلوب جديد يقوم على الخداع وإيهام الأسرى أنه من الأسرى المناضلين، وعليه أن يتعاون مع الموجه الأمني للتنظيم والذي بالحقيقة هو عبارة عن كبير الجواسيس في القسم، متقمصاً شخصية الأسير المناضل الوطني الشريف، وأن هذا التعاون لا يتم إلا بإعطاء الموجه الأمني كافة الأسرار والمعلومات التي بحوزته.

قلة التربية الأمنية وانعدام الخبرة لدى الغالبية الساحقة من أبناء التنظيمات الفلسطينية سارع في عملية انهيار المناضلين أمام العصفير وأسلوبهم القائم على الخداع والإيهام، ولأن غالبية الأسرى الفلسطينيين لحظة اعتقالهم يتخيلون أنهم داخلون إلى زنازين التحقيق ويتظنون وجود جلادين ضخمين بأيديهم عصي وكرايج وكماشات لقلع الأسنان وانتزاع الأظافر، ليتفاجأ الأسير الفلسطيني بعدم وجود هذه التخييلات الوهمية بل على العكس من ذلك وجد محققاً يحقق معه بكل هدوء ونفس طويلة ورباطة جأش، ويعطي ويأخذ معه بالكلام، يناقش الأسير ويسمع منه ويسجل ملاحظات من أقوال الأسير.



بعد مدة ليست بالطويلة يجد الأسير نفسه وسط أسرى فلسطينيين يهتونه بصموده في وجه المحقق وانتصاره عليه واحتفاظه بأسرار الثورة، وأنه الآن وسط إخوانه وعليه التحلل من عبء أسرار الثورة عبر إيداعها بالأيدي الأمينة، أيدي الثوار الوهميين الممثلين البارعين، الدجالين الأذكياء، العصافير.

- يعني أختي لنا العصافير مش يهود بيتكلموا عربي، فلسطينيين عملاء من أبناء شعبنا.

- بالضبط ست أمل، عملاء فلسطينيين باعوا ذمهم وضائرتهم للاحتلال، وتحولوا لأدوات رخيصة يستعملها الاحتلال لطعن ظهور شعبهم.

اقتربت الساعة من العاشرة مساءً وهذا الموعد في عرف الحركة الأسيرة يعرف بالالتزام النسبي، فيه يطفأ الضوء وتخف حركة الأسيرات، وكل أسيرة على برشها وإن وجد أسيرتان أو أكثر تتحدثان معًا يكون الحديث بصوت خافت ومنخفض جدًا، هذا الالتزام النسبي يقود إلى الالتزام الكلي بعد ساعة منه في عملية تسلسل ناعمة للقوانين الإدارية لأجل تنظيم حياة الأسيرات.

في عرف الأسرى والحركة الأسيرة بل والعرف البشري إن اقترب الليل من منتصفه يعني الخلود إلى النوم لراحة الأجساد استعدادًا ليوم عمل جديد، لكن في عرف الاحتلال وإدارة سجون له معنى آخر خصوصًا إذا تعلق الأمر بالأسرى، الساعة الحادية عشرة والنصف أي نصف ساعة على



الالتزام الكلي وقد غرقت جميع الأسيرات بالنوم العميق باكراً، في هذا اليوم بالذات لما كان في هذا اليوم من التعب والإرهاق وشد الأعصاب أو توتر وخوف وقلق وحرمان من أبسط الحقوق فورة مسائية لمشكلة افتعلها سجان لم يكن للأسيرات فيها أي ذنب، حكم الظالم على المظلوم والقوي عايب، والأسيرات المنسيات في غياهب السجون بلا حامٍ ولا مدافع قلّ النصير وعزّ المعين، إلا الأهل والصبر من الله.

فجأة صوت دربكة الأقدام، ضجيج عالٍ، صراخ نسف سكون الليل، أصوات الأجهزة اللاسلكية، رد المخشير، احتكاك العتاد العسكري، أصوات ارتطام الدروع البلاستيكية بالشبابيك والأبواب، خرخشة المفاتيح المزعجة وهي تفتح أقفال الأبواب تارة، يسقط تارة أخرى من أيدي السجانين المرتجفة خوفاً ورعباً، فرقة من السجانين أكثر من ثلاثين سجائناً وسجانة، فرقة مدرّعة بكامل عتادها، خوذ تغطي الرؤوس والوجوه، دروع، جعب واقيات ضد السكاكين، واقيات ضد الرصاص، هراوات، جرات الغاز، كسارات بلاستيكية على المفاصل والأيدي، فرقة مدرّعة معدة لاقتحام معسكر وليس لاقتحام غرف أسيرات عزّل من أي سلاح سوى سلاح الإرادة والصبر والتحمل على بلاء الأسر، فرقة أخرى من السجانين تعلو سطح السجن، فرقة أخرى تمد برايش المياه وتوصلها بخراطيم مخصصة لضغط الماء لإغراق الغرف إذا لزم الأمر.

انتشرت الفرقة من الغرفة (1) حتى الغرفة (16) وفي الساحة وعلى سطح السجن، تملك الخوف والفرع كافة الأسيرات في القسم خصوصاً أن هذه المداهمة قد جاءت في وقت متأخر من الليل والأسيرات في سابع



نومة، ولم تعرف كل أسيرة كيف تتصرف من هول الصدمة، فالنائم ميت، والمداهمة غير متوقعة خصوصاً أنه لا سبب ولا داعي لهذا التفتيش، فيوم غد هو يوم الجمعة، وهو يوم نصف دوام عند الإدارة، والمشكلة التي فرضت على الأسيرات مساء أمس حُلت بطريقة مرضية للطرفين، خصوصاً أن افتعالها والتصعيد الذي تبعها جاء من قبل الإدارة والأسيرات قبلن بالحل لا من باب الضعف والخوف بل من باب مصلحة الأسيرة؛ لأن الأمر تعلق بفورة مقابل قمعة فضلت الأسيرات التضحية بفورة مسائية مقابل عدم حدوث قمعة لا يعلم عواقبها إلا الله - سبحانه وتعالى - والخاسر فيها الأسيرات. أسرع كل أسيرة في الغرف الست الأولى التي تتعرض للمداهمة بلبس أغطية الرأس من مناديل، ملابس الصلاة، كل ما يستر ويغطي الرأس؛ لأن الأسيرة الفلسطينية تقدس رأسها خصوصاً في مواجهة الاحتلال؛ لأن هذا الرأس خلق ليظل مرفوعاً ولا ينحني، خلق ليصان لا ليهان، لذلك تحرص الأسيرة الفلسطينية أول ما تحرص خلال هذا الظرف العصيب عليها في المداهمة بتغطية رأسها.

- حبوس! حبوس تفتيش! تفتيش! طلب الضابط من الأسيرات الرجوع إلى آخر الغرفة، رجعت الأسيرات إلى آخر الغرفة وتجمعن في زاوية منها، خائفات، مرعوبات، مرتجفات، متعبات، مرهقات، نساء عزل في مواجهة وحدة مدرعة مدججة بالسلاح، ومصحوبة هذه المرة بالكلاب البوليسية التي ملأت الأجواء عواء وتفلتاً للانقضاض على الأسيرات.

فتح السجنانون الباب بعد ابتعاد الأسيرات عنه وقد اصططف السجنانون صفان داخل الغرفة بالطول، كل سجان بيده هراوة وعلى





الأسيرات المرور وسط هذا الصف أسيرة، أسيرة، صفان عن اليمين والشمال في استعراض قوة على أسيرات عزل من أي سلاح للدفاع عن أنفسهن سوى الصبر والإرادة.

الأسيرات متجمعات في آخر الغرفة، سجانة تدخل بين الصفيين تقف بالقرب منهن تقوم بتقيدهن أسيرة، أسيرة، سجانة ثانية تقوم بتفتيش كل أسيرة بواسطة آلة التفتيش، الماغنوميتز، ثم تقودها إلى خارج الغرفة، وتسلمها لسجانة أخرى بدورها تقودها إلى الساحة، وهكذا مع كل أسيرة، وهكذا مع كل غرفة، حتى تم إفراغ الغرف من الأسيرات ليبدأ فصل التفتيش حال إخراج الأسيرات من الغرف، يتحلل السجنانون من عتادهم من الخوذ والجعب والدروع ليبدووا بعملية التفتيش أو بالأحرى عملية التدمير والتخريب لأغراض وممتلكات الأسيرات الخاصة والتي هي بالحقيقة أغراض بسيطة إما يتم شراؤها من الكانتينا بأسعار مضاعفة أو يتم إدخالها في الزيارات من الأهل، بمعنى آخر كل أغراض الأسيرات تم تفتيشها وفحصها قبل دخولها للسجن ويتم فحصها قبل دخولها إلى المكتبة أو قاعة الزيارة ويتم تفتيشها عند تسليمها للأسيرة، دولة قائمة على الهوس الأمني ثنائية سجانين دخلوا إلى الغرفة، سجان يفتش الحمام، سجان يفتش دورة المياه، آخر يفتش المطبخ، كل شيء في خزانة المطبخ على الأرض، الزيت، المعلبات، المواد الغذائية، أدوات الطبخ، أدوات التنظيف، كومة واحدة على الأرض، وأسعد الغرف حظًا إذا لم ينسكب شيء من الزيت أو المعلبات على المواد الأخرى.

الخزائن لكل ما تحتوي من الأغراض، ملابس، كتب، دفاتر،



أغراض خاصة بالمرأة، ألبومات الصور كلها على الأرض، حرامات الأسيرات، وجوه الفرشات، المناشف، كل شيء على الأبراش تم رميه على الأرض تم خلطها بعضها ببعض، كومة واحدة وسط الغرفة، فقط المصاحف هي الوحيدة التي تم احترامها فقد قامت الأسيرات بوضعها على كرسي خارج الغرفة ولم يلمسها أي سجان، وهذه الخطوة، احترام المصاحف جاءت بعد مشكلة خطيرة مع الإدارة حيث قام سجان بتمزيق المصحف فعم الاستنفار والتوتر في السجن، وظلت الأمور متوترة من الصباح حتى المغرب حتى تم التوصل لاتفاق مع الإدارة يقضي بأن يقوم الأسرى بجمع المصاحف من الغرفة مع بداية كل تفتيش ووضعها على كرسي خارج الغرفة. عملية التفتيش عملية تستغلها الإدارة لتغيب حياة الأسيرات والانتقام منهن؛ لأنهن أولاً فلسطينيات وثانياً لأنهن أسيرات قلن للاحتلال لا بملء الفم، وكإجراء روتيني تمارسه الإدارة ضد الأسيرات بسبب أو بدون سبب فالاحتلال ليس بحاجة لذريعة لأي جريمة يرتكبها لأنه لا يوجد من يحاسبه، وإدارة السجنون بصفتها جزءاً من الاحتلال وإفرازاً سيئاً من إفرازاته القميئة تمارس نفس الألاعيب، تكمل نفس الدور في المحاولات البائسة لكسر إرادة الأسير الفلسطيني وإذلاله، عملية التفتيش عملية تنكيل مباشرة للأسير والأسيرة، وأي تنكيل هو أشد من اقتحام غرف الأسيرات منتصف الليل وإفزازهن من نومهن بطريقة إرهابية إرهابية جنونية، وإخراجهن من غرفهن وسط البرد الشديد شتاءً إلى الساحة والحر الشديد صيفاً إلى غرفة ضيقة داخل القسم بلا تهوية أو مراوح لعدة ساعات، ومن ثم إعادتهن إلى غرفهن وقد قلبت أعاليها إلى



سافلها واختلطت الأغراض وشوهت معالم الغرفة وكأن جيوش التتار قد مرّت من هنا.

أي تنكيل هو أفظع من تمرير أسيرة قبل دقائق روّعت من نومها فزعة، مرعوبة، بين صفين من السجنائين المدرعين بالحديد والنار وأيديهم على العصي وزناد جرار الغاز، فأى حركة من الأسيرة تنهال عليها عشرات العصي والأرجل والأيدي والنار، استمرت عملية التفتيش داخل الغرف لما يقارب الساعتين والأسيرات في ساحة القسم وقد تملك شعور الغضب لقلوبهن حتى أطار النعاس من العيون وأنسى الأجساد حاجتها للنوم، فالحدث جلل، والقادم أعظم؛ لأن الأسيرات يدركن أن هذا التفتيش من تدبير نائبة المديرية وهي رد انتقامي على ما حدث عصراً، ولكل فعل رد فعل مساوٍ له بالمقدار معاكس له بالاتجاه، ولكل عمل تقوم به الإدارة يمس حياة الأسيرات لا بد من عمل تقوم به الأسيرات يمس إجازات وعطل ضباط وسجاني القسم على حد سواء، فأرجاع وجبة طعام واحدة كفيل بإعلان حالة الاستنفار في صفوف الإدارة وإلغاء إجازات وعطل كل طاقم السجن وإجبارهم على الدوام الإجباري في السجن، وهذا أكثر ما يغيب الإدارة، لحسن حظ الأسيرات أن الجو كان قمة في الروعة فأواسط شهر تشرين الأول، هو نهاية فصل الصيف والبدايات الأولى لفصل الشتاء لا حراً ولا برودة.

قمة الاعتدال، ومنحة حُبّيت في محنة، نسّات عليلة حرمت منها الأسيرات لسنوات ها هي رغم أنف الإدارة تتعرض لها الأسيرات، رؤية القمر في كبد السماء منظر حرمت منه الأسيرات لسنوات، نجوم الليل



منظر لم تشاهده الأسيرات منذ زمن رغم التشوهات التي تقترفها الأسلاك الشائكة والشبك إلا أن القمر وجاراته من النجوم بدا جميلاً، بل أجمل من عيون الأسيرات المحرومات رؤية هذا المشهد الرباني الخلاب.

المشي ليلاً، القزدره ليلاً، الحديث ليلاً، اجتماع الأسيرات من ست غرف يعني نصف القسم في ساحة القسم ليلاً. تغيير مفاجئ في الروتين وخروج عن المألوف، كل ذلك بدد الخوف والقلق من رهبة المداهمة الفجائية، وأبطل مفعول الصدمة وثقل شعور الأسيرات من الأمل والحسرة إلى شعور السعادة والانبساط الجزئي برؤية الممنوعات المحرمات، قمر ونجوم وليل نقل شعور الأسيرات من الأسى والحزن على الوضع المزري إلى شعور بالفرح النسبي وزوال الغم.

الأسيرات الكبيرات بالسن والصغيرات على حد سواء تم معاملتهن بنفس الطريقة الحاجة، الأسيرة فتحية في السبعين من عمرها لم يشفع لها سنها المتقدم، الزهرة مرح في الثالثة عشرة من عمرها، هذه الزهرة الصغيرة، الأصل والواجب أن تنام بحضن والدتها، الاحتلال انتزعها من حضن أمها وها هو يعود اليوم لانتزاعها من فراشها ثانية، ليلقي بها في هذا الوقت المتأخر من الليل في الساحة وسط الخوف والقلق، وسط الإرهاب والرعب لوحداث القمع والقتل المدججة بالسلاح، كما تتبدل أحوال الطقس تبدلت أحوال الأسيرات، في ظل سماء فلسطينية حنونة وقمر معطاء لا يبخل بنوره على صاحب حاجة ونجوم متلائة تعكس صفاء مياه طبريا الفلسطينية، في كنف الليل الفلسطيني تحولت أحوال القلق والخوف وذهبت آثار الصدمة أدراج الرياح، وحلت الطمأنينة.



عدو غاشم ماذا تنتظر منه؟ من الطبيعي أن يداهمنا ليلاً ونهاراً. لماذا أنتن مستغربات؟ هذه هي حقيقة هذا العدو، عدو غاشم غدّار.

صدقت حجة فتحية (أم ياسين)، الحاجة أم ياسين حاجة سبعينية من العمر اتهمت بتهريب هاتف نقال لابنها في سجن النقب فحكم عليها بالسجن لمدة عام وغرامة مالية قدرها خمسون ألف شيكل، هي بالحقيقة عجوز طاعنة بالسن ولكن روحها روح شباب وكما يقول المثل الشعبي الفلسطيني: (الدهن بالعراقي)، الروح روح شباب والهمة همة شباب، قبل صلاة الفجر بساعة تصحو يومياً وتبدأ بالصلاة والقيام والتسبيح والذكر وتبقى مستيقظة حتى أذان الفجر، ومع فورة رياضية تكون في الساحة بمسبحتها الطويلة ولباسها الفلاحي الفلسطيني القديم، تراث فلسطيني أصيل، في ساحة سجن الشارون قهرت غولدا مائير، عندما قالت أنا لا أعرف شيئاً اسمه شعب فلسطيني هناك سكان غرباء كانوا في أرض «إسرائيل» طردناهم من أرضنا، كبارهم سيموتون وصغارهم سينسون. في هذه الساحة تجسد العناد الفلسطيني العصي على الانكسار، فلا الكبار ماتوا، ولا الصغار نسوا، الكبار استشهدوا واعتقلوا وقاموا وحملوا الراية جيلاً بعد جيل، والصغار لم ينسوا الواجب والعهد والميراث. الحاجة أم ياسين في السبعين من عمرها أصغر أبنائها في الخامسة والعشرين من عمره يقضي حكماً مؤبداً في سجن نفحة وأخوه الأكبر منه بستتين يقضي حكماً لمدة عشر سنوات في سجن النقب، الزهرات من حولها، مرح، شادية، نسرين، شروق، من عمر أحفادها، لم ينسوا فلسطين، ولن ينسوها أبداً.

- أخت منال في العادة كم يستمر التفتيش.



- الله أعلم ست حياة لا حد لتفتيشاتهم، ساعة، ساعتين، أكثر، أقل ولكن بالعادة التفتيش الذي تقوم به الإدارة لا يزيد أحياناً عن ساعة، أما التفتيش الذي تقوم به وحدات خاصة تأتي من خارج السجن مثل وحدات (الدور، النخشون، المتسادا) فذلك تفتيش والعياذ بالله منه قد يستمر لتسع ساعات، وكل شيء بالغرفة يتم إخراجه إلى الخارج ولا يبقى غرض مع أخيه ولا يبقى حجر على حجر، فكل شيء يتم تفتيشه وفتحه، أما تفتيش الإدارة مقارنة مع هذا التفتيش الي قدامك لعب ولاد صغار.

- هذا التفتيش دائم ولا كل أسبوع، كل شهر؟ يعني في له تاريخ معين؟

- التفتيش أختي أمل ليس دائماً ولا موعد ولا تاريخ محدد له، أحياناً تمر سنة بتفتيش واحد، وأحياناً بالشهر الواحد يأتي تفتيشين على الغرفة الواحدة، حسب مزاج الإدارة وهذه الأمور الواجب أن تعتادي عليها، سجن بدون تفتيش مثل المرعى بدون حشيش.

- الأسيرة سمر عاملة الكانتينا: بحياة أبوك تعيدي المثل يا منال.

- سجن بدون تفتيش مثل المرعى بدون حشيش.

- هذا مثل أصيل ولا دخيل ست منال.

- وأنتِ الصادقة مثل صناعة محلية، تمّ إنتاجه في ظروف خاصة وصاحبة الامتياز الحصري الأسيرة منال.



- ربنا يهدي بالكن، نفسكن مفتوحة على الحكي، تفتيش بالغرف  
وما سكتن ولا دقيقة.

- خلينا نتسلى يا حجة أم محمود فائدتنا البركة، تمر هالساعة على  
خير ونرجع لقواعدنا نشوف حالها على الأكيد سنجدها مقلوبة سافلها  
على عاليها.

- تعرفوا يا بنات هذه أحلى ليلة بتمر علينا، صحيح الله ينكد  
عليهم حياتهم وآخرتهم مثل ما نكدوا علينا هالليلة، خوفونا، وأرعبونا  
وقطعوا علينا نومتنا، على الأكيد أغراضنا عاملينها كوكتيل، بس والله  
العظيم هالبرادات والليل والمشي وهاالجو الحلو، بينسوا الدنيا وما فيها،  
أحسن من رأس كليب.

- والله صدقت يا شيخة فاطمة، ربنا يجعل تدميرهم بتدبيرهم كان  
همهم وهدفهم من التفتيش تنغيص حياتنا والانتقام منا بسبب ما حدث  
عصرًا أمس، والله أنا بقول مثل رأيك، هالقعدة مش ناقصها إلا غلاية  
قهوة وإبريق شاي.

في زاوية القسم اجتمعت ممثلة الأسيرات مع ممثلة أسيرات حركة  
حماس وفتح والجهة الشعبية، اجتمعن وتناقشن حول طبيعة الرد على  
هذا التفتيش.

ممثلة الأسيرات: هذا التفتيش، خطوة انتقامية من قبل نائبة المديرية،  
ولن تمر هذه الهجمة وهذه الخطوة الهمجية بدون رد فعل، وسيكون ردنا  
بفعل يوازي الحجم الحقيقي لهذه الخطوة الجبانة.



ممثلة أسيرات حركة فتح: نتفق معك أخت لينا، هذه النائبة السادية، لازم نحط رتبها بالأرض وندوس عليهن بنت ال..، ال..، ال...

ممثلة أسيرات حماس: هذه النائبة من أول يوم دخلت القسم وهي مسودة عيشتنا ونحن صبرنا عليها زيادة عن اللزوم، لازم نخليها تشتاق تروح لبيتها.

أسيرة الشعبية: صحيح أنا لست صاحبة قرار بالتنظيم عندنا، ولكن أقول إن الأمور زادت عن حدها والكيل طفح مع الإدارة وإجراءاتها ضدنا، صار لازم ندافع عن أنفسنا وعن حقوقنا ومكتسباتنا، اليوم التي تنزعم الهجوم علينا نائبة المدير، والحقيقة أنها تنفذ سياسية مدروسة ومرسومة وبالتالي الواجب علينا أن نرسم سياسية خاصة فينا تكون مرسومة ومخطط لها جيداً.

ممثلة الأسيرات: رباط الفرس يبظل عندما نرجع للغرف، إما التفتيش مقبول ولا يوجد تخريب أو تدمير، أنا أقترح إرجاع وجبة طعام ردًا على التفتيش في الوقت المتأخر، نحن نعيش في سجن ونتوقع كل شيء سيء، ومع ذلك التفتيش الليلي نهائيًا علينا مش مقبول، حسب مدى التخريب والتدمير خيلنا نجتمع صباحًا ونقرر، إن شاء الله اجتماعنا غدًا صباحًا مع أول فورة.

انسحبت فرقة التفتيش من القسم بعد أن أمضت ساعة ونصفًا في الغرف.

نائبة المديرية وقد وقفت على بوابة القسم الرئيسية وبرفقتها ضابطين وسجانة: مساء الخير ست لينا.





- عفواً كتسين شولا، الوقت ليس مساءً اليوم، نحن في يوم جديد انظري إلى ساعتك الساعة الواحدة إلا عشرًا لازم تقولي صباح الخير.

- صباح الخير ست لينا، أنا متأسفة لم أنتبه للوقت، نريد إرجاع الأسيرات إلى الغرف وأنا متأسفة لهذا التفتيش الأمر ليس بيدي و، و... قاطعتها ممثلة الأسيرات: كتسين شولا سترجع البنات إلى الغرف؛ لأنه لا يوجد أحد على وجه الكرة الأرضية في هذه الساعة سهران، وغدًا نتكلم وتقدمي تبريراتك مما حدث، الوقت بداية يوم جديد ساعتين ويطلع النهار، الأسيرات بحاجة لساعات حتى يرتبن أغراضهن، بكرة إن شاء الله بنحكي.

272

أشارت السجانة بيدها إلى السجنان المناوب في غرفة التحكم ليقوم بفتح الأبواب لإرجاع الأسيرات إلى غرفهن، عشر دقائق وأقل كانت جميع الأسيرات داخل غرفهن، أما النائبة وشلتها فقد انسحبت من القسم وهي مدركة أن الأسيرات لن يسكتن على هذا التفتيش الاستفزازي، وأن خطوة ما في الأفق وفكرة ما تدور بأذهانهن.

دخلت الأسيرات إلى الغرف وفوجئن بحجم الدمار والتخريب لكل ما هو موجود في الغرفة، الملابس، الحرامات، أعطية الفرشات، المخدات، الكتب، الدفاتر، أدوات المطبخ، أدوات التنظيف، كل شيء في الغرفة ملقى على الأرض كومة واحدة، الأغراض الخاصة مخلوطة مع بعضها البعض، وكأن الهدف من هذا التفتيش هو التخريب والتدمير وليس البحث عن شيء ممنوع، علا صوت الأسيرات احتجاجًا واستنكارًا



لهذا التفتيش، أسيرة تدعو الله عليهم، أسيرة تشتتم، أسيرة تهدد، أسيرة تتحسبن، وبعضهن ساكته كاظمة غيظها بانتظار العمل الجماعي للرد على هجمة الإدارة واستفزازاتها.

- يا ست لينا! يا ست لينا!

- نعم، مين اللي بتحكي؟

- أنا تهاني من غرفة (2).

- نعم ست تهاني بدك تشرحي عن الخراب والدمار اللي في غرفتك، كلنا بالهواء سوا، مثل ما هو موجود عندك موجود عندي، يعينك الله رتبي أغراضك على الساكت وارتاحي ونامي بكره الصبح بنحكي.

- بس يا ست لينا مش معقول الخراب، هذا مش تفتيش هذا ألعن وأسوأ من تفتيش الوحدة.

- يا صبايا الكل سامعني، رتبوا أغراضكم وناموا، الصباح رباح وبنحكي بكره إن شاء الله، تصبحوا على خير، محدش ينادي على الأبواب والشبايبك.

مرّت ليلة التفتيش عصبية على الأسيرات وبصعوبة بالغة أعادت الأسيرات ترتيب أغراضهنّ وتنظيف الغرفة من آثار عملية التفتيش المغولية، النعاس من جهة يثبّط العزيمة على إكمال عملية الترتيب والتنظيف، والشعور بالقهر والإحباط وقلة الحيلة وانعدام النصير يدفع



من جهة ثانية إلى إبقاء الأغراض على الأرض وكما هي، ولكن إلى متى؟ ولماذا؟ ومن سيأتي لترتيبها؟ وإبقائها على حالها لمصلحة من؟ هل نتنظر عطف المديرية؟ أم نتنظر وسائل الإعلام المحلية والعالمية لتقوم بتصوير وتوثيق جرائم الإدارة الصهيونية؟

لا لن يأتي أحد ليُعيد ترتيبها، ولن تأتي وسائل الإعلام لتصوير مأساتنا وعطف المديرية\_يا طامع بإيمان إبليس\_ نحن وحدنا القادرين على الملمة جراحنا، وجبر عظمتنا كلما كسرت، لن يأتي أحد لا من بعيد ولا من قريب، ولن تدمع عين حزنًا على وضعنا المزري.

رفضت الأسيرات الخروج إلى فورة الرياضة، في رسالة أولية للإدارة أن الأمور لن ولم تمر مرور الكرام على ما حدث وما على الإدارة سوى الانتظار لساعات قليلة، وتبدأ معها لعبة عض الأصابع.

حانت الساعة الثامنة وهو موعد خروج الأسيرات إلى الفورات العادية، ولم تخرج أي أسيرة سوى مسئولات التنظيمات الأربع وعاملة المردوان ومرافق المغسلة والكانتينا والمكتبة، اجتمعت الأسيرات في غرفة الكانتينا وقررن بداية توسيع الاجتماع بضم شخصيات اعتبارية من الأسيرات الكبيرات بالسَّن والأسيرات اللواتي أمضين سنوات في السجن وهنَّ وزهننَّ في الحركة الأسيرة حتى لو لم يعملن في إدارة التنظيم وليس هنَّ عمل تنظيمي رسمي.

ممثلة الأسيرات: أولاً الحمد لله على سلامتكُنَّ، هذه هي طبيعة هذا العدو ومن يتوقع غير ذلك يكون مخطئًا، ومن ينتظر غير هذا الأمر



عليه مراجعة ثقافته ورؤيته عن هذا العدو، ومن يظن أننا سنسكت عن هذا الأمر فهو مخطئ وجاهل، هذا ليس تفتيشًا، هذا تدمير، لا أريد أن أكثر كلامي، لا بدّ من خطوات تصعيدية حتى تعرف الإدارة أنّ هذا الأمر ليس بسيط ولا بسيط، وأنا لسنا لعبة بأيدي الإدارة، كلّما مسؤل زعل من خياله يأتي ويتنقم منا ويتفشّش بأغراض الأسيرات، هذا التفتيش كل الإدارة متورطة به، المديرية الملعون، نائبه المديرية، كل الكلاب، الاستخبارات، كل سجان وسجانه، أنا أقترح أن نعمل بطريقة منظمة، أولاً جملة شكاوى للمحكمة العليا على المديرية ونائبه المديرية، رسائل احتجاج للنواب العرب في الكنيست الصهيوني، إننا اليوم نقوم بترجييع وجبة مع رفع قائمة مطالبنا وعلى الإدارة أن تستجيب لمطالبنا خلال ثلاثة أيام، وإذا لم تستجب بعد اليوم الثالث نقوم بإرجاع ثلاث وجبات كل يومين والثالث، وإذا لم تستجب بعد هذه المدة نعلن العصيان المدني، نحل التنظيمات وممثلة الأسيرات تخبر الإدارة أنه لا يمثل لنا بعد اليوم، وندخل عاملات المردوان ونترك الإدارة هي التي تقوم بكل أعمالنا، إخراج الزبل، توزيع الطعام، توزيع الماء، تنفيذ الدق، تنظيف الساحة، خطواتنا تبقى مستمرة حتى تستجيب الإدارة لكل مطالبنا.

ممثلة أسيرات فتح: أنا أرى أن الإدارة هجمت علينا مباشرة وردنا يجب أن يكون مباشرًا، دق الحديد وهو حام، هذا تفتيش غير مبرر وما يرد الكف إلا كف ونص، أرى أن ندخل بمرحلة إرجاع الثلاث وجبات كل يومين والثالث، وهكذا نستمر لمدة أسبوعين وإن لم تستجب الإدارة ندخل مرحلة الإضراب الشامل.



ممثلة أسيرات حماس: إحنيا أخوات متفقات على الرد على هجمة الإدارة، أنا مع مقترح الأخت لينا بالتدرج في خطوات الرد حتى ندير معركة طويلة النفس مع الإدارة، وأحب أن أنوّه لقضية مهمّة جدًّا بالتزامن مع معركتنا مع الإدارة لا بد من تعبئة و تثقيف الأخوات بحقيقة الخطوات التصعيدية وشرحها، خصوصًا أن الكثير من الأخوات جديديات في السجن وخبرتهنّ الاعتقالية قليلة وينقصهنّ الثقافة بهذا الجانب، كما أن الغضب حاليًا يتحكم بالأخوات فلو أخبرنا الأسيرات أن غدًا عندنا إضراب مفتوح عن الطعام كل الأخوات سيدخلن في الإضراب، والحقيقة هذا الدخول ليس عن قناعة، بل عن حالة غضب على ما حدث ليلة أمس.

ممثلة أسيرات الجبهة الشعبية: في البداية أنا أثني على كل الآراء وعلى هذا النفس الوطني الوجودي المقاوم الراض لكل ظلم وكل غطرسة حتى لو كنا أسيرات داخل السجن عَزَلًا من كل سلاح، أنا أرى بالبداية أن نتفق على قائمة مطالبنا ومن ثمّ تحديد طبيعة خطواتنا، وكما تحدّثت الأخت ممثلة أسيرات حماس بالتزامن مع كل خطوة ضد الإدارة يسبقها عملية تعبئة للأسيرات حتى نكون يدًا واحدة وصفًا واحدًا وقويًا حتى نحافظ على وجودنا ونصون حقوقنا ونصنع حياة مستقرّة للأسيرات.

ممثلة الأسيرات: كل الآراء تدفع باتجاه الرد على هجمة الإدارة علينا، كما تكلمت الرفيقة سعاد علينا تحديد مطالبنا، الليلة الماضية بعد معركة التفتيش جهزت قائمة بمطالبنا، أتمنى منكنّ دراستها ومناقشتها والاتفاق على قائمة موحدة لمطالبنا حتى نكون قويات أمام الإدارة، وسأقرأ مبدئيًا على مسامعكم القائمة:



1. نقل وتغيير نائبة المديرية الكتسين شولا حايميم؛ لأنها سبب التصعيد.
2. نقل السجنان إيلان مزراحي من السجن؛ لأنه سبب مشكلة مساء الأمس.
3. اعتذار المديرية عن التفتيش المهين بحق الأسيرات ليلة أمس.
4. إعطاء ضمان من الإدارة بعدم التفتيش الليلي.
5. احترام الأسيرات وأغراضهنّ وممتلكاتهنّ خلال التفتيش، وإعادة كل غرض يتم تفتيشه إلى مكانه.
6. بقاء ممثلة الأسيرات وإحدى ساكنات الغرفة في التفتيش خلال عملية التفتيش.
7. الاستجابة لكل طلبات الأسيرات الخاصة المرفوعة للإدارة والموجودة في مكتب مديرة القسم.
8. الاستجابة لطلبات الأسيرات الخاصة بالقسم والموجودة أيضاً عند المديرية المرفوعة إليها منذ عدّة شهور.
9. الاستجابة لطلب تحسين ظروف زيارة الأهل، من حيث تحسين المعاملة، تخصيص زيارات خاصّة في كل زيارة، إدخال الأطفال لسن العاشرة وإدخال الكتب بكميات أكبر.
10. الاستجابة لطلب تحسين العيادة وظروف العلاج للأسيرات.



11 . نقل الأسيرات بسيارة خاصة من وإلى المحاكم وعدم استخدام البوسطة لنقل الأسيرات.

12 . توفير اتصال شهري لكل أسيرة مع أهلها.

دار نقاش بين ممثلات الأسيرات حول بنود الطلبات التي أعدها ممثلة الأسيرات وقامت كل أسيرة منهنّ بنسخ البنود وإرسالها للغرف لمناقشتها وإطلاع الأسيرات عليها، وبعد نصف ساعة كانت الموافقة شبه الكلية على خطة ممثلة الأسيرات.

ممثلة الأسيرات: الآن نرفع هذه الطلبات للإدارة ونحن من طرفنا تستمر حياتنا الطبيعية، نفتح المرافق ونُخرج الأسيرات إلى الفورة ونتظر رد الإدارة، وإذا الإدارة سعدت نحن مباشرة نغلق القسم، وإذا الأمور سارت باتجاه غير التصعيد تبقى حياتنا طبيعية بانتظار اليوم الأخير من الإنذار وهو اليوم الثالث، من طرفكنّ كممثلات للفصائل. كل مسئولة تبدأ عملية تعبئة الأسيرات للمعركة المقبلة وتثقيفهنّ.

توجهت ممثلة الأسيرات إلى غرفة التحكم المركزية ووقفت على الشباك البلاستيكي المطل على ساحة الأسيرات، ودقت بيدها على البلاستيك المقوى في إشارة للسجانة المداومة في المكتب كي تقوم بفتح الباب.

- صباح الخير سهيرت نتالي.

- صباح الخير ست لينا في مشكلة عندكم، لماذا لا يوجد أسيرات

في الساحة؟



- لا يوجد عندنا مشكلة سهيرت نتالي، المشكلة عند نائبة المديرية ليلة أمس أحضرت لنا تفتيشاً قاسياً لا داعي ولا مبرر له، هذه النائبة إنسانة أنانية ودوماً تبحث عن مشاكل، وإنما لا نجبها ولا نطيقها، وأتمنى نقلها لأقسام الأسيرات المدنيات، من فضلك سهيرت نتالي، افتحي فورة للأسيرات واتصلي بالمديرية وخبريها بأني لازم أشوفها.

رفعت السجناء سماعه الهاتف وأجرت اتصالاً مع مكتب الإدارة العامة للسجن، ناقلة طلب ممثلة الأسيرات بمقابلة المديرية.

- المديرية الكتسين لورا ليست موجودة.

- لا نريد مقابلة نائبة المديرية، نريد مقابلة المديرية فقط.

- أخبريها أن المديرية لن تحضر اليوم، هي في إجازة.

- ست لينا يقولون إن المديرية لن تحضر اليوم وهي في إجازة.

- ماشي لا يوجد مشكلة إن حضرت أخبريها أنني أريد مقابلتها، إذا سمحتِ افتحي فورة البنات.

فتحت السجناء مكبرات الصوت ونادت عاملة المردوان: تغريد!  
تغريد! فورة للبنات.

وبدأت تفتح الأبواب وخرجت الأسيرات إلى الساحة ولم تبق أي أسيرة في الغرف، فالأسيرات من الغرف الست الأولى يردن الخروج إلى الساحة للتفتيس عن الغضب المعتمل في الصدور من فداحة التخريب





والتدمير الذي تعرضن له ليلة أمس، والأسيرات من بقية الغرف يردن الخروج إلى الساحة للاطلاع على أخبار التفتيش؛ ولأن مادة حديث جديدة أصبحت موجودة في القسم، التفتيش، التدمير، التخريب، خطوات الرد، التصعيد، كلها عناوين لأحاديث الأسيرات، النقاش والتحليل والتضامن مع أخواتهن الأسيرات اللواتي تعرضن للهجوم ليلة أمس، فطبول الحرب تدق كل القسم.

اقتربت الساعة من التاسعة والنصف صباحاً، ولم تحضر المديرية ولم يحضر الدق الصباحي، وفي العادة يكون الدق في هذه الساعة على وشك البدء فما هو سبب تأخير الدق الصباحي لهذا الوقت؟! وبدأت لعبة شد الحبال والإدارة تراهن على عامل الوقت، والأسيرات مدركات لأحاييل الإدارة، لذلك فضلن أن تستمر الحياة في القسم على طبيعتها وكأن شيئاً لم يحدث، ممثلة الأسيرات دخلت إلى غرفتها قاطعة على الإدارة أمل أن تأتي تستجدي اجتماعاً مع المديرية الساعة العاشرة صباحاً، وعلى غير العادة وغير الوقت المعتاد حضرت قوة من السجانات ليقمن بعملية الدق، وقد تجمعن على باب الفورة المؤدي إلى الغرف وعبر مكبرات الصوت نادت السجانة:

بنوت على الغرف! دق! دق!

عاملة المردان الأسيرة تغريد أسرعت إلى باب غرفة رقم (6): ست  
لينا الدق حضر ماذا نفعل؟ ندق طبيعي أم نوقف الدق؟



- افتحي الباب إذا سمحتِ علشان أستشير الصبايا.

قوة السجانات ظلت متوقفة على باب الفورة الرئيسية والأسيرات تجمعن على الجدار الحديدي الفاصل ما بين الساحة والغرف، الأسيرات من جهة الساحة ومسئولات الفصائل من جهة الغرف، يتشاورن، بل يتجادلن على طريقة الجدل البيزنطي حول طبيعة الخطوة المقبلة.

خرجت ممثلة الأسيرات من غرفتها مباشرة ودخلت إلى الاجتماع الطارئ مع الأسيرات، وقد علت الأصوات واختلط الحابل بالنابل وانهالت الآراء والنصائح من كل حذب وصوب، مقترحات عديدة، ضجّة، جلبة، الكل تُدلي بدلوها.

مسؤولة حركة فتح: يا أخوات، اهدأن إذا سمحتن، خلينا نسمع رأي الأخت ممثلة الأسيرات.

- إذا دخل الدق، من الطبيعي بعده سيأتي العدد وتوقيف العدد أمر صعب وفيه مخاطر وضرر كبير على البنات، وإذا دقينا وعدينا راح النهار ولم يعد بأيدينا أي أمر نضغط فيه على الإدارة، لذلك أنا أقترح ندخل كل الأخوات إلى الغرف حتى عاملات المرافق والمردوان، ونوقف الدق حتى نضغط على الإدارة حتى تأتي وتسمع لنا وتسمع لشكاويننا.

استمعت الأسيرات لأقوال ممثلتهن المقنعة وأبدين الاقتناع والموافقة على كلامها وكل ما قالت، توجهت ممثلة الأسيرات إلى مجموعة السجانات



الواقفات على باب القسم، وأعطت الإشارة بدخول جميع الأسيرات وألا تبقى أي أسيرة في الساحة، وبذلك تم إغلاق القسم.

- صباح الخير سهيرت عوفرا.

- صباح الخير ست لينا.

- هل حضرت مديرة القسم؟

- لا أعلم.

- نائبة المدير هل هي في مكتبها؟

- أيضًا لا أعلم.

- أخبري من هو موجود في الإدارة أني لم أعد أمثل الأسيرات من هذه اللحظة والقسم مغلق، ولن نقوم بعملية الدق حتى تأتي المديرة للاطلاع على مشكلتنا.

عادت ممثلة الأسيرات إلى غرفتها وكانت آخر أسيرة تدخل إلى الغرف، انسحبت فرقة الدق من القسم، ودوى صوت صافرات الإنذار بساء السجن (الأزعقاه)، معلنة حالة الاستنفار القصوى في السجن، وهذا يستدعي استنفار كل الشرطة والسجانين وفرق الوحدات الخاصة لقمع الأسرى ورجال الإدارة، ولكن الغريب أن أياً من ذلك لم يحدث في هذه المرة، فقط حضرت مديرة السجن ونائبها ومسئول الاستخبارات وفرقة صغيرة من السجانين والسجانات لا تتجاوز ستة أفراد على باب الغرفة



رقم (6) حيث مقر ممثلة الأسيرات.

- صباح الخير يا ست لينا.

- صباح الخير كتسين لورا.

- ما المشكلة ست لينا؟ لماذا أوقفتم الدق؟

- كتسين لورا أعتقد أنه من الصباح قد أخبرتكم عبر السجنانة أنه يوجد عندنا مشاكل كثيرة بسبب نائبة المديرية والتفتيش الذي قامت به في غرفنا بالأمس، ومن الصباح لحد الآن لم نرَ أحدًا منكم ليسمع مشاكلنا، الآن عندما توقف الدق تسألون لماذا أوقفنا الدق؟ الآن أنا لست ممثلة الأسيرات، أنا لا أمثل إلا نفسي، ولا يوجد أحد يمثل الأسيرات، إذا كنت تريد الدق لوحدك لا مانع لدينا، أحضري قوة ودقي لوحدك لن نكون معكم لا ممثلة أسيرات ولا عاملة المردوان، لن نتعاون معكم، أحضري سجانين، أحضري عمالًا مدنيين يوزعون الطعام والماء ويخرجون أكياس النفايات وينظفون القسم، مع السلامة، انتهى اللقاء.

- هذا ليس احترامًا ست لينا أنا اعتبره إهانة لي شخصيًا.

- ماذا تعتبرين كتسين لورا مداهمة غرفنا منتصف الليل وإخراج الأسيرات إلى الساحة لساعتين وتخريب أغراض الأسيرات؟ ماذا تعتبرينه؟ عمل طبيعي، معروف، قضية بسيطة!

- لم يكن عندي علم بالتفتيش ست لينا، أنا لم أكن موجودة ولو



كنت موجودة لما صار الذي صار.

- معقول هذا الكلام كتسين لورا، معقول مديرة القسم لا تعلم بالتفتيش في سجنها ولم يستشرها أحد، ولم يخبرها أحد، لماذا هي مديرة؟ ما هذه المديرية التي لا تدري ما يحدث في سجنها؟ فلتستقل أشرف لها، وترك السجن في العلن.

- ما تقومون به من خطوات ست لنا سأعتبره تصعيدًا خطيرًا وأنتن تبحثن عن مشاكل، والمشاكل ليست لصالحكن.

- نحن لا نبحث عن مشاكل كتسين لورا، أنتم من تبحثون عن المشاكل، ومحاولة استفزاز الأسيرات، ماذا وجدتم خلال التفتيش؟ هل وجدتم شيئًا ممنوعًا؟ إذا تفتيشكم الهدف منه الانتقام والتخريب والتدمير وتنغيص حياة الأسيرات واستفزاز مشاعرهن، ومع ذلك تريدون منا أن نسكت لأنكم داهتمونا وفتشتم غرفنا، وخربتم أغراضنا.

- ست لنا أنت تعرفين أن قضية التفتيش أعلى من مسؤولياتي.

- التفتيش ليس من مسؤوليتك كتسين لورا عندما تقوم بالتفتيش وحدات من خارج السجن، أما حين يقوم بالتفتيش وحدات شرطة السجن، السجنانون والسجانوات هذا من مسؤوليتك؟ ونحن كأسيرات نحملك مسؤولية ما حدث بالأمس، أنت مديرة السجن أنت مسئولة عن كل ما يحدث.

- لكن ما تقومون به يمكن أن أعتبره تمردًا وعندها ستخرج الأمور



من سيطرتي وتصبح بيد الشباب، وعندها ستخسر كثيراً ولن أستطيع مساعدتكم.

- كتسين لورا قلت لك سابقاً لسنا باحثات عن مشاكل، أنتم تفرضون علينا الإشكاليات، إذا فعلاً كنت تريدين تقديم مساعدة لنا نحن لا مشكلة لدينا بتنفيذ الدق خلال دقائق من الآن على شرط الاستجابة لطلباتنا.

- وما هي طلباتكم؟

- طلباتنا موجودة في هذه الرسالة، نريد الرد عليها خلال يومين كحد أقصى.

تناولت المديرية ظرف الرسالة وناولته لضابط الاستخبارات.

- سأدرس طلباتكم وأرد عليها بمدة أقل، المهم حالياً تنفيذ الدق وتعود الحياة لطبيعتها داخل القسم.

خرجت ممثلة الأسيرات من الغرفة فور الانتهاء من حديثها مع المديرية، وتوجهت إلى غرف رقم (3، 7، 12) حيث مسؤلات الفصائل وجمعتهن في غرفة الكانتينا وشرحت لهن ما جرى بينها وبين المديرية، وطلبت من كل مسؤولة تنظيم العودة إلى غرف تنظيمها وشرح ما حدث من تطورات للقاعدة التنظيمية.

عادت المديرية إلى مكتبها وألقت ظرف الرسائل على الرف ولم تلق



له بالألأ، أما الحياة داخل القسم فقد عادت إلى طبيعتها وانقضى الدق. جاء العدد (عدد الظهيرة) وسارت الأمور على ما يرام، كل شيء يسير بسلاسة، مرافق القسم فتحت، الأسيرات خرجن إلى الفورات كالمعتاد، وعادت الحياة إلى مجاريها مؤقتاً بانتظار رد الإدارة على طلبات الأسيرات، الحيوية عادت إلى القسم وسحابة الكآبة انقضت، ومضى اليوم على خير وسلامة على عكس الوجه الذي بدأ به التوتر والتصعيد وشد الأعصاب، والهدوء يسبق العاصفة، والقادم أعظم.



## 11

يوم جديد يينزغ فجره على الأسيرات الفلسطينيات داخل سجن الشارون لا يختلف كثيراً عن الأيام السابقة، ولن يختلف عن الأيام القادمة إلا بالعدد الذي ستقضيه الأسيرة الفلسطينية داخل هذا السجن وبتاريخ ذلك اليوم وبعض الأحداث الهامشية التي لا تذكر وتضيع في بحر الروتين القتال.

الروتين السمة الأبرز ليوم الأسيرة الفلسطينية داخل السجن، فما أشبه أمس باليوم، وما أشبه اليوم بالغد، عدد صباحي، دق صباحي، فورات صباحية، قيلولته، عدد مسائي، فطور، عشاء، جلسات، نوم، أسيرة جديدة، أسيرة مفرج عنها، ولا خروج عن هذه الدائرة، جديد





اليوم، زيارات الأهل، أسيرات مدن وسط وجنوب الضفة الغربية بما فيها القدس ستكون عندهنّ زيارة أهل، منذ الصباح الباكر تبدأ التجهيزات عند كل أسيرة تجهز نفسها للزيارة لتبدو بأجمل صورة، وأحلى طلة أمام أهلها وذويها، كي الملابس يتم منذ الصباح، البحث عن أجمل الملابس أو المتيسر منها داخل القسم واستعارتها يكون قبل أسبوع من الزيارة، تُبرم الصفقات، تُعقد المعاهدات، والمندبل الجميل من الأسيرة فلانة ليس عندها اليوم زيارة يتم الحجز عليه قبل أسبوع وأحيانًا أكثر، الجلباب، البنطال، البلوزة، كل شيء جميل ومميز يتم تبادل ما بين الأسيرات عند الزيارة، أما الحديث في الزيارة فيتم ترقيبه داخل ذهن كل أسيرة كل ليلة قبل أسبوع من الزيارة، المواضيع الأهم، ثم المهمة، ثم الأقل أهمية، الأسئلة، الاستفسارات تطال كل شيء، كل كبيرة وكل صغيرة، أولاً عن البيت والعائلة بدءاً من الكبار وانتهاءً بالصغار، ثم محيط الأقارب، ثم محيط الجيران والحي، العمل، التعليم، المدارس، الجامعة، الزواج، الإنجاب، وعند دخول الزيارة حين التنفيذ تخلط الأوراق مع بعضها البعض تتقدم أسئلة، وتتأخر مواضيع في زحمة الأشواق وسيلان الدموع وتبادل التحيات والسلامات، تختفي أسئلة، تظهر أسئلة جديدة، تُنسى استفسارات وتطغى استفسارات على أخرى، بود كل أسيرة أن تسأل أهلها عن حدث حصل في غيابها، والاستفسار عن كل شاردة وواردة في البيت، في الحارة، زيارة الأهل للأسيرة هي شريان الحياة الرئيسي الرابط ما بين الأسيرة داخل مدافن الأحياء وعالمها الخارجي، بأهلها، ذويها، صديقاتها، اهتماماتها في الخارج، لذلك تنظر الأسيرة للزيارة بكل



شوق ولهفة، تعصف بالقلوب أمواج من الأشواق للأب، للأم، للزوج، للخطيب، للأخ، للأخت، للابن، تسيل الدموع على وجنات الوجوه، دموع الفرح لرؤية الغوالي، أم هي دموع للحزن على الفراق والبعد عن الأهل والأحبة، أم للثنين معاً، تمر ساعات الانتظار داخل القسم قبل تبليغ الإدارة الأسيرات بالزيارة بشكل رسمي بطيئة، كسولة، ثقيلة وكأنها دوران نصف الرحى وكأن هذه الساعات متحالفة مع الإدارة في قهر فرحة الأسيرات، تنغص انبساطهن برؤية الأهل والأحباب، مستكثرة هذه اللحظات السعيدة التي تحتاجها الأسيرة بالقرب من أهلها خلف جدار زجاجي مقوى وشبك حديدي، هذه الدقائق المعدودة التي تتنفس فيها الأسيرة حرية وانعتاق القرب من غواليها، ويضيع الجزء الأكبر من هذه الدقائق الثمينة في خنقات العبارات ومسح الدموع.

عاملة المردوان الأسيرة الفلسطينية تغريد تتلقى ورقة من السجانة على باب القسم بها قائمة بأسماء الأسيرات الزائرات، تتجمع بسرعة البرق الأسيرات حول تغريد لحظة مشاهدة السجانة وهي تحمل الورقة.

- ست تغريد شوفي أجا اسمي؟

- لحظة يا صبايا خليني أقرأ الورقة، كل أخت لها اسم سأقرؤه لا تستعجلوا.

أمعنت النظر بالورقة وقرأتها بسرعة؛ لأنها تجيد العبرية بطلاقة، كل أسيرة تعرف مسبقاً أن لها زيارة أولاً، فالأهل عادة يبلغون الأسيرات بمواعيد الزيارات عبر الإذاعات المحلية بواسطة الراديو مثل إذاعة أجيال، الراية،



صوت الأسرى، ولكن تبقى ورقة الإدارة إثباتاً حقيقياً أن الزيارة قد تمت فعلاً وأنها دخلت حيز التنفيذ والوعد أصبح واقعاً والحلم أصبح حقيقة. أخبرت عاملة المردوان الأسيرات التي لهنّ زيارة، ثم توجهت تجاه الغرف: ألف مبارك حبيباتي زيارتك، الله يبارك فيك يا تغريد وعقبال عندك.

على باب كل غرفة فيها أسماء زيارات تقف تغريد:

- السلام عليكم، ربنا يصبحكنّ بالخير.

- أمل، تهاني، نسرین زيارة أهل ألف مبارك.

- ربنا يبارك فيك يا ست تغريد وإن شاء الله عقبالك.

- أخت تغريد متى سيتم إخراجنا للزيارة؟

- على الأکید بعد العدد لكن أي ساعة والله ما بعرف، كوني جاهزة بأي لحظة ممكن يخرجوكنّ للزيارة.

الساعة الحادية عشرة والنصف وقد حضر عدد الظهرية وكالعادة مظاهره مصحوبة بالصراخ والضجيج، أصوات مزعجة، ضحكات هستيرية مائعة من سجانين وسجانات، أصوات مؤذية للمشاعر وكأن العدو يمارس استعراضاً وهمياً لقوة وهمية أمام أسيرات عزل من أي سلاح سوى سلاح الصبر والإرادة القادر على قهر أي قوة مادية مهما بلغت من البطش والجبروت، وكما يأتي العدد الصباحي يأتي العدد وقت الظهرية



وكذلك العدد المسائي بمظاهر إزعاج فإنه كذلك ينتهي بمظاهر إزعاج، وإذا لم يقم العدد بهذا الدور فإن السجنان أو السجنانة الجالسين داخل غرفة التحكم يقوم بإكمال الدور.

- سيوم سفيراً! سيوم سفيراً! انتهاء العدد! انتهاء العدد!

اقتربت الساعة من الثانية عشرة ظهرًا والبنات المنتظرات على أحر من الجمر للحظات الذهاب إلى الزيارة، دوّت مكبّرات الصوت داخل القسم: زوّار الأهل! زوّار الأهل عليهم تجهيز أنفسهم للزيارة.

عاملة المردوان الأسيرات تغريد تُخرج عصا القشّاطة من شبك الباب في إشارة للسجانة داخل مكتب اليومان لتقوم بفتح باب لها في روتين متداول بين الأسيرات والسجانين: يا صبايا زوّار الأهل، جهّزوا أنفسكم. وبدأت بفتح الأبواب كغزالة بريّة رشيقة، كمهرة عربية أصيلة، فرحة، فرحة.

خرجت الأسيرة الصغيرة نور من غرفتها: مرحبًا، عندي زيارة، اليوم أشوف أهلي والله العظيم، أمي أجت لزيارتي.

- ألف مبارك يا نور، جميلة، إن شاء الله المرة القادمة أنت بتزوري أهلك في بيتكم، يا غالية، مين اللي مجدّل شعراتك الحلوات؟ وتمد يدها على جديلتها.

- عنجد شعراتي حلوات، خالتو أم عيسى هي التي مشّطت وجدّلت شعري.



أسيرة أخرى: نور مبروك زيارتك افتحي ايديك خليني أحط لك  
عطر وتمد يدها، امسحي فيهم وجهك الحلو.

- سلمى على أهلك يا نور يا غالية.

- الله يسلمك.

وهكذا من غرفة إلى غرفة، فرحتها لا توصف، لا تسعها الأرض  
بها رُحبت.

تجمعت الأسيرات الزائرات أمام غرفهنّ وقد ارتدينَ أجمل ما  
بحوزتهنّ من الملابس، وفوق هذه الملابس فقد لبسنَ القمصان البنية  
وهي الملابس الخاصة بالأسرى المفروضة عليهنّ من قبل مؤسسة  
الشباباص، والمفروض على الأسرى ارتداؤها عند أي خروج من القسم  
للزيارة، للعيادة، للبوسة، للمحاكم، للمستشفيات، للنقل من سجن  
لآخر ولأي سبب، مفروض على الأسير الفلسطيني ذكرًا كان أم أنثى  
أن يرتدي هذه الملابس، لذلك تحرص كل أسيرة على خلو ملابسها من  
أي معدن، كالسحاب المعدني، الأزرار، دبائيس الشعر، حتى لا يجبرن  
على الخضوع للتفتيش العاري والمذل في حال رنت ماكنة الفحص الآلي  
على جسدها لحظة التفتيش، فمن باب سد الذرائع تحرص كل أسيرة  
على كرامتها وذلك بتفويت الفرصة على السجنائين والسجانين الذين  
يتربصون الدوائر بالأسيرة حتى يسقطوا عليها الأذى والعقوبة بحجة  
وهمية بمخالفة القوانين.



عاملة المردوان الأسيرة تغريد وقد أكلمت إخراج كل الأسيرات  
الزائرات وتأكدت بعدم تخلف أي أسيرة داخل الغرف: يا صبابا! يا  
زوار الأهل!

فتحت باب الفورة الرئيسي بانتظار قدوم قوة من السجانوات  
لاصطحاب الأسيرات إلى قاعة الانتظار المفضية إلى قاعة زيارة الأهل،  
من ساحة الفورة إلى قاعة الانتظار إلى قاعة الزيارة إجراءات بيروقراطية  
عالية التعقيد وكثيرة الغلبة ولا داعي لها ولا مبرر، تقيّد الأيدي في  
الساحة تفتيش بدوي باليد، ثم تفتيش آلي بماكينة الماغنوميتر، ومن ثم  
المرور عبر الباب الآلي المزود بجهاز كاشف المعادن. تجمعت الأسيرات  
في ساحة القسم (الفورة) وقد أشرقت وجوههنّ فرحًا ومرحًا وابتهاجًا  
بزيارة الأهل، وعلت الضحكات الخجولة والمؤدبة والابتسامات المهذبة،  
فغمرتهنّ السعادة للموعد المرتقب برؤية الغوالي والأهل والأحبة، تبادلن  
التهاني والتبريكات بالزيارة قبل حدوثها، في موقف إنساني راقٍ جدًا يفرح  
لأي مبادرة فرح وإن كانت منقوصة، ومشوشة، وإن كانت من خلف  
القضبان الحديدية والأسلاك الشائكة، وألواح الزجاج المقوى. لا فرحة  
تعلو فوق فرحة زيارة الأهل، إلا فرحة الإفراج والانعناق من ظلمات  
السجون واللقاء بالأهل تحت ظلال الحرية، لحظات مقدسة هي زيارة  
الأهل، داخل السجن للقاء مع صنفين من البشر أسيرة مظلومة وتعاني  
ويلات الأسر، وسجان ظالم يتفنّن في صناعة الألم. زيارة الأهل خروج عن  
المألوف وكسب للموصوف، زيارة الأهل لقاء الحياة في مواجهة الموت،  
أسيرة تنتظر رؤية أمها، أسيرة أخرى تنتظر رؤية والدها، أسيرة أخرى



تنتظر رؤية زوجها، خطيبها، أخواتها، إخوانها، أطفالها، كل حبيب ينتظر رؤية محبوبة، لا فرحة أعلى من هذه الفرحة، ولا لقاء أجمل من هذا اللقاء داخل سرايب الأسر والاعتقال.

الساعة الثانية عشرة والنصف، أربع سجانات من طاقم السجن وقد ارتدين عدة القمع، خوذة، جعب، دروع، هراوات، حضرن إلى القسم.

- شلوم! بنوت! يلا للزيارة.

سجانة تضع القيود بيد كل أسيرتين معاً، سجانة أخرى تقوم بتفتيش المقيدات باليد سريعاً، سجانة أخرى تقوم بتفتيشهنّ بالماكنة والماغوميتر، أكمل الفحص سريعاً، وسارت سجانة أمام البنات والثلاث الأخريات سرنّ خلف الأسيرات من ساحة القسم إلى قاعة الانتظار، سارت الأمور بكل سلاسة والفرحة تغمر كلّ أسيرة، فهذه اللحظات ليست محسوبة من عمر الحبسة، هي مقتطعة من مدّة الحكم، فالسجن مقبرة الأحياء، وزيارة الأهل هي اتصال بالحياة، بل عودة للحياة وخروج من المقابر ولو مؤقتاً لمدة خمس وأربعين دقيقة كل أسبوعين وهي مدة الزيارة المسموح بها في سجون الاحتلال الصهيوني، أحاديث متشعبة، مواضيع متنوعة، أسئلة كثيفة، استفسارات دقيقة تدور بخلد كل أسيرة، بود كل أسيرة أن تسأل أهلها عن كل صغيرة وكبيرة، أن تسأل بكل الأحداث والأخبار في حارتها وبلدتها ونخيمها، بود كل أسيرة ألا تنهي الزيارة إلا وقد أكملت كل ما يدور في رأسها من أسئلة، ولكنّ الصغيرة نور لم يكن يشغل بالها أي من



هذه المواضيع، همها أن ترى والدتها.

في الجهة المقابلة وصل الباص الذي يقلُّ الأهل إلى باب السجن الرئيسي، دورية شرطة أمامه، دورية أخرى خلفه، سجان من طاقم السجن بيده قائمة بأسماء الزوّار يصعد إلى الباص.

- تسوهر ايم توقيت، ظهيرة جميلة، موجهاً خطابه لسائق الباص.

- أهلاً وسهلاً سهير.

ويتناول قائمة من سائق الباص ويقارنها بالقائمة التي بحوزته.

نزل السجنان من الباص بعد أن ألقى نظرة فاحصة على ركاب الباص من الأهالي، وبعد غياب لمدة رُبْع ساعة داخل مكتب شرطة صغيرة على يمين الباب الرئيسي للسجن عاد وبرفقته أربع سجانات وطلب من السائق أن ينزل الأهالي ويأخذ منهم بطاقة الهوية ويقارنها بالقائمة الموجودة، ويشطب بقلم الحبر على القائمة الموجودة بحوزته.

أكمل السجنان عملية القراءة لبطاقات الهويات وشطب الأسماء، ثم أمر الأهالي بأن يتوجهوا إلى شباك صغير يطلُّ على مكتب شرطة صغير يجلس فيه سجان وسجانة ليدخلوا ما أحضروه من الأموال (الكانتينا) والملابس والأغراض الأخرى لفحصها وإدخال المسموح منها وما أقله، وإرجاع الممنوع وما أكثره.

بعد إكمال عملية إدخال الملابس والأغراض أو بالأحرى ما سمح





به للدخول يأتي الدور على الأهالي للتفتيش حيث يتعرضون لعملية تفتيش أقل ما توصف بأنها عملية تفتيش مذلة ومهينة بحق الإنسان، ولكن الأسر الفلسطينية تفضل أن تعض على الجرح كرمال أن تزور أبناءها وبناتها.

يتم تفتيش الأهالي من قبل سجانين باليد أولاً حيث تتولى سجانوات تفتيش النساء ويتولى سجانون عملية تفتيش الرجال، وبعد التفتيش اليدوي يتم تفتيش الأهالي آلياً بواسطة ماكينة الماغنوميتر، وفي حال رنت الماكينة على جسد المفتش وهذا يعني وجود شيء معدني في ملابسه، في هذه الحالة تُصر الإدارة على إجراء التفتيش العاري بحقه رجلاً كان أم امرأة حيث يتم نزع الملابس قطعة قطعة حتى الملابس الداخلية، وفي حال رفض المفتش للتفتيش العاري يجبر على العودة إلى الباص وحرمانه من زيارة أسيره داخل السجن، بمعنى آخر يوضع المفتش أمام خيارين أحلاهما مُر بل أمر من العلقم، إما التفتيش العاري وإما العودة من الزيارة بدون رؤية الأسير أو الأسيرة.

جرت عملية التفتيش اليدوي بكل سهولة ويُسر، وكذلك عملية التفتيش الآلي وعند آخر عائلة وهي عائلة الأسيرة الصغيرة نور من مدينة رام الله رنت ماكينة الماغنوميتر على جسدها، أعادت الشرطة الفحص، أكثر من مرة ترن الماكينة.

- يوجد معك شيء ممنوع، في ملابسك يوجد شيء ممنوع.

قالتها الشرطة للحاجة الخمسينية أم نور، لا الشرطة بعبريتها الثقيلة، قادرة على إفهام الحاجة ولا الحاجة قادرة على فهم ما تقوله الشرطة،



فالعمر قد أكل وشرب من صحتها فأطاح بالسمع وامتد إلى البصر ليسرق الكثير منه.

بواسطة جهاز الاتصال الخاص بالسجانة أجرت اتصالاً مع غرفة التحكم المركزية للسجن كله، لحظات معدودة، وإذا بمديرة السجن، نائبة مديرة السجن، ضابط الأمن، مسئول الاستخبارات، الشرطة والسجانون والسجانات يهرعون باتجاه غرفة تفتيش الأهالي المفضية إلى غرفة استقبال الأهالي.

مديرة القسم مخاطبة السجانة: ما المشكلة؟ ما الذي يجري؟

297

- هذه السيدة تحمل مواد خطيرة وممنوعة، ماكينة الفحص رنت على جسدها أكثر من مرة.

- أجري لها تفتيشاً عارياً، ماذا تنتظرين؟

- السيدة ترفض التفتيش العاري، ونحن لم نستطع التفاهم معها، هي فقط تقول ليس معي شيء، أريد أن أزور ابنتي.

- توجهت المديرية للحاجة أم نور بلغة عربية ثقيلة: هل يوجد معك شيء ممنوع؟

- ما هو الشيء الممنوع؟ أنا لا أحمل معي شيئاً، أنا لا أحمل غير ملابسني التي على جسدي.

وأشارت بيدها إلى ملابسها.



- لكن الماكنة هذه، وتناولت المديرة الماكنة من يد السجناء، هذه الماكنة تقول إن معك شيئاً ممنوعاً، هل معك سكين، هل معك تلفون، هل معك أي غرض تريدين تهريبه لابتك داخل السجن؟ لن نسمح لك بالزيارة إلا إذا أخرجت ما تحببينه في ملابسك، أفضل لك إخراج ما تحببينه وإلا سنقوم بنزع الملابس عنك وأنتِ امرأة كبيرة بالسن والتفتيش العاري ليس مناسباً لك.

- بما أني كبيرة بالسن ولا يليق بي التفتيش العاري، كذلك الكذب لا يليق بي وعليك تصديقي أني لا أحمل معي أي شيء ممنوع، أنا لا أكذب.

- وهذه الماكنة لا تكذب ولوحت بها بيدها أمام عيون الحاجة أم نور، وعادت للتهديد والوعيد، عليك إخراج ما هو مخبأ معك وسنرسلك للسجن عند ابتك، لن تزوري ابتك إلا إذا تأكدنا أنك لا تحملي شيئاً، ولكن السجناء والماكنة تقول إن معك شيئاً ممنوعاً، وسأجعل السجناء يفتشونك تفتيشاً عارياً.

- ليس معي شيء، أنا جئت لأزور ابنتي فقط، ليس معي شيء لأهربه لابنتي حسب ما تقولين وتدعين.

هنا يتدخل مسئول الاستخبارات بنبرة هادئة مصطنعة بعد أن رأى عصبية المديرة وخروجها عن طورها المألوف بالهدوء واللطف: حاجة أم نور، نحن نريد لك أن تزوري ابتك وما في عندنا مشكلة، ولكن كما ترين كل عائلة يجب تفتيشها قبل الدخول إلى الزيارة، وكل العائلات دخلت إلى الزيارة إلا أنتِ، حرام عليك تأخيرهم، حرام عليك تحريمهم شوفت



بناتهم، يوجد معك شيء ممنوع، العائلات الأخرى ليس معها شيء ممنوع لذلك كلها دخلت إلى القاعة ولم نعمل لهم مشكلة، أما أنتِ فمعك شيء ممنوع، مهما يكن فقط أعطينا إياه وستدخلين إلى القاعة وتنتهي القضية.

- قلت لكم ليس معي شيء وقد رفضت جيوب ثوبها وضربت على جسدها لتثبت لهم أنه ليس معها شيء ممنوع.

ضابط الاستخبارات: إذا اعذريني حجة، نحن مجبرون على التفتيش العاري وإلا لن تزوري ابنتك.

- لماذا تريد أن تحرميني من زيارة ابنتي؟ هذه أول مرة أزور فيها ابنتي وأنت ما بتفهم ليس معي شيء، أنا بحكي عربي فصيح فمش معي شيء.

مديرة القسم: آخر كلام عندي لن تزوري إلا بعد أن نتأكد أنه ليس معك شيء ممنوع سنفتشك تفتيشاً عارياً.

- لا مشكلة عندي بالتفتيش أمري لله، الله أكبر منكم، ولكن شرط أنه من يفتشني السجنات.

- نحن من يُحدد من يفتشك سجانات، سجانون، وقد غضبت مديرة السجن واحتدّ صوتها وعلت بنبرتها.

- لا لن تفتشني إلا سجانات، بلطي البحر، وإلا بلا هذه الزيارة، لا أريد أن أزور، أرجعوني إلى الباص.

الأهالي باستثناء والده الأسيرة نور في قاعة الزيارة وقد أخذت كل



عائلة مكانها وهيأت نفسها لاستقبال ابنتها ولكن الانتظار طال، وكلما سألوا سجاناً أو سجانة يأتي الرد بأنهم لا يعرفون شيئاً، فيعود الأهل لتصبير أنفسهم.

خمسة وعشرون دقيقة مرّت على وجود الأسيرات في غرفة الانتظار وهذه مدّة طويلة جداً وفي العادة لا تمكث الأسيرات هذه المدة في القاعة، وهذا ما أثار حفيظة الأسيرات فبدأن يتساءلن عن سبب التأخير في إدخالهن إلى قاعة زيارة الأهل، اختلط الحابل بالنابل في تفسير سبب التأخير فكل أسيرة تعطي سبباً للتأخير.

الأسيرة: احتمال الأهل تأخروا في الوصول إلى السجن!

تردّ عليها أسيرة أخرى: لو كان الأهل متأخرين في الوصول مثل ما بتقولي لما أخرجونا من القسم في هذا الوقت؛ لأنه عادة مع وصول الباص إلى باب السجن تقوم الإدارة بإخراج الأسيرات من القسم.

أسيرة أخرى: احتمال الإدارة حالياً في استراحة الغداء!

تردّ عليها أسيرة أخرى: يا فهانة لو الإدارة حالياً مثل ما بتقولي في استراحة الغداء ما بنشوف حد من الضباط ولا حتى السجانين حوالينا ولا كان أخرجونا من القسم أصلاً.

تضيف أسيرة أخرى: لو في استراحة غداء راح نظل ساعة كاملة، نحن هنا محجوزات ساعة والأهل مثلنا راح ينحجزوا ساعة، عدو لئيم يتفنن في تنغيص فرحتنا وفرحة أهلنا، هيّوا أنفسهم يا صبابا لكل خيار



سيء، هذه إدارة فاشية، والله الفاشيين والنازيين أرحم منهم.

زاد التملل وسط الأسيرات فهنَّ في عجلة من أمرهن وقد مرَّ وقت زيادة كبيرة عن المعتاد داخل القاعة ولا يوجد أحد من الإدارة يأتي ويخبرهن عن سبب التأخير، لا يوجد عند باب القاعة سوى سجانة بدينة، لم يبق أحد من جيلها على وجه الحياة ولا تعرف سوى فتح الأبواب ووضع الأقفال عليها.

مجموعة من ضباط الإدارة يرافقهنَّ بعض السجنان والسجانات بعيداً عن قاعة الانتظار حيث تتواجد الأسيرات وقد بدت على ملامهنَّ علامات التوتر، فأحداث أجهزة الاتصال الخاصة بهم لم تتوقف عن الإرسال والاستقبال، حتى أن نبرة أصوات المتصلين توحى بأن أمراً ما يعصف بهدوء المكان.

- أعيذوا السيدة إلى الباص، وأدخلوا الأسيرات للزيارة لا وقت عندي.

كان ذلك صوت المديرية وهي تصرخ عبر جهاز الاتصال على السجنان والسجانان، فهمت الأسيرة تغريد كلام المديرية فهي متقنة للغة العبرية.

يا صبايا ذاب الثلج وبن المرج، عرفت سبب التأخير، في عائلة رح ترجع وتحرم من الزيارة، أنا سمعت صوت عبر المخشير فهمت أن امرأة ست رح يرجعوها على الباص.



على عجل اجتمعت الأسيرات بعد أن بان لهنَّ الخبر اليقين بأنَّ عائلة ما سيتم إرجاعها كعقوبة لها، أيًا يكون السبب وأيًا تكون العائلة، لن تزور الزيارة إلا بعد أن يعرفن سبب التأخير وسبب منع العائلة من الزيارة ومن هي العائلة، هذه هي قرارات الاجتماع السريع والعاجل للأسيرات في قاعة الانتظار والأسيرة هي الناطق الرسمي باسمهن والمفاوض عنهن أمام الإدارة.

زمرة من ضباط الإدارة والسجانين قد وقفوا على باب قاعة الانتظار، تقدّمت مجنّدة إلى الباب وطلبت من السجّانة البدينة فتح الباب، وبالفعل فتح الباب لكن أيًا من الأسيرات لم تخرج، كل أسيرة ظلت مكانها، استغربت الضابطة من الأمر فتقدمت نحو الباب: يلا بنات، إلى قاعة الزيارة.

302

- لم تتحرك أي أسيرة.

- تقدمت إحدى الأسيرات: كتسين لحظة من فضلك، لماذا تأخرنا في الخروج إلى قاعة الزيارة؟ صار لنا في القاعة أكثر من نصف ساعة، ما المشكلة؟

- لا يوجد مشكلة، إجراءات تنظيم الزيارة فقط.

- هذا كلام غير صحيح، سمعنا من أجهزة الاتصال الخاصة بكم أن هناك عائلة لن تزور، نحن لن نخرج من هذه القاعة إلا إذا عرفنا من هي العائلة؟ ولماذا حرمت الزيارة؟ سواء كنت تعرفين أم لا تعرفين أخبري المديرية



أن الأسيرات في قاعة الانتظار لن يخرجن إلى الزيارة إلا بحل هذه الإشكالية. تناولت الكتسين هاتفها الخاص وأجرت اتصالاً استمر عدة دقائق، مع أنه بحوزتها جهاز اتصال خاص بالسجن ولكن خوفاً من سماع الأسيرات للحدث فضّلت الكتسين استعمال هاتفها الخاص، أنهت مكالمتها وتقدّمت باتجاه الباب وقد تغير لون وجهها: نعم أنا أجريت اتصال مع مديرة السجن.

أنا لم أكن أعلم بما حدث، حسب ما أخبرتني المديرة أنه يوجد مشكلة مع ست كبيرة بالسن.

303

الأسيرة تغريد مقاطعة كلام الكتسين: السيدة؟ ما هو اسم السيدة؟

الكتسين: السيدة هي أم الأسيرة نور، الماكنة رنّت عليها ورفضت التفتيش لذلك فش لها زيارة، يلا لا نريد أن نتأخر بالانتظار، خمس دقائق وتبدأ الزيارة.

الأسيرة تغريد: كتسين لورا لن نرور إلا والحاجة أم نور معنا.

أغلقت الكتسين الباب وانسحبت مع قوة الضباط والسجانين من المكان باتجاه مكاتب الإدارة في البناية المقابلة لقاعات الانتظار وزيارة الأهالي.

الأسيرة تغريد: يا صبايا الحاجة أم نور حسب ادّعاء الإدارة ترفض التفتيش العاري؛ لأنه خلال التفتيش بالماكنة رنّت على ملابسها والإدارة





بدها تمنع الحاجة من الزيارة، أنا أخبرت الإدارة أننا لن نزور إلا ونور معنا وأهلها يزوروا معنا، يا بنزور كلنا يا بلاش، حجة عمرها خمسين سنة جايه من آخر الدنيا وآخر ما عمّر الله وطالعة من بيتها من منتصف الليل، ترجع بدون ما تزور بنتها، هذه أول زيارة لها وما بتعرف الممنوع من المسموح.

أسيرة أخرى: أنا مع رأيك أخت تغريد الزيارة للجميع أو المنع على الجميع، وأقترح أن نبعت للأخت لينا ممثلة الأسيرات نطلعها على الموضوع ومنتظر ردّها، هي ممثلتنا داخل القسم وخارج القسم.

أسيرة أخرى: أنا أقترح أن نرجع إلى القسم ومن هناك نتحدث مع الأخت ممثلتنا مع الإدارة، الإدارة لا يؤمن جانبها، الكذب والغدر سميتها ومنهجها إذا دخلنا قاعة الزيارة أمّها ونحن لحظتها لن نستطيع أن نعمل لها شيئاً، لأنه ساعتها اللي ضرب ضرب واللي هرب هرب.

سهيرت (شرطية كوشية اللون) سوداء اللون، قصيرة القامة، متفخة الصحة لحد مقرز لا يمكن تصويره، يجرب بيت أبوها شوّهت صور وسُمعة وسيرة نساء الأرض، تحمل بيدها مفتاح غرفة الانتظار، وقد اقتربت من الباب.

- بنوت يلا للزيارة.

- لكنّ الأسيرات لن يجرجن للزيارة، سهيرت من فضلك اتصلي على ضابطة الزيارة نريد أن نتكلم معها.

أعادت الشرطة إغلاق باب قاعة الانتظار، وهرولت مسرعة تجاه



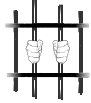
مباني الإدارة طبعًا بسرعة السلحفاة، وما هي إلا دقائق معدودة حتى أحضرت قوة شرطية تتقدمها مديرة السجن الكتسين (الضابط) لورا كوهين حتى وقفت على باب قاعة الانتظار حيث تتواجد الأسيرات بانتظار إكمال زيارة الأهل وإسدال الستار على هذا الفصل المؤلم من يوميات الأسيرة الفلسطينية داخل السجن.

تقدمت الأسيرة تغريد نحو الباب لكونها المتحدث الرسمي باسم الأسيرات: شلوم صبايا، ما المشكلة؟

- أهلاً كتسين لورا، عجزوز في الخمسين من عمرها وأول مرة بتزور السجن وما بتعرف القوانين ولا بتعرف المسموح من الممنوع، وإنسانة بهذا العمر مستحيل تحفي داخل ملابسها أي مواد خطيرة أو غير خطيرة تمس بالأمن، على الأكيد في داخل ملابسها دبوس، أو جراب حديدي، أو زر معدني، نحن لا نقبل المس بالأمن من طرفنا، ولا نقبل بنفس الوقت حرمان أي عائلة من زيارة بنتها خصوصًا إذا كانت بتزور لأول مرة وتجهل قوانين السجن.

- ست تغريد إحنا طلبنا من الست أم نور الخضوع للتفتيش اليدوي ولكنها رفضت، أنا مثلك لا أقبل المس بالأمن، ليس من مسؤولياتي، القانون عندي واضح الماكنة رتت على الملابس، يعني لازم تفتيش يدوي، فش تفتيش يدوي، فش زيارة.

- كتسين لورا لن نزور إلا ونور تزور معنا، وبعد الزيارة امنعي أهل نور، أو امنعي كل الأهالي الأسيرات من الزيارة مثل ما تريدي، المهم



اليوم أم نور تزور بتتها، حرام لأول مرة بتزورها وست كبيرة بالعمر.

- ست تغريد كلامك هذا يزيد المشكلة وليس لصالحكن نهائياً.

- هذا آخر كلام عندنا، كل البنات تزور أهاليهن أولاً، نحن لن نزور إلا ونور معنا، هذا آخر كلام عندنا أو نرجع للقسم لا نريد زيارة.

هنا تدخلت الأسيرة الشيخة فاطمة وقد رأت تأزم الأمور ما بين المديرية المحتدة جداً والناطق الرسمي باسم الأسيرات: بعد إذنك أختي تغريد.

- تفضلي شيخة فاطمة.

- كتسين لورا إذا سمحت أحضري لنا ممثلة الأسيرات وهي تحل المشكلة، حرام على الوقت أمام صلابة موقف الأسيرات وإصرارهن على عدم الزيارة إلا بضمان زيارة الأسيرة نور.

وجدت مديرة السجن برأي الشيخة فاطمة أفضل حل للمأزق العويص الذي وجدت نفسها فيه، فحملت نفسها، والقوة المصاحبة لها وتوجهت نحو القسم علها تجد طرق النجاة عند ممثلة الأسيرات، فالنهار بدأ يميل نحو الانقضاء والدوام داخل السجن على وشك الانتهاء، وبقاء مشكلة الزيارة معلقة سيكلفها ساعات دوام إضافية وتأخرًا عن العودة إلى البيت.

استمر اعتصام الأسيرات في غرفة الانتظار الموجودة على بعد خمسين



مترًا من قاعة الزيارات في موقف تضامني مع زميلتهنَّ في الأسر الأسيرة الصغيرة نور التي رفضت الإدارة إدخال والدتها إلى القاعة بحجة أن ماكنة فحص المعادن «الماغنوميتر» رنّت على جسدها عند الفحص، وهذا يعني حسب اعتقاد الإدارة أن الحاجة أم نور تخفي في ملابسها شيئًا معدنيًا والتفسير في هذه الحالة والتأويل لحقيقة هذا الرنين يكون بالطبع آمنًا في كيان يرى كل شيء بعيون الأمن، هناك أمر أمني خطير في الملابس، سلاح، سكين، متفجرات، وعليه يتم الاستنفار.

يحضر رجال الإدارة من كل الرتب والوحدات لحضور المشهد الأمني الخطير، ومتابعة إحباط المخطط الإرهابي الكبير الذي ستنفذه الحاجة الخمسينية من العمر بعد أن بلغت من عمرها عتياً وبدون أدنى درجة من المراعاة الإنسانية للسن المتقدم وللخصوصية الأنثوية، تجبر هذه السيدة على التفتيش العاري المذل والمهين بحق البشر رجالاً كانوا أم نساءً، صغاراً أو كباراً، والمبرر معروف (الأمن).

الأسيرة الطفلة نور، ابنة الثلاثة عشر ربيعاً، طفلة لم تر من الحياة شيئاً، لا تعرف شيئاً عن بؤس الحياة، وشقاوة العيش تحت الاحتلال، غضة في عمر الزهور، بريئة كل البراءة بكلماتها، تعابيرها، حركاتها، ضحكاتهما، حزنهما، غضبتهما، كل شيء ينم عن البراءة، الطهارة، الصفاء، لم تدرك المعادلة المعقدة بعد، عقلها الصغير لم يصل بعد لمرحلة يحسن معرفة الكثير من مفردات الحياة تحت سلطة الاحتلال، تفكيرها الغض الطري لم يفقه بعد أو ليس قادرًا على فهم تعقيدات الواقع الفلسطيني الملوث بوجود الاحتلال.



قالوا لها صباحًا وهي غارقة في النوم أن لك اسمًا في الزيارة، لم تُعر لهم بالأول ولم تلق لهم ولأقوالهم انتباهًا، فتحت عيونها المثقلة بالنعاس قليلاً أغمضتها وقلبت جسدها الصغيرة على الجهة الأخرى ولاذت بالدفء تحت الفراش وقد تمتت بكلمات ليست مفهومة، وأسلمت نفسها للنوم من جديد، لم ترد الأسيرات داخل الغرفة إزعاج الصغيرة نور معرفتهنَّ أن هناك ما يزيد عن أربع ساعات أو أكثر لوصول الأهل إلى بوابات السجن الخارجية، مما يعني أن الوقت متاح لنور لإكمال نومها، وإشباع عينيها الناعستين بالمزيد من النوم.

الساعة التاسعة والنصف صباحًا، إدارة القسم تطلب من الأسيرات التجهز والاستعداد للفحص الأمني الصباحي، دق الشبايك كما هو متعارف عليه في أدبيات السجون وثقافة الحركة الفلسطينية الأسيرة، وفي هذا الفصل من فصول السجن تكون كل الأسيرات مجبرات على الصحو قبل هذا الموعد، بالإضافة إلى أن القانون الإداري الداخلي للأسيرات يُلزم كل أسيرة بالصحو من النوم قبل حلول الساعة التاسعة صباحًا كحد أقصى مع بعض الاستثناءات مراعاة للسن حينًا وللحالة الصحية حينًا.

نور الصغيرة هي استثناء القانون الإداري في غرفة رقم (9) لبراءتها وطفولتها المسروقة، فأبي طفولة داخل الزنازين وظلمات السجن، وأي قوانين ستنتطبق على ضحية من ضحايا الاحتلال بعمر الورود، وكل الأسيرات الفلسطينيات هنَّ ضحايا الاحتلال.

- حبيبي نور، أجا اسمك زيارة أهل، بعد الدق جهزي نفسك

للزيارة.



أخبرتها الأسيرة أم سامي وهي تمسح بيدها على رأس نور.

- عن جد خالتو أم سامي عندي زيارة.

- طبعًا يا غالية يا نور هذه الأمور ما فيها مزح، إن شاء الله اليوم بتزوري أهلك وتفرحي وتنسطي برؤياهم وتطمئني عليهم، وعقبال ما أنت تزورهم بالبيت، ربنا يفرج عنك ونحن وكل البنات الأسيرات يا الله.

- إن شاء الله، عقبالك يا خالتي أم سامي، أنت تروحي من السجن وترجعي لأهلك وأولادك.

- الله كريم يا نور الجميلة إن شاء الله، من فمك لباب السماء.

كالفراشة الجميلة تطير من زهرة إلى زهرة، كعصفورة مرحة تحط من غصن إلى غصن كانت الأسيرة الصغيرة نور داخل الغرفة (9)، ومن يد أسيرة إلى يد أسيرة، أسيرة تمسّط لها شعرها الأسود الطويل، أسيرة أخرى ترتب لها هندامها، أسيرة أخرى تحدثها عن فصول الزيارة، وطبيعة الحديث مع الأهل، أسيرة أخرى تمطرها بوابل من الوصايا والتعليقات قولي هكذا لأهلك، تصرّفي مع أهلك هكذا، احذري أن تبكي أمامهم، إياك أن تشتكي لهم من السجن، كوني قوية وجدعة، احذري من كذا، ديري بالك من كذا، وهي المسكينة لا تقول سوى حاضر، حاضر، وكأنها تلميذه بين يدي مدرّسيها.

في قاعة الانتظار ومنذ الهمسات الأولى ما بين الأسيرات عن تأخر الزيارة وأسبابها وتحليلات الأسيرات وتطورات القضية ما بين الأسيرات



والإدارة حتى جلاء الأمر ووضوح سبب التأخر، عاشت الأسيرة نور المسكينة لحظات عصيبة كوردة يانعة مشرقة بضحكاتنا البريئة، بداية الخروج من القسم حتى المكوث في قاعة الانتظار ثم الذبول رويدًا رويدًا، ومع كل حديث مع شرطية أو ضابطة عدد أو أيّ مسئول في الإدارة وكلما مضى الوقت في قاعة الانتظار، تعمق الحزن في قلب الأسيرة نور حتى بدت آثاره على وجهها البريء الذي غابت إشراقته وحلّ مكانها الوجوم والعبوس، ولم تعد تفهم مفردات، التفتيش اليدوي، التفتيش الآلي، الماغنوميتر، التفتيش العاري، المس بالأمن، مواد خطيرة، مواد ممنوعة، فقط مفردة وحيدة نفهمها وسط هذه الدوامة من المفردات هي مفردة أنها لن ترى عائلتها، لن ترى أمها، لن تستطيع السؤال عن أخواتها وإخوانها، كتبها، صديقاتها، مريول مدرستها، مكسورة الخاطر، جريجة الفؤاد، بجسد مثقل لا يقوى على الحراك، وبوجه حزين تشيل على خديه دموعًا تنساب بتناقل من عينيها الصغيرتين، جلست على زاوية المقعد الإسمنتي الممتد على طول جوانب قاعة الانتظار، لم تشفع كل كلمات الأسيرات، لدموعها بالتدفق، ولم تفلح كل العبارات بتطمين نفسها المضطربة، ونزع خوفها، فأمام المشهد المائل أمام عينيها أدركت حقيقة لا يمكن أن تتغير، حقيقة أن أمها لن تزورها، لن تراها، هذا ما تسمعه، هذا ما تراه من الإدارة ورجالها الصاعدين والهابطين والذاهبين والآتين من أمام باب غرفة الانتظار، فلا عزاء لها أمام كسر خاطرها إلا الدموع.

لم تبخل أيّ أسيرة من الأسيرات الموجودات في قاعة الانتظار بأيّ جهد لمساندة الأسيرة نور والعطف عليها وتطمينها بأنها ستزور والدتها.



- حبيبتي نور كلنا معك ولن نتخلى عنك مهما حدث.

الأسيرة تغريد: حبيبتي نور، ليش بتبكي، أنا بقول لك رح تزوري أمك رح تزوري، متقلقيش.

الأسيرة أمل: لو أدى الأمر لإلغاء الزيارة، فلتلغ، إما بنزور كلنا وإلا بلا هذه الزيارة.

أسيرة تحتضن نور وتواسيها بالكلمات، أسيرة أخرى تمسح على رأسها، وأخرى تمسح دموع عينيها المناسبة على وجنتها، وأسيرة أخرى تحكي لها كلامًا لا تفهمه بالضبط مليئًا بمفردات لأول مرة تسمع بها، مفردات يعجز عن فهمها من هو أكبر منها سنًا.

عاملة المردوان الثانية الأسيرة وردة: ست لينا الإدارة طالباكي على ما يبدو في مشكلة في الزيارة.

- ربنا يستر، افتحي الباب خليني أشوف ما هي المشكلة من فضلك.

أشارت عاملة المردوان بيدها للسجانة الجالسة في غرفة التحكم لتقوم بفتح الباب وضغطت بيدها الأخرى على الكبسة الفضية اللون؛ لأن القضية تهم مصلحة الإدارة فقد تم فتح باب غرفة ممثلة الأسيرات سريعًا، فخرجت مسرعة لترى ما هي حقيقة المشكلة في غرفة الزيارة، وسارت نحو اليومان (غرفة التحكم) لتجد مديرة القسم ومجموعة من ضباط السجن في حالة استنفار.





- كتسين لورا ما هي المشكلة في غرفة الزيارة؟

- ست لينا المشكلة ليست عندنا، المشكلة عندكن، أم الأسيرة نور بالفحص الأمني، الماغوميتر رنت على ملابسها، يوجد معدن في ملابسها، حسب اعتقادنا أنه يوجد شيء خطير وممنوع في ملابسها لذلك طلبنا منها التفتيش فرفضت، وأنتِ كما تعرفين ليس مسموحًا بالزيارة لمن يحمل مواد خطيرة وممنوعة، وإضافة إلى ذلك الأسيرات وقفن بجانب أم نور ورفضن الزيارة، المشكلة ليس عندنا المشكلة عندكن.

- كتسين لورا، أنتِ تعرفين الأهل خط أحمر بالنسبة لنا ولا نسمح المس بهم، الأسيرة نور معتقلة منذ شهرين وهذه أول زيارة لها وأهلها وهم لا يعرفون ما هو المسموح وما هو الممنوع، وإرجاع العائلة وحرمانها من الزيارة ليس صحيحًا ولا عملاً مقبولاً علينا.

- الأمر ليس بيدي ست لينا، والدة نور يوجد معها ممنوعات وتحمل مواد خطيرة تضر بالأمن وترفض التفتيش، وأنا من احترامي للأهل، واحترامي لكِ كممثلة الأسيرات لحد الآن لم أطلب من الشرطة تنفيذ التفتيش العاري بحقها لأنها سيدة كبيرة السن، هي ترفض التفتيش وأنا لا أقدر أن أسمح لها بالزيارة، والأسيرات بدلاً من الالتزام بالقانون وقفن مع الست المخالفة للقانون.

- كتسين لورا أنتِ مكبرة الموضوع كثير كثير وجاعلة لقضية بسيطة أيدي وأرجل، ست كبيرة بالسن عمرها أكثر من خمسين سنة، بشق الأنف تمشي، سمع خفيف، بصر ضعيف، وتهدد أمنكم، وتحمل



مواد ممنوعة، وماذا تعمل محاسيم جيشكم حول الضفة الغربية، كيف عبرت المحاسيم، وتحمل مواد خطيرة ما هذا الحكي؟ ما هذا الكلام لا يقبله عقل، ست لورا أنت ضابطة رفيعة المستوى في مؤسسة الشاباتس وبيطلع منك هالحكي، الحل بسيط؛ لأن القضية كلها بسيطة، فقط خليني أسأل سؤال بسيط الماغنوميتيرين، يعني في ملابسها معدن، لما طلبتم من أم نور تفتيشها لماذا رفضت؟ شرطيات أم شرطين هم الذين سيفتشونها؟

- لا طبعاً شرطيات ست لينا، نحن لا نسمح لشرطي أن يفتش سيدة فلسطينية.

- وبعد إذنك كتسين لورا، ضروري ومنعاً لتطور هذا الحدث إلى مشكلة، وتصبح مشكلة عويصة الحل دعيني أشوف السيدة أم نور.

- ست لينا، قاعة استقبال الزوار بعيدة من هنا، وليس مسموحاً لأحد من داخل السجن أن يذهب إلى هناك، لا يوجد حل غير البنات يزرن أهاليهن، ونور ترجع من الزيارة وأمها تعود إلى الباص، والمرة القادمة تفهموا أمها ألا تحضر معها ممنوعات ومواد خطيرة.

- كتسين لورا، هذا حكي؟ رجعتي تحكي عن ممنوعات ومواد خطيرة، إذا فعلاً كانت تحمل ممنوعات ومواد خطيرة وتمس بأمنكم فكيف ستسمحين لها بالعودة دون اعتقالها؟ لماذا لا تعتقليها؟ أليست تحمل مواد خطيرة؟ أليست تهدد الأمن؟، وهذا الحل الذي تتكلمين عنه هنا اسمحي لي ولا تزعلي مني هذا حل سخيف لا أنا ولا البنات رح نقبل بهكذا حل



سخيف، إذا كنت قادرة تقنعي البنات أنهن يزرن بدون نور، اذهبي واحكي معهن، لماذا أتيت تتكلمين معي؟ أعيديني إلى القسم، أنا هنا فقط لأساعد بالحل، أما أن أنفذ ما تطلبين أو ما ترينه حلاً، فهذا أمر مرفوض عندي وعند البنات، اذهبي وأقنعي البنات بحلك، وأنا أنصحك ألا تفرحي؛ لأن حلك ليس معقول ولا مقبول وستجري الأسيرات والقسم إلى مشكلة كبيرة أنت في غنى عنها، الحل بنظري إمّا أن أنزل إلى قاعة الزيارات وأتكلّم مع أم نور، أو أنتم تدخلوا أم نور لمكان قريب من هنا وأقدر أشوفها وأتكلّم معها ولحظتها سنرى المشكلة، وحتماً سنجد بدل الحل الواحد ألف حل.

بعد تردّد وعلى مضض وافقت مديرة القسم على إنزال ممثلة الأسيرات إلى قاعة الانتظار لتحدث مع السيدة أم نور وتفهم منها المشكلة، أجرت مديرة القسم سلسلة من الاتصالات لمن هو أعلى منها رتبة لأخذ التصريح اللازم لهذه الخطوة، وبعد الموافقة أجرت سلسلة اتصالات مشابهة لسابقتها ولكن مع من هم أدنى منها رتبة من أجل تمكين ممثلة الأسيرات من الوصول إلى قاعة انتظار الزوار من الأهالي، فمن باب إلى باب سارت ممثلة الأسيرات برفقة طاقم من ضباط الإدارة والسجانين في مقدمتهم مديرة القسم الكتسين لورا كوهين حتى وصلت إلى غرفة جانبية بالقرب من قاعة انتظار الزوار؛ لتجد فيها امرأة بدت على وجهها كل معالم الحزن والأسى، وارتسمت على جبينها مآسي الشعب الفلسطيني، وكما الغريق الذي يلاطم أمواج البحر العاتية، وفجأة يجد حبل الإنقاذ يمتد إليه من قارب قد مر بالجوار، هي كذلك، السيدة أم نور، قرأت في



وجه ممثلة الأسيرات ملامح العطف والحنية والشهامة العربية، رغم أنها لا تعرفها، ولم ترها من قبل، ولم تسمع باسمها.

- السلام عليكم، كيف حالك يا أمي؟

- وعليكم السلام، مين أنت يا بنتي، أنت يهودية؟ مستحيل تكوني يهودية، أنت لابسة لبس عربي مثلنا، مثل بناقي هنّ صبايا بعمرك، وتحكي عربي على الأكد أنت مش يهودية، أنت عميلة بتشتغل مع اليهود! لا مستحيل تكوني عميلة تشتغل مع اليهود، هيئتك هيئة بنت حلال، وبنت الحلال من طلّتها بتبان.

315

- الله يسامحك يا أمي، لا أنا يهودية، ولا أنا عميلة، أنا أسيرة فلسطينية، عربية ومسلمة، لساني بيدل على عروبتني وحجابي بيدل على إسلامي، أنا أسيرة مثل بنتك نور وما شاء الله على تربيتها، ما هي المشكلة يا أمي؟

- ليش مش مخلينك تزوري؟

- والله يا بنتي صحيح شو اسمك أنت؟

- أنا أسمي لينا وأنا ممثلة الأسيرات.

- إيش يعني ممثلة الأسيرات؟ يعني قائدتهن لينا.

- نعم تقدري تقولي هيك، أكملني خبريني عن السبب اللي خلاهم يمنعوك من الزيارة.



- والله يا بنتي ما معي أي شيء، ولا بحمل معي اشي لا في جيوبي ولا تحت ملابسي، والله العظيم غير الملابس ما في على جسدي شيء، يقولون إن معي شيء ممنوع، والله ما معي شيء وفوق هالكذب بدهم يفتشوني ومين يدو يفتشني، شرطة يهود، الزلام اللي فعلاً بيستحوا ماتوا زمان، ما في عندهم ذوق ولا أدب لو يموتوا ما بأخلي حدا يفتشني، ليش ما بيحيوا شرطيات وهن يفتشوني.

- لكن الإدارة يا أمي تقول إنك رفضتي أن تقوم الشرطيات بتفتيشك .

- كذايين يا بنتي، بتصدقيني ولا تصدقي اليهود؟

- طبعاً بصدقك أنتِ يا أمي، كندرتك أحسن من رؤوسهم، إن شاء الله رب العالمين رح أحل مشكلتك وتزوري نور وتبسطي بشوفتها.

- ست لورا سبق وقلنا إن هناك اتفاق أن الأهل خط أحمر لن نسمح بالمس به مثل ما الأمن عندكم خط أحمر ونحن نعرف ذلك ولا نمسّ به، اسمحي لي واعذريني أنا أي أم أسيرة بصدقها أكثر من أهل الكون كلهم، أم نور تقول إنكم كنتم ستفتشونها بواسطة شرطة رجال وليس نساء، على كل حال لن أدق على هذه القضية الآن.

- أمي العزيزة، تفقدي حالك، معك مصاري حديد بجيابك أو في دبوس أو جرّار (سحاب) معدني في ملابسك مثل زرار.

- والله يا بنتي ما بعرف بالضبط بس بدّي أفتش، بس خلي هذول هالكلاب ينصرفوا من هون.



- كتسين لورا إذا سمحتِ خليّ الشرطين يغادروا المكان علشان الحاجة بدها تفتش ملابسها.

أمرت الكتسين لورا الشرطين بمغادرة المكان ولكن بعد أن أحضرت مجموعة من الشرطيات ضعف عدد الشرطة والضباط الذين غادروا الغرفة.

قامت أم نور بتفتيش ملابسها، خلعت منديلها ليكشف عن ضفيرة حفت بعناية فائقة ودقة متناهيه لتخرج منه الدبابيس المعدنية، فينهال شعر حريري أشقر طويل بهر بجماله وطوله ونعومته السجانات اليهوديات اللواتي وقفن مندهشات لجماله وطوله ونعومته، شعر هذه المرأة التي تفوقهنَّ عمرًا.

- تأكدي يا أمي من بقية ملابسك هل يوجد فيها أي معدن؟

- تفقدت كل قطعة، على الأكيد يا بنتي ما في أي شيء معدن.

- كتسين لورا، تفضلي فلتفحص الشرطيات الحاجة أم نور.

أمرت الكتسين إحدى الشرطيات بفحص الحاجة أم نور بواسطة الماغنوميتر، تقدّمت الشرطة السمراء ويدها الماكنة فحصت مرّة، مرتين، ثلاث مرّات، وأعدت الفحص من الأساس حتى الرأس.

- ليس معها شيء كتسين لورا، ليس معها شيء، كل شيء تمام كتسين لورا.



تقدّمت شرطية ثانية وأعادت الكرّة فعاتت خاسرة كسابقتها، لم تطمئن مديرة القسم لفحص الشرطيات، اختطفّت الماكنة من يد الشرطية، وبدأت بالفحص، من الأمام، من الخلف، من الأسفل، إلى الأعلى، الأرجل، البطن، الظهر، الأيدي، ترفع الأيدي، تنزل الأيدي، أعادت مرة، أكثر من مرة وأخيراً لا مفرّ من الإقرار بأن القضية، قضية دبوس معدني في ضفيرة الحاجة، أوقفت السجن على كف عفريت وجعلت أمن الاحتلال مُهدّد، اسودّ وجه المديرية وبدا الاضطراب على تقاطيع وجهها الذي تلوّن بألوان الطيف إحراجاً ومذلّة أمام ممثلة الأسيرات والشرطيات، وهي ترى تفاهة منظومتها الأمنيّة في مواجهة سيّدة فلسطينيّة بسيطة، فأمن كيانتهم مُهدّدًا من دبوس شعر، أمر مضحك.

عاتت مديرة القسم إلى آلة الهجوم علّها تجد المخرج لورطتها: ست لينا تحدثنا سابقاً أنه ممنوع أي زائر يحمل في ملابسه أي شيء معدني يرن على ماكينة الفحص، وكل ما ترن الماكينة عليه يتحمل مسؤولية عمله وتصرفه.

- صحيح كتسين لورا تحدثنا بهذا الأمر لكن لأهل الأسيرات الذين زاروا أكثر من مرّة، والأسيرات تحدّثوا لأهاليهنّ، الحاجة أم نور أول مرّة بتزور، نحن لا يوجد عندنا تلفونات نخبر أهل البنت الجديدة بما هو مسموح، وما هو ممنوع، الأسيرة الجديدة تزور أول مرّة تخبر أهلها باليمنوع والمسموح وفي المرة الثانية يسري عليها القانون، كان بإمكانك يا كتسين لورا حلّ هذه المشكلة من خمس دقائق لو أنك جعلت الشرطيات



هَنّ اللواتي يفتشن الحاجة، هل من المعقول حجة كبيرة بالسِّن وأول مرّة تزور سجن تريدي شرطة رجال يفتشوها، هذا عمل جنوني.

- ست لينا أنا ما كنت حاضرة على التفتيش، لو كنت حاضرة لما حصل الذي حصل.

- بنظرك كتسين لورا هل المشكلة انتهت بهذه البساطة، لو أن أسيرة وجدتم معها أي شيء ممنوع لتمّ معاينة الأسيرات كلهن ولتمّ معاينة الأسيرة بعزلها ومنع الزيارة، والكاتينا وكل أشكال العقاب لنزلت على رأسها، ولكن عندما يكون الخطأ من طرفكم الأمور تنتهي بكلّ بساطة ولا كأنه حصل شيء، ويا دار ما زارك شر.

319

- ست لينا ما هو المطلوب مني؟ أنا بأشتغل حسب المعطيات، الماكنة رنت على ملابس يعني في شيء ممنوع، يعني يلزم التفتيش اليدوي.

- قصدك التفتيش العاري كتسين لورا ويبد شرطة رجال لا كما اتفقنا بيد نساء.

- ست لينا تريدين ليّ ذراعي وأنت تستغلي الفرصة؛ لأن الخطأ حسب اعتقادك جاء من طرفنا، صحتين وعافية بيطلعلك تعتقدي ذلك، ما هو المطلوب؟

- المطلوب بسيط، الزيارة تمشي كالمعتاد، وفي طلب سابق قدمنا لكم لزيارة خاصة لأربع بنات، بدنا الأربع يزوروا زيارة خاصة والحدث الذي حدث اليوم تتعهدي بعدم تكراره، نحن نفهم قضايا الأمن والأهل





ملتزمين بما نطلبه منهم، كل الأهالي يأتون إلى الزيارة وملا بسهم خالية من كل شيء اسمه معدن، حديد، نحاس، وغيره، ولكن أنتم في الإدارة لا تلتزمون بتعهداتكم والدليل ما حدث اليوم، نحن اتفقنا أي شخص من العائلات ترن عليه الماكنة يتم تفتيشه يدويًا وليس عاريًا بواسطة الشرطيات، النساء يفتشهن نساء، الرجال يفتشهم رجال.

- ست لينا حديثنا عن قاعة الزيارات.

- قاعة الزيارات هي اسم بلا مضمون، وعنوان بلا محتوى، فقاعة الزيارة الخاصة هي نفس قاعة الزيارة التي فيها الأسيرات ولكن الفارق في جزء من الوقت والمسمى فقط لا غير، في آخر ربع ساعة من الزيارة التي تمتد على مدار خمس وأربعين دقيقة كل أسبوعين مرة واحدة، وتمر على الأسيرة كأنها ثوان معدودة، في هذا الربع الأخير يتم رفع الشباك الزجاجي أو البلاستيكي الشفاف والمقوى الذي يفصل ما بين الأسيرة وأهلها ما يتيح للأسيرة لمس أيدي الأهل ومصافحتهم واحتضانهم وتقبيلهم والحديث معهم بلا واسطة الهاتف، هذه فرصة لا تتاح لكل الأسيرات فقد تنتظر الأسيرة سنوات طويلة للحصول عليها، ومن الأسيرات من تنقضي مدة حكمها وهي تنتظر أن يسمح لها بزيارة خاصة ولا تحصل عليها، في إجراء عقابي تعسفي بحق الأسيرة لحرمانها من فرصة لقاء أهلها وذويها وأطفالها بدون حاجز يفصلها عن بعض قادات السجانات الصهيونيات، الحاجة أم نور من غرفة الاحتجاز الصغيرة إلى قاعة زيارات الأهالي، وما إن رأى الأهالي الحاجة حتى انفرجت أساريرهم فرحًا وابتهاجًا بانجلاء هذه الغمة وانتهاء أزمة الزيارة، فانهاالت لها الدعوات وعليها الأسئلة.



- الحمد لله على سلامتك يا حجة أم نور، شو صار معك؟ ليشت تأخرت؟

- الله يسلمكم، في التفتيش، هم أخروني في التفتيش.

ألقت بجسدها المنهك على الكرسي وهي غير مصدقة نفسها أنها قد وصلت قاعة الزيارة، وأنها ستري ابتها، وأنها قد خلصت المشكلة، جسدها مع الأهالي، روحها، قلبها، انتباهها، شعورها مع ابتها، عيونها المبتلاة بقصر النظر، راحت رغم ضعفها يميناً وشمالاً ترقب دخول الأسيرات علّها تجد ابتها وتلمح طيفها من بينهنّ.

321

توجهت ممثلة الأسيرات برفقه ضابطة العدد ومجموعة من السجانات إلى غرفة انتظار الأسيرات حيث رفضن الخروج إلى الزيارة رغم التأكيدات التي سمعنها من السجانات عقب إنهاء مشكلة التفتيش مع الحاجة أم نور لعدم اقتناعهنّ بكلام ووعود الإدارة وإصرارهنّ على عدم الخروج حتى حضور ممثلتهنّ، وبالفعل هذا ما تم.

- السلام عليكم، يعطيكنّ العافية يا صبايا، المشكلة كانت في قاعة انتظار الأهالي على التفتيش مع الحاجة أم نور، والحمد لله المشكلة انحلت، وما في وقت للحديث بتفاصيل المشكلة، المهم حالياً ادخلوا للزيارة، حرام على الوقت، لا نريد تأخير الأهالي، الوقت أصبح متأخراً، في القسم ستتحدث عن الموضوع.

دخلت الأسيرات إلى قاعة الزيارة، كل أسيرة تلقي نظرة شاملة



على الموجودين في القاعة من جهة الأهالي، تشيح بنظرها يميناً ثم يساراً باحثة عن علامات فارقة بأهلها، وأخيراً يلتقي الحبيب مع أحبائه، تدقُّ القلوب، تتوتر الأعصاب، يصبح الجسد حذرًا مثقلًا وبحاجة إلى مزيد من الأكسجين، يضطرب النفس، ترتفع وتيرة الزفير والشهيق، مع أول الكلمات، تحتنق العبارات، تسيل الدموع مع أولى موجات السلام والاطمئنان، موقف تعجز الأقلام مهما كتبت إيفاءه حقه، إنه لقاء الحياة مع الحياة، لقاء الغريق مع طوق النجاة، تختلط المواضيع، تغيب الأسئلة المعدة مسبقاً، تظهر أسئلة جديدة، سريعاً يمضي الوقت، كالبرق بل أسرع، كوميض، كشهاب حرّ من عل، ما أسرع وقت الزيارة، وما أشنع نهاية الزيارة، بدأت بالدموع، وانتهت بالدموع، بدأت بسلامات وانتهت بسلامات وتحيات وتوصيات ووداع.

في الزاوية الشرقية من قاعة الزيارة جلست الحاجة أم نور ولم يكن هذا المقعد خيارها بل أجبرت عليه؛ لأنها لم تجد مقعداً شاغراً غيره، فكل الأهالي منذ اللحظات الأولى أخذوا مواقعهم بدءاً من الغرب من الباب حيث مدخل الأسيرات لاعتقادهم أن من تدخل أولاً تزور كثيراً وظل الكرسي الأخير فارغاً، فلم تجد الحاجة أم نور بديلاً عنه بصفتها آخر من دخلت إلى القاعة.

نور الصغيرة عمرًا، والقصيرة القامة وفي ظل انشغال كل أسيرة بأهلها ظنت للوهلة الأولى، أنها قد خدعت، فلا وجود لأهلها لم تجدهم بعد، بحثت، ثم بحثت، لم تكل من البحث، علّها تجد أمها، مرّت على كل الشبايك والمقاعد، لا أحد منتبه لها فالكل مشغول بأهله وأحبابه، سارت



خطوات ثم تراجع، ثم تراجع، ثم عادت تطوف فتغطت بين ظهور الأسيرات عن الأهالي، بعد معاناة ومشقة، رأت امرأة من خلف الزجاج المقوى تلوّح لها بيدها، تدق لها على الزجاج، لكن نور لم تُعر لها اهتماماً بالبداية، فما بال هذه المرأة تضرب على الزجاج، مالي وما لها أنا أبحث عن أمي، سارت بعيدة عن تلك المرأة، ولكن لم تفلح بشيء، فكرت بالعودة إلى تلك المرأة لتسألها عن والدتها، عادت ثانية إلى المكان الذي رأت فيه المرأة دقت النظر، أمعنت ثانية، أمي، أمي، صرخت بأعلى صوتها وطارت فرحاً، انتبه الجميع لصوت نور وهي تنادي أمها فأدركوا أن هذه الدقائق التي قضوها مع أهلهم قد مرت على نور وهي تبحث عن أمها، وقد نسوا أنها صغيرة، وقصيرة، وأول مرة تزور.

انفضت الزيارة وعاد الأهل إلى الباص الذي سيقلمهم في رحلة الإياب إلى البيت وقد تركوا قلوبهم عند بناتهم، وعادت الأسيرات إلى قسمهنّ محملات بالأخبار والمعلومات والأحاديث والسلامات والدعوات والذكريات والفرح الذي يغمهنّ برؤية الأهل، وكذلك الحزن الذي عكّر صفو اللقاء لفراقهم مجدداً، شعور التناقض، فرح بطعم الحزن، أملٌ بوشاح الألم.





## 12

نهار جديد، وعلى معاناة الأسير شهيد، تشرق شمس على سجن الشارون في حركة انسيابية نشطة متنوعة بسلسلة من النشاطات الروتينية للأسيرات تبدأ مع شروق ذلك اليوم الجديد، وكلما يدخل على هذه السلسلة الرتيبة عمل غريب يضاف إلى قائمة النشاطات الحيوية للحركة الأسيرة.

عاملة المردوان تغريد تتلقى ورقة من السجناء على باب القسم الرئيسي، تمنع النظر فيها، تقرأ جميع الأسماء ثم تلقي نظرة فاحصة وسريعة على الساحة باحثة عن صاحبات الأسماء الموجودة عندها في القاعة لتبلغهن بوصول أسمائهن كي يستعددن لرحلة البوسطة المؤلمة والشاقة، وعلى ما يبدو بعد أن جالت بنظرها طولاً وعرضاً بالساحة وتفحصت وجوه



الأسيرات الموجودات في الفورة، على ما يبدو أنها لم تجد منهن أحدًا.

مجموعة من الأسيرات جالسات بالقرب من الجدار الحديدي الفاصل ما بين الغرف والساحة، وقد افترشن الأرض واستظللن بغمام السماء تحت أشعة الشمس الدافئة واللطيفة في ساعات الصباح، ومن ضمن الجالسات الأسيرة الصغيرة نور.

- ما هذه الورقة خالتو تغريد؟

- أسماء زيارات، تنزلي تزوري مرة أخرى يا نور؟

- إحنا البارحة زرنا، واليوم في زيارات أخرى؟

- بمزح معك حبيبتي نور، هذه ليست أسماء زيارات، هذه أسماء بوسطة.

- اسمي معهن؟ قالتها نور مازحة.

- كل شيء بدك منه يا نور، الأيام جاية وستنزلي للبوسطة وتزهقي حياتك تخافيش، البوسطة مثل الموت قاس على كل الناس.

بعد أن تأكدت من عدم وجود أي من الأسيرات الموجودة أسماؤهن في القائمة في الساحة توجهت ناحية الغرف لإخبار الأسيرات لحضور أسماؤهن للبوسطة ليقمن بتجهيز أغراضهن اللازمة لرحلة البوسطة، على باب الغرفة رقم (6):

- صباح الخير يا صبايا، أمل، حياة، جهزوا أنفسكن للبوسطة، بأي



لحظة محتمل يخرجوكن كونوا جاهزات.

- يعطيك العافية ست تغريد إن شاء الله خلال نصف ساعة بالكثير نكون جاهزين.

- على باب الغرفة رقم (12): صباح الخير، سامية بوسطة يا غالية جهزي نفسك.

- على باب الغرفة رقم (16): صباح الخير، أجاك الموت يا تارك الصلاة، ست تهاني، ست فداء، جهزوا أنفسكن بوسطة.

البوسطة شر غائب ينتظر في حياة الأسير الفلسطيني وتتضاعف المعاناة مع الأسيرة لتصبح هذه المعاناة أشد وأكثر إيلاماً على الأسيرة، لما للمرأة الفلسطينية بشكل عام من خصوصية، والمرأة الفلسطينية مع الاحتلال بعنجهية وسادية الكيان الصهيوني واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط الاستبدادي الدكتاتوري.

البوسطة قطعة من عذاب اشتركت يد الإنسان الأثم ويد معلم الشر الأول إبليس في تصميم هذه الآلة السادية لتعذيب الأسير الفلسطيني تعذيباً جسدياً ونفسياً ومعنوياً، البوسطة صندوق حديدي مغلق وهي وسيلة لنقل الأسرى الفلسطينيين من وإلى السجون على اختلاف الجهات المقصودة من الرحلة العشرية، محاكم، مستشفيات، سجون أخرى، هذه الحقيقة لمن يراه عن بعد، أمّا الحقيقة لهذا الصندوق فأقل ما يوصف بأنه صندوق العجائب والغرائب لا يعرفه إلا من حصل على شرف الولوج إليه





أسيراً، وتسربل بالمعاناة ذهاباً وإياباً في رحلة قصيرة كفيفة بإعطاء الصورة النهائية عن حقيقة مصطلح البوسطة.

البوسطة من أسوأ فصول حياة الأسير الفلسطيني، تتغير الوجوه لحظة سماع الاسم للبوسطة تطير الفرحة ويحل مكانها العبوس، تتعكر النفسيات، تنخرس الضحكات، يختل البرنامج اليومي المتزن للأسيرة داخل الغرف والأقسام، يدخل الأسير في صراع مع نفسه، فالأكل ممنوع، الأمعاء تطلبه، العقل يرفضه؛ لأنك ستذهب في بوسطة الشرب الكثير ممنوع، النفس تطلبه، الواقع يرفضه؛ لأنها بوسطة أجوع أفضل من مقاساة ألم الغثيان، والمراجعة في البوسطة، أعطش أفضل من أن أحتاج السجانين أو النخشون لأذهب إلى الحمام لقضاء حاجتي ويا ذل من يحتاج الحمام في البوسطة.

في البوسطة يتذكر الأسير الفلسطيني حقيقة الاحتلال الصهيوني وحقيقة اليهودي، وكم هو لا إنساني، كم هو حاقد، كم هو سادي، كم هو متعجرف، كم هو مستكبر، الأسير الفلسطيني لا يطلب، لا يستجدي من الاحتلال وسجانيه أن يعاملوه بلطف ورقة وإنسانية، ولكن للحرب أخلاق، هذه الأخلاق غائبة من جهة وسلوكيات جيش الاحتلال الصهيوني الذي يدّعي بأنه حامي واحة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، هذه الأخلاق لا مكان لها في وحدات النخشون ووحدات إدارة السجون، هي مفقودة، غائبة في البوسطة، يتجسد هذا الغياب حقيقة ماثلة أمام الأسير الفلسطيني، فلا أخلاق للجيش المتحاربة، ولا أخلاق الأعراف الدولية، ولا أخلاق الجيش المنتصرة، ولا الحد الأدنى منها موجود في قاموس



وأديبات وحدات القمع العاشمة على اختلاف الأسماء التي تحملها، جيش الدفاع، وحدة النخشون، وحدة اليماز، وحدة اليمام، وحدة المتسادا، وحدة الداروم بل هي أخلاق أدنى من أخلاق النازيين في معسكرات الإبادة، على فرضية وجود هذه المعسكرات التي خلفتها البروبوغندا الصهيونية.

في البوسطة كما يتقمص الفرد دور المهرج على جبال السيرك، يتقمص رجال النخشون شخصيات رجال الجستابو والفاشيست في مقابل الأسرى، الذين لا يتقمصون أي شخصية سوى شخصيتهم، ولا يتلونون بأي لون سوى لون الأرض التي عشقوها وعشقتهم.

قوة من السجنانات على باب القسم تتقدمهنّ ضابطة، وقد طلبت من عاملة المردوان الإسراع بعملية إخراج الأسيرات إلى البوسطة، بدورها عاملة المردوان على أبواب الغرف: يلا يا صبايا، البوسطة، بدنا نفتح الأبواب، الإدارة حضرت لإخراجكن.

الأسيرات منذ أن أخبرتهنّ عاملة المردوان بحضور أسمائهن إلى البوسطة جهزن أنفسهنّ أتمّ تجهيز وآخر استعداد، تمّ الإقلاع عن الأكل والشرب، تمّ لبس ما يكفي من الملابس، تمّ تجريد الملابس من كل شيء معدني، تمّ تجهيز شنطة فيها سجادة صلاة، مصحف، بشكير، قطعة صابون، معجون أسنان، فرشاة أسنان، حذاء، وهذا طبعاً المسموح به فقط للأسيرة أن تأخذه معها إلى البوسطة.

خرجت الأسيرات من الغرف، إلى الممر الفاصل ما بين ساحة القسم وغرفة اليومان، كل أسيرة تحمل شنطتها إلى رحلة مكروهة عليها لا



راغبه فيها، ولكنها قوانين السجن وضروريات الحياة فيه، ضابطة تحمل بيدها أربع بطاقات تحتوي على صور وأسماء الأسيرات تقارن كل بطاقة، الاسم والصور مع الأسيرة صاحبة الصورة لتعطي بالنهاية الإشارة بإتمام عملية التدقيق بالأسماء، وبعملية فحص سريعة باليد، ومن ثم بالماكنة تنهي عملية الفحص للأسيرة وأغراضها.

قادت السجنانات الأسيرات الخمس بعد أن تم تقييدهن بالقيود إلى غرفة انتظار البوسطة، وهي غرفة صغيرة تسمى الأمتناه، بانتظار وصول سيارات البوسطة، لم يطل انتظار الأسيرات داخل غرفة الانتظار كثيراً، أقل من ثلاث ساعة حضرت سيارات البوسطة، سيارات جيمس بيضاء اللون، سيارة شحن من طراز أفيكو وقد رُكّب على ظهرها صندوق حديدي أصبح معروفاً باسم البوسطة، وسيارة جيمس بيضاء اللون خلف شاحنة الأفيكو.

330

لا يقتصر عمل البوسطة على نقل الأسرى الأمنيين الفلسطينيين، بل إن كل ما هو من جنس الأسرى والمعتقلين تقوم البوسطة بحمله ونقله، أسرى فلسطينيون سياسيون، أسرى يهود جنائيون، أسرى مدنيون معتقلون على قضايا العمل والدخول إلى الداخل المحتل بلا تصاريح.

بعد إدخالهن إلى الغرفة رجعت السجنانات عائدات إلى مكتب اليومان في القسم.

- سهيرت، سهيرت، ما المشكلة، نسيت أن هنا أسيرات، تعالي فكي القيود.



- السجنانة، ممنوع، أنتن ذاهبات في بوسطة.

- لماذا ممنوع؟ هذه ليست أول مرة أنزل فيها بوسطة، في كل مرة تُفك قيودنا ونحن داخل الغرفة، تعالي من فضلك فكي القيود.

جرى حديث بين السجنانات، وبعد لحظات من الحوار بينهنَّ عادت إحدى السجنانات ويدها مفتاح الكلبشات، فتحت الأشناف وهو عبارة عن طاقة صغيرة في الباب بطول 40 سم وعرض 20 سم، أعطيني يدك لأفك القيود، ناولت كل أسيرة يديها المقيّدتين بكلبشات الحديد من الأشناف.

- شكرًا سهيرت.

- شكرًا بنوت.

وعادت السجنانات إلى مكتب اليومان.

تناولت الأسيرة سهام سجادة الصلاة من شنطتها وفرشتها على المقعد الإسمنتي الممتد على طول جدران الغرفة من الداخل، وإلى جانبها الأسيرتان أمل وحياة وقد جلستا على المقعد دون أن تفترن السجادات.

- هاتي سجادتك وافرشيها بدل ما هي في الشنطة، لماذا نحن نأخذ السجادات معنا على البوسطة، ليس للصلاة فقط، للصلاة ولنجلس عليها على ألواح الثلج هذه، ولنجلس عليها على مقاعد البوسطة الحديدية إذا سمحوا لنا بإدخالها البوسطة.

- أخت أمل، هذه أول مرة تنزلي فيها بوسطة؟



- نعم هذه أول مرة أخت سهام، إن شاء الله تكون آخر بوسطة وما نحتاج غيرها إلا بوسطة الإفراج.

- أخت سهام أنتِ محكمتك معنا في سالم؟

- لا أنا محكمتي في عوفر، الجنوب والخليل، بيت لحم، والوسط رام الله، أريحا عادة محاكمنا في محكمة سجن عوفر أما أنتم الشمال طولكرم، نابلس، جنين، سلفيت، قلقيلية، فمحاكمتهم في محكمة سالم.

- رح تحكمي أخت سهام؟

- لا أعتقد أني سأحكم، على الأكيد سيكون عندي تأجيل؛ لأن أبناء قضيتي في سجن عوفر وعسقلان ولا واحد منهم حكم، وحسب اتفاقهم مع المحامي حسبا أخبرني يريدون أن يحكموا هم في الأول لأجل تخفيف حكمي وأنا أحكم في النهاية ويكون حكمي خفيف.

- وأنتم سيكون عندكم حكم هذه المرة؟

- نحن أقصد أنا وحياء أول مرة ننزل محكمة، لا أعتقد حسب ما أخبرتني السيدة لينا سيكون عندنا حكم، يعني هذه جلسة فتح ملف.

- ليس شرطاً إذا المحامي جاب لكم حكم مريح، أحكموا عادي، في ناس حكموا بالزنازين، هذه سلطات الاحتلال لا قانون لها، ومحاكمها لا تستند لأي نظام سوى نظام المخابرات، القاضي، والمحامي والنيابة، كلهم عبارة عن كومبارس وأحجار شطرنج، اللاعب الأساسي بالمحاكم، والذي



يصدر الحكم هي المخبرات، يخرج الأسير من التحقيق ويخرج حكمه معه للقاضي، القاضي ما عليه سوى النطق بالحكم. تتولى وحدة خاصة من قوات الاحتلال تسمى بـ(وحدة النخشون) مهمة نقل الأسرى الفلسطينيين في البوسطة، فالسائق والحارس وكل أفراد طاقم البوسطة هم أعضاء في وحدة النخشون، لها لباس موحد ومميز عن بقية الوحدات، لها سياراتها الخاصة بألوانها الخاصة، وهذه الوحدة هي أقرب ما تكون بشركة أمنية خاصة.

وحدة النخشون تتمتع بمميزات خاصة جعلت منها قوة مميزة في مؤسسة الشاباص مع عدم تبعيتها لها، بل تعمل وحدة النخشون مع الشاباص ضمن عقود عمل، هذه المميزات تبدأ بمواصفات أعضائها الجسدية، فالطول له مقياس معين، العمر، المستوى الصحي، كذلك التسليح ومستوى التدريب، فكافة أعضائها جاؤوا من الجيش أو الشرطة، أضف إلى ذلك العبء الفكرية لأعضائها القائمة على كراهية العرب بشكل عام والشعب الفلسطيني بشكل خاص والأسير الفلسطيني بأخص الخصوص، يتم رسم صورة الأسير الفلسطيني أنه إرهابي، قاتل أطفال، مجرم، متعطش للدماء، كائن بشري لا يستحق الحياة، عدو متربص ما إن تنفك قيوده سيفتك بمن حوله قتلاً وذبحاً ودماءً، لذلك من لحظة خروجه من باب الأمتناه إلى أن يعود إليها يجب أن يبقى مقيّد اليدين والرجلين وتحت المراقبة التامة من أعضاء النخشون.

قافلة من سيارات البوسطة بإشراف وإدارة وحراسة وحدة النخشون تدخل ساحة سجن الشارون الرئيسي الواقعة مباشرة خلف الباب الرئيسي للسجن إلى الغرب من مباني السجن، سيارتا جيمس



بيضوا اللون معتمتا الزجاج، وسيارتان كبيرتان، شاحنات، من طراز أفيكو وقد ثبتت على كل واحدة منهما صندوق حديدي أصبح يعرف في أدبيات الأسرى باسم البوسطة، وخلف هاتين الشاحنتين دخلت سيارتا جيمس أخريان تنتميان لنفس القوة.

نزل أفراد وحدة النخشون من سيارات البوسطة رغم أن المكان صخبته عالية، وأصوات صناديق العتاد حين سحبها من أرضيات السيارات وإلقائها على الأرض وكأنها ضجة مفتعلة هدفها إزعاج وإخافة الأسير الفلسطيني، ظانين أن من تحدى الأباتشي والميركافة سيخاف من صوت سلاسل القيود حين ارتطامها بالأرض.

تقدمت مجندات من وحدة النخشون نحو باب غرفة الانتظار وبرفقتهنّ سجانات من طاقم الإدارة:

- يلابنات، كليشات.

مدّت كل أسيرة يدها ليتم وضع القيود فيها من قبل المجندات، مجنّدة من طاقم السجن عندما تنتهي من التقييد تفتح باب الغرفة، تخرج الأسيرات الخمس من غرفة الانتظار، ضابط من وحدة النخشون يتقدم صوبهنّ برفقة فرقة من النخشون وضباط من طاقم السجن وييده ملف فيه صور ومعلومات عن الأسيرات، تارة ينظر إلى وجه الأسيرات، ثم يعود ليقارن مع الصور في الملف الذي يحمله، وفي نفس الوقت تقوم مجندات من وحدة النخشون بوضع القيود بأرجل الأسيرات.



بعد التقييد والانهاء من عملية التأكد من الهويات وإجراء التفتيش اليدوي والآلي، مجندات من وحدة النخشون برفقة مجندين ظلوا على بعد فاصل من الأسيرات، قُدنَ أمل وحياة إلى شاحنة (البوسطة) وفرقة أخرى بنفس الإجراءات قادت الأسيرات تغريد وتهاني وفداء إلى الشاحنة الأخرى، استغرقت عملية تحميل الأسيرات إلى البوسطة حوالي 30 دقيقة، وفور الانتهاء من عملية التحميل يتم إعادة تحميل العتاد الذي أنزلوه لإعادته للسيارات مرة أخرى بنفس الضجة والجلبة.

سيارة البوسطة من الداخل تقسم إلى ثلاثة أقسام، مربع في مقدمة السيارة يحتوي على أربعين مقعداً حديدياً، ويفصل هذا المربع عن بقية المربع باب حديدي، في أعلى هذا المربع شيء سُمي زوراً وهتافاً بالشبايك، بالكاد يسمح لنسبات من الأكسجين بالتسلل إلى داخل الصندوق، في مؤخرة الشاحنة تم تثبيت صندوقين من الحديد بشكل مستطيل يحتوي على مقعد حديدي طويل من أول المستطيل إلى آخر القفص أحدهما لنقل الأسيرات الإناث، وأما المستطيل الثاني فمخصص لنقل الأسرى الخطرين أو المشاغبين، وكل مستطيل له بابه الخاص، تبدأ المعاناة مع الأسرى منذ اللحظات الأولى لدخول البوسطة، فالكراسي الحديدية يعتبر الجلوس عليها عقوبة بحد ذاتها، الصندوق المعتم والمحروم من الأكسجين قالب ثلج في الشتاء، وفرن نارٍ في الصيف، ومع حركة البوسطة وانطلاقها تبدأ المعاناة الحقيقية، بل يبدأ فصل جديد من التعذيب الجسدي نحو الأسير، فعملية الخض من الارتجاج لا تبقى عظمة في جسد الأسير إلا وأزاحتها من مكانها، لم تبق قطعة إلا وخضتها كما تخض البدوية لبن نعاجها





بالركوة، الرأس ارتجّ حتى فقد التركيز، حتى تصدّع منه الصّداع، البطن بكل أحشائه انخضّ وارتجّ حتى لم يعد للمعدة عمل ولا ضرورة لطحن الطعام، فالبوسطة تكفّلت بطحنه حتى اختلطت الحوامض بالقواعد، وما عادت أغشية الأمعاء الغليظة والدقيقة تتحمل هذا المخلوط المسموم، فبدأت المعدة تلفظه. البوسطة تخض بجسد الأسير، والأمعاء بدأت تنقبض وتبسط ومع كل انقباضة وانبساطة يصل المخلوط المسموم إلى أعلى الحلق ثم يعود، تصل الروح إلى لحظة الخروج مع كلّ انقباضة وانبساطة، اليدان مقيدتان، الأرجل مقيدة مع كل حركة كالسكين تبدأ بجز اللحم، ومع الوقت يثقل وزن الأصفاد أو على الأقل يتخيل للأسير أنه ثقيل، وفي الشتاء تزداد الأصفاد برودة أكثر من برودة الطقس وكأنها قطعة مغناطيس، ولكن بدل جذب الأجسام المعدنية تجذب البرودة لتصّبها في عظم الأسير، ويا ويل من يكون بعظمه كسور أو إصابات وجبرت تلك الكسور بالبلاتين.

تتحرك قافلة البوسطة ومع حركتها تتحرك الأوجاع والآلام بجسد الأسير الفلسطيني، صداع الرأس، غثيان المعدة، خذلان الأيدي والأرجل المقيدة، الآلام أثناء الجلوس على المقعد الحديدي، يعجز الوصف عن وصفها، تارة تسرع البوسطة وعلى الإشارة الحمراء تتوقف فجأة، ترتطم الرؤوس إلى خلفية المقعد الحديدي، ثم تندفع إلى الأمام مرتطمة بالكرسي الأمامي الحديدي، ويا تعاسة من ينسى أنه مقيد، أحياناً تكون ردة الفعل على الضربة أقسى من الضربة نفسها.

حطت القافلة رحالها على أبواب سجن عتليت في شمال فلسطين إلى



الجنوب من مدينة حيفا، وعلى الأسرى المسافرين قسرياً عبر هذه البوسطة الانتظار لما يقارب ساعة بغية تحميل وإنزال أسرى مدنيين في هذا السجن لخلوّه من الأقسام الأمنية، هذا الانتظار يمر على الأسرى ثقيلاً ومؤملاً، فخلال تحرك البوسطة يتم تشغيل جهاز المكيف داخل البوسطة وليست مهمة هذا الجهاز التبريد على الأسرى بل مهمته إدخال الأكسجين إلى الصندوق الحديدي كفرن محكم الإغلاق، إلا من شبابيك صغيرة بالكاد تسمح بتسلل بعض من الأكسجين، أمّا في حال توقف البوسطة فيتوقف محرك الشاحنة مما يعني توقف المكيف عن العمل، من جهة ثانية تشكل مرحلة الانتظار في المحطات المختلفة لحظة استراحة والتقاط أنفاس بالنسبة للأسير، فمعاناة نقص الأكسجين مقدور عليها أمام توقف يزيد عن الساعة مقابل معاناة الارتجاج والخض وآلام الرأس والمعدة وضغط الأذنين وحز الأصفاد على لحم اليدين والرجلين وحالة الغثيان التي تصيب بعض الأسرى والأسيرات.

بعد توقف لمدة ساعة على بوابات سجن عتليت انطلقت البوسطة في رحلة إلى سجن الجلطة حيث توقفت هناك أكثر من ساعة كما هو المعهود في سجن بئر السبع والجلطة، ثم أكملت القافلة رحلتها باتجاه سجن السلمون والحرمون في الجليل الفلسطيني في شمال فلسطين، لتعود بعدها إلى سجن شطة والجلبوع مع توقف لمدة نصف ساعة، ومن ثم إلى سجن مجدو مع توقف لمدة أربعين دقيقة، ومن ثم إكمال الرحلة النهائية إلى مركز توقيف سالم حيث توجد محكمة سالم إلى الشمال الغربي من مدينة جنين، وفي كل محطة توقف يتم إنزال وإعادة تحميل الأسرى السياسيين



والجنائين فلسطينيين ويهودًا، جمعتهم معاناة البوسطة وفرقتهم أهداف وغايات الأسر، فشتان ما بين أسير فلسطيني سياسي نذر زهرة شبابه لقضية وطنية عادلة، وبين سفيه وأسير جنائي مجرم ارتكب كبائر الجرائم بحق نفسه ومجتمعه.

قضت أمل وحياة رحلة البوسطة وحيدتين منذ خروجهما من سجن الشارون حتى وصولها إلى سجن الجلجلة، وهناك انضمت إليهن أسيرة من سجن الدامون، حيث يتواجد قسم للأسيرات الفلسطينيات، مجنّدة نخشون فتحت باب المربع المتواجد فيه الأسيرات أمل وحياة وقد مدّدت حياة جسدها على الكرسي الطويل مفترشة سجادة الصلاة، وغطت بنومة خفيفة على رجل صديقة عمرها أمل في استراحة مقاتل بعد رحلة البوسطة المضنية.

- حياة، حياة.

- نعم شو في؟

- مجنّدة بدها تفتح الباب، اصحي، على ما يبدو وصلنا المحكمة.

- مجنّدة نخشون تفتح الباب، ولكنها لم تطلب من أمل وحياة الخروج، لحظة ودخلت أسيرة في بداية العشرينات من عمرها.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.



مدّت يدها وسلمت عليهنّ، وعرّفت عن نفسها: أنا الأسيرة صابرين من نابلس، حاليًا في سجن الدامون، عندي محكمة في سالم.

- أهلاً وسهلاً فيك أخت صابرين، أنا أمل صالح، وهذه صديقتي و بنت جامعتي وصديقة طفولتي وشبابي حياة بشير من جنين، حاليًا نحن في سجن الشارون، ومثلك نازلين على محكمة سالم.

- يعني مثلي مواقفات.

- نعم مواقفات.

- كم لكنّ في السجن؟

- حوالي ثلاثة شهور.

- إن شاء الله بتروحوا من المحكمة.

- وأنت أخت صابرين كم لك في السجن؟

- حوالي ثمانية شهور.

- ما هو عملكم خارج السجن؟

- نحن طالبات ندرس في جامعة النجاح في نابلس.

- من أي منطقة أنت؟

- من نابلس.



- أنا من نفس المدينة.
- أهلاً وسهلاً بك.
- ما هي أخبار الأخوات في سجن الشارون؟ إن شاء الله مرتاحين، مع علمي أن السجن لا راحة فيه.
- الحمد لله وضعهنّ ممتاز، كالعادة داخلياً الحمد لله الوضع مطمئن والبنات متماسكات ويد واحدة في مواجهة الإدارة، أمّا العلاقة مع الإدارة كالمعتاد متوترة حيناً وهادئة حيناً آخر.
- والأخوات عندك في الدامون، ماهي أخبارهنّ؟
- الحمد لله لا يختلف الوضع عندنا عما هو عندكم ولكن الوضع عندكنّ في الشارون أفضل، أنا كنت في الشارون قبل خمسة شهور على صعيد الحياة اليومية ومرافق القسم عندنا أفضل.
- كم عدد الأخوات عندكم في سجن الدامون؟
- حوالي ثماني عشرة أخت.
- وعندكم في الشارون كم عددهنّ اليوم؟
- حوالي خمسين أخت.
- سلامي للجميع لكل البنات، أمانة لا تنسي أحد منهن كلهن أخوات عزيزات وغاليات، إن شاء الله الفرج قريب للجميع.



- أخت صابرين لماذا انتقلت من سجن الشارون؟

- أنا لم أنتقل، الإدارة هي التي نقلتني أنا وبقية الأخوات، ما في حدا يفضل الخروج من الأفضل إلى الأسوأ منه، سجن الشارون مقارنة بسجن الدامون جنة بكل معنى الكلمة رغم أن السجن يبقى سجنًا.

- أخت صابرين ما اسم هذا السجن؟

- هذا سجن الجلطة وبالعبري اسمه (كيشون)، وهو مركز تحقيق لأسرى مدينة جنين وطولكرم وقلقيلية وسلفيت والداخل الفلسطيني، وهو محطة مركزية لكل بوسطة لا بد أن تمر بها.

- إحنا من جنين ولكن لم يتحقق معنا هنا ولكن حقق معنا في مركز بيتح تكفا.

- قد تكون قضيتكم في نابلس.

- صحيح.

- لهذا السبب حولتم إلى طاقم التحقيق المسئول عن ملف نابلس في مركز بيتح تكفا.

- أخت صابرين بعد الجلطة إلى أين وجهة البوسطة؟

- كالمعتاد إلى سجن السلمون والحرمون.

- سجن السلمون والحرمون، سجن أمني؟



- لا سجن مدني ولكن هذه البوسطة تحمل مدني وأمني.

- أين يقع هذا السجن؟

- في شمال فلسطين، في الجليل الفلسطيني المحتل عام 1948 م.

بعد توقف استمر لمدة ساعة في ساحة سجن الجلجلة وإجراء عملية تبادل لقوة الحراسة من وحدة النخشون، وإنزاله أسرى بغية نقلهم إلى محاكم مؤقتة وتحميل أسرى جدد بغية نقلهم إلى سجون أخرى خصوصاً شطة و جلبوع ومجدو، انطلقت البوسطة برحلة جديدة باتجاه شمال فلسطين، من حيفا، إلى مدينة الناصرة، إلى مثلث يوم الأرض عرابة وسخين ودير حنا، وقبل الدخول إليه إلى الشمال يتم الانعطاف إلى اليمين مبتعداً عنه باتجاه شبكة طرق توصل إلى آخر محطة في الشمال تصل إليها البوسطة إلى سجن السلمون والحرمون، وكالمعتاد التوقف للإنزال والتحميل ومدة التوقف من نصف ساعة إلى أربعين دقيقة تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً.

بعد سجن السلمون والحرمون، وإنزال وتحميل الأسرى الجنائين يهوداً وفلسطينيين عادت البوسطة جنوباً باتجاه سجن شطة و جلبوع الملتصقين معاً في مرج بيسان على أرض معركة عين جالوت، ومن ثم توجهت البوسطة إلى سجن مجدو حيث يقبع أكثر من ألف أسير في هذا السجن القائم إلى الشرق من مدينة أم الفحم على ساحل مرج بن عامر الغربي المطل شرقاً على مدينتي العفولة والناصرة، وإلى الجنوب منه تربض مدينة جنين القسم.



على بُعد خمس عشرة دقيقة بالسيارة من سجن مجدو وباتجاه الجنوب تقع محكمة سالم الواقعة ضمن معسكر عسكري صهيوني حمل اسم قرية سالم العربية الواقعة بالجوار والمحتلة عام 1948م، وفي هذه المحكمة الصورية والشكلية يتم محاكمة الأسرى الفلسطينيين السياسيين من مدن نابلس وجنين وطولكرم وقلقيلية وسلفيت وطوباس، من هذا المعسكر يخرج الجيش الصهيوني لمداومة منازل المواطنين الفلسطينيين في مدينة جنين ومخيمها وقراها وهو منطلق الوحدات الخاصة، وحدات القتل والاعتقال والموت.

على أبواب زنازين محكمة سالم (الأمتهاه) أنهت البوسطة رحلتها المشؤومة وأفرغت حمولتها من الأسرى، وكما التحميل يتم بمظاهرة وضجة مفتعلة وأصوات عالية ومزعجة، كذلك عملية إنزال الأسرى بنفس المواصفات والمعايير يتم إنزال الأسرى الرجال أولاً من كل البوسطات وحشرهم في غرفة زنازين (أمتهاه) في انتظار الخروج إلى المحاكم أو مقابلة ضابط المخابرات، وكم من أسير نزل بوسطة وعانى ما عانى من ويلات البوسطة، وعند وصوله إلى سالم أو عوفر لم يجد ضابط المخابرات أو القاضي لأنهم في إجازة، والمحامي لم يحضر، بهذه البساطة معاناة جحيم البوسطة على مدار أسبوع، وأخيراً، متأسفون ارجع للأسبوع القادم.

الأسيرات يتم وضعهنّ في غرفة لوحدهنّ بنفس مواصفات ومعايير غرف الأسرى، لكنها تتميز عن غرفهم بعدم وجود اكتظاظ لقلة عدد الأسيرات.

- أخت صابرين كم من الوقت سنبقى حتى نخرج للمحكمة؟





- الله أعلم، أحياناً ساعة، أحياناً ساعتين، أحياناً أكثر وحسب ما هو واضح أمامنا الأمتناه مليئة بالأسرى يعني اليوم رح متأخر كثير.

- أهاليكن جاين على المحاكمة؟

- والله ما بندري، هل الأهل مسموح لهم الحضور إلى المحاكم؟

- طبعاً مسموح لهم الحضور، ومسموح تتحدثوا معهم، اطلبوا من المحامي يطلب لكم من القاضي تسلموا وتحكوا مع أهلکم خمس دقائق قانونياً مسموح.

- من المحامي الذي سترافع عنكن؟

- ما بنعرف لكن الست لينا الأسبوع الذي مضى جاء المحامي وزارها وأخبرته أن يوقف لنا محامي، لحد الآن ما بنعرف اسم المحامي، أو اسم المحامية.

- على كل حال تقلقوش في محامي لنادي الأسير إذا لم يكن لكم محامي متابع قضيتكن، محامي نادي الأسير يمكن له متابعة القضية لحين توكيل محامي غيره أو إعطائه هو القضية.

- ست صابرين من هو الذي يوكل المحامي؟

- أكثر من جهة، الأهل مثلاً، أنتم حالياً تستطيعون الحديث مع محامي نادي الأسير أن يتابع قضيتكن ويمسك ملفكن، ومن داخل السجن يستطيع التنظيم توكيل محامي لكن، صحيح أنا نسيت أسألکم شو تنظيمكم، يعني عند مين عايشات؟



تبادلت أمل وحياة النظرات وكأنهنَّ بدأنَّ يشككن بالأسيرة صابرين التي تداركت الموقف سريعًا بحكم خبرتها في السجن، الله يسامحن ليش بتطلعوا على بعض وكأنكن تشككون بي وبجديتي، اطمئنوا أنا مش عصفورة، ولا جاسوسة، أنا ما بسأل عن قضيتكن وأسراركن، أنا بسأل عن شيء طبيعي وموجود في كل سجن، يعني احنا حاليًا الإدارة تعرف هذه الغرفة فتح، وهذه الغرفة حماس، هذه الغرفة جهاد إسلامي، هذه الغرفة جهة شعبية، هذه ليست أسرار، ويوجد مؤسسات حقوقية تدافع عن الأسرى، على كل حال مش رح تضيعوا.

- شو بتدرسن في جامعة النجاح؟

- نحن الاثنتين ندرس القانون (محاماة).

- يعني رح تصيروا محاميات وترافعوا عنا في المحاكم.

- الله كريم إن شاء الله، ربنا يفرج عنا ونرجع الجامعة ونكمل دراستنا ونتخرج ونخدم قضية الأسيرات.

- أخت صابرين أنتِ بتشتغلي مهنة معينة؟

- أنا درست للصف التاسع وأشتغل خياطة في مشغل خياطة في نابلس.

- هل أنتِ متزوجة؟

- الحمد لله متزوجة وعندي ولد واحد.

- كم عمره؟

- سنتين ونصف.



- ما اسمه؟
- أنس.
- عند مين عايش حالياً؟
- عند أبوه وجدته (حماتي).
- أهلك أقصد زوجك وأهله متقبلين فكرة أنك مسجونة وأسيرة؟
- في البداية واجهتني مشكلة كوني ربة بيت وعندني طفل صغير وزوج، ولكن فيما بعد أصبح الأمر واقعاً وتقبلوا الوضع، وإن شاء الله الحكم بسيط وأعود إليهم.
- أنت ست حياة مخطوبة أم متزوجة أم عزباء؟
- أنا عزباء، وريجي حالك وأمل مثلي عزباء.
- أنت ناطقة باسمها!
- لا إنا الاثنتين روح واحدة خلقت بجسدين، طفولتنا مع بعض، شبابنا مع بعض، الدراسة من الابتدائي حتى الجامعة، حتى السجن مع بعضنا.
- إن شاء الله ربنا يفرج عليك وتزوجن إخوان، وتسكن بنفس البيت، وتموتن بنفس اليوم وتدفنوا بنفس القبر.
- الله يسمع منك النص الأول من دعائك، والنص الثاني بعد طول العمر.



## 13

قاعة محكمة سالم العسكرية عبارة عن بناية تتكون من طابق أرضي مقسوم إلى جزأين، الجزء الأول وهو الجزء الشمالي من المبنى عبارة عن مكاتب وقاعة اجتماعات للقضاة، والجزء الثاني وهو الجزء الجنوبي من المبنى وهو عبارة عن قاعة مربعة الشكل، وفي الجهة الشمالية منها انتصبت مقاعد القضاة، مقاعد فاخرة خلف منصة خشبية ثبتت على منصة إسمنتية عالية ومرتفعة عن كل مكونات القاعة، وقد صممت بشكل تبدو أنها في علو وزهو وارتفاع وكبر وجبروت، أسفل المنصة الخشبية أربع طاولات خشبية وعلى كل طاولة جهاز كمبيوتر ومجند أو مجندة بلباس عسكري يجلسون على كراسي ويسجلون كل كلمة يقولها القاضي أو المحامي أو تُخيل للأسير أنهم



كذلك، والحقيقة أن القاضي لا يتكلم شيئاً إلا النطق بالحكم، وأحياناً ترديد بعض التهم الموجودة في لائحة الاتهام الموجهة للأسير الفلسطيني من قبل النيابة والتي يتعامل معها كنص مقدس يمنع مجرد مناقشته، كل ما يقوم به هؤلاء الجنود والمجنندات عبارة عن أعمال روتينية وتعبئة استمارات جاهزة على جهاز الكمبيوتر لا علاقة لها بما يقول القاضي ولا المحامي، بالإضافة للطاولات الأربع التابعة لجهاز القضاء العسكري يوجد أيضاً طاولتان بنفس المواصفات والتجهيزات ولكن بموظفين بلباس مدني.

وفي الجهة الجنوبية من قاعة المحكمة مقاعد خشبية طويلة وبسيطة الشكل والتجهيز أشبه ما تكون بمقاعد صف دراسي ابتدائي قديم وقد ثبتت هذه المقاعد بالأرض، وهذه المقاعد مخصصة لأهالي الأسرى الذين يحضرون محاكمة أبنائهم، ويحضر الأهالي إلى المحاكمات لرؤية أبنائهم لا طمعاً أو ثقةً في عدالة القضاة والمحاكم، فهم يؤمنون إيماناً عقائدياً أن القاضي والمحامي والمحكمة كلها مسرحية وأحجار شطرنج تحركها المخابرات والنيابة العامة التابعة لها.

ما بين المكان المخصص للأهالي وطاولات السكرتارية العسكرية فاصل بعرض مترين يمنع تواجد أي شخص باستثناء طابور من وحدة النخشون يفصل ما بين الأهالي وهيئة القضاء، ومهمة هذا الطابور قمع الأهالي في حالة إن احتج أحدهم على حكم القاضي أو أن يتكلم أحد حتى لو بصوت منخفض، بالمختصر المقيّد أن غاية السماح للأهالي بالدخول إلى قاعة المحكمة ليست دافعاً إنسانياً أو حقاً للأسير وأهله، بل محاولة بائسة من قبل المخابرات الصهيونية لإذلال الأهالي عبر جلب أبنائهم وبناتهم



مقيدي الأيدي والأرجل وإطلاق الأحكام الجائرة بحقهم، وكل ذلك أمام مرأى ومسمع الأهالي، ولكن خاب ظن الاحتلال وجهازه القضائي؛ لأن أهالي الأسرى لا يرون أبناءهم إلا أسودًا سواء أكانوا في ساحات المواجهة أم في زنازين الاعتقال.

إلى الجهة الشرقية من قاعة المحكمة مستطيل ضيق جدًا بعرض متر وطول ثلاثة أمتار، يفصل هذا المربع عن باقي مكونات المحكمة جدار إسمنتي بارتفاع متر، ويتم الدخول إلى هذا المستطيل عبر بوابة صغيرة من الجهة الشرقية لقاعة المحكمة يؤدي إلى غرف انتظار المحكمة (الأمتهان)، هذا المستطيل مخصص لجلوس الأسرى خلال مسرحية محاكمتهم، في هذا المستطيل كرسي خشبي طويل، يفصل مستطيل جلوس الأسرى عن طاوولات السكرتارية فاصل بعرض مترين مخصص لتحرك ووجود المحامي الذي يسمح له وحده بالتحرك ما بين مربع الأهالي ومربع القضاة ومستطيل الأسرى، ولا ننسى وجود مجندي ومجنّدات وحدة النخشون أمام مستطيل تواجد الأسرى.

قاعة المحكمة العسكرية سواء أكانت في سالم أو سجن عوفر مسرحية استعراضية بكل معنى الكلمة أعدت بإحكام حتى يظهرها بمظهر دولة القانون، وأن هذه محكمة حقيقية يقف الأسير كمتهم بريء حتى تثبت إدانته، ويقدم المحامي الأدلة الداحضة للتهمة الموجهة للأسير، وتقدم النيابة أدلتها الدامغة على تورط الأسير بالتهمة المنسوبة إليه، بينما يقف القاضي في منطقة الوسط والعدالة أخذًا الكل بعين الاعتبار، متبّعًا بالنهاية الأدلة والبراهين المثبتة للبراءة أو المثبتة للإدانة ومُصدرًا حكمه بناءً على ما



توفر أمام عينه، لكن الواقع مخالف للصورة الوهميّة التي تبدو عليها هذه المحكمة أو المسرحية بمعنى أوضح، فلا القاضي قاضٍ، ولا المحامي محامٍ، الشيء الوحيد الصحيح في قاعة المحكمة هو الأسير الفلسطيني، المقاتل الحقيقي والمدافع الصنديد عن حرية شعبه ووطنه وإن كان يفقد حرّيته في هذه اللحظات كرامةً لأهله وشعبه، فالنضال دومًا يستلزم التضحية. إلى جانب الأسير الفلسطيني تقف العائلات الفلسطينية التي أنجبت أولئك الأبطال وربّتهم لهذه اللحظات، فتلك الأشبال من تلك الأسود وتلك العطور من تلك الزهور، أما البقية من مكونات المحكمة الملهاة أو المسرحية القضائية الصهيونية فكمبارس لا أكثر ولا أقل، القاضي، المحامي، النيابة كلهم أحجار شطرنج بيد المخابرات الصهيونية تحركها كيف شاءت.

القاضي جزء لا يتجزأ من سلطة الاحتلال وأداة من أدوات المخابرات الصهيونية بلباس القضاة، اختلفوا بالاسم والزي واتّحدوا بالهدف وهو تحطيم وسحق المواطن الفلسطيني. في المحكمة أو مسرحية المحكمة يلعب القاضي دورًا قانونيًا وهو مجرد النطق بالحكم الذي حدّدته له مسبقًا المخابرات الصهيونية.

في منظومة الدول الديمقراطية حسب ادعائهم يتم الفصل بين السلطات الرئيسية الثلاث في مؤسسة الدولة (السلطة التشريعية، السلطة القضائية، السلطة التنفيذية)، في الكيان الصهيوني وأمام المواطن العربي تختفي كل المسميات والعناوين وتختفي معها السلطات الثلاث لتحل مكانها سلطة واحدة هي تشرعن وتقضي وتنفذ، إنها سلطة المخابرات، في مسرحية المحاكمة الصهيونية للأسير الفلسطيني يتنازل القاضي عن دوره



كسلطة مستقلة، يتنازل عن دوره كجهة قضائية مسؤولة عن إحقاق الحق ونصرة المظلوم، يتنازل عن القيمة الإنسانية لوظيفة القضاء لصالح السلطة السياسية (سلطة الاحتلال)، سلطة جهاز المخابرات. الأسير الفلسطيني لا يؤمن بكل هذه القيم التي يدّعيها القضاء الصهيوني، من الاستقلالية والنزاهة والحيادية؛ لأنه يعيش التبعية المذلة من جهاز القضاء لجهاز المخابرات، ويعيش العناء المستشري بهذه المؤسسة والانحياز الواضح لسياسة القمع الممنهج الذي تقوم به مؤسسة الجيش والمخابرات بحق المواطن الفلسطيني، سواء أكان مواطناً عادياً في الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة أو في الأراضي المحتلة عام 1948م، أو كان أسيراً في سجونها.

351

القاضي الصهيوني بلباسه الأسود يلعب دوراً ثانوياً في مسرحية المحاكمة، مع أن دور القاضي في العادة في أي محكمة غير المحاكم الصهيونية يكون دوراً أساسياً، بل إن القاضي هو روح المحكمة، إلا هنا في المحاكم الصهيونية فهو جثة متحركة فوق كرسي القضاء، مهمته النطق بالحكم، وهذا الحكم محدد له مسبقاً، مكتوب وجاهز، الأسير الفلاني مدة حكمه كذا والأسيرة الفلانية مدة حكمها كذا، صاغته المخابرات الصهيونية وما على القاضي إلا تحريك شفثيه بالحكم.

يخضر الأسير أو الأسيرة الفلسطينيان إلى قاعة المحكمة، وإذا ما دخل القاضي فالواجب على الأسير أو الأسيرة الوقوف له ومن لم يقف يجن جنون القاضي، يشتاظ غضباً، تتحول الجثة الهامدة، الكرسي على كرسي، إلى ردّاحة، ولا يهدأ، ولا يرضى إلا بزيادة حكم الأسير جزاءً له على فعلته المنكرة بعدم الوقوف للقاضي، لماذا؟ لأنه أهان المحكمة وأهان القاضي





بعدم الوقوف له، النيابة العامة الممثل والوجه القانوني لجهاز المخابرات الصهيونية وهي تمثل الادعاء العام والخصم الحقيقي للأسير الفلسطيني في المحكمة هي الكل بالكل، هي المدعي، وهي القاضي، وهي واضعة التهم، ومصدرة لوائح الاتهام، مصدره الأحكام، مثبتة الأحكام.

تعتمد النيابة العامة في تقديم لوائح الاتهام على ما تقدمه المخابرات الصهيونية لها من المعلومات التي تحصل عليها من العملاء والجواسيس بداية دون كشف مصدرها، ومن ثم ما تحصل عليه من معلومات من المعتقل خلال التحقيق معه، كما أن التهم التي توجه للأسير الفلسطيني سواء اعترف بها أم لم يعترف بعُرف النيابة العامة تكفي أن تكون أدلة دامغة كافية لإدانة الأسير الفلسطيني وتقديمه للمحاكمة وإصدار الأحكام بحقه بناءً عليه.

النيابة العامة هي اللاعب الأساسي في مسرحية محاكمة الأسير الفلسطيني، فهي جهة الادعاء التي تُقدم لائحة الاتهام ضد الأسير الفلسطيني، وهي نفس الجهة التي تحدد مدة الحكم، وتترك للقاضي المسكين دور النطق بالحكم، أما المحامي فتترك له مهمة الترجمة للأسير، إن النيابة توجه لك تهمة كذا، وتهمة كذا، وبناءً عليها تطالب النيابة بالحكم لمدة كذا، والقاضي يطالب بالحكم لمدة كذا، أما أنا فحصلت لك على حكم كذا.

القاضي الصهيوني يتعامل مع لوائح الاتهام المقدمة إليه من قبل النيابة العامة كنص مقدس لا يأتيه الباطل بتاتاً، وغير قابل للمناقشة أو الطعن، لا



من قبل المحامي ولا من قبل الأسير، وأنها أدلة دامغة على تورطه، وما على الأسير إلا الإقرار بها وقبول ما سينطقه القاضي من حكم.

يمارس القاضي دوره التمثيلي في مسرحية المحاكمة كقاضي مجرد من كل قيم العدالة الواجب توافرها أخلاقياً في منصب القضاء، فالقاضي الصهيوني ليس مستعداً لسماع المحامي ومناقشته بصحة أو صدق التهم الموجهة للأسير، ويمنع منعاً باتاً الأسير الفلسطيني من مجرد الكلام؛ فالنقاش مع المحامي يدور حول مدة الحكم لا حول قضية التهم، تعتمد النيابة العامة في صياغة بنود التهم ضد الأسير الفلسطيني على الاعترافات التي يتم انتزاعها من الأسير الفلسطيني بشتى الطرق، القوة، الإكراه، الخداع، وتقديمها للقاضي كبنود إدانة دامغة على تورط الأسير في التهم المنسوبة إليه، لا يقل القاضي في مسرحية المحاكمة سادية عن الجندي الصهيوني الواقف على محاسيم الاحتلال في حوارة وزعترة وقلنديا والزعيم والطيبة والكونتينر، أو الجندي الصهيوني في وحدات الاغتيال والاعتقال التي تدهم منازل المواطنين ليلاً وتعيث فيها فساداً وخراباً كقطع الطرق، أو كالمحقق النازي والفاشي في زنازين التحقيق، فكلهم احتلال، بمهات مختلفة بهدف واحد هو تحطيم الإنسان الفلسطيني وسحقه.

لا تحمل المحكمة الصهيونية من المحكمة إلا الاسم، أما المضمون فلا علاقة له بالمسمى لا من قريب ولا من بعيد، صحيح أنها محكمة بقاعة وقاضٍ ومحامٍ ودفاعٍ وادعاء عام، المظهر الخارجي مظهر محكمة، ولكن الجوهر مسرحية خداع، هدفها خداع العالم بأنها دولة ديمقراطية وأنها راعية لحقوق الإنسان، بدليل أن الأسير الفلسطيني والمعتقل عندنا يأخذ



حقه بالمحاكمة العادلة والدفاع، والحقيقة أن الأسير الفلسطيني يؤخذ لمحاكمة شكلية صورية مجرداً من أبسط حقوقه الإنسانية في محكمة حقيقية عادلة وهيئة دفاع نزيهة.

المحامي في أي محكمة يمثل هيئة الدفاع عن المتهم مستخدماً كافة الطرق المشروعة لإثبات براءة موكله وداحضاً كل ادعاءات النيابة العامة، فدائماً تسعى النيابة لإثبات التهم الصهيونية ثم تجريد المحامي من مضمونه وصلاحياته، حتى أضحى اسماً بلا مضمون، وفقد المحامي وظيفته الأساسية في الدفاع عن الأسير وإثبات براءته من التهم الموجهة إليه من قبل النيابة العامة ومن يقف خلفها من جهاز المخابرات الصهيونية.

لقد صُممت المحكمة أو مسرحية المحكمة بطريقة تجرد الأسير الفلسطيني من حق الدفاع عن نفسه، وجرّدت بالوقت نفسه المحامي من حق الدفاع الحقيقي عن موكله، فبالإضافة للإرهاب الذي تمارسه المخابرات على المحامي فإن بنية المحكمة وطريقة ونهج القضاء الصهيوني جعلت المحامي ضعيفاً ومحاصراً ومجرداً من أي قوة أو وسيلة للدفاع عن الأسير، وأبقته مجرد مترجم ما بين القاضي والنيابة والأسير، وإن كان المحامي من أهل الضفة الغربية ولا يعرف اللغة العبرية فاقراً على الدنيا السلام، حتى هذا الحق لن يستطيع القيام به.

القاضي الصهيوني يأخذ لائحة الاتهام المعدة مسبقاً من قبل النيابة العامة لا كلائحة اتهام، بل يأخذها كلائحة إثبات التهم، وأن كل ما في هذه اللائحة صحيح مائة بالمائة ومثبت وأكد ولا نقاش عليه، بل



النقاش يدور حول مدّة الحكم، هذا البند عليه كذا سنة، هذا البند مع ذاك البند عليه كذا سنة، الملف كله عليه كذا سنة، القضية عليها كذا سنة، سوق، بيع، شراء، لذلك أكثر الأسرى الفلسطينيين يحاكمون بنظام الصفقات، النيابة تطالب بحكم، المحامي يطالب بحكم، القاضي يعرض حل الوسط والذي بالطبع يلبي الحد الأقصى لمطلب النيابة، يبقى دور المحامي كم يستطيع أن يُخفف من مدة الحكم، سنة، شهر، حسب شطارته، وفي النهاية يتم التوصل لحل وسط أو لا يُرضي المخبرات، وثانيًا يرضي القاضي، وأخيرًا يرضي المحامي.

الصفقات في المحاكم الصهيونية في سالم وعوفر في الكوايس، فكما يعقد التجار صفقات البيع والشراء لسلمة معينة، كذلك يتم التلاعب بأعمار الأسرى والأسيرات الفلسطينيين، حسب المحاكم الصهيونية تُصنّف بنود الاتهام حسب خطورتها، فالبنود الواردة في نصوصها قضية قتل تصف برقم، مثل (A51) بنود الإصابة، (B51) بنود إطلاق النار، العبوات، إلقاء المولوتوف، إلقاء الحجارة، تجارة السلاح، جلب الأموال، مظاهرات، مسيرات، تحريض على وسائل التواصل الاجتماعي. يتم صياغة لائحة اتهام نهائية قبل المحكمة الأخيرة والتي بناءً عليها يتم إصدار الحكم بحق الأسير أو الأسيرة، وتصنيف إصدار الحكم بحق الأسير أو الأسيرة وتصنيف البنود وأرقامها، كما أنه قد يكون مشتركًا فيها أكثر من أسير وأسيرة، خلال عقد الصفقات يتم التلاعب بالأحكام ما بين المثلث الخطير على عمر الأسير والأسيرة الفلسطينيين، فأحيانًا يتم تلبس القضية لشخص من أبناء القضية وإعطاؤه حكمًا عاليًا مقابل تخفيف أحكام بقية



أبناء القضية، وهي ما يعرف بالعرف الشعبي (عملية تلبيس الطواقي)، وأحياناً يتم توزيع الحكم على أبناء القضية، بالمجمل إن المحكمة الصهيونية عبارة عن عملية بيع وشراء وعقد صفقة ثمنها عمر وحياة الأسير الفلسطيني بعيداً عن قيم العدالة والإنسانية.

إصدار الحكم على الأسير الفلسطيني يتم بطريقتين، الطريقة الأولى هي طريقة عقد الصفقات (حكم صفقة)، وفي هذه المحكمة لا يتم مناقشة بنود القضية بل يتم مناقشة مدة الحكم، بمعنى آخر وأدق يتم التوصل لمدة حكم ما بين النيابة والقاضي والمحامي على حساب عمر الأسير بطريقة البيع بالجملة، الجمل بما حمل، وهذه الطريقة هي المتبعة بإصدار الحكم على الأسرى وتنفوق نسبة 99٪ من مجموع المحاكم، وبهذه الصفقة يتم إغلاق الملف نهائياً ونادراً ما يتم فتحه وإعادة المحاكمة سواء من قبل النيابة أو من قبل الأسير نفسه، أما الطريقة الثانية في المحاكمة وإصدار الحكم وهي (طريقة المرافعة) ونادراً ما يلجأ الأسير إلى هذه الطريقة، أو بالأحرى نادراً ما تسمح المحكمة بهذا النوع من المحاكم، فتضع العراقيل تلو العراقيل حتى لا يطالب الأسير بالمرافعة، في محكمة المرافعة يتم فتح ملف الأسير ويتم مناقشة بنود لائحة الاتهام بنداً، بنداً، وتستهلك المحكمة وقتاً طويلاً أكثر بكثير من مدة محاكمة الصفقة، وبالغالب يعتمد القضاء إلى مضاعفة حكم الأسير الفلسطيني، وكذلك تلجأ النيابة العامة لإعادة فتح القضية، وتطالب برفع مدة الحكم زيادة على الحكم الجائر الذي أصدره القاضي، والهدف من ذلك الانتقام من الأسير وردع الأسرى الآخرين حتى لا يطالبوا بمحاكمة المرافعة أو يلجؤوا إليها.



من الأسباب التي تدفع القاضي إلى الانتقام من الأسير الفلسطيني في ذهابه لمحكمة المرافعة أن هذا النوع من المحاكم يُفسد المسرحية القضائية التي أعدتها النيابة العامة بالتواطؤ مع جهاز القضاء، فيضطر القاضي للنظر والدراسة في كل بنود القضية وجلب الأدلة والإثباتات، وهذا يحتاج لساعات من العمل والدارسة والأخذ والرد ما بين القاضي والمحامي والنيابة، بعكس القضية التي لا يبذل القاضي أدنى جهد في دراستها؛ لأن القضية أصلاً لا تُفتح ولا تدرس بل الذي يُدرس هي مدة الحكم فقط.

قوة من وحدة النخشون ثلاثة مجندين وقد اقترب أحدهم من باب الغرفة وأمتناه رقم (1) في محكمة سالم وبرفتهم مجندتان، الثانية بيدها الأصفاد الحديدية وقد وقفت بالقرب من الأشناق بعد أن فتحته.

- أمل صالح!

- نعم أنا أمل، موجودة.

- يلا بيت مشبات، أي محكمة.

مدّت أمل وحياء أيديهما لتقوم المجندة بوضع القيود بهما عبر الأشناق، وبعد إكمال عملية التقييد تراجعت أمل وحياء إلى داخل الغرفة، وفي نفس الوقت تراجعت المجندة التي قيدتهنّ إلى الخلف.

مجند وحدة النخشون وقد فتح الباب ولم يتكلم بكلمة واحدة.

مجندة النخشون الثانية: يلا، محكمة.



وقد خرجت أمل وحياة من باب الغرفة وعلى بُعد مترين أمرها الضابط بإعادة تقييد الأسيرتين بقيود واحدة، يد يمين من إحدى الأسيرات على يد شمال مع الأسيرة الأخرى.

خلال هذا التبديل الذي استغرق حوالي الدقيقتين استغلت أمل وحياة هذه اللحظات الثمينة حيث ساء بلا أسلاك شائكة، وقرية زبوبا الفلسطينية ماثلة أمام نظرهما، كل شيء فيها فلسطيني يتكلم «عربي» لا شيء يتكلم عبرياً، الشمس، الهواء، المسجد، المئذنة الطويلة، الهدوء، السكون، إلا من بعض ضجيج السيارات أو صياح ديك هنا ونهيق حمار هناك، جو فلسطيني بامتياز.

358

أنهت المجندة عملية تبديل القيود، وقادت الأسيرتين مقيدتي اليدين والرجلين إلى قاعة المحكمة عبر باب صغير يؤدي إلى المستطيل المخصص لجلوس الأسرى في القاعة، أول مرة تدخل فيها الأسيرتان أمل وحياة قاعة محكمة سالم، لا تعرفان طبيعة المحكمة، يجعلان ما هو موجود داخل المحكمة، دخلتا وأنظراهما مباشرة على المكان المخصص لجلوس القضاة، ولم تنتبها لوجود الأهل في الزاوية الجنوبية من القاعة.

امرأة فلسطينية في بداية العقد الخامس من عمرها وقد نادت بصوت عالٍ: أمل! أمل!

- سكوت، سكوت.

قال ضابط في وحدة النخشون.



انتبهت أمل، إلى مصدر الصوت، ليس غريباً، إنه صوت والدتها من المربع المخصّص لجلوس الأهالي، ويلمح البرق، أشاحت بنظرها عن القاضي وزبائنه وركزت نظرها صوب والدتها التي ظلّت تشير لها بيدها مبتسمة رغم هطول الدموع من عينيها والتي راحت تمسحها بيدها الأخرى.

قبل أن تتكلم أمل بكلمة واحدة مجندات وحدة النخشون الواقفات أمامها: سكوت، هدوء، الكلام ممنوع، نحن في محكمة.

أهملت أمل مكونات المحكمة وركزت كل اهتمامها على والدتها لتكتشف أنها ليست الوحيدة، أختها الكبيرة صباح موجودة في القاعة، والدها أيضاً موجود، الكل يلوّح بيده، تعلو وجوههم البسمة وتغمرهم الفرحة لمجرد رؤية ابنتهم.

حياة أيضاً والدها ووالدتها وأخواها الصغيران، الكل مسرور، الكل فرح، الكل يبعث بالتحيات والسلامات والأشواق، الكلام ممنوع يجب أن يعم القاعة الهدوء بانتظار دخول القضاة في حركة مسرحية سخيقة وإن منع الكلام، فالقلوب تفهم الحركات والإشارات؛ لأنها صادرة من القلب إلى القلب، ويكفي أنها صادرة من القلب ليقوم بفك شيفرتها وترجمة لغتها وحل ألغازها، مشاعر جيّاشة، فرح مختلط بحزن، دموع حارقة تنسال على الوجنات، أشواق مكبوتة، رغبة بالقفز على صف النخشون والوصول إلى الأهل واحتضانهم وتقيلهم وتقيل أيديهم ورؤوسهم، ولكن الأصفاد في الأيدي والأرجل، حائط من الباطون، حاجز عند مجندي النخشون،





كلها فواصل بين الأسيرتين والأهل، يكفي في هذه اللحظات أن تمتلئ العيون من رؤياهم، إن منعت الألسن من الكلام والبوح بمشاعر الحنين والاشتياق فلا شيء يمنع العيون عن الكلام، لا شيء يمنع القلوب عن الكلام، فالمشاعر تنساب مع الفضاء انسياب الأصوات مع الأثير، تلتقطها القلوب الظمأى والعطشى، إشارات متبادلة ما بين الأهل والأسيرتين مفهومة، واضحة جداً، إننا بكما فخورون، ونحن كذلك، أحوالنا ممتازة، لا تقلقوا علينا، نحن بخير، ونحن كذلك بخير المهم أننا داخل السجن، ديروا بالكن على صحتكن، ونحن جداً مشتاقون لكم، ونحن جداً مشتاقون لكم، لا تقلقوا علينا نحن بخير، فترة بسيطة، والفرح قادم، الحرية قادمة.

صوت مشؤوم عكّر صفو اللقاء الودي الجميل، قطع خيوط الانسجام العاطفي ما بين قلوب الأهل الملهوفة لرؤية ابنتيهم وقلبي الأسيرتين المتفطرين شوقاً وحباً لدفء حضن الأم وحنانها، للمساتها الطاهرة، صوت مشؤوم يُنذر بقدوم القاضي.

- محكمة! قيام!

الواجب على الكل الوقوف احتراماً لمن لا يستحق الاحترام، لحجر شطرنج، لدمية تتحرك من خلف الستار، ولكن حكم القوي على الضعيف لا مفر عنه، الوقوف لمجرم تزين بلباس العدالة ليحاكم الضحية، فازداد بهذا اللباس سواداً وقبحاً ومسخرة، ثلاثة قضاة يدخلون قاعة المحكمة، يجلسون على كراسيهم المخصصة لهم، موظفون في المحكمة يوزعون أمامهم عدد



من الملفات، ملفات خضراء، ملفات زرقاء، ملفات صفراء، رُتبت فوق بعضها البعض كفصل من فصول المسرحية القضائية، القاضي الذي يجلس على الكرسي الأوسط وهو رئيس المحكمة والقاضي الرئيسي فيها، والأيمن قاضٍ وإلى شماله قاضية وقد ارتدوا معاطف سوداء، موظف في المحكمة من خلف القاضي الرئيسي يتقدم ويسحب الملف الأزرق والأخضر ويفتحهما ويقدمهما إلى القاضي الرئيسي ويتراجع إلى الخلف، القاضي يقرب كرسيه إلى الطاولة، ويستل نظارة طبية سميكة العدسات ليبدو منها أن بصره قد انعمى كما بصيرته، دقائق معدودة وقد ساد الهدوء المكان، ألقى نظرة سريعة على الملفين، ثم توجه تلقاء الكمبيوتر ضغط على الأزرار، جمع القضاة، جمع كتيبة من العسكريين والمدنيين خلف كمبيوتراتهم، وبدأوا على الضغط، الكل يكبس على الأزرار، دخل المحامي إلى المربع المخصص له تحت منصة القضاة وقد تستمر بجانب إحدى الطاولات مركزاً نظرة على شاشة الكمبيوتر لموظفة عسكرية وهي تكبس الأزرار، رجل أصلع الرأس يلبس على عينيه نظارات طبية في أواسط الأربعينات من عمره، يرتدي قميصاً أبيض اللون وبنطالاً أسود، يحمل بيده ملفات، اقترب قليلاً من الجدار الإسمنتي الفاصل لمربع تواجد الأسرى من مكونات المحكمة وبصوت هادئ.

- مرحباً، أنا المحامي فريد.

- أهلاً وسهلاً، أنا أمل صالح.

- أنا حياة بشير.

- أنا المحامي الموكل بالدفاع عنكُنَّ، أنا بعمل مع نادي الأسير



الفلسطيني، ملفكُن عندي وإن شاء الله سأدرسه جيداً ولكنَّ أن تكونوا مبسوطات، أنا تحدّثت مع الأهل.

- أستاذ فريد لنا في السجن ما يقارب أربعة شهور لماذا لليوم لم تدرس الملف، ملفنا بسيط وليس بحاجة لهذا التأخير.

- ملفكُن معي، فقط شهر وأنا سأدرسه لا تقلقوا، ثقوا بي.

- يعني اليوم مش راح نحكم!

- على ماذا مستعجلين؟ لا يوجد من يحكم من أوّل يوم، ما زالت القضية في بدايتها، بدنا وقت حتى يدرس الملف ونصل لصفحة، اليوم أول جلسة محاكمة لكنّ وعلى الأكيد سيكون القرار تأجيل المحكمة.

- أستاذ فريد القدم من سجن الشارون للمحكمة قطعة من جهنم، المسافة بالسيارة من الشارون إلى هنا ساعة بالكثير، صار لنا في البوسطة أكثر من عشر ساعات، يعني الرحلة ليست بسيطة حتى نحضر ونقف هنا عشر دقائق وأخيراً النتيجة تأجيل، أستاذ فريد إذا في إمكانية لتأجيل محكمتنا بدون حضورنا وفي المحكمة الأخيرة نحضر.

- لا يجوز أخت أمل، حسب القانون لا يجوز التأجيل غيابياً للأسير الذي عنده قضية، لو كان إداري ما في مشكلة، أنا أقدر التعب والمشقة التي تواجهونها في البوسطة، بعينكم الله، مأجورين عند الله ولكن هذا قانون مفروض علينا.



- يعني أستاذ فريد سيكون عندنا تأجيل، إذا سمحت اجعل التأجيل إلى ما بعد شهر رمضان كما تعلم يعني بقي لرمضان خمسة عشر يوماً، لا نريد أن ننزل للبوسطة في رمضان، ونحن مفطرين رأينا الموت ألوان وأشكال في البوسطة، كيف سيكون الحال في رمضان ونحن صائمات.

- إن شاء الله سأعمل كل جهدي لتأجيل المحكمة إلى ما بعد العيد.

- أستاذ فريد بعد إذنك نريد أن تطلب من القاضي أن نصافح ونسلم على عائلاتنا.

- سأطلب من القاضي ولكن حسب خبرتي لن يسمحوا لكم؛ لأن هذه أول محكمة.

- أنت أطلب ومش خسران شيء.

- سأخبركم بالرد، عايزين شيء من أهاليكن؟ أنا سأتكلم معهم.

- سلم عليهم وأخبرهم أننا بخير ولا ينقصنا شيء، وأخبرهم أن قضيتنا بسيطة ولا تقلقوا علينا، نحن داخل السجن مبسوطين ومرتاحين ولا يوجد ما يخيف أو يقلق.

وضع المحامي الملفات الموجودة بحوزته على طاولة صغيرة خُصِّصَت للمحامين وتوجَّه تلقاء الأهالي وتكلم مع والديّ الأسيرتين أمل وحياء لدقائق معدودة ناقلاً السلامات والتحيات شفويّاً للأهل.

- موظف المحكمة الواقف خلف القاضي تقدم نحو الميكروفون



المتبث إلى جانب القاضي الرئيسي في المحكمة طالبًا من النيابة العامة التحدث.

موظف النيابة العامة وهو طبعًا ممثل الشباك في المحكمة بلباسه المدني يقف خلف موظفة جالسة خلف جهاز الكمبيوتر، يعطيها تعليمات بصوت منخفض لا يكاد يسمع، وهي بالتالي تقوم بإدخال المعلومات إلى جهاز الكمبيوتر.

توجّه موظف النيابة العامة صوب المحامي وبصوت منخفض يتمتّان معًا وقد اتفقا على أمر ما، القاضي واضعًا كفة على خده متكئًا عليها بانتظار اتفاق المحامي مع النيابة.

أنهى المحامي والنيابة العامة حديثهما، توجه المحامي مخاطبًا القاضي ضمن لعبة تبادل الأدوار.

- سيدي القاضي، أتمنى من حضرتكم قبول طلبي بتأجيل جلسة محاكمة موكلتي أمل رقم ملف (6250) وموكلتي حياة (6251) إلى ما بعد عطلة عيد الفطر السعيد، أي إلى تاريخ...

- القاضي: هل النيابة موافقة على طلب التأجيل.

موظف النيابة العامة: نعم سيدي القاضي النيابة العامة موافقة على طلب المحامي، ولا مانع لدينا من تأجيل الجلسة إلى الموعد المحدد بالتوافق مع الأستاذ المحامي.



القاضي سحب الكرسي الحامل لجثته بسرعة مقرباً إياها من الطاولة، وبدأ بعملية تكبيس الأزرار على جهاز الكمبيوتر، وتبعاً له بدأ جميع الكتبة عملية التكبيس في حركة عضوية مرتبطة ومتشابكة مع بعضها البعض، ومع إنهاء القاضي لعملية التكبيس أنهى الجميع العملية.

الموظف الواقف خلف القاضي وعبر مكبر الصوت: القضية رقم (6250) تأجيل تاريخ كذا، كذا، القضية رقم (6251) تأجيل لتاريخ كذا، كذا.

طرق القاضي بالمطرقة الخشبية، رُفعت الجلسة.

ضابط من وحدة النخشون فتح الباب الخلفي لقاعة المحكمة المؤدي إلى مستطيل تواجد الأسرى في القاعة، برفقته مجندين من نفس الوحدة.

يلا بنوت للأمتناه.

قادت المجندة الأسيرتين أمل وحياة إلى غرفة انتظار المحكمة (الأمتناه) بانتظار البدء برحلة العودة إلى السجن، وهذا يعني البدء بالشق الثاني المضني والمتعب من رحلة البوسطة إلى السجن، رحلة شاقة ومضنية تمتد لأكثر من ست عشرة ساعة بصندوق حديدي مغلق تمضيها الأسيرة الفلسطينية من سجن الشارون إلى محكمة سالم لقاء الوقوف خمسة دقائق أمام القاضي والنتيجة تأجيل، وحتى النطق بالحكم يكون بأقل من خمس دقائق.

في رحلة العودة من المحكمة تم وضع الأسيرات الثلاث في سيارة



جيمس بيضاء تابعة لوحدة النخشون، وشقَّت طريقها مباشرة نحو السجن في رحلة تستغرق حوالي أربعين دقيقة لتتوقف السيارة هناك ما يقارب ثلث ساعة في عملية تحميل وتنزيل روتينية، لكن هذه المرة سيارة النخشون لوحدها بدون البوسطة وتحميل بدون تنزيل.

أسيرة فلسطينية جديدة تم ترحيلها من زنازين التحقيق في سجن الجلطة إلى سجن الشارون، انضمت لقافلة الأسيرات العائدات من المحكمة، مجنّد نخشون يفتح باب سيارة الجيمس، تهم أمل بالنزول فيقابلها بالصراخ وهو يشير بيده إلى الوراء: لا، لا، لا.

فهمت أمل من خلال حركة يده أنه لا يريد إنزالها، انفجرت حياة وصابرين بالضحك على أمل التي احمرَّ وجهها من الإحراج، لحظات قصيرة، أسيرة فلسطينية تبدو عليها آثار التعب والمكوث الطويل في الزنازين تقف خلف مجنّدات النخشون، جندي يمسك باب السيارة وقد تراجع مع الباب إلى الخلف، دخل ممسكًا بالباب، مجموعة مجنّدات نخشون مع أسيرة فلسطينية يتقدمن نحو السيارة.

- تفضلي.

- شكرًا، بتناقل ينمّ عن تعب حقيقي وإرهاق قاتل.

حملت الأسيرة جسدها المثقل بالآلام إلى داخل السيارة وقد أشرق وجهها المصفر بابتسامة عفوية، سرعان ما كتمتها وتراجعت عنها لخوفها أن تكون هذه السيارة وما فيها من الأسيرات مصيدة عملاء وعصافير



وأسلوبًا من أساليب التحقيق في خداع الأسير الفلسطيني، فقررت التزام الحذر.

- السلام عليكم ومدت يدها لمصافحة الأسيرات الثلاث.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، الحمد لله على سلامتك.

- الله يسلمكن.

- من وين الأخت؟

- من طولكرم.

- شكلك طالعة من زنازين التحقيق.

- صحيح.

- أنت من أين؟

- أنا أمل صالح من جنين.

- أنا حياة بشير من جنين.

- أنا صابرين من نابلس.

- أهلاً وسهلاً فيكن، أنا اسمي ياسمين، وين باقيين؟ من وين

قادمين؟





- كنا في محكمة سالم.
- والآن إلى أين أنتنَّ ذاهبات؟
- أنا وحياة في سجن الشارون، أما الأخت صابرين في سجن الدامون، هل قالوا لكِ إلى أين منقولة؟
- أنا بحكيش عبري ولا أفهم عبري، ولكن كأني فهمت لسجن شارون.
- كم صار لك في السجن؟
- شهر وخمسة أيام
- وأنتنَّ؟
- أنا وأمل صار لنا في السجن حوالي أربعة شهور، أما الأخت صابرين فلها سبعة أشهر.
- قلتن أنكنَّ كُنتنَّ في المحكمة هل حكمتنَّ؟
- لا والله، تم تأجيل المحكمة إلى ما بعد رمضان.
- إن شاء الله خير، ربنا يفرج عنكنَّ.
- أنتِ من نفس مدينة طولكرم ولا من القرى؟ ولا؟
- داست صابرين على قدم حياة معطية إياها إشارة أن تلتزم الصمت؛



لأن الأسيرة مرتبكة وخائفة ومُتعبة، ونحن لا نعرف من تكون هذه الأسيرة فكل الأسرى أسماؤهم عربية ويقولون إنهم من مدن وقرى عربية، هو في عصفور ولا جاسوس يقول اسمه الحقيقي أو بلده الحقيقي، فهتمت حياة مغزى حركة صابرين فأنفت الحديث مع الأسيرة الجديدة أخذًا بالاحتياط والحذر.

بعد توقف لمدة عشرين دقيقة في سجن الجلمة (كيشون)، انطلقت سيارة النخشون في رحلة إلى سجن الدامون حاملة في غياهبها أربع أسيرات فلسطينيات جمعهنَّ القيد والأسر وفرَّق قلوبهنَّ الشك والحذر، ثلث ساعة من الرحلة على سفوح جبال الكرمل الفلسطينية وصلت السيارة إلى بوابة سجن الدامون، لا تزال الأسيرة صابرين وقد اقتربت الساعة من السادسة مساءً كما هو المعتاد في رحلة البوسطة توقف في كل سجن، تحميل وتنزيل، تبديل سيارات تبديل أطقم الحراسة، تبديل أطقم العمل ومن ثم انطلاق إلى المحطة التالية، وهكذا من سجن السلمون والخرمون في أقصى شمال فلسطين حتى سجن النقب في أقصى الجنوب، مرورًا بأغلب السجون والمعتقلات في رحلة أقل ما توصف بأنها قطعة من عذاب يتمنى الأسير أن يُضاعف حكمه مقابل انتهاء رحلة البوسطات والنزول إلى المحاكم.

من سجن الدامون على سفوح جبال الكرمل الفلسطيني بالقرب من مدينة حيفا عروس البحر الفلسطيني، حيث القمم العالية علوهمم الأسرى والأسيرات الفلسطينيين إلى سجن الشارون وسط فلسطين، رحلة تمتد لما يقارب الساعة، انتهت رحلة الأسيرتين أمل وحياة في تجربة البوسطة الأولى وجلسة المحاكمة الأولى بها لتعانيا بأمر العين حقيقة القانون



الصهيوني الظالم، وتعايشا نظام القضاء الفاسد في كيان يدّعي فصل السلطات والتزامه المطلق بنظام الحريات وتمسكه بأسس الديمقراطية.

من سجن مركز توقيف سالم حيث المحكمة العسكرية إلى سجن الشارون مرورًا بثلاث محطات في سجن الجلطة، ثم سجن الدامون ثم سجن عتليت وأخيرًا سجن الشارون، رحلة استغرقت فقط ساعتين في رحلة العودة، أما في رحلة الذهاب في قافلة البوسطة فقد استغرقت الرحلة أكثر من تسع ساعات وكان ذلك متعمد ومقصود أو نتيجة البيروقراطية في عمل هذه المؤسسة، فإن كان هذا العمل نتيجة العناء فالجريمة والمصيبة أعظم، الأسير الفلسطيني والأسيرة الفلسطينية هما الوحيدان اللذان يدفعان ثمن ذلك من زهرات أعمارهم المهدورة خلف قضبان الأسر وأبواب الاعتقال الصّماء.



## 14

الساعة السابعة مساءً، سيارتان تابعتان لوحة النخشون تتوقفان بفارق زمني بسيط على بوابة سجن الشارون الرئيسية، تُهَيَّان كافة الإجراءات الأمنية الروتينية من الفحص والتدقيق، ثم تدخلان إلى ساحة السجن، بعد ربع ساعة من وجود السيارتين وبداخلهما الأسيرات الفلسطينيات الثلاث وقد أعيهنَّ التعب والإرهاق من طول السفر، وعزاًؤهن الوحيد أن هذه هي المحطة الأخيرة في رحلة العذاب، ودقائق معدودة ويدخلن إلى القسم ويسترحن من عناء البوسطة.

مجموعة من ضباط وسجانين وعاملين في إدارة سجن الشارون وضباط من وحدة النخشون يجرون عملية التبادل للملفات المعهودة في



كل بوسطة.

من سيارة النخشون القادمة من محكمة سالم نزلت ثلاث أسيرات أمل وحياة وياسمين، قائمة جديدة من زنازين التحقيق في سجن الجلمة، ومن سيارة النخشون القادمة من محكمة عوفر نزلت خمس أسيرات تغريد، أماني وهدى، ريمًا وسامية، قادمتان جديدتان إحداهما من مركز تحقيق المسكوبية والثانية من مركز تحقيق بيتح تكفا.

الأسيرات الثماني وفور الانتهاء من روتين التسلم والتسليم ما بين النخشون وإدارة السجن تم وضعهنَّ في غرفة صغيرة، إلى اليمين من البوابة الرئيسية لسجن الشارون من الداخل، هذه الغرفة مخصصة كمحطة انتقالية للأسيرة خلال انتقالها من وإلى السجن، وقد ألفت كل أسيرة أغراضها خارج الغرفة، على المقعد الإسمنتي الممتد على طول جدران غرفة الانتظار ألفت كل أسيرة جسدها المنهك المتعب في استراحة أسيرة قصيرة قبل الدخول إلى القسم، كل أسيرة تفرك بيدها بلطف حول معصمها لتلطف الجلد المحمر من أثر القيود وقد تركت بصماتها الحارقة حول معاصم اليدين والرجلين، خمس أسيرات قديمات وثلاث أسيرات جديدات، جمعتهنَّ آلام البوسطة، والقيود والأصفاد وغرفة الانتظار، جمعتهنَّ ظلم الاحتلال في الخارج والداخل، جمعتهنَّ آمال الحرية والانعقاد من سجون الاحتلال، جمعتهنَّ سنن ثابتة لا تتغير، وقوانين تسير بانتظام مع شروق كل شمس، طالما الاحتلال موجود سيظل ظلمه موجودًا، سيظل الاغتيال والاعتقال، التحقيق والسجون طالما الاحتلال موجود سيظل الخيار الوحيد الشهادة في مواجهة الاغتيال، الصمود في مواجهة الاعتقال، الراية لن تسقط، تتوارثها الأجيال جيلاً تلو



جيل، قافلة شهداء تلو قافلة، شهيد تلو شهيد، أسير تلو أسير، أسيرة جديدة، أسيرة قديمة، ومد الثورة في تواصل حتى الحتمية النهائية والوعد الرّباني الأكيد، حتى الانتصار والتحرر، أسيرات قديمات، أسيرات جديدات بعد رحلة بوسطة مضنية لأكثر من ست عشرة ساعة، رغم التعب والنصب والإعياء والأجساد المنهكة من شقاء السفر وآثار القيود حول المعاصم، ورغم آلام البوسطة القاتلة إلا أن شهية الكلام والحديث تبقى محافظة على صدارتها ومكانتها المرموقة، والفضول موجود للمزيد والمزيد من الأخبار والمعلومات، ولكن في غرفة الانتظار يكفي معرفة الحد الأدنى.

لم تصبر حياة طويلاً على الصمت القاتل المخيم على غرفة الانتظار، فالأنظار مشدودة نحو ترقب قدوم سجان أو سجانة لإدخالهنّ إلى القسم والانتهاء كلياً من آثار رحلة البوسطة المضنية، ولكن لا السجان قادم، ولا الوقت يقبل الانقضاء، والأسيرات في صمت كل مشغولة بتعبها.

- أخت هدى شو صار معك في المحكمة؟

- تأجيل أختي حياة، وأنت شو صار معك؟

- نفس الشيء والله يا أخت هدى تأجيل لبعد العيد.

- أنت أخت هدى؟

- الحمد لله حكمت ثمانية عشر شهراً وألفين شيكل غرامة، أمضيت

منهنّ ثلاثة عشر شهراً وبقي لي أقل من أربعة شهور.



- لماذا أربعة شهور؟
- لأن حكمي أقل من أربع سنوات يجري عليّ قانون المنهلية (الإداري) يعني خصم لي شهر وخمسة أيام.
- الأخوات جديداً عنا في القسم؟
- نعم.
- من وين حضر تكنّ؟
- أنا ريبا من أريحا، جئت من مركز تحقيق المسكوبية.
- أنا هنادي من رام الله، جئت من مركز تحقيق بيتح تكفا.
- كم قضيت في التحقيق أخت ريبا؟
- حوالي خمسة وعشرين يوماً.
- وأنتِ أخت هنادي؟
- أربعين يوماً.
- في حدا منكنّ متزوجة؟
- ريبا: أنا لست متزوجة ولا مخطوبة.
- هنادي: وأنا معك بالهوى سوى لا مخطوبة ولا متزوجة، بدري العمر بعده بأوله.



- أمل، حياة شهيتك مفتوحة على الحكيم، الأخوات عنا بالقسم  
ارحميهنَّ في الأرض ربنا يرحمك في الأرض والسماء، اعتقيهنَّ لوجه الله،  
الأخوات تعبانات وقدمات من التحقيق والبوسطة يعني من تعب لتعب  
ومن غم لغم، اتركيهن بحياة أبوك خليهنَّ يرتاحوا، ملحقين على الحكيم.

- أنت ست حياة من وين؟

أنا من جنين، هذه أمل صديقة عمري بنت قضيتي، رفيقتي في  
الدراسة والجامعة والاعتقال.

- بأي جامعة كنت تدرسي؟

- في نابلس في جامعة النجاح الوطنية، ندرس قانون، صار إلنا  
سنين.

- يعني رح تصيروا محاميات؟

- إن شاء الله ربنا يفرج عنا من السجن سنكمل دراستنا في الجامعة.

- كم عدد الأسيرات داخل القسم في سجن الشارون؟

- حوالي خمسين أسيرة.

- خمسين أسيرة، كنت مفكرة حالي أني أنا الأسيرة الوحيدة!

- كلنا كنا نفكر نفس التفكير، لكن لما نصل السجن نتفاجأ بوجود

كم كبير من الأسيرات.





بعد مرور ما يقارب النصف ساعة لوجود الأسيرات الثمانية داخل غرفة الانتظار، ثلاث سجانات من طاقم الإدارة على باب غرفة الانتظار، سجانة تفتح الباب، سجانة ثانية بيدها ألبوم صور للأسيرات، السجانة الثالثة واقفة على أربعة أمتار من الغرفة وبيدها هاتف نقال تعبت به ولا يعنيها كل ما يدور حولها.

أكملت السجانة عملية التشخيص وأخبرت الأسيرة تغريد بصفتها تتحدث اللغة العبرية أن الأسيرات الجديديات الثلاث ليس لهنّ صور وكرت تشخيص، والآن قبل دخولهنّ إلى القسم سيذهبن إلى مكتب نائبة المديرة لتصويرهنّ وإعطائهنّ كرت التشخيص بينما بقية الأسيرات سيدخلن القسم.

حملت كل أسيرة أغراضها الخاصة وتوجهن تلقاء القسم، وعلى باب مكتب نائبة مديرة القسم طلبت السجانة من تغريد أن تترجم للأسيرات ما تقول.

- أخواتي الأسيرات الخمس القديديات إلى القسم، أما الأسيرات الجديديات سيذهبن للتصوير في مكتب نائبة المديرة.

دخلت الأسيرات الخمس إلى القسم وقد تعدّت الساعة الثامنة مساءً، وهذا هو سر تأخر العدد الأمني المسائي والذي بالعادة يكون حوالي الساعة السادسة والنصف مساءً، فبسبب تأخر البوسطة وغياب ثماني أسيرات من السجن تم تأجيل العدد الأمني الأخير، بسرعة أنهت نائبة المديرة عملية تصوير الأسيرات الجديديات وعلى عجل تم إرسالهنّ إلى القسم.



- أمل و حياة على باب غرفة رقم (6): السلام عليكم يا أحلى صبايا الوطن.

- أهلاً وسهلاً، الله لا يجيب الغلا يا ست حياة، رجعنا! إحنا قلنا نرتاح أسبوع زمان من غلبتك، على كل حال الحمد لله على سلامتكن.  
- الله يسلمك ست منال.

- شو صار معكن بالمحكمة؟

- تأجيل، كل هالبوسطة والعذاب على تأجيل.

فتحت السجنانة الجالسة في غرفة التحكم المركزية أبواب الغرف لدخول الأسيرات، كل أسيرة إلى غرفتها، وبالأحضان الدافئة استقبلت الأسيرات أخواتهن القادמות من البوسطة سواء، العائدات من المحاكم أو القادמות من مراكز التحقيق.

- الحمد لله على السلامة.

- الله يسلمك شيختنا الفاضلة فاطمة.

- يلا ارتاحوا شوي علشان كل واحدة منكن تستحم وتتخلص من ريحة البوسطة، كل ملابس البوسطة وضعنها في هذه الشنطة علشان بكره الصبح نبعثها للمغسلة، وخلال حمامكن أكون حضرت العشاء.

- يرضى عنك يا شيخة فاطمة ويسلموا إيديكي، حتى اللي نازلة بوسطة بتقلقي عليها وبتهتمي بأمرها.



- هذا واجبنا أخت أمل، أنتِ إنسانة عزيزة وغالية.
- ومن على برشها تنحنحت حياة، ففهمت الشيخة فاطمة مقصودها،  
وأنتِ ست حياة عزيزة وغالية، وأنا مش ناسياك يا غالية.
- شيخة فاطمة العدد بأي لحظة ممكن يدخل، تأخر كثير اليوم أنا  
أقترح الأخوات يرتاحن وبعد العدد يكون الحمام والعشاء.
- كلامك مزبوط أخت منال، أنا والله ناسيه العدد، حاسبه حالي  
عدّينا.
- ست لينا صحيح في ثلاث أسيرات جديدات دخلن القسم معنا.
- من أين هنّ؟ وما هو تنظيمهنّ؟ وعلى أي غرف دخلن؟
- في بنت من طولكرم وأخرى من أريحا والثالثة من رام الله، أما  
شو تنظيمهن والله ما سألنا؛ لأنه بنت طولكرم طلعت معنا في البوسطة  
من سجن الجلمة، أسيرة جديدة وما بنعرفها ولا تعرفنا، فما حييت أسألها  
هذه الأسئلة، والأخوات الثانيات على باب السجن تعرّفنا عليهن؛ لأنهنّ  
جئن في بوسطة عوفر.
- الصباح رباح ونعرف كل المعلومات عنهن.
- دخل العدد المسائي القسم وكما هو معتاد، روتين لا يتغير، ضجة،  
صراخ، دروع بلاستيكية، دروع واقية، المظاهرة المعتادة، وعقب العدد وضع  
الأقفال ضجة ليست بأقل من ضجة العدد حيث يتعمد السجن أو



السجانة وضع القفل بالمكان المخصص بكل عنف وقوة، وفتح وإغلاق الشناكل بكل قوة حتى تحدث صوتًا عالية ومزعجًا، حتى إن السجنان نفسه ينزعج منه، ولكن السادية المستشرية بدمه تدفعه لإيذاء الآخرين تعبيرًا عن معدنه الرديء.

أشرقت شمس يوم جديد على الأسيرات داخل سجن الشارون واقتربت الشمس من منتصف النهار، وأمل وحياة غارقتان في نوم عميق استجابة لحاجة الجسد المنهك تعبًا من رحلة البوسطة المضنية، وبالكاد استيقظتا على عدد الصباح.

تنتهي رحلة البوسطة لحظة عودة الأسير إلى غرفة الانتظار ولكن آثار رحلة البوسطة المادية والنفسية لا تمحى لأسابيع عديدة، فمن الطبيعي أن تستمر آلام البوسطة في النفس والروح ومن الطبيعي أن تبقى آثار القيود والأصفاة جرحًا وحرقًا حول معاصم الأيدي ومكاحل الأرجل، ومن الطبيعي أن يحتاج الجسد لساعات طويلة من النوم والراحة حتى يعوض ساعات الإرهاق والإجهاد التي تعرض لها في البوسطة المهلكة للنفسية والجسد.

حان وقت صلاة الظهر واقترب عدد الظهرية الأمني وأمل وحياة قد مضى على نومها وقت طويل لكن غير كاف للقادمة من البوسطة، وبما أن الاستيقاظ على العدد إجباري فالأولى أن يكون كذلك على الصلاة، ولكن بدون الإجبار والإلزام، هذا محتوى النقاش الذي دار بين الأسيرات داخل الغرفة، فكان الرأي الراجح من الشيخة فاطمة.



- أمل، حياة، صلاة الظهر، وبعد دقائق يوجد عدد، استحموا، صلوا الظهر والعصر جمعًا وعدّوا (العدد)، ثم عودوا للنوم.

بعد جهد وململة ومحاولة يائسة للتهرب من الصحو اضطرت أمل وحياة للصحو أمام ضغط الشيخة فاطمة وأمام الطرح المنطقي، فالعدد قادم لا مجال، والصحو واقع لا مجال، إذًا لا بدّ من الانصياع للغة العقل والمنطق والقبول بعرض الشيخة فاطمة المقنع بالصحو وتأدية الصلاة جمعًا (الظهر مع العصر)، ومن ثمّ العدد ومن ثم العودة إلى النوم، والوقت مفتوح حتى المغرب وهذا وقت كافٍ للراحة. بخطوات متثاقلة سارت حياة من برشها إلى الحمام وكادت أن تسقط على برش الأسيرة منال لولا أنّ منال سارعت للإمساك بها من ذراعها.

380

- اسم الله عليك، اللي بشوفك بقول باقية تشتغلي في محاجر قباطية.

- والله يا أخت منال حيلي مهدود، ومروتي معدومة، هدّوا حيلنا الله يهد حيلهم في هالبوسطة.

- ديرى بالك أرضية الحمام والدورة مليانة مي، ديرى بالك تنزقي، وتصير بدل مصيبة تعب البوسطة مصيبة كسر عمودك الفقري.

- فال الله ولا فالك ست سحر، عمودي الفقري؟! مستعجلة على موتي ولا على قعودي على الكرسي المتحرك.

أكملت حياة وضوءها، وعادت وهي تفرك بيدها على معصمها من آثار القيد.



- ست منال كيف بدّي أتخلص من هذا، وأشارت لأثار القيد الظاهر عل معصمها.

- توالت اجتهادات الأسيرات، أسيرة: ضعي عليها لبن، أسيرة أخرى: ضعي عليها غسل، أخرى: ضعي عليها زيت زيتون، تعددت الاجتهادات، تنوعت الخيارات، فضاع الحل في زحمة الردود دون أن تُعطى صاحبة السؤال أي فرصة للإجابة.

المعتاد سار يوم الأسيرات بروتينه المعتاد بدون أي مفاجآت لطارئ أو عمل غريب يغير من رتابة السلوك اليومي حتى جاء المساء، وخلدت كل أسيرة إلى برشها كما تحلّد الطيور إلى أعشاشها في كل مساء آمنّة مطمئنة رغم الأخطار المحدقة بها من كل جانب، لكن لأنها سنة الحياة أن يعيش الخوف والأمن معاً كما تسير الحياة والموت جنباً إلى جنب.

آلام خفيفة بدأت تداهم جسد الأسيرة أمل، صداع بالرأس، ألم في البطن، سخونة وارتفاع في درجات الحرارة، علّلت ذلك بالبوسطة، معولة على مرور الوقت بشفائها، وكلما مرّ الوقت عاد الجسد إلى وضعه الطبيعي لكنها مراهنه خاسرة، صداع الرأس بازدياد، ألم البطن في تمدد وتوسع، ارتفاع درجات الحرارة في تصاعد، لأول مرة تخرج البوسطة بريئة جزئياً من تهمة تدمير جسد أسيرة، حاولت جاهدة إخفاء وضعها الصحي عن أخواتها الأسيرات حتى لا تزعجهن، خصوصاً أن الساعة قد اقتربت من العاشرة ليلاً وأغلب الأسيرات قد غرقن في نوم عميق، خصوصاً الأسيرات اللواتي يستيقظن مبكراً كمثلة الأسيرات وعاملة الكانتينا



وأميرة الغرفة، لكنّ للمرض داخل السجن لون ورائحة خاصة، سلوك خاص، وزن خاص، طعم خاص، يختلف عن المرض خارج السجن، وكأنّ المرض تحالف مع إدارة السجون في مهمة تحطيم جسد الأسير الفلسطيني، وكما يستفرد الاحتلال أو يحاول الاستفراء بالأسير داخل السجن كذلك هو المرض وإن كان بسيطاً، المرض داخل السجن فرصة يعمل الاحتلال على استغلالها أحسن استغلال للوصول للهدف المنشود وتحطيم جسد ونفسية الأسير الفلسطيني وزرع العلل المستعصية والأمراض المزمنة له؛ لجعله عالية على مجتمعه وشعبه ودلالة لكل من تحدثه نفسه بالنضال وسلوك درب المقاومة ضد الاحتلال أن هذا هو مصيرك، السجن أو المرض أو الاثنين معاً.

ازدادت آلام أمل ولم تعد تستطيع إخفاء أوجاعها؛ لأنها أدركت أن مرضها ليس من تعب البوسطة، وأن السكوت عليه ليس من مصلحتها وأن حياتها باتت في خطر، ولعلها تجد ما يسكن آلامها عند أسيرة أقدم منها بحكم خبرتها في التعامل مع الأمراض داخل السجن، تردّدت كثيراً في البوح بوجعها للأسيرات خوفاً من إقلاقهنّ من جهة، ومعوّلةً على مرور الوقت للشفاء من جهة أخرى.

وأخيراً حزمت أمرها بالبوح بألمها لشقيقة روحها ورفيقة دربها، وصديقة طفولتها حياة وهي الكفيلة بنشر الخبر.

- حياة! حياة!

بصوت هادئ، لم تنتبه حياة لصوت أمل. عاودت الكرة ثانية،



ولكن لا سمح حياة ولا حياة لأسيرة عائدة من البوسطة.

- خير ست أمل في شيء؟

- الله يرضى عنك يا شيخة فاطمة، وضعي الصحي تعبانة جداً، رأسي جداً يؤلني، بطني، كل شيء فيّ يتمزق.

مدت الشيخة فاطمة يدها على رأس أمل.

- صحيح حرارتك مرتفعة، هذا تعب من البوسطة، ارتاحي وإن شاء الله ساعات بسيطة وترجعي لوضعك الطبيعي.

- صار لي أكثر من عشرين ساعة مرتاحة من البوسطة شيخة فاطمة الوجود عندي فقط من ساعة.

استيقظت جميع الأسيرات على حوار الشيخة فاطمة والمريضة أمل.

ممثلة الأسيرات: خير إن شاء الله، شو في شيخة فاطمة.

- أمل مريضة وتعبانة.

سلامتك أختي أمل، ما عليك شر، كفارة وطهور إن شاء الله، سأعطيك حبة دواء مضاد حيوي وإن شاء الله ويارب تشفي.

تناولت ممثلة الأسيرات حبة الدواء خضراء اللون، وأحضرت منال كأس ماء وناولته لممثلة الأسيرات، تفضلي ست لينا.

- يسلم يديك أختي منال.





- يلا يا أمل تفضلي هذه حبة الدواء وعلى رب العالمين الشفاء.

تناولت أمل حبة الدواء ويشق الأنفاس ابتلعتهما، وكادت تخرج روحها وهي تحاول إدخالها إلى جوفها، عادت كل أسيرة إلى برشها ونومها وظلت حياة جالسة عند رأس صديقتها أمل، تمسحه بيدها وقد افترشت سجادة صلاة جلست عليها والدموع تنسال من عينيها وهي ترى صديقة عمرها جسداً متعباً وقد أقعده المرض، ولا تستطيع أن تقدم لها شيئاً سوى الدعوات والتضامن الشعوري، بينما تنهش الأوجاع والآلام جسدها بلا رحمة.

- حياة روحي حبيبتي نامي وارتاحي أنا بخير.

- مش رح أروح، ولا أريد أن أنام، سأظل عندك طول الليل حتى ربنا يشفيك.

- أنتِ مثلي يا هبله جايه من بوسطة وبحاجة للراحة والله العظيم أنا بخير، وبعد حبة الدواء سأكون أفضل، الله يرضى عنك اسمعي كلامي وروحي على برشك بلاش نزعج الأخوات، وإذا احتجت لك سأناديك فوراً.

- ريجي حالك أمل مش رح أرد عليك، من هنا مش راح أتزحزح، أنتِ ارتاحي وحاولي نامي.

سكنت آلام وأوجاع جسد الأسيرة أمل لفترة من الزمن استجابة لمفعول حبة المضاد الحيوي، مما أتاح لها المجال لنوم ما يقارب الساعة، ولكن الأوجاع والآلام عادت لتشتد عليها مرة أخرى وقد اقتربت الساعة



من الثانية عشرة ليلاً، وقد غرقت كل الأسيرات بالنوم العميق إلا حياة التي ظلت تقاوم النعاس وفاءً لصديقة عمرها أمل، وللوعد الذي قطعه على نفسها بالسَّهر على صحتها.

- حياة! حياة!

- نعم أمل أنا بجانبك، أنتِ بخير؟ أنتِ مليحة؟

- لا والله أنا لست بخير، ساعة فقط كلها اللي ارتحت فيها ونمت، أيقظي لنا لازم أنزل على العيادة، أو يأتي الدكتور المهم تشوفي لي حل.

- ماشي أمل أنتِ ارتاحي.

- ست لينا، ست لينا، من فضلك استيقظي، أمل رجعت تعبت.

استيقظت ممثلة الأسيرات وأشعلت ضوءها الخاص في برشها وألقت نظرة على الساعة فوجدتها الواحدة إلا خمس دقائق، توجهت إلى المغسلة، غسلت يديها ووجهها وسحبت الكرسي وجلست بالقرب من أمل.

- ست أمل سلامتك بعدك تعبانة؟

- ست لينا الحبة التي أعطيتيني إياها ارتحت عليها ساعة فقط، الألم والوجع رجع أشد من الأول، أنا متأسفة لإزعاجك، لو أُنِي أفدر على تحمله لما خليت حياة توظفك من النوم.

- ما عليكِ حبيبتي أمل، قلبي معك يا غالية، ياريت أنا المريضة ولا أنتِ، اصبري خمس دقائق ويمر السجن وأنا بحكي له يبعث الدكتور.



- الله يسعدك يا ست لينا، سلامتك وسلامة عمرك وسلامة شبابك، أنا فداك.

دقائق معدودة وجاء موعد دورية السجنانين على غرف الأسيرات حيث موعد هذه الدورية ثابت كل نصف ساعة وقد أحسّت ممثلة الأسيرات بقدومه، فهو يعتمد القدوم بصوت مزعج ويعتمد فحر الأرض بسطاره محدثًا صوتًا مزعجًا.

- سهير، إذا سمحت عندنا حالة مرضية خطيرة، أريد منك الاتصال على العيادة.

- لا يوجد أحد في العيادة، لا طبيب ولا ممرض، انتظري حتى الصباح، يكون الطبيب والممرضين مداومين في العيادة.

- سهير يوجد ممرض مناوب في العيادة، اتصل عليه وهو سيأتي.  
- قلت لا يوجد أحد في العيادة، ثم ذهب يكمل دوريته ليعود ويقف على باب الغرف.

- ما هو اسم المريضة؟

- أمل صالح.

- لماذا مريضة؟ بماذا تشعر؟

- ليس عملك، هل أنت طبيب؟ أنت شرطي، اذهب واتصل بالممرض وهو يتولى الحالة المرضية.



ذهب السجنان إلى غرفة التحكم المركزية ولسان حاله يؤكد أنه لن يتصل لا بالطبيب ولا بالمرض، ولن يهتم بالموضوع بتاتاً.

مرّت نصف ساعة على مغادرته للقسم وأمل تعاني الآلام والأوجاع وقد أضيف إليها وجع الانتظار، وجع الإهمال الطبي، بل وجع النهج المبرمج في التعامل مع الأسير القائم على إهمال علاجه، إهمال تقديم الدواء، إهمال تقديم العلاج المناسب للمريض، إهمال إنزال المريض إلى العيادة، إهمال فحص المريض، إهمال المماطلة في تحويله إلى المستشفيات، إهمال متابعة العلاج، والهدف واضح تحطيم جسد الأسير الفلسطيني.

سجانتان تقومان بدورية مضادة على غرف الأسيرات، من غرفة إلى غرفة حتى وصلت إلى الغرفة رقم (6) ليتفاجأن بصحو الأسيرات كلهنّ وإشعال الضوء، خصوصاً أن هذا الوقت يكون الكل فيه نائماً والضوء مطفأً.

- مساء الخير ست لينا.

- مساء الخير سهيرت نتالي، يوجد عندنا حالة مرضية، الأسيرة أمل مريضة، نحن طلبنا من السجنان الاتصال بالعيادة وإلى الآن لم نرَ الطبيب أو الممرض.

- ست لينا أنا في الدوام منذ ثلاث ساعات لم يخبرنا أحد بهذه الحالة، أنا متأسفة جداً، هذا السجنان الذي كان قبلي أنت تعرفينه وتعرفين سلوكه السيء ونفسيته المريضة، حالاً سأتصل بالعيادة عبر جهاز الاتصال الخاص بالعمل (المخشير).



أجرت السجانة اتصالاً مع ضابط القسم المناوب ومع العيادة وأخبرتهم بوجود الحالة المرضية في القسم، وفي نفس الوقت أكملت السجانة الثانية دورية المراقبة على الغرف وعادت لتقف عند زميلتها في الدورية على باب الغرفة رقم (6).

- ست لينا أنا أجريت اتصالاً مع الإدارة، وحاليًا أنا ذاهبة إلى العيادة وسأعود بعد دقائق.

- شكرًا لك سهيرت نتالي.

مرّت عشر دقائق حتى جاء الممرض وبرفقته ضابط من الإدارة والسجانة نتالي ذات التعامل الإنساني مع الأسيرات.

- صباح الخير، وقد فتح أشناف الباب.

- صباح الخير دكتور.

- ما المشكلة؟

- الأسيرة أمل منذ ثلاث ساعات مريضة، درجة حرارتها مرتفعة جدًا، آلام شديدة في البطن، صداع قوي في الرأس، أنا أعطيتها مضاد حيوي قبل ساعة إلا أن مفعوله غير ناجح.

- إذا سمحت أريد من الأسيرة الحضور إلى الباب.

أحضرت الأسيرات الأسيرة أمل إلى الباب وأقعدتها على كرسي قريب من الباب.



- أريد أن أقيس الضغط، أعطني يدك، قالها الممرض بلغة عربية مكسرة.

- دكتور هل تتكلم اللغة الإنجليزية؟

- نعم أتكلمها.

- وأنا أتكلمها.

فوجئ الممرض وضابط الإدارة والسجانة والأسيرات على حد سواء بالمستوى المتقدم جداً للغة الإنجليزية للأسيرة أمل ومستوى إتقانها.

فحص الممرض الضغط، وسأل مجموعة أسئلة سخيفة مثل ماذا أكلت؟ ماذا شربت؟ وأخيراً هداه اجتهاده لإعطائها مضاداً حيوياً، وأوصاها بشرب الماء، وصباحاً الحضور إلى العيادة حيث يكون الطبيب في الدوام.

مررت تلك الليلة بطيئة وثقيلة على أمل وكل الأسيرات داخل الغرفة رقم (6)، ولم يشفع لأمل إلا التعب وشدة الأوجاع التي أوصلت جسدها لحافة الإنهاك، لتستسلم لنوم عميق رحمة من الله وكإشارة لاستسلام الجسد لهجوم الآلام والأوجاع التي من شدتها تعطل جهاز الإحساس، ولم تعد أمل تحس أين الوجع.

الساعة التاسعة صباحاً وقد استيقظت أمل من نومها والآلام بدأت تخف تدريجياً، ومع ذلك لا بد من النزول إلى العيادة، رغم معرفتها المسبقة أنها لن تحصل على أي علاج سوى المسكنات والمضادات الحيوية في أحسن



الأحوال، كان بودها ألا تنزل إلى العيادة مكتفية بلوح المضاد الحيوي الذي بحوزتها من ليلة أمس، ولكن أمام إصرار الأسيرات بضرورة نزولها إلى العيادة، كان لابداً من نزولها لوقفتهنّ معها ليلة أمس وما تسبب به لهنّ من الإزعاج رغماً عن إرادتها.

خرجت الأسيرة أمل متكئة على ذراع ممثلة الأسيرات تسير ببطء شديد وكلما مرّت على غرفة، انهالت عليها الدعوات بالسلامة من ساكنات الغرف ومن الأسيرات المتواجديات في الساحة اللواتي تجمعن على الجدار الحديدي الفاصل للغرف عن الساحة وهي لا تستطيع إيصال صوتها بالرد عليهنّ لوجعها وألمها.

وصلت الأسيرة المريضة أمل على غرفة العيادة، غرفة نظيفة مرتبة بطول ستة أمتار وعرض أربعة أمتار، سرير طبي وبعض المعدات، طاولة مكتب خلفها كرسي وعلى الطاولة جهاز كمبيوتر، طيب روسي بالكاد ينطق ببعض الكلمات العربية، أصلاً لغته العبرية مكسّرة فكيف اللغة العربية، ممرضة روسية شقراء في بداية الأربعينات من عمرها لغتها العربية ما دون الصفر.

- صباح الخير دكتور، صباح الخير نيرس (ممرضة).

- أهلاً وسهلاً صباح الخير أسيرات، ما المشكلة؟

طلبت الممرضة من أمل أن تتمدد على السرير الطبي، وفور تمددها وضعت جهاز قياس الحرارة تحت لسانها، ولفت جهاز قياس الضغط حول ذراعها، سجلت الممرضة نتائج القياسات، الحرارة الضغط، وبعد



الفحوصات عادت المريضة بأمر من الطبيب إلى أمل وبدأت بوضع يدها على بطنها والضغط بإصبعها السبابة والوسطى معاً على نقاط معينة في بطن الأسيرة أمل، ثم عادت إلى الطبيب وتمتت معه بكلمات روسية.

من خزانة معلقة خلف رأس الطبيب تناول ثلاثة أصناف من الأدوية وكتب على كل صنف ميعاد تناوله، هذا الصنف قبل الأكل بنصف ساعة يومياً، هذا الصنف قبل الأكل بنصف ساعة، هذا الصنف ثلاث مرات يومياً بعد الأكل، وإذا لم تتحسني عودي إلى العيادة.

بلغة عبرية قوية تكلمت ممثلة الأسيرات مع الطبيب المناوب في العيادة، تفاجأ الطبيب من قوتها وهي بالطبع أقوى من لغته العبرية المطعّمة باللهجة واللكنة الروسية الثقيلة.

- دكتور ما المشكلة بالضبط عند المريضة؟

- تعب وضغط نفسي نتيجة وجودها داخل السجن.

- لكن دكتور يوجد خمسون أسيرة عندي في القسم وأغلب الأسيرات لهنّ سنوات من قبلها لماذا لم يمرضنّ؟ لماذا صرخت أمل؟

- ليس كل الأجساد بنفس طاقة التحمل.

- يعني من كلامك دكتور أن أمل مريضة نفسياً، فهي بحاجة لعلاج نفسي وليس لعلاج كلاسيكي بالدواء، لماذا هذا الدواء؟ هل هذا علاج نفسي؟





- خذي هذا الدواء، وراجعيني بعد أسبوع، وإذا لم تتحسني سأصف لك دواءً جديدًا.

- يعني بتجرب بنا الدواء تجريب، هل نحن حقل للتجارب؟

- أنا أعتذر ليس قصدي أن نجرب عليك الدواء، ولكن من خلال الفحص يتبين لي حالة المريض، أنا دكتور وأعرف ما يحتاجه المريض وإذا لم يستجب الجسد للدواء نقوم بتغيير خطة العلاج.

- على كل حال شكرًا دكتور على جهودك.

- شكرًا نيرس على جهودك.

الطاقم الطبي في عيادة السجن تجرد من كل قيم وأخلاقيات المهنة، وخانوا قسم أبو قراط والعهد الطبي بتقديم المساعدة الطبية والعلاج لكل مريض بغض النظر عن لونه وعرقه ودينه وعقيدته، فكما تجرد القاضي في المحكمة من قيم وأخلاقيات العدالة كذلك الطبيب في عيادات السجون، فقد تنازلوا عن أديبات المهنة الإنسانية وخضعوا للتعليمات وإملاءات المخابرات لقاء الوظيفة والراتب.

سياسة العيادة في السجن في طريقة التعامل مع الأسير الفلسطيني وطريقة علاجه تعتمد على سياسة ومنهج مدروس الهدف منه تحطيم جسد الأسير الفلسطيني وزرع الأمراض المزمنة فيه. تقوم هذه السياسة على ثلاثة محاور رئيسية وهي: الماطلة في الفحص والتشخيص المبكر للمرض، الماطلة في تقديم العلاج المناسب للمرحلة المناسبة من عمر المريض، الماطلة في



تحويل الأسير إلى المستشفيات والعيادات الخاصة خارج السجون.

عادت الأسيرة المريضة أمل وممثلة الأسيرات إلى القسم وهنَّ يعرفنَّ مسبقاً ما هي سياسة الإدارة في تقديم العلاج للأسيرة المريضة، يعني مشوار العيادة ذهب سدى وضاع مع أدراج الرياح، فالدواء الذي أحضره الممرض مساءً هو نفس الدواء الذي أعطاه إياهنَّ الطبيب وعملية التشخيص التي قام بها الممرض نفس العملية التي قام بها الطبيب، يعني سياسة واحدة يتبعها الممرض والطبيب بنتيجة واحدة مع كل مريضة مهما كان هذا المرض.

عادت أمل إلى سريرها معوّلة ومراهنّة على دفاعات جسدها الذاتية في مقاومة المرض بمساعدة بعض حبات المسكنات والمضادات الحيوية، ونادمة في نفس الوقت تضيع وقتها في العيادة، فلو بقيت مسترخية في برشها لارتاحت من عناء السفر إلى العيادة وارتاحت من التشخيص السفیه لحالتها المرضية من قبل الطبيب الذي حاول بتفسيره السخيف للحالة المرضية أن يدمر نفسية أمل، ويهدم معنوياتها في دور تكامل ما بين المخبرات والجهاز الطبي.

- ست لينا لا أريد الدخول إلى الغرفة، أريد الجلوس هناك بجانب الجدار الحديدي تحت أشعة الشمس.

- كما تريدین ست أمل.

أحضرت عاملة المردوان سجادتي صلاة وفرشتها فوق بعض وأسيرة أخرى أحضرت وسادة وضعتها خلف ظهر الأسيرة أمل حتى



لا يتسلل برد الحديد إلى عظامها. تحت أشعة الشمس الدافئة وحديث الأسيرات الملتفات حولها نسيت أمل آلامها وأوجاعها وبدأت صحتها تستعيد حيويتها وعافيتها، فليس للأسير داخل السجن بعد رب العالمين إلا الاعتماد على ذاته ونفسه ومعية إخوانه في مقاومة المرض.

اقتربت الساعة من الحادية عشرة وهو موعد اقتراب العدد الأمني وقت الظهيرة، وعلى كل الأسيرات الدخول إلى الغرف، ألقت أمل بجسدها العليل على سريرها مستسلمة لنوم عميق استجابة لحاجة ملحة بالنوم نتيجة تعب النزول للعيادة والقهر النفسي من الطيب المتخاذل، رفضت كل الدعوات بتناول لو حتى كاسة شاي، العدد بالمكان، على الأسيرات الاستعداد للعدد.

- ست لينا، أمل ننبهها للعدد أم نتركها نائمة.

- اتركوها نائمة.

- ولكن العدد!

- مش مهم، أنا سأتكلم معهم.

- العدد على الغرفة (6) ظهيرة طيبة بنات.

- أهلاً وسهلاً، وقفت كل الأسيرات باستثناء أمل التي كانت غارقة في نوم عميق ولا تعرف ما يدور حولها.

- ضابط العدد: واحدة، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة.



- لماذا خمسة؟ أين الأسيرة السادسة؟

- كتسين الأسيرة السادسة مريضة لا تستطيع القيام على العدد،  
وأشارت بيدها إلى برشها.

- يجب أن تقف على العدد، هذا عدد أمني.

- إنها مريضة لا تستطيع الوقوف، اتصل بالعيادة هم يعطوك تقرير  
بوضعها الصحي.

- لا مشكلة، أطلبي منها تحريك يدها.

- قامت الأسيرة منال برفع الغطاء جزئياً عن أمل ليراها الضابط  
عندما استيقظت أمل.

- شو في أختي منال؟

- عدد أختي أمل، خليك نائمة، فقط أخرجي يدك ليراها الضابط.

أخرجت أمل يدها ورأسها من سريرها بعد أن استجمعت ما بقي  
من قوة جسدها فداءً لأخواتها الأسيرات، حتى تسير عملية العدد وتنتهي  
بسلام حتى لا تتخذها الإدارة ذريعة لحرمانهن من الفورات، ثم عادت إلى  
نومها، فور الانتهاء من عملية العدد عادت الأسيرات لإكمال تناول وجبة  
الإفطار والقيام بالأعمال المعتادة الروتينية من الجلي والشطف وترتيب  
الغرفة والاستعداد لصلاة الظهر.

الشيخة فاطمة أحضرت رأساً من الثوم وقامت بفرمه فرماً دقيقاً،



وأحضرت حبتين من الليمون وعصرتهما ثم أحضرت ملعقة من الخل، وقامت بخلطهما معاً، وتوجهت إلى الأسيرة أمل.

- أمل! أمل! استيقظي، أحضرت لك الدواء المناسب لمرضك يلا اسندي حالك.

- وبشق الأنف استيقظت أمل بعد إلحاح الشيخة فاطمة، وبمساعدها أسندت جسدها. دير بالك هذه الكاسة فيها ثوم وليمون وعسل، بإذن الله الشافي المعافي وبعد الكاسة بساعة بتكوني بإذن الله غزال والشر زال، يلا توكلي على رب العالمين، اشربها دفعة واحدة، وبعدين ارجعي نامي.

حاولت أمل التملص من شرب كاسة المخلوط ولكن عبثاً أمام إصرار الشيخة فاطمة، لا يمكن لأحد مقاومة ما تريده الشيخة فاطمة بأسلوبها المقنع، فوجدت أمل نفسها مجبرة على تجرّع هذه الكاسة من المخلوط الحامض والحارق المالح، استسلمت لضغط الواقع فأغمضت عينها وفتحت فمها على وسعه وسكبت المخلوط بحلقها ليتدفق إلى داخل أمعائها حتى لا تشعر بحرقته وحموضته.

- ممتاز، رائع جداً، هذا هو المطلوب، حالياً ارجعي إلى نومك، كل الدعاء لله أن يمنّ عليك بالشفاء.

ساعدت الشيخة فاطمة أمل على العودة إلى التمدد على برشها وغطتها بثلاثة حرامات وقرأت على رأسها آية الكرسي والمعوذتين



والإخلاص، ودعت الله لها بالشفاء.

لم تقتصر آثار مرض الأسيرة أمل عليها وحدها فأقعدتها الفراش  
وشلّ حركتها، بل امتدّ إلى الأسيرة حياة رفيقة طفولتها ودراستها وقيدها  
ففارقت البسمة وجهها الجميل، وأصبحت رهينة محبسها، روحها المرحّة  
حلّ محلّها الحزن، صوتها، كثرة أسئلتها، حلّ بجسدين، روح واحدة  
قسمت ما بين جسدين.

مرت أربعة أيام على أمل وهي تعاني الآلام وتقاسي الأوجاع حتى  
منّ الله عليها بالشفاء التام، فعلى مدار الأيام ظلت أحوالها تتقلب كما  
يتقلب الطقس من المتلبّد بالغيوم إلى الغائم جزئياً، إلى الصحو، إلى، إلى...





## 15

عاملة المردوان الأسيرة تغريد: أمل، حياة اليوم في عندكنّ زيارة صليب أحمر، جهّزوا أنفسكن.

- متى الزيارة ست تغريد؟

- بعد العدد على الأكيد.

انتهى عدد الظهرية الأمني، وبعد عشر دقائق تم فتح القسم وخرجت مَنْ خرجت من الأسيرات إلى الساحة وبقيت من بقيت في غرفتها ومن ضمنهنّ الأسيراتان حياة وأمل وقد لبسن لباس الشابات البني المخصّص للأسيرة الفلسطينية عند خروجها من القسم لأي مكان





أو لأي سبب، زيارة أهل، زيارة محام، زيارة صليب أحمر، مراجعة العيادة، محكمة، بوسطة مفروض على الأسيرة ارتداء هذا اللباس، مرّت نصف ساعة على فتح القسم ولم تأت عاملة المردوان لإخراج أمل أو حياة لزيارة مندوب الصليب الأحمر، موظف وموظفة من مندوبي الصليب الأحمر بلباس مدني، كل واحد منهما يحمل بيده حقيبة يد مليئة بالأوراق والملفات، دخلا إلى القسم واستقبلتهما ممثلة الأسيرات ومسؤولات الفصائل.

- السلام عليكم، قالها مندوب الصليب بلغة عربية ثقيلة.

- وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، أهلاً وسهلاً تفضلوا إلى

الكانتينا.

- أنا لويس من بلجيكا مندوب الهيئة الدولية للصليب الأحمر في «إسرائيل» والأراضي المحتلة، نحن منظمة دولية، حيادية، لا نتدخل في سياسات الدول، مهمتنا إنسانية خالصة، نزور الأسرى والمعتقلين في كل مراكز الاعتقال والاحتجاز حتى نتأكد من مراعاة حقوق الإنسان وظروف الاحتجاز الإنسانية.

- أنا سامية إدريس من فرنسا من أصول مغربية، أنا مندوبة الهيئة الدولية للصليب الأحمر، مركز عملي في المقر المركزي للهيئة في جنيف، جئت اليوم كمندوبة زائرة.

- أهلاً وسهلاً بكم، أنا اسمي لينا الجربوني، ممثلة الأسيرات أمام

الإدارة.



- أنا، مسؤولة أسيرات حركة فتح.

- أنا، مسؤولة أسيرات حركة حماس.

- أنا، مسؤولة أسيرات الجبهة الشعبية.

- موظف الصليب: نحن نقوم بمهام إنسانية، نزرع المعتقلين في «إسرائيل» وفي سجون السلطة الفلسطينية حتى نتأكد من تطبيق الشروط الإنسانية لظروف الاحتجاز ولا نملك قوة أو سلطة لفرض مطالبنا، نحن نسمع من المعتقلين ونرفع لجهات الاختصاص، نوصل رسائل للأهل، نوصل وكالات.

401

ممثلة الأسيرات: سيد لويس، ست سامية، أهلاً وسهلاً بكم، أنتم لستم أول من يزورنا من منظمة الصليب الأحمر، أصبحنا نعرف طبيعة مهمتكم وحدود عملكم ونعتقد أن بإمكانكم فعل الكثير للأسرى بصفتكم منظمة دولية وإنسانية تستند في عملها لقرارات دولية ومواثيق متفق عليها دولياً، ونحن نعرف أنه في أماكن نزاعات في العالم باستثناء كيان الاحتلال فرضتم سلطتكم وقراراتكم على الدول، وتدخلتكم بسياساتها الداخلية ولكن في «إسرائيل» عملكم أقرب للعمل الشكلي.

- أنا موظف في المنظمة الدولية للصليب الأحمر، وألتزم بسياسة المنظمة وعملت في أكثر من دولة، عملت في أمريكا الشمالية، في العراق، في البوسنة والهرسك، زرت المعتقلين في غوانتانامو، بنفس السياسية، نفس العمل، نحن نعمل كمنظمة إنسانية فقط.



ممثلة الأسيرات: نحن نعرف أن منظمة الصليب الأحمر هي منظمة إنسانية لا تملك القوة لفرض قراراتها مثل مجلس الأمن الدولي، ومع ذلك نحن نرى أن الصليب الأحمر مقصر بحق شريحة من بني البشر تعاني من ظلم احتلال كل دول العالم، تقرر أنه احتلال وأن مقاومة هذا الاحتلال مشروعة، مثلاً أنتم تزوروننا كل ستة شهور مرة وأحياناً كل أربعة شهور، هذه الفترة طويلة يحدث خلالها انتهاكات لحقوقنا خصوصاً نحن الأسيرات لكوننا نساء أولاً، ولكوننا فلسطينيات سُجنن لقضايا أمنية.

ممثلة أسيرات حماس: نحن لا نطالب الصليب الأحمر بالدفاع عنا، نحن قادرات في الدفاع عن أنفسنا، وما نطلبه منكم كمنظمة إنسانية أن تقوموا بواجبكم الإنساني تجاهنا، تحدثنا معكم حول الكثير من القضايا في الزيارات السابقة، ولم نرَ منها شيئاً، لم يتم تحقيق أي من كل الوعود التي وُعدنا بها من طرفكم، على مستوى رسائل الأهل الرسائل تصل أسرع من الرسائل التي نبعثها مع مندوبكم.

ممثل الصليب: أنا أستلم الرسائل منكم وأبعثها للجهات المختصة وهي تقوم بفحصها، ومن ثم تقوم بإرسالها لمقرنا في تل أبيب، ومقرنا في تل أبيب يرسلها للقدس، ومن ثم يتم توزيعها على باقي فروعنا في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهذا يستهلك وقتاً كثيراً.

ممثلة أسيرات حركة فتح: تفسيرك مقنع جداً، قالتها بلهجة ساخرة، ضحكت الأسيرات ضحكة خبيثة.

مسؤولة أسيرات الشعبية: نحن لا نطالب الصليب الأحمر بأن



يخرجنا من السجن ويعيدنا إلى بيوتنا، نحن ناضلنا فداءً لوطننا وقضيتنا العادلة ومستعدات لدفع الثمن الذي يترتب على هذا النضال ولو قضينا كل أعمارنا في هذه السجن، ولكن العالم الحر الديمقراطي الذي أنتم تعيشون فيه وظلمًا وزورًا حسبتم هذه الدولة المسماة «إسرائيل» من ضمن منظومتكم الديمقراطية، تقولون وتتغنون بحقوق الإنسان، نحن الأسيرات الفلسطينيات حقوقنا الإنسانية مهضومة ومتهكة من قبل دولة حرة وديمقراطية تنتمي لمنظومتكم الدولية، ما نطلبه منكم أن تقوموا بدوركم الإنساني، حقوق الأسير أنتم تعرفونها أكثر منا، لقد يسنا من كثر ما كتبنا لكم، ولن نقوم بالكتابة من جديد، كل مندوب من الصليب يزورنا كنا نكتب وتنشل أيدينا ونحن نكتب له مطالبنا، ولكن لا حياة لمن تنادي.

مندوبة الصليب الأحمر سامية إدريس: أنا استمعت لكل الشكاوى وسأرفع للجهات المسؤولة في المنظمة الدولية للصليب الأحمر كل ما سمعته، وأتمنى أن تكتبوا لي قائمة بالشكاوى بالإضافة لما سمعته، ومطالبكم وكل ما تحتاجونه وأنا شخصياً سأرفع التقرير للمكتب الأمني العام للمنظمة الدولية.

ممثل الصليب: أشكركم على حسن الضيافة، وأتمنى لكم الخروج من السجن قريباً، لم يبق وقت طويل أتمنى أن أنهى بعض الأعمال، تفضلي هذه القائمة بأسماء الأسيرات لهن أوراق من أهاليهن ووكالات أتمنى أن يحضرن للتوقيع عليها.

وناول الورقة لمثلة الأسيرات والتي بدروها ناولتها لعاملة مردوان



التي طارت بها إلى الغرف لتخبر كل أسيرة بوجود وكالات لها مع ممثلي الصليب الأحمر، سحب ممثل الصليب الأحمر ملف به وكالات أرسلها الأهل لبناتهم، فبحثت عن اسم أمل صالح.

- نعم أنا أمل صالح.

- تفضلي، من فضلك وقعي هنا، وهنا.

- حياة بشير.

- نعم أنا حياة بشير.

- تفضلي، من فضلك وقعي هنا، وهنا.

- شكرًا لك.

- شكرًا لك.

- سيدة سامية، سيد لويس بعد إذن الحاضرات عندي قضية أود الحديث بها وأنا أنتظر زيارتكم منذ زمن، أنا وأمل معتقلات منذ سبعة شهور، خلال وجودنا في التحقيق قام مندوب الصليب الأحمر بزيارتنا، أنتم تقولون إنكم منظمة إنسانية ونحن لا نشك في ذلك، تقولون إنكم لا تتدخلون في الشؤون الداخلية لكل طرف من أطراف النزاع وأنكم محايدون، لكن ما حدث معي ومع صديقتي أمل أن مندوب الصليب الأحمر كان يسألنا ويستفسر منا عن نفس القضايا التي كان المحقق يسألنا عنها، فهل هذا من عملكم كمنظمة إنسانية محايدة؟



- أنا أؤكد لكِ ولكل الأسيرات أننا منظمة إنسانية خالصة، ما حدث معكن في التحقيق نحن لا نقبل به وليس من صلب عملنا ونحن سنرفع شكوى بهذا الخصوص، ما اسم المندوب الذي زاركن في التحقيق؟

- يقول إن اسمه مايكل شيفان من بلجيكا.

- في أي مركز تحقيق؟

- مركز تحقيق بتاح تكفا.

- متى كانت هذه الزيارة؟

- في تاريخ ....

سجلت مندوبة الصليب الأحمر السيدة سامية إدريس كافة المعلومات ووضعتها في ملف خاص.

- أنا سأرفع هذه الشكوى للجهات المختصة، هل بقي عندكم شيء إضافي؟

- عندنا الكثير الكثير لنقله ولكننا مللنا الكتابة بلا فائدة، نأمل أن تحضروا لنا ردودًا على ما كتبناه سابقًا.

للم مندوبا الصليب الأحمر أوراقهما وحزما أمتعتهما، نشكركم على حسن الضيافة، نتمنى لكم حياة سعيدة.

- أهلاً وسهلاً بكما، نتمنى أن يكون هذا آخر لقاء داخل السجن.





## 16

ثلاثة أيام تفصل شهر رمضان عن الأسيرات الفلسطينيات في سجون الاحتلال، ولرمضان داخل الأسر وقع خاص على نفسية الأسيرة الفلسطينية، فمع حلول هذا الشهر الكريم تتفجر داخل الأسيرة الفلسطينية مشاعر الحنين للأهل وللعائلة لكل فرد فيها صغيراً أم كبيراً، للأب، للأم، للزوج، للابن، للأخ، للأخت، بل لكل فرد في العائلة، ولكل فرد في العائلة مكانه الخاص من الحب والشوق والحنين في قلب الأسيرة، وفي رمضان داخل السجن يزداد الشعور بدهشة المكان لخلوه من الأحبة والغوالي الذين حجبت الرؤية عنهم وحرمت العين من رؤيتهم.





في شهر رمضان داخل الأسر تفتقد الأسيرة الفلسطينية أهم فصل من فصول شهر رمضان، وأهم فضيلة من فضائل هذا الشهر العظيم في حياة المسلم؛ ألا وهو صلة الأرحام، يأتي رمضان على العائلة الفلسطينية فارقاً ثقافته ومنهجه في التعامل والسلوك، يأتي رمضان رغم كل المعوقات كالانشغال بالأعمال والكد على لقمة العيش الكريمة، يأتي رمضان فارقاً صلة الرحم لمن قطعها، يأتي رمضان مذكراً لمن نسي هذه الصلة، هذه الحسنة البسيطة في أدائها، العظيمة في أجرها عند الله، الكبيرة في أثرها في النفس، صلة الرحم لا تشعر بها إلا المرأة، والأسيرة أشد شعوراً.

في السجن تفتقد الأسيرة الفلسطينية هذه الصلة، وتحس بوجع الغياب ويقوى الشعور بهذا الحرمان والانقطاع القصري لصلة الرحم؛ لأن الاحتلال حال بين الأسيرة وأرحامها، جدران السجن شتت الشمل وفرقت الأهل عن بناتهم.

في السجن، في رمضان يعود الزمان بالأسيرة الفلسطينية كثيراً إلى الوراء، إلى ما قبل الاعتقال والأسر إلى ما قبل تلوث حياة الأسيرة بعدوانية الاحتلال والزج بها في غياهب السجون، تعود الذكريات لتعصف بتفكير الأسيرة الفلسطينية إلى رمضان ما قبل الاعتقال، إلى أجواء رمضان ما قبل الأسر والاعتقال، كيف كان رمضان هناك وكيف أصبح اليوم هنا، كيف كانت العائلة في رمضان وكيف أصبحت، رمضان يأتي ويلم شمل العائلة حول مائدة الإفطار أو في زيارة عائلية بعد صلاة التراويح أو زيارة صلة أرحام عند الأقارب أو طشة عائلية إلى مكان ما



في مكان الإقامة، أو جولة في قزدورة بعد الإفطار في السوق في شوارع الحارة، هذا رمضان خارج السجن، أما رمضان في السجن بلا هذه المظاهر تاركًا مكانها الحزن العميق.

الأسيرة منال والشيخة فاطمة منهكتان بإعداد أوراق خاصة بـرمضان، ست عشرة غرفة في القسم، لكل غرفة رزنامة خاصة لشهر رمضان زُيِّنت برسمة جميلة للمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، وقد ملأها بآيات القرآن الكريم تتحدث عن صوم رمضان، وتحتها توقيت لأيام شهر رمضان يقابلها مواعيد الصلاة وفي نهاية الرزنامة تهانٍ وتبريكات بحلول الشهر الفضيل، وكل هذا الجهد والرسم والكتابة بخط اليد، نشرة كاملة عن فقه الصيام ستعلق على لوح الخشب الخارجي في ساحة الفورة كتبت بخط اليد، خط جميل فيها تفصيل أركان الصيام وآداب وأخلاق الصائم، وبعض التوجيهات الصحية الضرورية للأسيرة الصائمة، بطاقات تهنئة صغيرة الحجم كتب عليها اسم كل أسيرة وتهنئة بمناسبة حلول شهر رمضان، ستون أسيرة، يعني ستين بطاقة يجب الانتهاء منها قبل حلول شهر رمضان في لفطة إنسانية رائعة تعوض الأسيرة جزءاً من صلة الرحم المفقودة داخل السجن، وتواسيها في عزلتها في السجن بعيداً عن أهلها وعائلتها وتحسسها أن لها عائلة أخرى داخل أسرها، هُنَّ أخواتها الأسيرات اللواتي يقتسمن معاً الغرفة والأمل.

إعداد النشرات وبطاقات التهنئة ورزنامات التوقيت بحاجة لجهد كبير ودقة في الرسم والكتابة حتى تخرج هذه الأوراق بأحلى حلة وأبهى صورة وتنال إعجاب الأسيرات وتتناسب مع الحدث المهم، حلول شهر



رمضان المبارك، وهو حدث مهم في حياة الأسيرة الفلسطينية فما قبل رمضان له حسابه وما بعد رمضان له حسابه الخاص.

- ست منال، ما هذه الأوراق؟

- أنتِ شو شايفة ست حياة؟

- خليني أشوف هذه الأوراق إذا سمحتِ، آه رزنامات رمضان، ممتاز حلوة كثير، بس ليش تكتبينها باليد أختي منال؟ مش مسموح إدخال الرزنامات المطبوعة من الخارج؟

- لا ست حياة مسموح، ولكن نحن نرفض إدخالها، قالتها مازحة.

- ليش؟

- لأنك مجنونة وقليلة عقل ست حياة، لو مسموح إدخالهن ما تعبنا كل هالتعب، إحنا في السجن، مش بفندق، هون كل شيء ممنوع، لو مسموح شايفتينا من ثلاث ساعات وإحنا مشغولات، على كل حال ست حياة روعي شوفيلك شغلة تسلي فيها عشان نكمل شغلنا.

- آه، بسيطة أختي منال، الله يسامحك بتطرديني؟ رمضان كريم، اللهم إني سأكون بعد ثلاثة أيام صائمة، ما إلي إلا أنام ساعة زمان.

- نوم الظالمين عبادة.

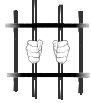
رمضان داخل السجن له نظامه الخاص، المختلف عن نظام رمضان خارج السجن حيث يبدأ رمضان من مغيب شمس اليوم السابق لشهر رمضان، ففي رمضان داخل السجن يسقط شرط رؤية الهلال، فالقمر



والبدر والهلال لا تطلع على السجون، ليل السجن أسود حالك ليس فيه قمر ولا نجوم، دومًا في حالة غياب تحجبه جدران السجن العالية والأسلاك الشائكة والأبواب السمكية الموجودة.

تتابع الأسيرات بشغف الإذاعات المحلية على الراديو والسماع يكون للتأكد من حلول شهر رمضان، وفي حال تأكد الخبر أول عمل يقمن به هو تأدية صلاة التراويح، حيث تؤدي ثماني ركعات، ركعتين، ركعتين، وبعض الغرف تقرأ صفحة في كل ركعة وبعض الغرف تقرأ جزءًا كاملًا في الركعات الثمانية، كل غرفة حسب همتها واستطاعتها، بعض الأسيرات يكتفين بأداء الركعات الثماني، وبعضهن يكمل للعشرين، كل حسب مقدرتها، بعض الأسيرات يبقين مستيقظات طول ليل رمضان، وبعضهن ينام كالمعتاد، وبعضهن ترقد لساعات محدودة ويستيقظن قبل صلاة الفجر بساعة أو ساعتين لتأدية صلاة قيام الليل، أو قراءة القرآن الكريم أو تأدية الأذكار والأدعية.

تحرص الأسيرات على القيام بكافة فصول شهر رمضان أو المستطاع القيام به، السحور من فصول رمضان، يتم إعداده سريعًا بدون الحاجة للطبخ بالاعتماد على بعض المعلبات كالتونة والمرديلا واللبن وما تيسر من الخضراوات، وكل هذه الأصناف تشتريها الأسيرات على حسابهن الخاص من الكاتينا، وتقتصر عملية الطبخ على بعض البيض المقلي أو المسلوق، وإبريق من الشاي، ويتم الانتهاء من تناول طعام السحور قبل أذان الفجر بما لا يقل عن ثلث ساعة كي يتم إفساح المجال لكل أسيرة كي تقوم بتنظيف أسنانها وتأدية صلاة الوتر لمن تريد تأخيرها.



- هذا أول سحور لي بدون أهلي.

- وإن شاء الله السحور الأخير لك ولكل الأسيرات، حبيبتي أمل.

- ست أمل قطعت قلبي، يا حرام اللي بسمعك بظن أنك بدك تحكمي مؤبد، كلها سنة وتنهي حكمك وبتعودي لأهلك، تتسحري وتفطري وتتخلصي من السجن وهمه.

ليش ما تقولي هذا أول سحور بدون أهلك وكل القادم أهون وبكرة بتعودي، كلنا كنا مثلك، وبعدين تعودنا.

مثلة الأسيرات: الوقت يا أخوات، لم يتبق للأذان وقت، الحكمي والكلام بلاش يسرق منكن الوقت.

استجابات الأسيرات لكلام ممثلتهن وأسر عن يتناولن طعام السحور ومن ثم نهضن، أسيرة لجلي الصحون، أسيرة أخرى تنظف الأرضية، أسيرة أخرى تنظف طاولة الأكل، أسيرة أخرى تحضر الماء والصابون لشطف الأرضية، خلية نحل، كل أسيرة تعرف عملها، دقائق معدودة، عادت الغرفة إلى سابق عهدها نظيفة مرتبة، كل أسيرة على برشها.

انتهى فصل السحور، أسيرة على برشها تقرأ القرآن، أخرى على سجادة الصلاة تصلي الوتر وترفع أكفها إلى السماء داعية الله، أخرى على سجادتها وقد أكملت وردها من الصلاة والقيام والوتر والأدعية تنتظر الأذان، ويدها مسبحة تذكّر الله.



رمضان بالسجن ليس سجنًا وحرمانًا فقط هذا جانب تشعر به كل أسيرة داخل الأسر، هناك جوانب أخرى لرمضان داخل الأسر، أنه يُضفي جوًّا روحانيًّا عميقًا على حياة الأسيرات فتشعر الأسيرة بقربها من رحمة الله، وهي تجوع وتعطش استجابة لأمر الله بصوم رمضان، تحس بجو إيماني وهي تتلو آيات الله مستذكرة النزول الأول للقرآن الكريم على مسمع وقلب الحبيب المصطفى محمد ﷺ، بداية الإسلام الأولى فكما كان محمد في مكة خائفًا ومطاردًا ينزل عليه القرآن الكريم على قلبه مفرجًا عنه همومه وأحزانه، كذلك هي الأسيرة الفلسطينية في أسرها في حقوقها وبعدها عن أهلها، آيات القرآن الكريم تجلي عن قلبها ونفسها غمة السجن وظلم السجان.

- خمس دقائق للأذان، خمس دقائق للأذان، فقبل الأذان الثاني تتعمد الأسيرة تهاني في غرفة (12) تنبيه الأسيرات بقرب حلول موعد الأذان حتى يأخذن كل الاحتياطات اللازمة؛ لأن الكلام والحديث في هذا الوقت له طعم ومذاق خاص، وكم من أسيرة نسيت نفسها وهي تسرح في فضاء الكلام، نسيت أن تشرب، نسيت أن تنظف أسنانها، مسكينة، أخذها سحر الكلام.

انتهت صلاة الفجر وعادت كل أسيرة إلى برشها وبانتظارها فصل طويل من النوم يمتد إلى الساعة العاشرة والنصف (موعد الفحص الأمني) حيث ستجبر كل أسيرة على الصحو قبل دخول الفحص والانتقال إلى الساحة والانتظار حتى انتهاء الدق، وهذا يستغرق وقت كافٍ لطيران النعاس من العيون وعودة النشاط للجسد المتخدر، بعكس



العدد الصباحي الذي لا يستغرق الكثير من الوقت وهناك إمكانية للعودة للنوم ثانية.

البرنامج الإداري خلال شهر رمضان يتم تعطيله وكذلك البرنامج الثقافي لفسح المجال للأسيرة للتفرغ لبرنامجها العبادي الخاص بها، صومًا وصلاة وقراءة للقرآن؛ لأن رمضان يفرض منهجية في الحياة داخل السجن وخارجه.

الساعة تقرب من الحادية عشرة، ولم يتبق الوقت الكثير لصلاة الظهر، بعض الأسيرات استيقظن وبعضهن يغط في نوم عميق في عملية تعويض لساعات السهر الليلي، فكل شيء قرض ودين حتى دموع العين، والاستيقاظ بعد أذان الظهر، لا حاجة له ويضر في مظهر رمضان الكريم، فرمضان ليس لنوم النهار وسهر الليل، والأفضل هو التوسط في كل شيء.

- يا صبايا، يا عباد الله الصائمين، صلاة الظهر.

- كم الساعة ست منال؟

- صباح الخير ست حياة، الساعة حوالي الحادية عشرة، دقائق والشيخة تهاني ترفع أذان الظهر، بعينك الله قومي، يكفي نوم، في صلاة الظهر، في عندك ورد قرآن، في فورة بكفي نوم، ما أطال الجبن عمر، ولا أطال النوم حياة.

انقضت صلاة الظهر، وانقضى معها نصف نهار اليوم الأول من رمضان، حملت حياة وأمل نفسها برفقة المصاحف إلى ساحة الفورة،



فرمضان قرين القرآن، إلى جانب الجدار الشرقي فرش كل منهما سجادة الصلاة وبدأن رحلة تلاوة القرآن الكريم، جو إيماني جواب لكل عمل صالح، من قراءة القرآن، الذكر، التسبيح، فهذا اليوم الأول من رمضان هُنَّ داخل السجن وتجربتهنَّ الرمضانية الأولى بعيداً عن الأهل.

- والله ميتة من العطش، أما الجوع مش كثير.

- على السحور أكلتِ قد أربعة، هذا هو الذي جعلك تشعرين بالعطش، كلها خمس ساعات وبحل الفطور، اصبري ست حياة.

- وأنتِ أمل؟

- مثلك إلا شوي.

قليل من العطش، قليل من الجوع، هذه طبيعة رمضان إذا لم نعطش وإذا لم نجوع، لن تترى هذه النفس الأمّارة بالسوء، ولن تشعر بحاجتها لخالقها، ولن تحس بالفقراء والمحتاجين طالما هي شبعانة فهي ليست بحاجة لأحد وتعتقد أن كل الناس مثلها شبعانة ولكن الحقيقة أن هناك الكثير من الجوعى، لا يحس أحد بألمهم ولا بمعاناتهم إلا من جاع مثلهم، رمضان يأتي ليعلمنا هذه المعاني والقيم، فنحن نجوع ونعطش في رمضان لا لأجل العطش والجوع، بل من أجل أن نربي أنفسنا ونزكي ذواتنا من كل حُلُقٍ سيء.

- يسلم ثمك ست تهاني على الموعظة الجميلة.

- ربنا يحفظك حبيبتي حياة، هذا من فضل ربي.





- أمل شو رأيك بقلولة؟ باقي ساعة لصلاة العصر ندخل الغرفة نريح هالأجساد الطاهرة.

- توكلي على الله ست حياة.

- السلام عليكم ست منال.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، طالت غيبتكم، صار إلكن في الفورة ساعة ونصف!

- صحيح، يكفيننا اليوم ساعة ونصف، نريد أن نقيّل ساعة زمان قبل صلاة العصر، والله هالفورة تعبتنا.

- ارتحوا ربنا يكون إلكن معينًا، أسر وصيام وفورة.

- ست منال كم باقي للفظور؟

- بعده النهار بأوله ست حياة، صرت تسألني عن الفطور؟ في وقت طويل، حاليًا باق ساعة لصلاة العصر، ومن صلاة العصر لصلاة المغرب في كمان ثلاث ساعات.

خلال حديث الأسيرة منال مع حياة التي تمددت على برشها غفت الأسيرة أمل وسلمت نفسها لقلولة امتدت حتى صلاة العصر وكان بالإمكان الاستمرار بها حتى المغرب، لكن الشيخة فاطمة قطعت عليها قيلولتها؛ لأن وقت العصر قد اقترب.

بعد صلاة العصر شهدت ساحة الفورة حركة نشطة للأسيرات،



فالأجساد التي أعيها التعب والسهر قد تجددت حيويتها ونشاطها بعد العصر، مع اعتدال الجو واتزان درجات حرارته وانشغال الغرف بهذا الوقت بإعداد الطعام للفطور، من الطبيعي أن تزدحم الساحة بالأسيرات هروبًا من ضغط الغرف وروائح الطبخ، وزيت القلي، واستمتعًا بالجو المريح في هذا الوقت.

تفتن الأسيرات بإعداد وجبات الإفطار الشهية وتشهد الساحة على روائحها الزكية التي تعطر المكان، مضيعة نكهة مميزة للقسم في هذا الشهر المميز من حياة الأسيرات، رغم ما يحيط بهذه الحياة من تنغيصات يضاعفها السجن وإدارة السجون لتحطيم الأسيرة جسديًا ومعنويًا ونفسيًا، لكن الأسيرات الفلسطينيات استعلن التغلب على إدارات السجون وصنعن حياة كريمة من العدم، وفرضن وجودهن وفرضن كيانهن الخاص بهن.

تميل الشمس إلى الغروب، ويقترّب موعد أذان المغرب ويقترّب موعد الإفطار، وكلما أقترّب الموعد تهيج في نفس كل أسيرة مشاعر مختلطة من الفرح والكبت المطبق في ذات اللحظة، شردان الذهن وتشظية ما بين العائلة والسجن، فرح لقرب الإفطار، فرح بطاعة الله، فرح بالانتصار على النفس وملذاتها وشهواتها، فرح بالانتصار على إدارة السجن وممارسة الحياة بما هو متاح من طقوسها، حزن شديد بنفس اللحظة، حزن على حزن على افتقاد الأهل والأحبة، حزن على حزن العائلة التي من المؤكد افتقادها ابتتها في هذه اللحظة ولفقدتها تذرف الدموع.

- خمس دقائق للأذان يا أخوات! خمس دقائق للأذان يا أخوات!



أسيرة تعد صحنًا وقد وضعت فيه كومة من حبات التمر والماء البارد، أسيرة أخرى تصب العصير بالكاسات البلاستيكية، أسيرة أخرى تسكب الشوربة في الصحون، لكل أسيرة ثلاث حبات تمر وكاسة عصير وصحن شوربة، وجبة سريعة قبل الصلاة، دوى صوت المؤذنة معلناً حلول الإفطار ونهاية اليوم الأول من رمضان، الفرحة تغمر الأسيرات، تناولت كل أسيرة حبات التمر، العصير، صحن الشوربة، وقد ابتلت العروق وهدأت النفوس وارتاحت الأجساد.

- تقبل الله طاعتكن، يا صبايا، وإن شاء الله رمضان القادم يكون بين الأهل والأحبة.

- ومنك ست لينا، وإن شاء الله قبل رمضان القادم الكل يكون عند الأهل والأحباب.

- يسلموا يديك شيختنا فاطمة على هالشوربة الزاكية.

- صحة وعافية، حبيباتي.

أكملت الأسيرات تناول الشوربة، وفرشت كل أسيرة سجادة الصلاة لتأدية صلاة المغرب.

- مش لازم نأكل ست لينا وبعدين نصلي؟

تعالت ضحكات الأسيرات من قول حياة البريء والعفوي.

- حبييتي حياة بنصلي أولاً وبعده هيك نكمل فطورنا على أقل من



مهلنا؛ لأن وقت المغرب قصير وإذا أخرنا الصلاة وأفطرنا بعد الفطور في جلي، وفي شطف، ولما الإنسان يملأ بطنه بالطعام حتماً سيتكاسل عن الصلاة، لذلك نصلي أولاً وعلى راحتنا نفطر ونجلي ونشطف ونرتاح حتى حلول صلاة العشاء والتراويح، مقبول عليك هالكلام ست حياة؟

- طبعاً مقبول أختي لينا، أنتِ قائدة ومعلمة ونحن منك نتعلم، أنا والله بفكر مثل برّه نأكل وبعدين نصلي.

تقدمت الشيخة فاطمة وأمّت المصليات في صلاة المغرب وقد قرأت بأقصر السور؛ لأنه عند جوع البطون يضيع تركيز الذهون، أكملت الصلاة فرضاً وسنة وسريعاً مراعية ظروف الصائحات، فالدين يُسر وليس عُسراً، وجبة الإفطار مسبقاً ومع بداية الأذان قامت الشيخة فاطمة بفردها على طاولة المطبخ حتى تبرد قليلاً، لتتمتع الأسيرات الصائحات بتناولها فليس مقبولاً أن يكون الطعام من الطنجرة إلى الخنجرة، على الأرض أنزلت الشيخة فاطمة الطعام وفرشت حوله سجادات الصلاة لجلوس الأسيرات عليها.

- يا صبايا تفضلوا على بركة الله، صياماً مقبولاً.

- يسلموا يديك شيخة فاطمة.

- الله يسلمك أختي حياة، صحتين ومليون عافية.

خلال تناول الأسيرات وجبة الإفطار حضر العدد الأمني المسائي، مساء الخير بنات، عدد.



- أهلاً.

- رمضان كريم، صحة.

- شكراً.

- واحد، اثنان، ثلاث، ...، ستة.

- تصبحووا على خير.

- أهلاً.

عادت الأسيرات لإكمال تناول وجبة الإفطار بعد أن قطع العدد الإفطار.

420

- ست لينا، في رمضان تتعامل الإدارة معنا بالعدد نفس التعامل.

- نعم ست أمل ليس فقط العدد، بكل شيء نفس المعاملة باستثناء شكليات بسيطة مثل تأخير الدق الصباحي ساعة واحدة، الله يخلصنا منهم.

- آمين يارب.

أنهت الأسيرات فصل الأكل وتوابعه من شطف وجلي وتنظيف، وارتاحت كل أسيرة على برشها، فقد بقي لصلاة العشاء والتراويح ما يقارب النصف ساعة، وفي هذا الوقت يعرض على التلفاز برامج فكاهية خفيفة الظل وأحياناً يكون هذا البرنامج سخيفاً، ولكن من باب ترويح الأسيرات عن النفس يتابعن هذه البرامج.



- عشر دقائق يا صبايا لصلاة العشاء، اللي فش معها وضوء، تجهز نفسها بعد صلاة العشاء عندنا اليوم صلاة تراويح.

- شيخة فاطمة في إمكانية لتأخير صلاة العشاء ربع ساعة علشان أنام وأرتاح شوي؟

- في إمكانية ست حياة على شرط بكرة أذان المغرب نأخره خمس دقائق، شو رأيك؟

- يا حبيتي، هذه صفقة خاسرة، لا يا عمي خلي كل شيء على ميعاده.

ارتفع صوت الأذان من الغرفة المجاورة، صوت المؤذنة تهاني، صاحبة الوكالة الحصرية للأذان في القسم وكل الأوقات، أطفئ التلفاز، فرش السجادات للصلاة، عمّ السكون المكان، كل أسيرة بمصحفها، صلاة العشاء ومن ثم صلاة التراويح ثماني ركعات البعض اكتفى بها، والبعض أكملت حتى العشرين بعد استراحة لمدة ساعتين تحللها متابعة مسلسل وتناول طبق من الحلويات قامت بإعداده ممثلة الأسيرات، صاحبة اليد السحرية في صناعة الحلويات، فكل أسيرة تشتهي طبقاً من الحلويات، لا أحد يلبي حاجاتها إلا ممثلة الأسيرات، كل أسيرة عندها مناسبة سعيدة، كل أسيرة سيفرج عنها قريباً لا أحد يتولى مهمة صناعة الحلويات إلا ممثلة الأسيرات، صاحبة شهادة فن الطبخ والفندقة من كلية طبريا وابنة بلدة عرّابة البطوف المشتهرة بهذا الفن.



تتابعت أيام شهر رمضان سريعاً حتى حلّ اليوم التاسع والعشرون، وباتت الأسيرات تترقب حلول عيد الفطر السعيد ولا مصدر لتأكيد الخبر أو نفيه إلا المحطات المحلية أو التلفاز، ولكن لا محطة فلسطينية على التلفاز، يبقى الحل متابعة محطات الراديو المحلية، أجيال، الراية، صوت الأسرى، صوت القدس، إذاعة الشمس، الكل يترقب ظهور المفتي العام للديار الفلسطينية ليعلن أن يوم غدٍ المتمم لشهر رمضان ثلاثين يوماً أو الأول من شهر شوال وحلول عيد الفطر السعيد.

لم يطل الوقت، مرّ سريعاً، فبعد أذان العشاء برقع ساعة تأكد الخبر اليقين وجاءت سهيلة بالقول الفصل، سماحة المفتي يعلن أن يوم غدٍ هو الأول من شهر شوال، وبالتالي أول أيام عيد الفطر السعيد، تقبل الله طاعتكم، وكل عام وأنتم بألف خير.

عمّت الفرحة أرجاء القسم، داخل كل غرفة بصوت متوسط بدأت الأسيرات بتكبيرات العيد، بهجة به، وجوّ السعادة والانبساط وإن كان جزئياً وإن كانت هذه الفرحة منقوصة ومنغوصة بفعل الأسر والبُعد القسري عن الأهل إلا أنها تبقى فرحة، فرحة بصيام رمضان وعون الله للأسيرة رغم ظروف السجن على تأدية هذه الفريضة، فرحة بالعيد، فرحة بالانتصار على النفس والذات، فرحة بالانتصار على إدارة السجن، على تأدية هذه الفريضة، رغم السجن والأسر، رغم الزنزانة والقيد نستمر بحياتنا ونستمر بعبادتنا، نبتهج رغم كل مآسي وكفى بالسجن مأساة، تبادلّت الأسيرات داخل الغرف التهاني والتبريكات.



- تقبل الله طاعتكم، كل عام وأنتم بألف خير، وإن شاء الله العيد القادم نكون بين الأهل والأحبة ولا يبقى داخل السجون أحد.

- إن شاء الله ست لينا، وأنتِ وكل الأسيرات والأسرى.

- ست منال بأول يوم برمضان أنتِ والشيخة فاطمة عملتم لنا أوراق للتهنئة، على العيد فش تهنئة.

- تقلقش ست أمل كل شيء محسوب حسابه، غرفتنا تحملت مسؤولية أوراق التهنئة بقدم رمضان، أما أوراق التهنئة بمناسبة حلول العيد عند الحاجة أم محمود مسؤولية أسيرات فتح، هي تبرعت بتجهيزهن.

- ممتاز سنحضر الأوراق من الألف إلى الياء.

- أختي أمل شاوريني أول شيء قبل ما تورطيني في معركة مصيرية.

- مش مشكلة أختي حياة أنتِ مضمونة معي حتى على الموت.

- إن شاء الله ست حياة، وعد الحرّ دين، على العيد الكبير الأوراق عندك مش تتهري، مريضة، تعبانة.

- ولا يهملك ست لينا، كلمتنا كلمة ما بتصير ثنتين.

- آه، أبو شهاب بحكيش شكلين.

مضت وقفة العيد في أول ليلة من ليالي العيد هائلة وسعيدة ظاهرياً على الأسيرات، وقد عمدت كل أسيرة لإخفاء ألمها ووجعها وحسرتها





بيعدها عن أحببتها خصوصاً في هذه المناسبة التي يجتمع بها الشمل ويلتم ويصل الرحم، يُطل العيد على الأسيرات والحزن يعتصر قلب كل أسيرة، لأب، لأخ، لا خطيب، لا زوج، لا ابن يبارك بصباحية العيد، يهنئ بقدم العيد ويصل الأرحام أو يقدم التهئة بهذه المناسبة السعيدة على كل الناس إلا الأسيرات فسعادتهن منقوصة، ومنغوصة، لا لمة عائلة ولا جمعة أخوة يدخلون عليها.

الساعة السادسة إلا رباعاً على غير العادة يحضر العدد بقوة خفيفة في مقدمتها مديرة القسم بدون ضجّة، بدون إزعاج، تدخل القوة وتعد بسرعة.

- صباح الخير بنات، عدد، كل عام وأنتم بخير.

خرجت قوّة العدد سريعاً ومن ثم تمّ فتح القسم وخرجت عاملة المردوان الأسيرة تغريد وعلى باب كل غرفة.

- صباح الخير يا صبايا، كل عام وأنتم بخير، عيد مبارك.

- خمس دقائق يا صبايا بدنا نفتح لصلاة العيد.

الأسيرات وقد لبسن أجمل ما عندهن من الثياب، أو بالأحرى ما سمح بإدخالها سابقاً من الأهل، خرجن إلى الساحة وقد علت الفرحة وجوههن، يتبادلن السلامات والتهاني، منهن من جلست ومنهن من بقيت تمشي في الساحة مستغلة في هذا الوقت الباكر حيث أشعة الشمس بداية شروقها، الجو لازال معتماً، قطرات الندى تتساقط، الضباب يلف المكان، هذا الخروج في السنة مرتين فقط، مرة في عيد الفطر، وأخرى في عيد الأضحى.



اقتربت الساعة من السادسة والربع وهو موعد صلاة العيد حسب ما أعلن سماحة المفتي، الشيخة فاطمة أمّت الأسيرات بصلاة العيد بعد أن شرحت لهنّ كيفية أدائها، سبع تكبيرات عدا تكبيرة الإحرام في الركعة الأولى، وفي الركعة الثانية خمس تكبيرات عدا تكبيرة القيام، ومن ثم خطبة قصيرة، وعظت فيها الشيخة وأوصت وأوجزت، فخير الكلام ما قلّ ودلّ.

قبل العيد بيوم قامت الأسيرات بإعداد أطباق من الحلوى، غرفة تبرعت بإعداد معمول لكل القسم، غرفة أخرى تبرعت بإعداد سدرين من الهريسة، غرفة أخرى تبرعت بإعداد القهوة والتمر بالإضافة لتبرعات الغرف وتبرعت اللجنة الوطنية بعشر فنانى عصير وكولا وقهوة على حسابها، كل هذه الحلويات تم تجهيزها ليلة العيد وتقديم التهاني من الأسيرات لبعضهن البعض، كل أسيرة تمر على الحلويات وتنتقي ما يحلو لها من الحلويات والعصير والقهوة في مظهر إنساني يضيء جو من الفرحة والبهجة على الأسيرات في يومهن الأول من العيد.

اليوم الأول من العيد له نظام خاص من قبل الإدارة يبدأ صباحًا من العد المبكر صباحًا والسريع، وإعطاء الأسيرات حرية الحركة داخل القسم بدءًا من الساعة السادسة حتى العاشرة والنصف حيث تبقى الغرف مفتوحة وكذلك له نظام خاص من قبل الأسيرات يبدأ من الخروج لصلاة العيد وتقديم التهاني والتبريكات لكل ساكنات القسم وتناول الحلويات والعصائر، كما جاء رمضان وجاءت معه أمواج مشاعر الحزن كذلك يأتي العيد برياح عاتية من شعور الحزن والأسى، تعتصر قلب الأسيرة الفلسطينية، أمواج من الأشواق والحنين تهيج في القلوب والصدور للأهل،



الأحبة، الغوالي، وقد حرمت العيون رؤياهم، حرمت الأيدي مصافحتهم، وحرمت الأذن سماع أصواتهم وضحكاتهم وفكاهاتهم، حرمت الروح لذّة اللقاء والاجتماع بهم والأنس بحديثهم.

يأتي العيد على الأسيرة الفلسطينية وقد توشّح بالسواد، فلا مكان للفرحة لإنسانة حالت الجدران العالية بينها وبين حريتها، وفصلت الأسلاك الشائكة بينها وبين الأحبة، وقفت الأبواب الحديدية السميقة حارسًا على معاناتها وألمها وجوعها، ولكنه عيد الله سنفرح به.

جزء من الأسيرات بقي في الساحة يمشي، وجزء عاد إلى الغرف، ولأن الاحتلال حرم الأسيرة من رؤية أهلها نهار العيد فإن الأسيرة الفلسطينية لم تعدم الحيلة بالمعايدة على أهلها وأطفالها وأحبّتها على طريقتها الخاصة، ألبوم الصور للعائلة مرتب ترتيبًا تنازليًا من الأكبر إلى الأصغر، الأب، الأم، الزوج، الأخ الأكبر، الأخت الكبرى، الأبناء، كل في مكانه، رحلة الروح بعيدًا عن الجسد والواقع الأليم واللئيم، حيث السجن والسجان والقيود والزنازين، كل شيء أسود.

حياة وأمل توأمين من غير ولادة، توأمين لم تلدهما أم واحدة، دخلتا الغرفة بعد أن أمضتا ساعة من الزمن في ساحة الفورة بين طاولات الحلويات والعصير والكولا والتمشي بالساحة والحديث من أسيرة إلى أسيرة، ومن جمعة إلى جمعة، حتى مرّتا على الوجوه المتواجدة في الساحة جميعًا.

- صباح الخير حبيبتي حياة، كل عام وأنت بخير.



- صباح الخير ست أمل، كل عام وأنت بخير.

- وأنت بالخير كله ست منال.

- ست منال، اليوم عيد، فش شوي لحمة؟

- تكرمي ست حياة، بتحبي الشوي على السياخ ولا على الشبك، لازم الإدارة على الساعة ستة ونصف تحضر لكل أسيرة كيلو لحمة عجل، بس اللحم تأخر بالذبح والإدارة أجّلت الموضوع للعيد الجاي.

- عن جدّ أختي منال؟

- عن جدّ يا هبلّة! بتفكري حالك عند أهلك عيد وشوي، إحنا في سجن وبذك شوي، روعي اشوي علبة فول أحسن لك منا.

- يا ست حياة، لا الفرحة فرح ولا العيد عيد، ولكن لأنه عيد ربنا سنفرح، والفرح شكلي، لا مكان له في القلب ولا في العين.

العيد في السّجن ينتهي قبل أن يبدأ، هل تعيش السمكة إذا أخرجناها من الماء؟ هل يعيش الجمل إذا نقلناه إلى القطب الشمالي؟ الله سبحانه وتعالى خلق كل المخلوقات وله بيئة تناسبه حتى يعيش حياته الطبيعية فيها، السّجن ليس مكاناً لحياة الإنسان، ليس بيئة مناسبة للحياة، في السّجن يفقد الإنسان حريته، يفقد بيئته المناسبة، ولكن نحن الأسرى الفلسطينيين فداءً لقضيتنا المقدسة نصبر على السّجن ونُصر على القيام بكل طقوس الحياة حتى نقهر السّجن والسّجان، نستعين بقوة على قدر الله.



- والله كلامك صحيح ست منال، نيال إلى بده يكون نصيبك، كلامك موزون بالذهب.

- نصيبك؟ مين بده يرتبط بأسيرة؟ مسجونة عند اليهود؟ مائة حاجز وحاجز بوجهه، أبوه سير فض، أمه سيجن جنونها، القريب والبعيد، مجنون، فاقد عقلك؟ مش لاقى غير أسيرة تتزوجها؟ بكرة بتقضيها بالسجون، وأولادك بالشارع.

- ألف شاب يتمنى أن يرتبط بك ست منال.

- دخيلك ألف شاب، ومين بيعرفني غير البنات إلى معي بالسجن؟ على كل حال ست حياة إذا في عندك عريس على شرط ما يكون مجنون وأروش مثلك.

- الله يسامحك ست منال أنا مجنونة؟ حياة المجنونة والروشة في الجامعة كانوا الشباب يتمنوا كلمة وحدة منها، نظرة، نص نظرة، جاهات، وساطات، مجرد لقاء، مجرد إشارة واحدة.

- أيوه سوقياها علينا جوليت، ولا بثينة مجنونة بجميل، ولا عبلة وعنتره.

مضى العيد بأيامه الثلاثة كما مضى شهر رمضان بأيامه وكما تمضي كل الأيام سريعة لا تسأل عن أحد، ولا تلفت لأحد، فما العمر إلا أيام كلما مضى يوم مضى من الإنسان جزء من حياته واقترب نحو الأجل المحتوم، وأما في غرف الأسرى كلما مضى يوم كلما اقترب من الحرية.



## قيود الرياديين

---

عادت الحياة إلى طبيعتها وسابق عهدها قبل رمضان، سواء من قبل الإدارة أو من قبل الأسيرات، فعادت الحياة محكمة منضبطة بالبرامج الإدارية والثقافية والتنظيمية، كل شيء بنظام كل شيء بقانون، غير مسموح، بالفوضى، غير مسموح بالعبثية.





## 17

عاملة المردوان الأسيرة تغريد: حياة، أمل، بكرة في عندكم بوسطة  
محكمة سالم.

- يلعن أبو البوسطات، ست تغريد في إمكانية ألغي البوسطة.

- هسه بحكيلك مع مديرة القسم أو القاضي بذات نفسه، ولا  
أقولك بدي أحكي مع وزير العدل، وأقولهم الست حياة تعبانة من نزلة  
البوسطة، رجاء حاكموها غيابياً!

- عملي معي معروف ست تغريد، ويوم عرسك برقصلك عشر  
ساعات متواصلات، أنا أسفة على كلمة أرقص مش من ثقافتنا إحنا





المجاهدات مثل هالكلمات، هذه من رواسب وتأثيرات الجاهلية الحديثة، والإسلام يجب ما قبله والأسير يمحو ما سبقه.

- يجيئك هنا يا ست حياة على روحك الحلوة وكلامك الكثير.

- بدى أسليكن شيخة فاطمة، والله السكوت بيقتلني، خلينا نضحك شوي.

الساعة السادسة صباحًا، عاملة المردوان: تغريد، أمل، حياة، جهزوا أنفسكم خلال دقائق ستأتي الشرطيات لإخراجكن إلى البوسطة.

- واضح اليوم البوسطة ستصل السجن باكراً.

- أقل من عشر دقائق سنكون جاهزات ست تغريد.

على عجل تم تجهيز أغراض البوسطة الضرورية والمسموح بإخراجها مع الأسيرة، كل سكان الغرفة مشغولات بتجهيز أغراض أمل وحياة، اللتين ارتبكتنا عند سماعهما نبأ إخراجهما من القسم في هذه الساعة الباكرة من الصباح؛ لأنه غالبًا يتم إخراج الأسيرات بعد الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرًا، فأصبحت مثل أم العروس فاضية، مليانة، بتروح وبتيجي عالفاضي.

على عجل حملت أمل وحياة أغراضهما وخرجتا من القسم في رحلة شاقة إلى جحيم البوسطة، لتمتد هذه الرحلة لما يزيد عن ست عشرة ساعة من سجن إلى سجن حتى وصلت بوسطة العذاب وعلى



متنها المذبذبات إلى قاعة محكمة سالم حيث سيكون بانتظارهما فصل جديد من العذاب، مكوث في غرفة الانتظار لأكثر من سبع ساعات بلا دخول إلى الحمام أو محاولة الاستلقاء والنوم بسبب وجود الكاميرات المنتشرة على زوايا غرف الانتظار، ولحين وصول دور المحاكمة إليهما بعد الانتهاء من محاكمة الأسرى.

المحامي على باب غرفة الانتظار: السلام عليكم، يعطيكن العافية.

- أهلاً أستاذ فريد، وعليكم السلام.

- ست أمل، أنا درست الملف جيداً وتوصلت لصفقة مع القاضي والنيابة وأرى أنها صفقة ممتازة وقد تحدثت مع الأهل وأعجبتهم الصفقة، ولا مانع عندهم أن نحكم اليوم.

- كم هو الحكم أستاذ فريد؟

- القاضي كان طالب حكم سنتين ونصف، يعني ثلاثين شهراً، والنيابة كانت طالبة ثلاث سنوات، أنا رفضت وأصررت على الرفض؛ لأن القضية والملف لا تستاهل كل هذا الحكم، وأخيراً وبعد جهود جبارة بذلتها وبشق الأنف حتى استطعت أن أقنع القاضي والنيابة حتى وافقوا على سنتين حكم وألف شيكل غرامة، صعبت أمل وحياة لهذا الحكم القاسي.

- أستاذ فريد، مشكور على جهودك، ولكن اسمح لي لو أتي أنا دافعت عن نفسي لكان الحكم أخف من هذا بكثير، سنتين على قضية عمل طلابي، مش مقبول هذا الحكم، ولا في عاقل على وجه الدنيا



برضى وبقبل بهذا الحكم القاسي على قضية بسيطة. أستاذ فريد أنا وحياتنا صاحبات القضية أعذرنا الصفة مرفوضة ولن نحكم ومن هذه اللحظة اعتبر نفسك لست المحامي الخاص بنا، سندخل إلى قاعة المحكمة وسنطالب المحكمة بتغيير المحكمة وتأجيل المحاكمة.

- ست أمل وشرفي وحياتنا أولادي إني اشتغلت لكم شغل ما اشتغلته لحدنا، إذا رفضت الحكم اليوم القاضي سيعتبر هذا العمل إهانة للمحكمة وسيقوم بمضاعفة الحكم وأنا بنصحكن تقبلوا الحكم.

- حكم سنتين يا أستاذ فريد مرفوض، وغير هذا الكلام فش عنا.

حملت أمل وحياتنا نفسيهما عن الباب ودخلنا إلى داخل الغرفة وظل المحامي واقفاً على الباب للحظات وهو يلحف كل يمين أغلظ من سابقتها أنه عمل واشتغل، وأكثر من ذلك لن يعمل أي محام وأقل من هذا الحكم لن يستطيع عشرة محامين إحضاره، ثم حمل نفسه وغاب لما يزيد عن ثلاث ساعات ثم عاد ثانية.

- السلام عليكم.

- عليكم السلام أستاذ فريد، خير إن شاء الله في شيء جديد؟

- ست أمل أنا بسببكن تبهذلت اليوم ومش مستعد أتبهذل أكثر.

- ما عاش مين بدو يبهذل أستاذ فريد.

- أنا رجعت للمحكمة وجلست مع القاضي والنيابة وتوصلنا



لصفقة جديدة فش مجال لرفضها، على شرط اليوم نكمل القضية ونغلق الملف.

- آه أستاذ، ماشي ما هي الصفقة؟

- الحكم سيكون ثمانية عشر شهرًا وألفين شيكل غرامة لكل واحدة منكن.

- أستاذ فريد بدي أتشاور أنا وحياء، وبعد نصف ساعة ارجع وهذا ردنا النهائي.

- ما في معي وقت، صار الوقت متأخرًا، أي تأخر ليس لصالحنا.

- أستاذ فريد، أنت بتعرفش أنا وحياء بندرس قانون، يعني إحنا وإياك زملاء مهنة، بنفهم بعض، نصف ساعة وتأخذ ردنا، ألف ساعة صار إلنا في البوسطة، ما في حدا استعجل على وصولنا، ولا في حدا بحس بوجعنا في البوسطة، وأنت بكل بساطة تقول ما في وقت؟

غاب المحامي لأكثر من ساعة، ثم عاد إلى باب غرفة الانتظار متلهفًا لسماح رد الأسيرتين: السلام عليكم، إن شاء الله وافقتم على الصفقة؟

- نحن درسنا الحكم وقارنا ما بين قضيتنا وقضايا الكثير من الأسيرات ووجدنا أنفسنا مظلومات، ولكن تقديرًا لجهودك وتعبك قررنا أن نقبل الصفقة كرمالك فقط.

سريعًا حمل المحامي نفسه وطار إلى المحكمة، وبعد ربع ساعة



حضرت قوة من النخشون واقتادت الأسيرتين أمل وحياة إلى قاعة المحكمة.

أخيراً بعد رحلة التعذيب الممنهج تحت عنوان البوسطة، الانتظار القاتل داخل غرفة الانتظار (الأمتهاه)، حضرت المحاكمة الأخيرة حيث النطق بالحكم، قاعة محكمة أعدت بكافة وأدق التفاصيل، منصة قضاة مرتفعة، قفص اتهام للأسرى، مكان مخصص للأهالي، مكان مخصص للمحامين، مكان مخصص للنيابة، جنود من الجيش يحملون الأسلحة وكأنها ساحة حرب، قاعة محكمة أعدت بإحكام لتبدو وكأنها محكمة حقيقية.

أمل وحياة، أسيرتان مقيدتان بالقيود والأصفاد الحديدية بالأيدي والأرجل، بعد عدة ساعات انتظار في قاعة الانتظار تم إحضارهما إلى قاعة المحكمة، تحت حراسة مشددة من وحدة النخشون، صمت مطبق يلف القاعة، إشارات متبادلة وحديث القلب إلى القلب والروح إلى الروح لغة لا تفهمها سوى العيون ما بين أمل وحياة، والأهل في قاعة انتظار الأهل في المحكمة.

ثلاثة قضاة، يدخلون القاعة، صوت يرتفع في القاعة معلناً دخول القضاة، وعلى الجميع الوقوف احتراماً لهم، القاضي يشير بيده للحضور في قاعة المحكمة أن اجلسوا، متكبر، متعجرف، حتى كلمة شكر أو تفضلوا بالجلوس لم تخرج من فمه الكريه، جلس الجميع وعاد الصمت سيد الموقف، مال القاضي الرئيسي الجالس وسط القاضيين عن يمينه وشماله،



مال تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال، وهزّوا جميعاً رؤوسهم، في إشارة على ما يبدو اتفاقهم على الأمر.

ألقي القاضي الورقة من يده على الطاولة وراح يكبس على أزرار جهاز الكمبيوتر أمامه، بعد لحظات، أحد المجندين العسكريين العاملين على أجهزة الكمبيوتر أسفل منصة القضاة، بصوت عالٍ لقد تم الحكم على الأسيرة الأمنية أمل صالح لمدة ثمانية عشر شهراً فعلياً وسنة مع وقف التنفيذ لمدة ثلاث سنوات مع غرامة مقدارها ألفا شيكل، لقد تم الحكم على الأسيرة الأمنية حياة بشير ثمانية عشر شهراً فعلياً مع سنة مع وقف تنفيذ لمدة ثلاث سنوات مع غرامة مقدارها ألفا شيكل.

القاضي: هل النيابة موافقة على الحكم؟

النيابة: نعم، نحن نحترم حكم القاضي.

القاضي: هل المحامي موافق على الحكم؟

المحامي: نعم، نحن نحترم هذه الصفقة.

القاضي: ما هو رد المتهمه أمل صالح؟

أمل: أنا أشكر الأستاذ المحامي وأكتفي بأقواله.

القاضي: ما هو رد المتهمه حياة بشير؟

حياة: أنا أشكر الأستاذ المحامي وأكتفي بأقواله.

القاضي: ألا تريدان شكر المحكمة؟



أمل: الأستاذ المحامي هو موكلنا وهو المتحدث باسمنا بكل شيء، لا نريد تجاوزه ونكرر شكرنا له على جهوده.

انتهت مهزلة المحكمة بأقل من عشر دقائق بعد رحلة بوسطة تمتد لأكثر من ست عشرة ساعة ذهاباً وإياباً، وعادت الأسيرتان أمل وحياة إلى القسم بعد رحلة شاقة أرهقت الجسد بكافة هياكله العظمية والعضلية والعصبية، ولم يتبق مفصل إلا وخلخلته وبات الجسد بحاجة لأسبوع من النوم والراحة حتى يعود إلى نشاطه وحيويته أو على الأقل العودة إلى طبيعة ما قبل البوسطة هذا إذا سلم من مرض بسبب البوسطة، فقد يقعد طريح الفراش لعدة أسابيع.

الساعة الواحدة والنصف ليلاً، الأسيرتان أمل وحياة تدخلان القسم، كل الأسيرات يغرقن بنوم عميق في غرفهن، الأسيرات في غرفة رقم (6) أصبن بالهلع وهنَّ يسمعن أصوات الأقفال والمفاتيح ظناً منهن أن وحدة التفتيش الخاصة قد داهمتهن في هذا الوقت المتأخر من الليل، سريعاً صحت الأسيرات الأربع وأيديهن على المناديل وقد لففن رؤوسهن بها سريعاً، وكل أسيرة لبست جلبابها سريعاً داخل برشها، فُتح الباب، سجانات واقفات على مقربة من الباب، لكن الهيئة ليست هيئة تفتيش، تحركت الأسيرة لينا ممثلة الأسيرات بعد أن جلست على برشها بانتظار وصول وحدات التفتيش، ثم سارت نحو الباب.

- سهيرت، ما الأمر؟

- رجعت البوسطة.



لحظات ودخلت أمل وحياة، كل واحدة تجر نفسها جرًّا من التعب والإرهاق ونفسها أن تُلقِي جسدها على البرش من أول ما دخلت الغرفة.

- السلام عليكم.

- وعليكُم السلام ورحمة الله وبركاته، الحمد لله على السلامة، بالعيشة غلبة، بالغرفة غلبة، بالبوَسطة غلبة، خفنا عليكِ، شو هالبوَسطة عشرين ساعة.

- شو بدنا نعمل؟ حُكَم الظُّلام على هالمسكينات.

- ست أمل، شو صار معكن بالمحكمة.

- الحمد لله حُكَمنا نحن الاثنتان كل واحدة 18 شهر و2000 شيكل.

- مبارك، مبارك حُكَم ممتاز لقضيتكن.

- الله يبارك فيك ست لينا.

- يلا عشان تلحقوا تناموا، ارتاحوا شوي أنا بجهز لكم الأكل وأنتن بسرعة تحممن كل واحدة خمس دقائق، الحمد على السلامة ومبارك الحُكَم وعقبال الحرية.

- الله يبارك فيك شيخة فاطمة، وعقبال عندك نفرح بحريرتك أنت وكل الأسيرات.





مضت الليلة في غرفة (6) طاوية مرحلة مهمة من مراحل الرحلة الاعتقالية للأسيرتين أمل وحياة، بهذه الليلة انتقلتا من مرحلة التوقيف وما يصاحبها من القلق والخوف حول مدّة الحكم والاطمئنان إلى تاريخ الإفراج ومعرفة مدة الحكم.

سبعة أشهر هي المدة المتبقية للأسيرتين أمل وحياة من مدة الحكم وستقضيان هذه المدة إما في سجن الشارون حيث هنّ الآن أو سيتم نقلهنّ إلى سجن الدامون، المهم أن هذه الشهور المتبقية لن تكون لها أي بوسطة فمع نطق الحكم ينتهي التوقيف وتنتهي البوسطات.

لا جديد في يوميات الأسر داخل السجن بمعنى الجديد، فالروتين واحد من الساعة السادسة والنصف صباحاً أي موعد العدد الأمني الأول حتى الساعة السادسة والنصف مساءً موعد العدد الأمني المسائي، روتين متتابع ما لم يحدث طارئ وإن حدث فهذا حدث نادر وعرضي سريع الزوال أما الأصل والثبات فهو للروتين، عدد دق، فورات، طعام، جلسات، زيارات الصليب الأحمر، زيارات الأهل في مواعدها، زيارات المحامي في مواعدها، كل شيء بموعده، الحياة داخل السجن حياة لكنها مقيدة بقالب يصعب الخروج عن نطاقه.

صباح جديد يبدأ من حياة الأسيرتين أمل وحياة، مع إشراقة اليوم الأول بعد مسرحية المحاكمة والنطق بالحكم الجائر بحق فتاتين لم ترتكبا أي جرم سوى أنهما أنشدتا نشيد الحرية لشعب يضحى بدمه لأجل الحرية، بدأ العد العكسي للحرية والإفراج، فقد مضت عشرة شهور



من الاعتقال وبقي سبعة شهور، رحلة غنية بالتجارب، معارف لا تقدر بثمن، معلومات لا يمكن جمعها إلا من الكتب ولا المجلات عن الكثير من القضايا، الاعتقال، التحقيق، السجن، الأسيرات، الحركة الأسيرة، المحاكم الصهيونية، القضاء الصهيوني، علاقة الأسير بالسجان.

ممثلة الأسيرات تدخل القسم قادمة من مكتب مديرة القسم بعد اجتماعها الأسبوعي معها حاملة بيدها كمية كبيرة من الرسائل، وما إن رأت الأسيرات ممثلتهن ويدها ما بيدها، حتى استنفرت وتجمهرت حولها الأسيرات على الجدار الحديدي، كل واحدة تأمل أن يكون لها رسائل.

- ست لينا، أنا في إلي رسالة؟

هدوء، أرجوكم وفرؤا هدوء، الكل يسألني وكل واحدة لها رسائل سأعطيها إياهن، خلوني أعرف أوزعهن.

- تهاني، في إلك رسالة، مبروك.

- سعاد، في إلك رسالة، مبروك.

- تغريد، لك رسالة، مش موجودة.

- بالغرفة تغريد.

- أمل لك رسالة، مبروك.

- حياة لك رسالة، مبروك.



استمرت تنادي على حاجيات الرسائل، أكثر من عشرين رسالة أهل.

الرسائل الداخلة إلى السجن والخارجة منه كذلك حكاية طويلة تجمع المتناقضات على طاولة واحدة، الصفاء والكدر، الكربة والانفراج، الفرح والحزن، الفرح لوجودها، الفرح لمضمونها، الحزن بطول تاريخ إرسالها، والمدة الطويلة لوصولها، الحزن أيضاً لمضمونها وما تثير من عواصف الشوق والحنين للأهل، تفرح الأسيرة لوصولها رسالة من أهلها وذويها وأحبتيها.

قرأت أمل الرسالة أول مرة على عجل، وقبل أن تنهي البسملة والسطر الأول ففرت إلى آخر سطر في الرسالة لتقرأ اسم المرسل منذ أن نادى المنادي وعلا صوت الشادي في الساحة أن ممثلة الأسيرات معها رسائل، توقفت وخمّنت أن لها رسالة وأنها من شقيقتها وتوأم روحها وصديقتها المقربة نادية الأصغر منها سنّاً بأربع سنوات، وصدق الحدس وكان التوقع في مكانه الصحيح، عادت وقرأتها من البداية، على عجل قرأتها حتى النهاية لترى ما فيها من أخبار ويدها على قلبها حتى لا يكون فيها خبر سيء، أعادت قراءتها ثانية وثالثة ومع كل مرة تنهمر دموعات خجولة من عينها معبرة عن الشوق والحنين عما يجول في خاطر من الشاعر، تود لو أن لها جناحين صغيرين تطير بهما، تحلق بهما إلى عنان السماء لتخرّ في حضن أمها، وعلى يديها تطبع ألف قبلة، تود لو أنها تستطيع احتضان أخواتها وإخوتها صغاراً وكباراً، أحلام في حالة اليقظة خيال واسع في واقع ضعيف اسمه زنزانة في سجن، سرحان مع كل فقرة من فقرات الرسالة مع كل



كلمة، مع كل خبر، مع كل قصة بل سرحاناً ما بين كل سطر و سطر.

قرأت الرسالة، وما بين سطور الرسالة وما خلف سطور الرسالة قلبتها لتقرأ كل حرف، كل رسمة، كل تاريخ، كل شحطة قلم، كل شاردة وواردة، فكل كلمة في الرسالة هي قصة، ومفتاح لقصة، كل كلمة هي تذكير لحدث مضى، لحدث جميل أصبح من الماضي، ولأنه من الماضي فقد ازداد جمالاً، فكل ما هو ماضٍ هو جميل وإن كان ألمًا، فعند الحديث عنه تضعه في قالب الفكاهة، مع أننا في وقت حدوثه قد لا نراه بذلك الجمال، أو قد لا نلقي له بالألّا نكتشفه لاحقاً.

قرأت أمل الرسالة، وأشبع عينيها وروحها من قراءتها ثم أعطتها لصديقة عمرها حياة وبلا استئذان خطفت الرسالة من يدها وبلا مقاومة استسلمت حياة وأرخت يدها عن رسالتها حتى لا تتمزق بزحمة الاشتباك، واستقبلت رسالة أمل.

- مين اللي بعتلك الرسالة يا ست أمل؟

- اقرئي اسمها في آخر الرسالة بتعرفيها.

- نادية، والله عرفتها من خطها الحلو، لما نروّح بدنا نخليها تعطينا دورة خط؛ لأنه بصراحة خطي وخطك بيخزي مقابله.

- اقرئي الرسالة، شو بتحبي الحكيم يا حياة.

- مش فاضي الك، خليني أقرأ رسالة أخوك الأهل سعيد.



- الله يسامح أبوك مش لاقى غير هالاسم يسميه، بحياتي ما شفته إلا تعيس.

- حبيب قلبي أخوي سعيد، سندي وتاج رأسي، صديقي الغالي عندي إياه بالدنيا وما فيها، صحيح أنت شايفتيه أهبل لأنك حولة، بكرة بكبر وبصير شاب وكل بنت على هالأرض بتتمناه، لو أنه كبير شوي لزوجتك إياك يا هبله.

- الحمد لله اللي بعده صغير، هذا اللي ناقصني أبوك بشير الجميل يصير حماي، أنا المحامية أمل، على سن ورمح، حماي بشير الجميل.

- الله يسامحك تشبهي أبوي المسكين بالخاين بشير الجميل.

- ديرى بالك على رقتك ست أمل ليصير لها شيء وهي عالية فوق، ارحمينا، تواضعي شوي، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.  
- تزعليش ست أمل، كله مزح، سامحيني.

- بدى أسألك ست منال الرسائل بتطلع من السجن إذا بدى أكتب رسالة.

- نعم ست أمل كل يوم أحد مسموح برسالة فيها خمس ورقات اكتبها، في الكانتينا ظروف رسائل، كل يوم اكتبى رسالة وأعطيتها للست لينا وهي بتسلمها للإدارة وبعد الفحص الأمني هم بيعثوها إلى بريد الرسائل، وبعد ذلك بيعثوها لبريد الرسائل الفلسطيني، وإن شاء الله تصل



لكن خَلِّي عنوانك واضح والأفضل أن تكتبه باللغة العبرية.

- كم تستغرق الرسالة حتى تصل للأهل؟

- الله أعلم، أحياناً في رسالة تصل بعد شهر أو شهرين، وأحياناً أسبوعين، وأحياناً تضيع الرسائل ولا تصل، وإذا بدك طريقة أفضل وأسرع ابعتي رسالة مع المحامي.

- كيف أبعث رسالة مع المحامي، أنا لا أزور محامي.

- احكي للست لينا تسجل اسمك لزيارة المحامي الأسبوع القادم حتى يطلبك للزيارة الجاي، وأنتِ حضري الرسالة إما حفظاً وإما أن تكتبها على دفتر نوتة، وعند زيارة المحامي تنقلها للمحامي، ولكن انتبهي أحياناً عند زيارة المحامي الإدارة تصدر دفاتر النوتة، الأفضل احفظها حفظ وأنتِ ما شاء الله عنك محامية ولسانك مبرد ومن ثلاث شُعب لست بحاجة للحفظ، رأس مالكم إخواننا المحاميين والمحاميات بألستكم.

- أنا بدي أعمل الشغلتين، بكتب الرسالة عبر البريد وبرسلها مع المحامي.

- ممثلة الأسيرات وقفت على باب كل غرفة بدءاً من غرفة (1) وحتى غرفة (12): السلام عليكم، يعطيكن العافية يا صبايا، في عندي زيارة محام، هاي محامية نادي الأسير جاي بكرة إن شاء الله، اللي عندها أي قضية، اللي بدها ترسل رسالة تكتب كل ما تريد.



- على باب الغرفة رقم (6): ست لينا، أنا وحياة بدنا تسجلينا لزيارة المحامي.

- خير إن شاء الله في أمر خطير حتى تزوري محامياً؟

- لا والله ما في أمر خطير، ولكن نريد أن نبعث رسائل للأهل، منال حكّت لنا أن الرسائل مع المحامي أسرع وحتى نزور المحامي لازم نسّجل عندك أول.

- إذا القصة قصة رسائل أهل ما في حاجة لزيارة المحامي، اكتبها وأنا ببعثها مع المحامي وخير الكلام ما قلّ ودلّ، مش تروحي كاتبة مجلد، ماشي ست أمل.

- اتفقنا لينا.

زيارة المحامي إلى السجون لها أهميتها في حياة الأسيرة داخل السجن على أكثر من صعيد، وأهم هذه الصُّعد تواصل الأسيرة مع أهلها وذويها خصوصاً إذا كان ممنوعاً منعاً أمنياً من الزيارة، وكذلك لثقل معاناة الأسرى على الخارج وتصبح ممارسات إدارات السجون بالأعمال والفضائح التي يرتكبها ضد الأسرى، وإبراز حقيقة حياة الأسرى، مالها وما عليها.

أكثر من جهة تسيّر زيارات محامين إلى السجون، هناك هيئة الأسرى، نادي الأسير، مؤسسات حقوقية، مؤسسة مهجة القدس، مؤسسة واعد، مؤسسة الضمير، لجان حقوقية فلسطينية مستقلة، لجان حقوقية فلسطينية حزبية، محامون مستقلون، جمعيات تابعة لفلسطينيي الداخل المحتل،



وبالعادة تكون زيارة المحامي شهرية أو كل أسبوعين مرة.

تتحكم الإدارة بزيارة المحامي من حيث الوقت وكثيراً ما تعتمد تخريب الزيارة وذلك بطرق شتى، منها على وجه الخصوص إعلان حالة الاستنفار (ضرب الأزعقاه) قبيل دخول المحامي السجن، فتتجسس بوجود استنفار أمني في السجن وعليه الانتظار حتى ينتهي الاستنفار، وقد يستمر الاستنفار لساعة أو ساعتين أو نصف نهار، فيضيع أكثر الوقت ولا يستطيع زيارة أي من الأسرى، أو زيارة أسير واحد فقط.

للمحامي في كل سجن قاعة زيارة خاصة شبيهة بقاعة زيارة الأهالي إلا أنها أصغر حجماً من قاعة زيارة الأهالي، خلال زيارة المحامي للأسيرة يجلس السجن أو أكثر من سجان بالقرب من الأسيرة لسماع ما يقول وتعتمد الإدارة وضع سجان عربي (درزي أو بدوي) أو يهودي يتقن اللغة العربية لتشتيت انتباه وتركيز الأسيرة ومراقبة ما تقول، يتعرض الأسير خلال ذهابه لزيارة المحامي والعودة من الزيارة للتفتيش.

زيارة المحامي حلقة من حلقات تواصل الأسير مع عالمه الخارجي، وقد دفعت الحركة الوطنية الأسيرة ثمناً غالياً من دماء الشهداء الذين سقطوا خلال الإضرابات وهم يطالبون بالحياة الكريمة للأسرى داخل السجن ومن ضمن هذه المطالب حق زيارة المحامي.

- زيارة محام! زيارة محام! السجناء الجالسة في غرفة التحكم عبر مكبرات الصوت.





وكالعادة خرجت ممثلة الأسيرات ومعها ما حملت من قبل  
الأسيرات من رسائل، خرجت من غرفتها حتى وقفت على باب غرفة  
التحكم المركزية.

- يوجد معك ثلاثة أسماء لزيارة المحامي.

- من هنّ سهيرت لينا؟

- أمل، حياة، صابرين.

- عادت ممثلة الأسيرات لتجد عاملة المردوان تشطف بساحة  
القسم مقابلها، أختي تغريد بعينك الله، خبري أمل، حياة، صابرين،  
زيارة محامٍ، سريعًا خليهن يجهزوا أنفسهن ويخرجن.

- أمرك ست لينا.

- عبر السياج الحديدي الفاصل ما بين الساحة والغرف والذي  
لا يتعد أكثر من مترين عن الغرف نادت عاملة المردوان: أمل، حياة،  
صابرين، زيارة محامٍ، تجهزوا للخروج.

عبر مكبرات الصوت وبصوت عالٍ يشبه الصراخ، زيارة محامٍ!  
زيارة محامٍ!

- الله يخرسك من سهيرت شو بتحبي الصراخ، إن شاء الله ربنا  
بخرسك وتموتي بجلطة بلسانك.

سريعًا أخرجت عاملة المردوان الأسيرات الثلاث من غرفهن



لزيارة المحامي خوفاً من فوات الوقت وبالتالي حرمانهم من الزيارة؛ لأن الإدارة في قضية زيارة المحامي مستعدة للتحجج بأي ذريعة مهما كانت تافهة لإلغاء الزيارة، فمجرد تأخر الأسيرة بالخروج من الغرفة يُعتبر في عُرف الإدارة سبباً كافياً لإلغاء الزيارة.

من باب غرفة التحكم إلى غرفة الانتظار الصغيرة على يمين الداخل إلى السجن مسافة المائة متر، أكثر من خمسة أبواب يجب فتحها وإغلاقها والعبور خلالها حتى الوصول إلى غرفة الانتظار.

لحظات بعد وصول الأسيرات الأربع إلى غرفة الانتظار حتى حضرت سجانتان وثلاثة سجانين.

- بنات! زيارة محام!

دخلت الأسيرات إلى قاعة زيارة المحامي غرفة صغيرة الحجم مستطيلة، ثلاثة شبابيك زيارة كل شباك بهاتف من جهة المحامي وهاتفين من جهة الأسيرة، غرفة بمساحة 8 أمتار مربعة، طول 4 أمتار وعرض مترين، من نصفها وبشكل طولي حاجز من الباطون على ارتفاع متر ومن ثم الشبابيك الثلاثة، زجاج مقوى حتى السقف، هذه القاعة تُستغل أحياناً كقاعة زيارة أهل في وجود أزمة في قاعة زيارة الأهالي الرئيسية.

- أنا المحامي وجدي من القدس، محامي نادي الأسير الفلسطيني، سأزور أولاً أمل وحياء وصابرين، ومن ثم سأزور ممثلة الأسيرات لينا.

- محامية أخرى تعمل في مؤسسة أسيرات، أسرى من أجل الحرية،



المحامية تغريد في زيارة لممثلة الأسيرات.

- أمل، إذا سمحتِ اسمك الرباعي، وكذلك حياة.

- أريد أن تشرحي لي عن وضع القسم، عدد الأسيرات، أحوالهن داخل القسم، علاقتكم مع الإدارة، العلاقة الداخلية ما بين الأسيرات، مطالبكن من الوزارة، نادي الأسير، هل تردن بعث رسائل لأي جهة، الأهل الأقارب، لأي جهة كانت أنا سأوصل كافة الرسائل للأخوة في الوزارة والنادي وهم سيوصلونها للأهل.

- أمل وحياتك تتكلمان والمحامي يكتب، مسكين تندم على كل كلمة قالها وكل وعد قطعه على نفسه، تعبت يده وهو يكتب حاول عبثاً التملص من وعده، نفخ، ومع كل نفخة تزداد أمل وحياتك بالمزيد من الجمل والعبارات.

انتهت زيارة المحامي بأقل من نصف ساعة للأسيرات الثلاث، أمل، حياة، صابرين، أما ممثلة الأسيرات فقد استمرت زيارتها لأكثر من ساعتين؛ لأنها زارت أكثر من محام ولأنها ممثلة الأسيرات ومعها رسائل وطلبات كثيرة للأسيرات لعدة جهات تهتم بشؤون الأسرى.

أعادت السجانات الأسيرات الثلاث أمل وحياتك وصابرين إلى القسم فيما ظلت ممثلة الأسيرات في قاعة زيارة المحامي لتعود إلى القسم قبل دخول العدد بدقائق معدودة، وقبل دخولها إلى غرفتها مرت سريعاً على غرف مسؤولات الفصائل في القسم ودعتهن لاجتماع عاجل بعد



العدد في غرفتها.

مرَّ العدد بكافة طقوسه المعتادة واستأنفت الحياة دورتها بعد خروج العدد كالمعتاد بنصف ساعة، مرافق القسم فُتحت، الأسيرات خرجن إلى الساحة، ومنهن من بقيت في غرفتها، وهناك من دخلت في قيلولة، ومنهن من دخلت ساعات قراءة، ومنهن من دخلت في الأعمال اليدوية، إلا الغرفة رقم (6) فقد تم تفريغها من ساكناتها وتم ترتيبها لتكون قاعة اجتماع فصائلي موسع؛ لأن هناك حدثًا خطيرًا يجب الوقوف عنده.





## 18

- أهلاً وسهلاً بالأخوات، كما تعرفن أخواتي الكريمات اليوم أنا زرت أكثر من محام، محامي نادي الأسير، محامي الجمعية، ووصلت لنا رسالة عبرهم تفيد أن الحركة الوطنية الأسيرة تخطط لخوض إضراب شامل عن الطعام منتصف شهر نيسان بدءاً من يوم الأسير الفلسطيني، الأسبوع القادم سيقوم محامي نادي الأسير بزيارتكن، وقد أعطيته أسماء كن من أجل الزيارة، وحتى تتواصل كل أخت مع تنظيمها والتشاور حول الإضراب، وقد وصلني رسالة من الإخوة في الحركة الأسيرة تخبرني أن الأخوات الأسيرات غير مشمولات بقرار الإضراب، وأنا رأيي الشخصي أن المرأة الفلسطينية هي شقيقة الرجال في النضال وبالتالي من الواجب علينا



الاشتراك بالإضراب، وفي الرسالة أيضاً ملخص لمطالب الحركة الأسيرة، سأعطي الرسالة لكل أخت منكن حتى تقرأها أولاً، ومن ثم تنسخها عندها حتى تُطلع القاعدة التنظيمية على مطالب التنظيمات، وسأقرأها عليكم سريعاً:

1. إخراج كافة الإخوة الموجودين في العزل من العزل ونقلهم إلى أقسام الأسرى.
2. إلغاء المنع الأمني بحق العائلات الممنوعة من الزيارة أمنياً.
3. إزالة الزجاج الفاصل بين الأسير وأهله في قاعة الزيارة.
4. السماح بإدخال الأطفال لحد سن الرابعة عشرة.
5. السماح للأسرى بالدراسة في الجامعات.
6. الحصول على هاتف عمومي داخل القسم.
7. السماح بإدخال الكتب على كل زيارة.
8. السماح بإدخال الصحف الفلسطينية بشكل يومي.
9. زيادة حصص الطعام من اللحوم والخضار والفواكه والمواد الغذائية.
10. زيادة محطات التلفاز من 3 محطات فأكثر.
11. منع التفتيش الليلي بتاتاً.



12 . منع التفتيش العاري بتأثاً.

13 . التصوير مع الأهل كل ستة شهور وزيارة خاصة كل ستة شهور.

هذه يا أخوات هي المطالب الرئيسية لكافة السجون، وكل سجن له أن يزيد في طلبات خاصة حسب ظروفه واحتياجاته، أرجو من الجميع مراسلة تنظيمه واتخاذ القرار المناسب ودراسة المطالب وتعميمها على الأسيرات.

مثلة أسيرات حركة حماس: بعد التحية والسلام لكنّ جميعاً أخواتي الأسيرات، الحقيقة أن وضع الأسرى بحاجة لإضراب شرس حتى تعود الحركة الأسيرة لعافيتها ويعيش الأسير بكرامة، نحن في حركة حماس مبدئياً ليس لدينا مشكلة بخوض الإضراب، ومثل ما تفضلت الأخت لينا ممثلتنا وهي بصفتها تتكلم باسم حركة الجهاد الإسلامي وباسمنا جميعاً نحن بحاجة للتواصل مع تنظيمنا والاطلاع على موقفهم من هذه الخطوة، وإن شاء الله قريباً وخلال أقل من أسبوع سيصلكم ردنا.

مثلة أسيرات حركة فتح: الله يمسيكم بالخير، بعيدة عن المزادات، نحن في حركة فتح طوال عمرنا دوماً في المقدمة، ونحن في حركة فتح ولا زلنا نحمل هم المشروع الوطني، دوماً نحن في المقدمة، مقدمة الخنادق والنضال داخل السجون وخارجها، وفي رسائل وصلتنا من أكثر من جهة تتحدث عن الإضراب ونحن موقفنا دوماً نحن المقدمة، نحن مع الكل الوطني، مثل ما بتعرفوا نصف الأسرى الفلسطينيين من حركة فتح، نحن





هنا داخل القسم وكأسيارات وجزء لا يتجزأ من حركة فتح وجسم رئيسي من الحركة الوطنية الأسيرة سنفتح نقاش وحوار داخلي ويكون لنا قرار.

ممثلة أسيرات الشعبية: مساء الخير للحضور الكريم، باعتقادنا نحن في الجبهة الشعبية ومن زمان تحدثنا مع الأخت ممثلة الأسيرات لو أن الحركة الوطنية الأسيرة لم تخض إضراباً لتحسين شروط حياتنا، نحن الأسيرات داخل هذا القسم لوحدنا بحاجة لإضراب لتحسين حياتنا الاعتقالية، يوجد عندنا نقص شديد في أساسيات الحياة الكريمة، لذلك نعتقد أن خطوات الإضراب خطوة سليمة ونحن بحاجة لها، وإذا كل التنظيمات أجمعت على استثناء الأسيرات من الإضراب كواجب وطني وإنساني تجاه قضيتنا كأسرى، ولأننا جزء من الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة من أجل أن يكون موقفنا قوياً وثابتاً ما تفضلت الأخت لينا كل مسؤولة تنظيم تتواصل مع تنظيمها وتنسق معه، ونُصّر على الاشتراك كواجب وطني وإنساني وأخلاقي.

مرّ أسبوعان على الاجتماع الفصائلي في غرفة رقم (6)، وبدأت أخبار الإضراب الشامل تتسرب بين الأسيرات ولكن دون تأكيد، البوسطات، زيارات الأهل، الإذاعات المحلية، أخبار تتردد عن تحضير الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة لإضراب شامل في الأيام القادمة احتجاجاً على سوء الأوضاع المعيشية للأسرى ولتحسين شروط الحياة الاعتقالية داخل السجون حتى إن الإدارة طلبت ممثلة الأسيرات للحديث معها حول الإضراب والذي سارعت ممثلة الأسيرات إلى نفي أي معلومة لديها عنه، وأنها لا تعلم عن نية الأسرى خوض الإضراب ولا حتى نية أي أسيرة.



أعلنت الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة الإضراب الشامل وحددت ساعة الصفر وأنها ستكون صبيحة يوم 17 أبريل (نيسان) يوم الأسير الفلسطيني، هذا الإعلان كان عبر الإذاعات المحلية قبل تاريخ الانطلاق بثلاثة أيام، جنّ جنون الإدارة على هذا الإعلان فردّت بمنع زيارة الأهالي والمحامين، ومنع إدخال جرائد العبري واستنفرت قواتها في كافة السجون، فانقطعت السبل بالأسيرات وبقين في حيرة من أمرهن، فلأخبار عبر الإذاعات المحلية تؤكد خبر خوض الحركة الأسيرة الإضراب الشامل عن الطعام في كافة السجون والمعتقلات، باستثناء أقسام الأسرى الموقوفين في سجنني مجدو وعوفر، والمرضى في عيادة (مسلخ) سجن الرملة، والأسيرات في الشارون والدامون والأشبال.

457

تكررت اجتماعات مسؤولات الفصائل أكثر من مرة لمناقشة خطوة الإضراب والمشاركة فيه والاتحاق بالحركة الأسيرة، أو البقاء خارج معركة الإضراب عملاً بتوصيات قيادة الإضراب بعدم اشتراك الأسيرات الفلسطينيات. ساعات من النقاش والحوار أمضتها الأسيرات حول هذه النقطة المركزية حتى تم حسم الأمر بشكل نهائي وذلك عبر إجراء استفتاء بالقاعدة التنظيمية في السجن حول المشاركة أو عدم المشاركة.

ستون أسيرة في القسم، كل أسيرة ستحصل على ورقة فيها سؤال واحد فقط: هل تؤيدان الاشتراك بالإضراب الشامل عن الطعام أم لا؟

وقد تم الاتفاق على تشكيل لجنة من خمس أسيرات يشرفن على إنجاز هذا الاستفتاء في أقل من ثلاث ساعات، وحسب النتيجة يكون



تصرف الأسيرات وموقفهن من الإضراب، أكمل الاستفتاء وجاءت النتيجة قاطعة لكل شك وواضحة حدًّا لكل جدل حول قضية المشاركة من عدمها، سبع وأربعون أسيرة أجابت بنعم مقابل اعتذار خمس أسيرات بسبب المرض، وامتناع ثمانٍ عن التصويت، فرجحت بذلك كفة الأسيرات المناديات بضرورة الاشتراك بخوض معركة الإضراب.

أمام نتيجة الاستفتاء الساحقة بنعم للمشاركة أصبح لزامًا على مسؤولات الفصائل تحمل مسؤولية إعداد الأسيرات لخوض معركة الإضراب، وذلك عبر تشكيل لجنة نضالية من كافة الفصائل تبدأ العمل فورًا بتثقيف وتعبئة الأسيرات حول معركة الإضراب وسير الإضراب خصوصًا أن الغالبية العظمى من الأسيرات هُنَّ أسيرات جديدات ليست لديهن خبرة مسبقة في خوض هكذا تجارب.

تم تشكيل اللجنة النضالية من أربع أسيرات يمثلن الفصائل الفلسطينية الأربعة الموجودة في القسم، الأسيرة لينا ممثلة حركة الجهاد الإسلامي، الأسيرة أم محمود ممثلة أسرى حركة فتح، الأسيرة تهاني ممثلة حركة حماس، والأسيرة ممثلة الجبهة الشعبية، بالإضافة لهذه اللجنة الرباعية تم تشكيل لجنة ظل من أربع أسيرات تتسلم قيادة الإضراب في حال تم عزل اللجنة القيادية الأولى إلى الزنازين.

الإضراب معركة بكل معنى الكلمة، لا تقل ضراوة عن أي معركة عسكرية وتحتاج لتجهيزات وتحضيرات، وفكرة تضبط وخطه توجه سير هذه المعركة مثلما تحتاج المعارك العسكرية لما تحتاج إليه من العتاد والخطط العسكرية، أولى التجهيزات وأهمها قبل الدخول في الإضراب هي عملية



تعبئة وتثقيف الأسيرات حول حقيقة الإضراب، وكيف تتم عملية خوض الإضراب وكيفية فكه على المستوى الشخصي وعلى المستوى العام مع الإدارة، والمخاطر الصحية، ودراسة سلوك الإدارة خلال الإضراب.

سارت الأيام سريعاً وبلغ إضراب الحركة الأسيرة يومه السابع والأسيرات الفلسطينيات لازلن مشغولات بعملية التعبئة والاستعداد للالتحاق بهذه المعركة التي هي معركة الكل الأسير.

حملت ممثلة الأسيرات ورقة الإضراب وسلمتها لمديرة القسم التي لم تتفاجأ بهذه الورقة؛ لأن كل السجون دخلت الإضراب من عشرة أيام ولم يتبق خارج الإضراب سوى الأسيرات والمرضى في مستشفى الرملة، ومع ذلك حاولت مديرة القسم أن تثني الأسيرات عن خطوتهن عبر إطلاق وعود بدراسة الطلبات والرد عليها إيجابياً بعد انتهاء الشباوص من معركة الإضراب، رد سخيف أشبه بمسخرة.

كتسين لورا، نحن مضطرات لخوض الإضراب بسبب سياسة الشباوص التي دفعتنا دفعاً نحو هذه الخطوة لا حباً بالجوع، ولكن لأن حياتنا لم تعد تطاق، وإذا كنت تريدين فعلاً من الأسيرات عدم التحاقهن بالإضراب عليك تلبية المطالب البسيطة الواردة في هذه الورقة، لحظتها أنا سأكفل لك عدم التحاق أي أسيرة بالإضراب.

- هذه المطالب أغلبها ليست من اختصاصي، اختصاص جهات أعلى مني هي تدرسها وترد عليها بالموافقة أو عدم الموافقة، وحالياً الشباوص مشغول بالتوتر داخل السجون الذي سببه الأسرى ولا يوجد متسع من



الوقت مع الشباب ليدرس الطلبات في ظل التهديد بالإضراب.

- نحن نتفاوض معكم منذ سنوات كتسين لورا، ونقدم لكم طلبات منذ سنوات ونرفع شكاوى إلى المحاكم عبر الطرق القانونية ولا مجيب، ويومًا بعد يوم يزداد الخناق علينا، وكل يوم يتم سحب حق من حقوقنا، كل يوم يتم مصادرة إنجاز من إنجازاتنا، لذلك بكل أسف وصلت الأمور إلى باب مسدود من قبلكم ولم يعد أمامنا أي خيار سوى الإضراب.

- متى سيبدأ الإضراب عندكن؟

- بعد ثلاثة أيام، أي يوم الخميس القادم.

فور عودة ممثلة الأسيرات من جلستها مع مديرة القسم، طلبت من جميع الأسيرات الخروج إلى الفورة بعد صلاة العصر، والحضور إلزامي للكل والقضية هي قضية الإضراب.

اجتمعت الأسيرات ولم تغب أي أسيرة، ستون أسيرة في ساحة السجن، أمام مرحلة مصيرية هامة، ومعركة شرسة لا عنوان لها ولا هدف سوى الانتصار وتحقيق المطالب المشروعة للحركة الأسيرة في السجون.

أخواتي المجاهدات، أخواتي المناضلات، رفيقاتي الغاليات كما يعلم الجميع أن الحركة الأسيرة تخوض منذ سبعة أيام إضرابًا مفتوحًا عن الطعام، ونحن الأسيرات الفلسطينيات جزء لا يتجزأ من الحركة الوطنية الفلسطينية، ناضلنا وقاتلنا وأسرنا، ونحن بالتالي جزء من الحركة الأسيرة،



نعاني مما يعاني منه الأسرى، فمعركتنا واحدة وألماً واحداً وجرحنا واحداً، وطوال عمرها المرأة الفلسطينية رقيقة الرجل في كافة المراحل النضالية وكافة الساحات القتالية، هناك الشهيد وهناك الشهيدة، هناك الجريح وهناك الجريحة، هناك المناضل وهناك المناضلة، هناك المقاتل وهناك المقاتلة، وفوق كل ذلك المرأة الفلسطينية هي أم وأخت وزوجة وخطيبة وابنة الشهيد والجريح والأسير والمقاتل والمناضل، ونحن كأسيرات لا يمكن لنا أن نخوض الحركة الأسيرة معركة ونبقى على الحياد وعلى قارة الطريق نتفرج ومنتظر جلاء غبار المعركة، الواجب الشرعي والأخلاقي والوطني يفرض علينا الالتحاق بمعركة الإضراب، وبناءً على ذلك وبناءً على الاستفتاء الذي أجريناه فقد أقرت اللجنة النضالية للأسيرات داخل هذا القسم الدخول بالإضراب وتحديد يوم الخميس القادم موعداً لدخول الإضراب.

- أخواتي المناضلات: بيدٍ واحدة، بقلب واحد، بعقل واحد، بجسد واحد سنخوض معركة الكرامة، معركة الإضراب المفتوح عن الطعام، من أجل أن نصنع واقعاً كريماً، وحياة محترمة لنا داخل السجون، فإذا كان اعتقالنا وأسرننا قدرًا من الله، فمن الواجب علينا أن نستعين بقدر الله على قضاء الله، ليكون هذا الاعتقال وهذا الأسر عزيزاً وكرماً؛ فلأننا فقدنا حريتنا لن نستطيع كل قوى الأرض أن تنزع منا كرامتنا وعزّتنا، سنجوع ونعطش ونمرض ونتعب وكل ذلك فداءً للحياة الكريمة، نحن ذاهبون إلى معركة وليس إلى نزهة، الجميع قرأت وسمعت البيانات والتعميم عن معركة الإضراب وحقيقة الإضراب، أسأل الله ألا يطول الإضراب وأن



تنتصر الحركة الأسيرة بأسرع وقت، ونحقق كل أهدافنا ونعود لحياتنا الطبيعية حتى يمنّ الله علينا بالإفراج والحرية.

أخواتي المناضلات: صباحًا الساعة الثامنة من يوم الخميس آخر وجبة طعام ستتناولها وفور الانتهاء منها كل غرفة ترتب أغراضها، المعلبات والمواد الغذائية الجافة، أدوات الطبخ، توضع في شنط أو كراتين وكل غرفة تكتب على أغراضها رقمها، المواد الغذائية من خضراوات ما يبقى منها يتم رميه إلى الزبل، الأغراض الشخصية باستثناء منديلين وجلبابين وبدلة ترينج والشامبو والصابون، معجون الأسنان، منشفة، بشكير توضع في شنطة ويكتب اسم الأسيرة ويكتب رقم الغرفة، كل الأغراض العامة والخاصة سيتم إخراجها إلى المخزن، بعد إخراج الأغراض لن يبقى في الغرفة إلا أبراش الحديد وفرشة والأسيرة وأغراضها الشخصية من ملابس وأدوات التنظيف، بعد ذلك ستدخل الإدارة وتقوم بالتفتيش وسيأخذ كل شيء التلفاز، الكمكم، البلاطة، الكتب والدفاتر، لن يبق عندنا شيء، سنعود كما كانت الحركة الأسيرة في أوائل السبعينات، أسيرة داخل الغرفة بلا أي شيء، والإدارة ستقوم باستفزازنا، يجب أن نكون حذرات لاستفزازهم وألا ننجر خلفها، هذه معركة قد تطول، سلاحنا فيها أعضاؤنا الخاوية وصرنا وتحملنا ونفسنا الطويل، ستحاول الإدارة عبر الطاقم الطبي ضرب معنوياتنا مستغلين جوعنا، سنسمع منهم أن الإضراب لمدة أسبوع سيضرب الكبد ويضرب الكلى ويدمر الأمعاء، سيدمر الدم، سيتساقط الشعر، هذه كلها أكاذيب لا أساس لها من الصحة، الأخت المجاهدة عفاف عليان أضربت أكثر من أربعين يومًا، والأخت المجاهدة نورة المهشلمون أضربت لأكثر



من أربعين يومًا، والأخت المجاهدة منى قعدان أضربت لأكثر من عشرين يومًا، والأخت المجاهدة هناء الشلبي أضربت خمسة وأربعين يومًا، كلهنّ اليوم يتمتعنّ بالحرية وصحتهن عال العال وحياتهن مستقرة، أي أخت عندها استفسار، سؤال، ما في أي مانع أن تسألني، تسأل أميرة الغرفة أو موجهة الخلية عندها، هذه معركتنا رمز كرامتنا، ندخلها بقلوب مطمئنة، نفوس هادئة، خطأ واثقة بأن النصر حليفنا ولا مجال للتردد، ولا مجال للانكسار.

الساعة التاسعة صباحًا في اليوم الأول من الإضراب وقد تعمدت الإدارة أن تتصرف وكأن شيئًا لم يكن، وكأنه ليس هناك إضراب، وقد تعمدت الأسيرات استغلال هذه التأخير وتجهزن آخر تجهيز ورتبن أوراقهن وحزمن أمتعتهن وجمعنها على باب الغرفة، لا سهيرت، لا سجان، لا حركة، لا صوت في القسم، سكوت، سكون مطبق، لا طير طائر، ولا وحش عابر، حتى بدأت عاملة المردوان بإيعاز من ممثلة الأسيرات بالمناورة على السجانة الجالسة في غرفة التحكم المركزية التي ردت عبر مكبرات الصوت.

- ما المشكلة؟

- نريد ضابطة القسم، نريد إخراج الأغراض.

- انتظري، الإدارة في اجتماع.

دقائق معدودة، وبدأت الحفلة، قيادات عليا، رتب رفيعة، الضباط





الصغار والكبار، لم يتبق سجان أو سجانة، حتى الشرطة على باب السجن والمرضون في العيادة، كلهم قد لبسوا الدروع والخوذ وتوجهوا صوب ساحة فورة قسم (2) في سجن الشارون، ضجة عالية أعلى من ضجة العدد، بصراخ أعلى من صراخ الباعة المتجولين في الأسواق، دخلت القوة إلى القسم، مديرة القسم برفقة عدد من الضباط ظلوا على الباب الرئيسي للقسم، وقد طلبت من السجانة في غرفة التحكم أن تفتح غرفة رقم (6) حيث ممثلة الأسيرات.

- صباح الخير ست لينا.

- صباح الخير كتسين لورا.

- ست لينا انظري إلى هذه القوة، هذه القوة «الإسرائيلية» كفيلة باحتلال بلد عربي كامل.

- شو جاي تهدديني بهذه القوة كتسين لورا، اذهبي واحتلي كل الدنيا لا يعينيني، نحن نعرف ما يترتب علينا، تفضلي كل شيء في غرفنا جاهز للإضراب.

- ست لينا نريد منكن إخراج الأغراض والأدوات الكهربائية إلى الساحة كي نفتشها، ومن ثم نخرجها إلى المخزن.

- لماذا تفتشينها؟ ماذا ستجدين فيها؟ هل تتوقعين أننا سنهرب فيها شيئاً من غرفنا إلى المخزن؟ هذا عمل استفزازي للأسيرات؛ لأننا نعرف أن التفتيش يعني التخريب ولست مسؤولة عن ردة فعل أي أسيرة.



- لن نفتشها يدويًا سنكتفي بفحصها على آلة كشف المعادن (المشكيف).

وقفت ممثلة الأسيرات على باب كل غرفة: أخواتي المناضلات من كل غرفة أختين يخرجن الأغراض إلى الساحة بدون أي احتكاك مع الإدارة. أكملت الأسيرات اخراج أغراضهن الخاصة والعامة إلى ساحة القسم، ولم يتبق داخل الغرفة إلا الأسيرات وجدران الغرف والخزائن والأبراش الحديدية، وعادت الحياة إلى البدايات الأولى منذ أن بنى الإنسان أول بيت فوق سطح الأرض بعد انقضاء فترة إنسان الكهوف.

465

الغرف من (1 - 7) عليها الانتقال إلى الغرف (8 - 16) لإجراء التفتيش الاعتيادي في كل إضراب، ثمانية مجندين في كل غرفة لإجراء التفتيش، الغرفة فارغة لا وجود لأي أغراض، قناني الماء ممنوعة، المخدات ممنوعة، وجوه الفرشات ممنوعة، الحرامات ممنوعة، أي حذاء غير الذي تلبسه الأسيرة ممنوع، المكينة والقشاة ممنوعة، الأضواء في سقف الغرفة تم تفتيشها ومصادرة أغطيتها، المناشف ممنوعة، البشكير مسموح، مثلما تم تفتيش الغرف من (1 - 7) تم تفتيش الغرف من (8 - 16) بنفس الطريقة والأسلوب، وقد استمر التفتيش لأكثر من ساعتين في كل مرة ولكن هذه المرة كان التفتيش إنسانيًا لأقصى الدرجات؛ لأن الغرف لم يكن فيها أي غرض للأسيرات حتى يتم العبث به أو خلطه أو تحطيمه كما جرت العادة في التفتيش في غير أيام الإضراب.

عادت الأسيرات كلٌ إلى غرفتها ولم يتفاجأن بالتفتيش وهمجيته؛



لأن السبب واضح، فإذا بان السبب بطل العجب، مرّت ساعات حتى جاءت فرقة من السجانين بيد إحداهن ورقة فيها إعادة ترتيب تواجد الأسيرات في الغرف فقد تم خربطة الأسيرات في القسم، سابقاً كانت الغرف موزعة بناءً على الانتماء التنظيمي، والتنظيم هو الذي يحدد هذه التقسيمة أما اليوم وفي ظل الإضراب فالتقسيمية بناءً على مزاج الإدارة، فقد تم خلط التركيبة وهذا إجراء روتيني تتعمد الإدارة القيام به محاولة بذلك كسر إرادة الأسيرة والتأثير على معنوياتها وضرب الاستقرار المعيشي. مضى نصف اليوم الأول من الإضراب ولا زالت الأجساد تحتفظ بقسط كبير من طاقتها بناءً على المخزون الاستراتيجي من الطاقة المخزونة في خلايا الجسد التي كفلت مقاومة المظاهر السلبية لحالة الامتناع عن تناول الطعام، ومع ميلان الشمس إلى المغيب بدأت ملامح الإضراب تلوح، وبدأ مؤشر الطاقة والحيوية والنشاط يميل نحو الهبوط، نعاس، ألم في المفاصل، ألم في الرأس، جوع، ومن الطبيعي الشعور بالجوع، هُزال بالجسد، دوار، وكلما زادت أيام الإضراب زادت الآلام حتى اليوم الخامس على أبعد حد، عندها يستقر الجسد على نمط معين، الألم يمكن الأسير التعايش معه ويصبح مقبولاً وصديقه في الإضراب ولا يمكن الانفصال عنه، عدد المساء، قوّة مضاعفة بالعدد والعتاد تدخل قسم (2) في سجن الشارون.

- عدد! عدد بنات!

على باب الغرفة تقف القوّة، الأسيرات لم تقف أي منهن للعدد؛ لأنه في الإضراب لا وقوف للعدد؛ لأن الوقوف للعدد خطوة قبلهما الأسرى مقابل أن يأخذوا إنجاز التلفاز، فطالما قد سحب التلفاز من الغرفة من



اليوم الأول فالوقوف على العدد يُلغى من قاموس الأسرى، ويكتفى أن يحرك الأسير يده أو يكون مستيقظاً ليراه السجان.

ممثلة الأسيرات، مناديه على الغرفتين الملاصقتين لغرفتها ليقوما يدورهما بإخبار بقية الغرف: يا بنات أكثروا من شرب الماء لو لم تشعر الأسيرة بالعطش، كل صبية فليكن معها قنينة ماء في النهار، وعليها شرب قنينة ونصف إلى قنيتين كحد أدنى ومثلها بالليل حتى لا تتعرض أي أسيرة لمضاعفات صحية.

خلال خريطة الأسيرات جاءت توزيعه أمل في غرفة رقم (2) وحياة في غرفة (16) مما يعني وجود حاجز جغرافي كبير يفصل بينهما في أول حالة انفصال قسري لحياة عن أمل منذ أن خرجتا من الزنازين، حاجز جغرافي يتكون من أربع عشرة غرفة، كل ممنوع مرغوب، رغم التعليمات الصارمة من قيادة الإضراب، رغم التعليمات والبيانات المحذرة من خطورة الحديث عن الأكل وأصناف الطعام خلال الإضراب، ورغم الحذر الشديد من الأسيرات أنفسهن من خطورة الانزلاق إلى الحديث عن المأكل والمشرب في الأيام السابقة خارج السجن وموائد البيت، إلا أن الأسيرات سرعان ما يجدن أنفسهن غارقات بالاستماع لأسيرة وهي تعد الطبق الوهمي واصفة بكل دقة تفاصيل التفاصيل لأشهى المأكولات، واصفة الشكل واللون والطعم والمذاق لطبختها الوهمية التي يسيل اللعاب لها، تتحسر النفوس على الحرمان الذي تعيشه وتبدأ أسئلة الإحباط تقرع شغاف القلب، لماذا أضرب؟ ما الذي يجبرني على الإضراب؟ ألا يوجد غير هذا الأسلوب من النضال؟ لماذا أنا أضرب والقيادات في الخارج يتمتعون بأشهى المأكولات



والمشروبات؟ وفوق ما أنا مسجون تزداد عليّ المعاناة، سجن وإضراب، سجن وجوع، ما هذه المعادلة؟ لكن القناعة تأتي سريعاً لتسد هذا الخرق الأمني، وتقطع خطوط رحلة الإحباط، وتزيل كل أثر للاهتزاز والتراجع، وتعيد المعنويات إلى مكانها السامي فتسكن النفوس، وتهدأ عاصفة المشاعر الانهزامية، وتنشط الهمّة، رغم الجوع والعطش والتعب الجسدي والنفسي.

- أخت تهاني، هذا أول إضراب تشتركين فيه؟

- هذا ثالث إضراب أختي حياة، ولكن الإضرابين الأول والثاني كانا قصيرين، الإضراب الأول قبل خمس سنوات أضربنا هنا في القسم أربعة أيام، كانا إضرابين فقط على مستوى القسم عندنا نحن الأسيرات، ولم يكن إضراباً عاماً كما هو الحال في هذا الإضراب على مستوى الحركة الأسيرة.

- تعتقدين ست تهاني أنّ الإضراب سيطول؟

- الله أعلم كل الاحتمالات مفتوحة، هذا يتوقف على مدى استجابة الإدارة لطلبات الحركة الأسيرة، في هذه المرة الحركة الأسيرة مصممة على تحقيق مطالبها؛ لأن الحياة داخل السجون لم تعد تطاق، لذلك أعتقد أن هذا الإضراب بحاجة لصبر طويل منا، ولنفس أطول حتى نتنصر، ونحقق مطالبنا، ومن يريد الانتصار عليه التضحية، فكرامتنا أعلى من الطعام.

- صحيح ما تروجه الإدارة حول نتائج الإضراب على صحة الأسيرة من سقوط الشعر والعقم وتلف الكبد والكل؟



- هذه دعايات هدامة تمارسها الأطقم الطبية التابعة للشباباص للتأثير على معنويات الأسيرة حتى تجبرها على التراجع عن خطوة الإضراب وبالتالي الانهيار، تستعمل هذه الأقاويل بواسطة الطبيب أو الممرض لإحباط الأسيرة، وتثبيط معنوياتها ومحاولة كسر عزيمتها، كل هذه الممارسات يمارسها الأطباء والممرضين خلال الإضراب بإيعاز من مصلحة السجن والشباباص كمحاولات بائسة لكسر الإضراب، الإضراب سيتسبب بسقوط شعرك الجميل، وجهك النضر سيشحب لونه، لن تتزوجي؛ لأنه لا يأتي أحد ليخطب إنسانة بلا شعر، الإضراب سيسبب العقم ويدمر الرحم، كلها أكاذيب لا أساس لها من الصحة، هناك مئات الأسرى والأسيرات أضربوا لعشرات الأيام وخرجوا من السجن وتزوجوا وأنجبوا أطفالاً بتمام الصحة والعافية وعاشوا حياتهم بشكل طبيعي، وذهبت أقوال الإدارة أدراج الرياح؛ لأنها مجرد شائعات كاذبة من صنعها لا يصدقها ولا يؤمن بها أحد.

مرّت عشرة أيام على إضراب الأسيرات ولا مصدر للمعلومات عندهن سوى راديو صغير الحجم قامت الأسيرات بإخفائه بمخبأ سري بجدار إحدى الغرف لا يعرفه سوى قيادة الإضراب، لا يستعمل إلا بظروف شديدة التعقيد وعلى الأخبار فقط، وما يتم سماعه من الأخبار يدون ويكتب بالتفصيل ويمرّر على الغرف، غرفة، غرفة، حتى تكون كل الأسيرات على اطلاع على آخر أخبار الإضراب وأخبار التفاعل الجماهيري.

الإدارة بدأت بالتفاوض مع قيادة الإضراب الشرعية بعد أن فشلت بإيجاد قيادة بديلة تُفشل الإضراب من خلالها، هكذا جاءت الأخبار الواردة على الورقة.



- ست لنا ماذا يعني قيادة الإضراب الشرعية؟ هل يوجد قيادة شرعية للإضراب؟

- مع بداية كل إضراب تقوم الإدارة بعزل القيادة المعلنة من قبل الأسرى في أقسام أو زنازين العزل في سجون بعيدة عن الأسرى الأمنيين، وفي نفس الوقت تعمل الإدارة جاهدة على فتح باب التفاوض مع أسرى آخرين ليسوا من قيادة الإضراب المعلنين أو قيادة الظل لتصنع منهم الإدارة قيادة بديلة عن تلك المعزولة، لكن الإدارة دومًا تفشل؛ لأن أيًا من الأسرى الذين تحاول الإدارة دومًا مفاوضتهم بديلاً عن القيادة المعزولة تأبي عليهم وطنيتهم وشرفهم المقاتل وانتماءهم الأصيل أن يكونوا أداة طيعة بيد الإدارة، لذلك تفشل الإدارة في هذا الأسلوب، وفي النهاية ترضخ لمفاوضة القيادة الشرعية للأسرى التي وضع الأسرى ثقتهم بها وسلموها دفعة القيادة، تقود وتخوض بهم الإضراب وتفاوض وتحقق الإنجازات باسمهم.

470

فهمت ست أمل ما هو معنى القيادة الشرعية للإضراب؟

- حاليًا فهمت 100٪ قبل ما أسألك كنت مفكرة أن الإدارة هي تختار أشخاص تفاوضهم.

فرقة من شرطة السجن على باب الغرفة رقم (2) حيث وجود ممثلة الأسيرات في اليوم الرابع عشر لإضراب الأسيرات، واليوم الرابع والعشرين لإضراب الحركة الوطنية الأسيرة في كافة السجون.

- ست لنا، مساء الخير.



- مساء الخير كتسين شولا، هل يوجد أخبار؟

- لا، لا يوجد معي أي خبر، أنا قادمة بجولة تفقدية اعتيادية.

- لكن هذه أول مرّة أراك هنا منذ أسبوعين.

- قد تكونين نائمة ست لينا أو لأنك جو عانة لم تشاهديني، ومع ذلك أريدك أن تأتي إلى مكتبي أريد الحديث معك كوني نائبة المديرية على كرسيي وخلف مكتبي.

مثلة الأسيرات على كرسي بلاستيك، مقابل طاولة نائبة المديرية.

- اسمعي ست لينا، الإضراب انتهى، والسجون بدأت بفك الإضراب وأنتن عليكن فك الإضراب.

- كيف انتهى الإضراب وعلى ماذا انتهى، لن نفك الإضراب هكذا بمجرد أن نخبريني، لن نفك الإضراب إلا إذا تأكدنا من حقيقة الخبر.

- ست لينا نحن لا نكذب ولا نضحك عليكم، نحن متعبون مثلكم، بل أكثر منكم، الإضراب انتهى، تم التوصل لاتفاق ما بين مصلحة السجون وقيادة الأسرى.

- سأعود إلى القسم لأنشاور مع الأسيرات ونتحدث لاحقاً، أريد إخراج الأسيرات إلى الفورة.

- ما في مشكلة، وأعطت نائبة المديرية الإذن بالسماح لخروج الأسيرات إلى فورة القسم.





ممثلة الأسيرات: يا صبايا الكل سامعني، أخبار أولية عن انتهاء الإضراب، ولكن هذه الأخبار من الإدارة، لا يوجد عندي تأكيد أو نفي لهذا الخبر.

- كُثرت التأويلات والتفسيرات من الأسيرات لهذا الخبر: هذه مناورة من الإدارة لخداعنا والضحك علينا، هذه...، هذه...، هذه...

- أخواتي الكريهات: مهما يكن الأمر نريد أن نتعامل مع الخبر بجدية، إن كان الخبر صحيحًا سنفك وإن كان الخبر عبارة عن مناورة من الإدارة سنستمر بالإضراب حتى تحقيق الانتصار، يعطينك العافية، أريد أن أجتمع مع مسؤولات الفصائل لنقرر ماذا سنفعل.

في زاوية الفورة اجتمعت ممثلات الفصائل وتخلق حولهن كافة الأسيرات، فالموضوع شخصي ويهم كل أسيرة، والنقاش بهذه القضية نقاش علني ولأول مرة تطبّق الديمقراطية المباشرة بعد ديمقراطية أثينا، في سجن الشارون اجتمع الكل للتشاور بمسألة تهم الجميع، كيف نتأكد من صحة خبر انتهاء الإضراب.

ثلث ساعة وأكثر من الآراء والمقترحات تداولتها الأسيرات حتى استقر الرأي أخيرًا على طلب الاتصال مع قيادة الإضراب في سجن ريمون أو نفحة، وإذا قبلت الإدارة بهذا الطلب يكون كلامها صحيحًا، أما إذا رفضت فالأرجح أنها مناورة.

لفيف من كبار ضباط الإدارة، من كافة المستويات والرتب في غرف



الإدارة، تبدو على وجوههم ملامح الفرح والانبساط، وعلى غير عاداتها مديرة القسم بدلاً من انتظار ممثلة الأسيرات خلف مكتبها، وقفت على باب الغرفة بانتظارها، وما إن رأتها حتى أسرعت بمصافحتها بحرارة.

- مبارك ست لينا انتهاء الإضراب، تفضلي ارتاحي، اجلسي هنا.

وأشارت إلى كرسي بجانب طاولتها.

- شكراً كتسين لورا.

- قيادة مصلحة الشابات قبل ثلاث ساعات اتفقت مع قيادة الإضراب على إنهاء حالة الإضراب وإعادة الحياة إلى طبيعتها في كافة السجون، وسحبت ورقة من مكتبها، هذه الورقة فيها نص الاتفاق وفيها البنود التي تم الاتفاق عليها:

1. اخراج المعزولين وخلال هذا اليوم سيتم نقلهم إلى الأسرى.

2. رفع المنع الأمني عن كافة العائلات.

3. إدخال الأطفال حتى سن العاشرة إلى آبائهم وأمهم في الزيارة.

4. السماح بدخول الملابس باستثناء الكاوبوي (الجينز) ولون الشرطة.

5. زيادة كمية الطعام والفواكه والخضراوات.



6. زيادة ثلاث محطات تلفاز.
7. دخول جريدة القدس إلى داخل السجن شرط إحضارها عن طريق الأهالي.
8. التفتيش العاري فقط للحالات الاستثنائية.
9. أما إزالة الزجاج وتركيب الهاتف والتفتيش الليلي فهذه أمور لم يتم الاتفاق عليها، وبقية القضايا الأخرى قابلة للدراسة والبحث في كل سجن حسب احتياجاته، وفي هذه الورقة أسماء قيادة الإضراب الموقعين عليها.

- كتسين لورا، أنا بحترمك، ولكن اعذرني أريد أن أتأكد.

أنا أؤكد لك أن هذا هو الاتفاق، نحن في الشاباص لا نكذب ولا مصلحة لنا بالكذب عليكن خصوصاً بهذه القضية.

- اسمحي لي كتسين لورا أنا لم أقل أنكم تكذبون، أنا مسؤولة عن ستين أسيرة، ولست مؤهلة لتحمل مسؤولية فك الإضراب، كل مياه الدنيا لا تنظفني إذا تأكد عكس الخبر ووقعت بمصيدة قد تكونين أنت شريكة بها، ولكن أنا لا أثق بالآخرين وأنت تعرفينهم جيداً؟ أريد التأكد من قيادتي، فكما لكم قيادة أنا لي قيادة، وأيضاً أريد إحضار الأسيرات، أم محمود، تهاني، ورود، وإجراء مكالمة هاتفية مع سجن ريمون أو سجن نفحة وعندها سنفك الإضراب بعدما نتأكد مع صحة الخبر.

أجرت مديرة القسم سلسلة اتصالات عبر جهاز هاتفها الخاص



مع من هو أعلى منها مسؤولية حتى أخذت الإذن بتلبية طلب الأسيرات.

- ماشي ما في مشكلة، سنسمح لكنّ بإجراء مكالمة مع سجن ريمون.

رفعت مديرة القسم ساعة الهاتف الأرضي الجاثم أمامها على الطاولة، وطلبت من السجنانات إحضار الأسيرات الثلاث.

أقل من عشر دقائق كانت الأسيرات الثلاث في غرفة المديرية التي استقبلتهن بحفاوة لا بهجة بهنّ بل من أجل الخلاص من إضرابهنّ، والخروج سريعاً بإجازة طويلة والعودة إلى البيت، في ظل استمرار الإضراب لا إجازات، لا خروج من الدوام، لا خلع للعتاد، استنفار على مدار الساعة، نوم مختصر، راحة مختصرة، ولفترات قصيرة.

أخبرت ممثلة الأسيرات أخواتها الأسيرات الثلاث بما أخبرتها به مديرة القسم وباقتراحها إجراء مكالمة هاتفية جماعية مع أحد السجنون المركزية وبالتحديد ريمون أو نفحة للتأكد من صحة الخبر.

- أي سجن تودون الاتصال به؟

- سجن ريمون.

- ما هو اسم الأسرى الذين تودون سؤالهم؟

- من الجهاد الإسلامي، فلان.

- من حماس، فلان.



- من فتح، فلان.

- من الجبهة الشعبية، فلان.

أجرت مديرة القسم سلسلة من الاتصالات مع قيادة سجن ريمون التي حاولت التملص والماطلة بتنفيذ إجراء المكالمات الهاتفية متحججة بأن الأسماء موزعة في أكثر من قسم ومن الصعب تجميعها اليوم، المدير غائب، الهاتف مُعطل، حجج ما أنزل الله بها من سلطان، صرخت، شتمت وسبت، مناورة فاشلة، تارة تتكلم بصوت عالٍ وتارة بكلام ناعم، وأخيراً بعد طول جدال تمت الموافقة والاتفاق على موعد للمكالمة بعد نصف ساعة.

- سنعود إلى القسم كتسين لورا للحديث مع الأسيرات.

عادت الأسيرات الأربع إلى القسم وقلوبهن تخفق من الفرح والشعور بالانتصار وتحقيق الإنجازات والمكتسبات للأسرى، مع دقائق عقارب الساعة تزداد دقائق القلوب وكلما اقترب الموعد ازدادت الأنفاس شوقاً لسماع الخبر اليقين.

الأسيرات داخل الغرف في حالة استنفار عام وحركة لا تهدأ، الإضراب وآلام الإضراب، كلها محيية وزالت مع سماع الأخبار الأولى وخروج ممثلة الأسيرات إلى مكتب الإدارة، ومع خروج الأسيرات الثلاث زاد الاستنفار، زاد التوتر، زاد الترقب، الكل على الأبواب الكل على الشبايبك، مع كل فتح باب تبلغ القلوب الحناجر وتندق خلف الضلع، الأنظار متجهة نحو فك الإضراب، العقول لا تفكر إلا بالفك،



النفوس لا يجول بخاطرها إلا الفك، الجو العام، المعنويات، كل شيء متجه نحو حديث الفك والانتهاى من الإضراب.

دخلت قيادة الإضراب بمقدمتهن ممثلة الأسيرات وما إن وصلن باب الغرفة رقم (1) ووجهن بنفس السؤال، أه شو صار؟ صحيح الخبر؟ الإضراب انتهى؟

ممثلة الأسيرات: أنا مثلكن مضرية وتعبانة وما في معي صوت أشرح لكم بصوت واحد، كل غرفة سأتكلم معها سريعاً على باب كل غرفة، السلام عليكم، يعطيكن العافية الأخوات المجاهدات، حسب ما أخبرتنا الإدارة أن الإضراب انتهى وهناك أمور ممتازة تم تحقيقها، وهناك أمور لم يتم الموافقة عليها، وهناك أمور قيد الدراسة والبحث، نحن لا نأخذ معلوماتنا من الإدارة لذلك طلبنا الاتصال مع سجن ريمون، الإدارة وافقت وبعد نصف ساعة لنا اتصال معهم وسنطلعكم على الخبر اليقين، هذه إدارة لا يؤمن لها ولا مصداقية لأخبارها.

عادت الأسيرات الأربع إلى غرفة المديرية بعد أن أكملن عملية تطمين الأسيرات عن آخر الأخبار وما إن دخلن الغرفة حتى سارعت المديرية المتوترة والقلقة للنظر إلى ساعتها للتأكد من حلول الموعد، رفعت ساعة الهاتف ودقت الرقم.

- مساء الخير كتسين، (مدير سجن ريمون).

- مساء الخير كتسين لورا، نحن من جهتنا جاهزون.



- وأنا كذلك جاهزة من طرفي، تفضلي ست لينا، وجعلت الهاتف على مكبر الصوت.

السلام عليكم أختي لينا أنا أخوك، تحياتي وسلاماتي لك ولكل الأسيرات الماجدات عندك، الحمد لله على سلامتك وبوركته جهودكن وجهادكن، ومبارك هذا الانتصار، نحن نشكركن على موقفكن المشرف بالمشاركة معنا بمعركة الإضراب وأثبتن أنكن شقائق الرجال.

ثم أسهب ما تم الاتفاق عليه وما لم يتم الاتفاق عليه وأكد لها خبر إنهاء الإضراب، ومن ثم تحدث كل مسؤول فصيل مع مسؤولة فصيله وعلى مسمع الجميع.

على جناح السرعة عادت الأسيرات إلى القسم مبشرات بانتهاء وانتصار الحركة الأسيرة، مهنتات الأسيرات بهذا الانتصار وشكرهن على هذا التكاتف والصبر حتى تحقيق الانتصار، وأوصت ممثلات الأسيرات بضرورة التزام الأسيرات بتعليقات فك الإضراب.

أحضرت الإدارة بعض معلبات اللبن وشوربة العدس للأسيرات وحملت تهاني معلبات اللبن وعلى باب كل غرفة.

- السلام عليكم، مبارك الانتصار يا صبايا، كم عددكن؟

- مبارك الانتصار عليك ست تهاني عددنا ست.

علت التكبيرات والتصفيق والزغاريد في القسم فرحًا بانتصار الإضراب وتحقيق مطالب الحركة الأسيرة، وضج القسم بأصوات



الأسيرات وهن يتبادلن التهاني ويتناقلن الحديث من غرفة إلى غرفة. مع أول كاسة شوربة وأول ملعقة لبن لفظ الإضراب أنفاسه الأخيرة وانجلى غبار المعركة وانتصر الأسرى وباشرت التأثيرات الإيجابية تهل على حياة الأسيرات، ممثلة الأسيرات وعاملة المردوان وأسيرتان أخريان تقومان بإدخال أغراض القسم العامة والخاصة بعد أن أحضرت من مخزن القسم ووزعت الأغراض كل حسب رقم الغرفة.

أحد عشر يوماً من الإضراب عن الطعام، ورغم أن الأسيرات لم يتلقين من الطعام إلا الشوربة ومعلبة لبن فقد بدت الأسيرات بكامل القوة والحيوية والنشاط، فما إن تم فتح القسم وإحضار الأغراض العامة والخاصة وعادت كل أسيرة إلى غرفتها وإلى برشها حتى بدأ بتنظيف الغرفة وأعدن ترتيب الأغراض في مكانها وانطوت صفحة الإضراب دون أن تنطوي أحداثه وأساره، وبدأت صفحة ما بعد الإضراب.

بالتدريج بدأت الحياة تعود رويداً رويداً إلى طبيعتها في سجن الشارون بعد معركة الإضراب التي استمرت لمدة أحد عشر يوماً، مرت على الأسيرات كأنها أحد عشر عاماً، فالإضراب عن الطعام وعنقوانه لا يقتصر على الطعام بل إنه إضراب عن الحياة والموت معاً، الأسير يُضرب عن الطعام، والجسد يُضرب عن الشرب والتنفس والحركة والنمو، كل أعضاء الجسم ترفضه، ولكن لأن الحاجة ملحة للأعضاء الداخلية للجسد والحفاظ عليها ضروري وغاية في الأهمية؛ لذلك لا بد من إجباره على شرب الماء والنوم، لإبقاء الروح في الجسد، الإضراب عن الطعام خيار أمر





من العلقم، وأصعب من المستحيل، ولا يلجأ إليه الأسرى إلا بعد نفاذ كل الخيارات والوسائل الكفيلة بضخ حياة كريمة داخل السجون.

أحد عشر يومًا هي مدة الإضراب الذي خاضته الأسيرات الفلسطينيات في سجن الشارون والدامون، أمام هذه المدة القصيرة، آلام وأوجاع ستلازم الأسيرة المضربة، عشرات الكيلوغرامات من الوزن فقدتها الأسيرة بحاجة لمدة زمنية طويلة للشفاء وتعويض الخسارة المادية من أرطال اللحم.



## 19

أسبوع كامل مرَّ على الأسيرات بعد انتهاء الإضراب وقد بدأت الأجساد تعود لطبيعتها نوعاً ما، فالأكل كله أصبح مباحاً والكانتينا فتحت أبوابها وأصبح بمقدور الأسيرات ممارسة الرياضة، وبدأ التوازن يعود لمستواه الطبيعي، فالأسر للجسد أما القيم والمعاني لا يمكن أسرها، لذلك يضرب الإنسان لينتزع الكرامة من جلاده.

ثلاثة شهور هي المدة المتبقية للأسيرتين أمل وحياة وقد صقلت التجربة الاعتقالية شخصيتها وأصبحتا قيادات داخل السجن، لهما رأيهما وكلمتهما مسموعة، والفضل في ذلك لله ومن ثم للمربية والمعلمة المناضلة ممثلة الأسيرات لينا، وللأحداث الجسم التي تعصف يومياً بالأسيرات



في كل تفصييلة من تفاصيل حياتهن.

بعد الإضراب مباشرة وضعن عملية إعادة توزيع الكفاءات التنظيمية، فقد تم نقل الأسيرة أمل إلى إحدى الغرف لتولي قيادتها وتكون أميرتها والمشرفة عليها، وكذلك تم نقل الأسيرة حياة إلى غرفة (15) لنفس المهمة.

مرحلة من العطاء والجود بسخاء بكل ما هو مستطاع تحوضها الأسيرات أمل وحياة في حالة تنافسية على الأفضلية لكل غرفة بنظامها والتزامها الديني والثقافي العالي والوعي الأمني والسياسي والذي تسهر كل أسيرة لتحقيقه، الدراسة الجامعية والدورات المكثفة على مدار الشهور التي تلقتهما كل من أمل وحياة وطبيعة الحياة داخل السجن بالإضافة للمطالعة الذاتية صنعت منهما طاقة ثقافية ممتازة، انعكست إيجابياً على حياة الأسيرات الجدييدات اللواتي دخلن السجن بمستوى ثقافي متدنٍ جداً، وبعد فترة قصيرة من الزمن وانخراطهما في البرنامج الثقافي تحت إشراف اللجنة الثقافية العامة وتنفيذ مباشر من أمل وحياة أصبحتا تتمتعان بثقافة واسعة وتحسن مستواهما التعليمي من حيث الكتابة والدراسة والحفظ وحفظ لكتاب الله الكريم.

كل شيء سلف ودين حتى دموع العين، وكما بذلت الأسيرات القدييدات جهودهن لإعادة تشكيل عقلية أمل وحياة وصقلن شخصيتهما السياسية والتنظيمية والثقافية والقيادية تعود الكرة اليوم لسداد الدين وأداء الوفاء بالبر، وبذل الجهود على تنمية مهارات الأسيرات الجدييدات



وتعريفهن بالعالم الجديد، عالم الأسر والاعتقال، وما يحتاج هذا العالم من معارف لفك أسراره وسير أحواله، فالسجن عنوان لقضية شعب يسعى نحو الحرية ويدفع الأثمان الباهظة من دماء أبنائه ومقدرات أهله، السجن ساحة نضال وطني لا تنفصل عن ساحة النضال الوطني العام ضد الاحتلال بنفس الأهداف ولكن بوسائل مختلفة، كما البحر بالمد والجزر، هي حياة الأسيرات داخل السجن وعلاقتهن مع الإدارة تارة تتوتر وتتصاعد، وتارة تهدأ وتسكن لحد انطباق الآية الكريمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:6].

بعد الإضراب الذي خاضته الحركة الأسيرة اتجهت الأمور مع الإدارة نحو الهدوء والسكينة وانعدمت حالة الحدّية في التعامل.

تسارع الأيام نحو الموعد المحدد للإفراج عن الأسيرتين أمل وحياة وتهب في الداخل عواصف من المشاعر المتناقضة، حبّ الحرية والتحرر من الأسر، والشوق والحنين للأهل، وفي الاتجاه الثاني تهيج مشاعر الحزن لفراق الأسيرات اللواتي قضتا معهن هذه الأشهر، الحزن عل بقائهن وتركهن خلفهما في السجن، الحزن على أوضاع الأسيرات المنسيات منذ سنوات وتبقى هنّ سنوات داخل السجن، أسيرة تُحَكَم بـ 5 سنين، 10 سنوات، 15 سنة، 20 سنة، مؤبد،... الخ، وتُنسى من القريب والبعيد، امرأة تترك في الأسر لدى اليهود، تُترك وحدها، تناضل بجوعها لتصون عرضها وشرفها، وتصنع حياة كريمة لها خلف القضبان، وقد خلت الأمة من الرجال الذين يكسرون قيدهن بل يحمونهن من الاعتقال والأسر، لقد ماتت نخوة المعتصم وخلت الأرض من المعتصم وأشباه المعتصم، وأحياناً تجد من يلوم الأسيرة



لماذا سجنتم؟ ولو أنها لم تفعل شيئاً لما اعتقلها اليهود.

- فكرك ست لينا، هل سأجد من يتزوجني؟

- ليش شو ناقصك يد ولا رجل؟ اسم الله عليك أدب ودين وجمال، وأسيرة مجاهدة قد الدنيا ومتعلمة ومثقفة.

- هنا المشكلة ست لينا، من سيقبل بالارتباط بأسيرة؟ وحدة مسجونة عند اليهود، للأسف الناس يخافوا من تزويج شاب سُجن عند اليهود، فما رأيك بالزواج من أسيرة؟

- أكون معك صريحة خوفك في منه، ورغم مرور أكثر من سبعين سنة على النكبة وأكثر من خمسين سنة على النكسة إلا أن مجتمعنا الفلسطيني لا يزال يعاني من الكثير من الأفكار السفيهة حول الكثير من القضايا خصوصاً النظرة للمرأة في المجتمع ودورها في النضال ضد الاحتلال، وكأن النضال ضد الاحتلال رجس وعار، كل من تقاوم الاحتلال يصيبها الرجس والعار، طبعاً لا أعمم ولا أشمل كل المجتمع، ولكن شرائح موجودة لا زالت تنظر للمرأة دنوية وتزداد هذه النظرة عندما تناضل وتؤسر.

- والله حرام إنسانة شريفة عفيفة تُظلم مرتين، مرة من العدو يعتقلها ويبيدها عن أهلها، ومرة من المجتمع وجهله، بدلاً من تعزيزها وتكريمها وتوضع على الرأس يأتي من يظلم وهو أجبن من الأرنب، وهو مستعد أن يعيش ألف سنة بالذل والهوان ولا يلقي حجراً على الاحتلال،



ويأتي ليزايد على المناضلة الشريفة.

- كل إناءٍ بما فيه ينضح، وكل إنسان بسلوكه يعبر عن داخله ونفسيته وتفكيره، كل إنسان ينظر للأسيرة نظرة دنيوية لا شك أنه دنيء وجاهل، هذه الإنسانة التي ناضلت مكانها التكريم لا الإهانة، هذه الإنسانة قادرة على إنجاب جيل نائر مجاهد مربى تربية الأمانة على القضية، في ناس تنظر للأسيرة على أنها إنسانة فقدت مشاعرهما تجاه الزوج والعائلة والأطفال، وأن السجن والتحقيق واليهود كل ذلك أنساها العواطف والحنية وأنها لا تستطيع إدارة عائلتها ولا تقدر أن تدير بالها على زوجها وأطفالها.

- هذا كلام مش صحيح.

- وأنا مثلك هذا مش صحيح لا من قريب ولا من بعيد ولا أو من بمن يعتقدده ويقوله.

- الأسيرة بشكل خاص كونها امرأة والأسرى بشكل عام بسبب ما يعيشونه من ظروف الأسر وما يرافق السجن من الألم والمعاناة، يتمتعون بمشاعر رقيقة، وحنية لا تتسع لها بحور الدنيا.

- ما تفضلت به شيخة فاطمة صحيح وأريد أن أضيف نقطة أخرى أن هذه الثقافة مبنية لمن يسجن على أمور جنائية بحق مجتمعه، سرقة، مخدرات، قتل، أما في حال الحركة الوطنية المقاومة فالأمر مختلف وأعتقد أن هناك فئة كبيرة جداً لا تفرق بين الاثنين وهناك أفكار لا زالت تخلط ما بين الاثنين.



- تخافيش ست حياة ستجدي من يتزوجك، أرمل، ختیار علی حفة قبره.

- قال جبناك يا معين تعين، طلع بدك مين يعينك، العنوسة ولا الذلة، نحن قلنا للاحتلال لا، وأسهل علينا أن نقول لمن يظن أننا لقمة لأفكاره المنحطة، وحياة أبوك وأبوها ما بأخذ إلا ابن حلال يكرمني ويعرف قيمتي، الطيبون للطيبات، والطيبات للطيبين.

- ما أبخلك ما أنتِ داعية وداعية ادعي لنا جميعاً، الصراحة أنتِ شجاعة يا حياة، أما احنا الأسيرات القديمات قد فاتنا قطار الزواج بسبب أعمارنا المتقدمة والخوف الناس من الارتباط بأسيرة.

- في مشكلة ست لينا بالنسبة للزواج من الأسيرة وهي يمكن للشخص أن يرتبط بأسيرة، ولكن الأهل يقفون له بالمرصاد.

- على سيرة ارتباط الابن بأسيرة وموقف أهله، ابن خالي كان أسيراً سابقاً قبل ما أنسجن وخلال نزوله على المحاكم تعرّف على أسيرة وتم الإفراج عنهما بفترة متقاربة، وتقدم لها ليتزوجها ولكن ولعت.

- ليش شو حصل ست لينا؟

- هسه اشتعلت حرب بينه وبين أهله وقامت الدنيا وما قعدت، وبعد طول المشاكل تزوجها وأسس عائلة، وما شاء الله عنهم.

- هذه قصة مأساوية بدلاً من حثّ الناس على احتضان الأسيرة



فور خروجها من السجن تجدد العكس، والمؤلم للأسف الشديد.

- ست حياة لا تكوني متشائمة كثيراً، نحن نتحدث عن مجتمع كبير وهناك المصيب وهناك المخطيء، وهناك من ينظر للأسيرة باحترام ويعطيها مكانتها.

- الشيخة فاطمة: كل شيء في هذه الدنيا قسمة ونصيب، وعلينا ألا ننسى معية الله والتوكل عليه، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان، والله كريم.  
- الله يكرمك يا شيختنا على هالكلام الحلو، مش كل الناس بتفهم هالكلام.

487

يوميات السجن بالنسبة للأسيرة والإدارة على حد سواء روتين لا يتبدل، الأيام كما هي نفس التفاصيل، سجانة تدخل القسم ويدها ورقة وتقطع حديث الأسيرات.

- مساء الخير ست لينا.

- أهلاً سهيرت، شو في ههذه الورقة؟

- سيتم إحضار أربع أسيرات جديدات، وسيتم نقل أربع إلى سجن الدامون من هنا.

- ما إن سمعت الأسيرات بحالة التنقل حتى سادت حالة الاستنفار في القسم، الكل يريد معرفة القادامات الجديدات ومن سيتم نقلها؟ حتى ظنت كل أسيرة أنها هي المنقولة.





تناولت ممثلة الأسيرات الورقة وقد شئت ذهنها ما بين الورقة وبين  
الأسيرات اللواتي يردن معرفة من الأسماء في الورقة.

- أرجو الهدوء، أمل، سعاد، حنين، ميسون بكرة نقل إلى الدامون.

- ست لينا، ليش أنا؟ أنا مش طالبة نقل، أنا مرتاحة هون، ما  
بعرف حدا في الدامون، ما بدني أنتقل، بدلي اسمي، الغي النقلية، ما  
بدي أروح عالدامون.

- حبيباتي، أنا شخصياً أحب أن تبقى هنا، ولكن الأمر ليس بيدي،  
هذه نقلية إدارة، وأتمنى الإفراج عنكن ونقلكن إلى بيوتكن، هنا سجن  
والدامون سجن، هنا مجاهدات وهناك مجاهدات، وكما قالت السهيرت  
النقلية لإفساح المجال للقادمات الجديديات، ولا أعلم من أي مركز تحقيق  
جايات، وهذه سنة السجن.

- يعني ست لينا ما في فائدة، خلص نجهز أغراضنا؟

قالتها كل أسيرة والدموع تنساب من عينيها، وبدأ الحزن الشديد  
على الوجوه، حياة في غرفتها وقد دق قلبها خوفاً ورهبةً من هذه النقلية،  
وقد تمسكت بشبك الباب بأصابع يديها العشرة وركزت كل ذهنها  
وسمعتها وكل حواسها على الساحة، ولا أحد يمر ليخبرها بالخبر اليقين  
ومن الأسماء المنقولة إلى الدامون.

خوف حياة من النقلية كخوف أي أسيرة أخرى وبنفس الحسابات،  
أنا هنا مستقرة، لم أطلب نقل، والخوف هنا ليس على النقل فحسب بل



الخوف من نقل واحدة من أمل أو حياة وعن روح واحدة بجسد واحد ولا يمكن الافتراق.

ثبت الخير اليقين، أمل منقولة إلى الدامون وحياة باقية في الشارون ولم يتبق على موعد الإفراج إلا أربعون يومًا، وكل تخطيطات الإفراج من حفلة القسم والحلويات وتوزيعها على الأسيرات ووداع الأسيرات الصديقات وتجهيز ملابس الإفراج، كل هذه التخطيطات تبخرت، ولم يكن بالحسبان، هذه المفاجأة، وكل التخطيط كان بالإفراج عن أمل وحياة من الشارون والوصول إلى حاجز جبارة قرب طولكرم معًا، ولكن الآن أمل سيفرج عنها من الدامون وعن حاجز الجلطة قرب جنين وحياة من الشارون وحاجز جبارة.

- ست لينا في إمكانية لتغيير أسماء النقلية؟

- صعب جدًا، ومع ذلك سأحاول، وقبل ذلك عليك أن تتفقي مع صاحبة الاسم ليتم تقديمه للإدارة.

- الصبايا المنقولات معي، بدلي اسم حياة مع واحدة منهن.

- سأحاول يا أخت أمل وسأبذل كل جهدي.

حملت ممثلة الأسيرات نفسها إلى مكتب مديرة القسم وحاولت مرارًا وتكرارًا لتبديل النقلية، ولكن رد الإدارة كان حاسمًا. مستحيل الشاباص يقوم بتبديل الاسم. وصلت البوسطة بعد مرورها بكل فصول المعاناة والتعذيب المبرمج إلى سجن الدامون جنوب مدينة حيفا وهو



سجن قديم مهترئ تم بناءه زمن الانتداب البريطاني كإسطبل للخيول ولكن الاحتلال حوّله إلى سجن للمجاهدات الفلسطينيات، وهناك غرفتان إحداهما تتسع لثماني عشرة أسيرة، والأخرى لأربع عشرة أسيرة، ودورة المياه داخل الغرفة والدش في الساحة والساحة صغيرة جداً حوالي 20 مترًا طول وعرض 4 أمتار، وهناك في الغرفة خزانة مطبخ حديدية بلا باب ولا ظهر.

أربعون يومًا فقط هي المدة المتبقية من حكم الأسيرتين أمل وحياة وستودعان السجن إلى الأبد، مشاعر مخلوطة بين الخوف الشديد والألم، وبين الفرح للقاء الأهل والأحبة والحزن على فراق الأسيرات وتركهن في السجن والفرح للحرية.

490

معاناة أمل وحياة تضاعفت بالافتراق القسري المفروض عليهن من قبل الإدارة، واحدة في الشارون وواحدة في الدامون، بطيئة هي الأيام، تزحف كالسلحفاة نحو الموعد المحدد للإفراج بعكس الأيام السابقة، النوم جفا العيون، في النهار المشكلة محلولة، زيارة غرف، تعارف، فزرة، ولكن المشكلة في الليل، شقيقة الروح بعيدة في الدامون، والأسيرات داخل الغرف متعبات وبشق الأنفس يبقين مستيقظات حتى الساعة العاشرة، ودقائق حتى تكون الأسيرات غارقات بالنوم، إلا حياة تبقى وحيدة تسبح في خيالها وترسم مشاهد الإفراج والحياة المستقبلية.

بحفاوة منقطعة النظر استقبلت أسيرات الدامون أخواتهن القادمات من الشارون.



- أهلاً أخت أمل، هنا برشك.

وأشارت بيدها إلى البرش الأرضي.

وبسبب خبرتها في السجون وتوزيع الأبراش، المريض ثم الكبير ثم القديم، هذه هو الإيثار، وضعت أمل أغراضها البسيطة تحت البرش الأرضي، وجلست على كرسي.

- أختي أمل أعطيني أغراضك علشان أرتبهن وأنت ارتاحي، جايه من البوسطة تعبانة، الله يخلصنا من اليهود ومن البوسطات، والله يلعن أول من وضع البوسطات؛ لأنه حتمًا ليس من بني البشر.

- شكرًا لك أخت دلال، مثل ما أنت شايقة إن شاء الله عقبال عند الجميع، باقي لي أسبوع وما معي أغراض كثيرة، حاليًا خليني أرتاح من تعب البوسطة.

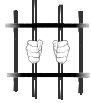
- كم باقي لك؟ وكم حاكمة؟ سألت أسيرة من بعيد.

- مش ضايل شيء، حكمي 18 شهرًا، وبقي 40 يومًا.

خلال جلوس أمل على الكرسي أشاحت بنظرها إلى الأسيرات فوجدت من هي أولى منها بالبرش الأرضي ولكنها آثرتها، فقررت ردّ الإحسان بالإحسان.

- أختي دلال من هي ممثلة الأسيرات هنا؟

- الأخت أم رامي ولكنها في جلسة مع الإدارة، إذا بدك شيء توجهي لها بعد الجلسة.



تمهلت أمل قليلاً حتى نظرت إلى أسيرة تحمل في يدها أوراقاً ويبدو أنها مشغولة تنظيمياً.

- يعطيك العافية ست أمل، لماذا لم ترتبي برشك؟ في مشكلة؟ موقع البرش مش معجبك؟ المهم تكوني مبسوطة.

- الله يرضى عنك أختي، الأخوات ما قصّرن، والبرش مكانه ممتاز، ولكن اسمحي لي أختي أنا باقي لي حوالي 40 يوماً للإفراج، وصحتي ممتازة وعمري 21 سنة، وأنا لست بحاجة للبرش الأرضي وهناك من هو أولى مني، البرش العالي أحسن لي.

- على راحتك ست أمل، لا أريد أن أضغط عليك.

ما بين واقع سجن الشارون والدامون لا اختلاف على مستوى الإدارة، أما على مستوى الأسيرات فالفرق شاسع، من مرافق واكتظاظ، وعدد الغرف، 18 أسيرة في نفس الغرفة، نفس دورة المياه، 5 دشات للقسم وخارج الغرف، الفورة 4 ساعات، الساحة ضيقة، الكاميرات موجهة نحو الغرف، البرد شديد، وكل شيء ممنوع إدخاله من الأهل، حرامات، مخدرات، كتب، اللون الأسود، المنظفات المتواجدة في الكانتينا هي الخاصة بالرجال الأسرى الجنائيون المجاورون للقسم، القسم مكشوف على الجنائين، أبنية السجن قديمة، لا تهوية، لا هواء، لا ماء نظيف، لا علاج، حتى أشعة الشمس ممنوعة بسبب الجدران السمكية.

أمل في سجن الدامون وقد نسجت علاقات طيبة مع كافة الأسيرات



هناك في فترة قياسية، ودخلت إلى قلوب الجميع عبر شخصيتها المرحية والمتزنة والعقلانية المثقفة، حتى تمتّت الأسيرات لو أنها جاءت منذ زمن.

ما تعانیه حياة في سجن الشارون من آلام البُعد وسكرات اقتراب الإفراج، كذلك تعانیه أمل في الدامون، بنفس الصورة؛ لأن الإفراج سكراته كسكرات الموت لا يفرق بين أحد وأحد، والتي يسميها الأسرى بسكرات «الشحور» وتعني بالعبرية إطلاق السراح، وهذه الحالة ملازمة لكل الأسرى مهما كانت مدة الحكم.

اليوم الأخير للأسيرتين أمل وحياة في ظلمات السجن والعودة للبيت والانتعاش بالحرية، والعودة إلى الحرية بعد رحلة قسرية إلى مقابر الأحياء، استمرت سنة ونصفاً، رحلة مليئة بالخبرات والأحداث، رحلة زادت الوعي وكشفت الكثير من القضايا لم تكن لتكشف إلا بهذه الرحلة، رحلة الأسر.

قلب يدق في الشارون وقلب يدق في الدامون، وبلغت القلوب الحناجر وهي تنتظر اليوم الموعود في بيت عائلتي الأسيرتين أمل وحياة اللتين لم يفارقهما الأمل بالحرية والأمل بالحياة والعودة لها بعد رحلة الأسر.

أمل قررت إسعاد الأسيرات في الدامون رغم قلة الإمكانيات وعدم إظهار الابتهاج بالحرية وأهنّ سيقين لفترات بل أعطتهنّ الأمل باقتراب الحرية، وعملاً بقاعدة جود من الموجود، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، صنعت من بقايا الخبز المجفف واللبن (الكوتج) بعض الحلويات والتي تأخذ جهداً طويلاً وسكبت عليه القطر وتركته يتفشى إلى داخل الحلويات. بعد صلاة العشاء اجتمعت الأسيرات وسط الغرفة على شكل



دائري وأمامهن سدر الحلويات المصنَّع محليًّا ويدويًّا على يد الأسيرة أمل، وهذه الحلويات التي لا يوجد لها اسم سوى الكنافة، تشبه كل شيء إلا الكنافة والذي يجمعها مع الكنافة الأصلية فقط هو طعم القطر وتلوين الجو القائم.

مثلة الأسيرات في الدامون الأسيرة (أم رامي) افتتحت الحديث، بسم الله، وقدّمت التهنئة للأسيرة أمل وشكرتها على جهودها وحلوياتها.

- الله يبارك فيك أختي أم رامي، وعقبال الجميع وإن شاء الله يكرمك بالحرية عما قريب، وتفضّلن يا أخوات الله يرضى عنكن، وألف صحة وعافية وعقبال الجميع.

وخلال هذه اللمة والفرحة دقّت سهيرت الباب.

- أم رامي، مساء الخير.

- أمل صالح، بكرة شحرور.

وما إن سمعت الأسيرات اسم أمل حتى علت الزغاريد والتصفيق والتكبيرات، وعادت موجة التهاني والتبريكات، على الضفة الأخرى من الفرحة المنقوصة والمنغوصة هناك في سجن الشارون، الأجواء أكثر من فرحة، فمنذ العصر أحضرت ممثلة الأسيرات اسم حياة للإفراج وعن أمل كذلك.

مثلة الأسيرات والشيخة فاطمة منذ الصباح انشغلت بإعداد



الحلويات للقسم كله، وما إن اقتربت الساعة من الثالثة حتى كانت الحلويات جاهزة، ودخلت لحظات الفرح إلى السجن.

تم دعوة الأسيرات من قبل ممثلة الأسيرات بعد صلاة العصر إلى وسط الساحة والغياب ممنوع لحضور حفلة وداع حياة.

انتهت صلاة العصر وتقدمت الشيخة فاطمة وافتتحت الحديث، بسم الله، وقدمت لها التهاني التبريكات، وتمنت لها حياة كريمة.

وقفت ممثلة الأسيرات وبجانبتها الأسيرة حياة وراحت الأسيرات يسلمن عليهن ويودعن حياة.

- خالتو لينا، عند الإفراج عني ستعملي لي حفلة مثل خالتو حياة؟

- تكرم عيونك يا نور الغالية، بعملك مثلها وأكثر منها.

- خالتو حياة، شو بدك تعملي لما أروّح؟

- أولاً حبيبتي نور بعملك حفلة في بلدك، وبستقبلك على الحاجز، وبعملك أحلى غدا وأحلى حلويات.

الأسيرات يتزاحمن، يردن الاستفراذ أسيرة أسيرة بحياة، هذه تعطيها رسائل للأهل، هذه رقم هاتف، هذه احكي لأهلي كذا، وهذه، وهذه.

- آه يا حياة مش تنسينا، مش تديري ظهرك وما تتصلي على أهلي؟

- والله عيب، أنتن بعيوني، خدمتكن واجب على رأسي إن شاء الله سأتصل بأهاليكن جميعاً.





نامت كل الأسيرات بعد آخر يوم من المشقة لحياة إلا حياة بقيت  
يقظة وهي تفكر كيف ستحتضن الأهل، لحظة الإفراج، لحظة وداع  
الأسيرات في القسم.

الأهل منذ صلاة الفجر لم يعد أحد إلى فراشه ولم يذهب أحد إلى  
عمله، أهل حياة ذهبوا إلى حاجز جبارة غرب طولكرم وأهل أمل إلى  
حاجز الجلمة في جنين.

هبطت قوافل السيارات وحطت رحالها قرب الحواجز العسكرية،  
وانتظر الأهل الساعات الطوال، وشبكة الاتصالات لم تهدأ والرنين  
والتواصل بين الجلمة وجبارة، والتنسيق للاستقبال في ساحة المدرسة.

الساعة الثامنة والنصف وقد تجهّزت حياة على آخر طراز، ولبست  
أجمل ما قدّم لها من الثياب من الأسيرات، جلباب، منديل، كندرة،  
وخرجت حياة إلى الساحة لعلها تحرق الوقت بعد أن كاد يخنقها الانتظار  
داخل الغرفة، جسدها مع الأسيرات في الفورة، روحها وتفكيرها هناك مع  
الأهل، مع الأحبة، مع أمل رفيقة الأمل والألم، كيف وأين ستلتقي معها؟  
غارقة بالتفكير، سارحة بذهنها، هناك إلى الحاجز العسكري، من سيكون  
في الاستقبال، أسئلة كثيرة بلا إجابات، انتظرت حياة طويلاً وطويلاً ولم  
يأت أحد إلى إخراجها، لا سجان ولا سجانة.

- ست حياة، اطمئني إن شاء الله هسه يحضر واسمك، ارتاحي.

- الأمر ليس بيدي، الانتظار صعب جداً ست لينا.



بعد طول انتظار، السجناء الجالسة في غرفة التحكم وعبر مكبرات الصوت:

- شحور، بنات.

- مبارك يا ست حياة، ينادوا عليك للإفراج.

تنفست حياة تنفس الصعداء، وتهلل وجهها إشراقاً وفرحاً وهي تسمع السجناء تنادي عليها، وودّعت الأسيرات الوداع الأخير وقد قدمت فرقة السجناء إلى غرفتها وعند الباب.

- صباح الخير، حياة بشير، شحور، وُفتح الباب.

497

خلال فتح الباب انطلقت حياة إلى غرفة (6) وبدأت بتوديع الأسيرات واحدة واحدة، والدموع تنهمر من عينيها، بعد إخراج حياة من القسم تم اقتيادها إلى مكتب مديرة السجن للتوقيع على بعض الأوراق واستلام الأمانات ومن ثم إلى غرفة الانتظار حتى قدوم البوسطة، استمر هذا الانتظار ساعة كاملة ومرّت على حياة كأنها سنة كاملة، وهذا الانتظار ممنهج من الإدارة للتكيل واللعب بأعصاب الأسيرة.

الساعة الواحدة ظهرًا قدمت فرقة من الضباط قَدَمُوا وبأيديهم مجموعة من الملفات.

- حياة بشير، نادى ضابط الإدارة.

- كتسين، أنا حياة بشير.



تبادل ضباط الإدارة النظرات في وجهها ومن ثم في الملف والصور وقاموا بالتوقيع على الملف، وبعد ذلك قام بعض السجنائين باقتيادها نحو البوسطة وتسليمها لفرقة النخشون، وبعد سفر النصف ساعة توقفت أمام بوابة حاجز جبارة غرب طولكرم.

- من هون، وأشارت المجندة نحو الشرق.

بلا قيود خرجت وسارت حياة لأول مرة منذ زمن وهي تتساءل أين أنا؟ ما هذا المكان؟ أكيد هذه الخليل، لا القدس، لا لا أكيد زعترة، ومن ثم وبعد عدة هواجس رأَت أهلها وسمعت صوتهم وهم يكبرون ويهتفون، تركض حياة نحوهم ولكن خطوتها تبارح مكانها حتى وصلتهم أخيراً، وصلت إلى أحضانهم وحملوها وطاروا بها، من بعيد رأَت حياة أشخاص كثير، لا حركة تقوم بها، لا كلمات، لا تعابير، فقط الموقف غير مستوعب، أناس ينادون وأناس يهنتون.

- الحمد لله على سلامتك أختي.

- الله يسلمك، أنا وين؟ ما اسم هذا الحاجز؟

- اشربي أولاً، الحمد لله على سلامتك، هذا حاجز جبارة، من أي

سجن تم الإفراج عنك؟

- أنا من جنين، روّحت من سجن الشارون.

- فلانة كانت معك هذه أختي.

- فلانة هذه بنتي.



- فلانة كيف حالها، شو عاملة؟

- جميع الأخوات بخير، وببسلاموا عليكم وجميع الأهالي لهم معي رسائل.

وفي الجانب الآخر على حاجز الجلطة سارت أمل وتداول في خاطرها نفس الهواجس، نفس الأسئلة ولكن أهلها لم يكونوا على الحاجز، أناس كثير.

- الحمد لله على سلامتك، من أي سجن جاي، أنت من أي بلد؟

- أنا من جنين، روحت من سجن الدامون.

- تفضلي هاد الجوال، احكي مع أهلك يمكن بيتظروا على حاجز سالم.

- أنا وين؟ شو كل هذه الأسلاك وكل هذه الجنود؟ شو هذه المعاطات؟

- أنت على حاجز الجلطة؟

- آه، يعني أنا في جنين.

- لماذا هذه اللسعات الكهربائية؟ تساءلت في خاطرها أمل.

بعد الاتصال الهاتفي، الأهل كبار وصغار، رجالاً، حضروا إلى الحاجز، احتضنوها وطاروا بها.

- الحمد لله على سلامتك، البسي هذا الوشاح، البسي هذه العصبة.



- آه أكيد، من زمان بدّي ألبس وشاح وعصبة لا إله الا الله، عصبة سرايا القدس.

الأهالي من جنين من المناطق المجاورة احتشدوا في ساحة المدرسة من جميع الفئات العمرية، والرايات السوداء تلف سور المدرسة وصور أمل وحياة قد توجت جدران المدرسة.

- حبيتي حياة، وصلت قبلي.

- الحمد لله أني شفتك يا أمل حياتي.

- ولك أنت من أي حاجز روحتي؟ استنيتك وما جيتي.

- روّحت من حاجز جبارة.

بدأ الاحتفال والأناشيد الجهادية وأناشيد الشهداء عبر مكبرات الصوت.

انطوت صفحة الاعتقال والأسر لزهرتين من زهرات فلسطين، لريحانتين فواحتين من رياحين أرض كنعان، ولكن صفحة الألم والمعاناة لم تنطو بعد؛ لأنه ما زال في الأسر أكثر من ستين أسيرة والآلاف من الأسرى يعانون ويلات السجن.

انتهت مأساة الأسر للأسيرتين أمل وحياة وأصبحتا أسيرتين محررتين وعادتتا إلى أحضان الأهل، وأكملتا دراستهما في الحقوق، وتقدم لخطبة حياة الشاب خالد وتزوجها بعد تخرجها من الجامعة، واكتفت برعاية أسرتها الجديدة ولم تكثف من جهادها.



أما أمل فبعد تخرجها من الجامعة فواصلت مشوارها العلمي وحصلت على شهادة الماجستير في القانون وافتتحت مؤسسة قانونية بالمشاركة مع بعض زميلات لها بالمهنة لرعاية الأسرى والأسيرات، وتزوجت من أسير محرر أمضى في السجن 15 عامًا.

خاب الاحتلال وخابت ظنونه  
في كسر إرادة شعب يُصّر على  
الحياة بكرامة.

تم محمد الله



## « تعريف بالكاتب الأسير المحرر

- الاسم: أسامة محمد عوض حروب.
- مكان الإقامة: مدينة جنين - محافظة جنين.
- تاريخ الميلاد: 1976/04/28 م.
- الحالة الاجتماعية: متزوج.
- عدد الأبناء: 1.
- الاعتقالات: 1.
- تاريخ الاعتقال: 2004/05/05 م.
- الحكم: 14 عاماً.

## « في هذه الرواية

بالتدريب بدأت الحياة تعود رويداً رويداً إلى طبيعتها في سجن الشارون بعد معركة الإضراب التي استمرت لمدة أحد عشر يوماً، مرت على الأسيرات كأنها أحد عشر عاماً، فالإضراب عن الطعام وعنقوانه لا يقتصر على الطعام بل إنه إضراب عن الحياة والموت معاً، الأسير يُضرب عن الطعام، والجسد يُضرب عن الشرب والتنفس والحركة والنمو، كل أعضاء الجسم ترفضه، ولكن لأن الحاجة ملحة للأعضاء الداخلية للجسد والحفاظ عليها ضروري وغاية في الأهمية؛ لذلك لا بد من إجباره على شرب الماء والنوم، لإبقاء الروح في الجسد، الإضراب عن الطعام خيار أمر من العلقم، وأصعب من المستحيل، ولا يلجأ إليه الأسرى إلا بعد نفاذ كل الخيارات والوسائل الكفيلة بضخ حياة كريمة داخل السجون.

أحد عشر يوماً هي مدة الإضراب الذي خاضته الأسيرات الفلسطينيات في سجن الشارون والدامون، أمام هذه المدة القصيرة، آلام وأوجاع ستلازم الأسيرة المضربة، عشرات الكيلو غرامات من الوزن فقدتها الأسيرة بحاجة لمدة زمنية طويلة للشفاء وتعويض الخسارة المادية من أرطال اللحم.